

جيفرى أرشير

JEFFREY ARCHER

عندما تحين الساعة

COMETH THE HOUR

الجزء السادس

مكتبة

يا حسين

رواية



الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.



مكتبة يا حسين

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

جيفرى أرشير

JEFFREY ARCHER

عندما تحين الساعة

COMETH THE HOUR

الجزء السادس

رواية

ترجمة

نهى حسن

مراجعة وتحرير

مركز التعریف والبرمجة

الطبعة الأولى: شباط/فبراير 2021 م - 1442 هـ

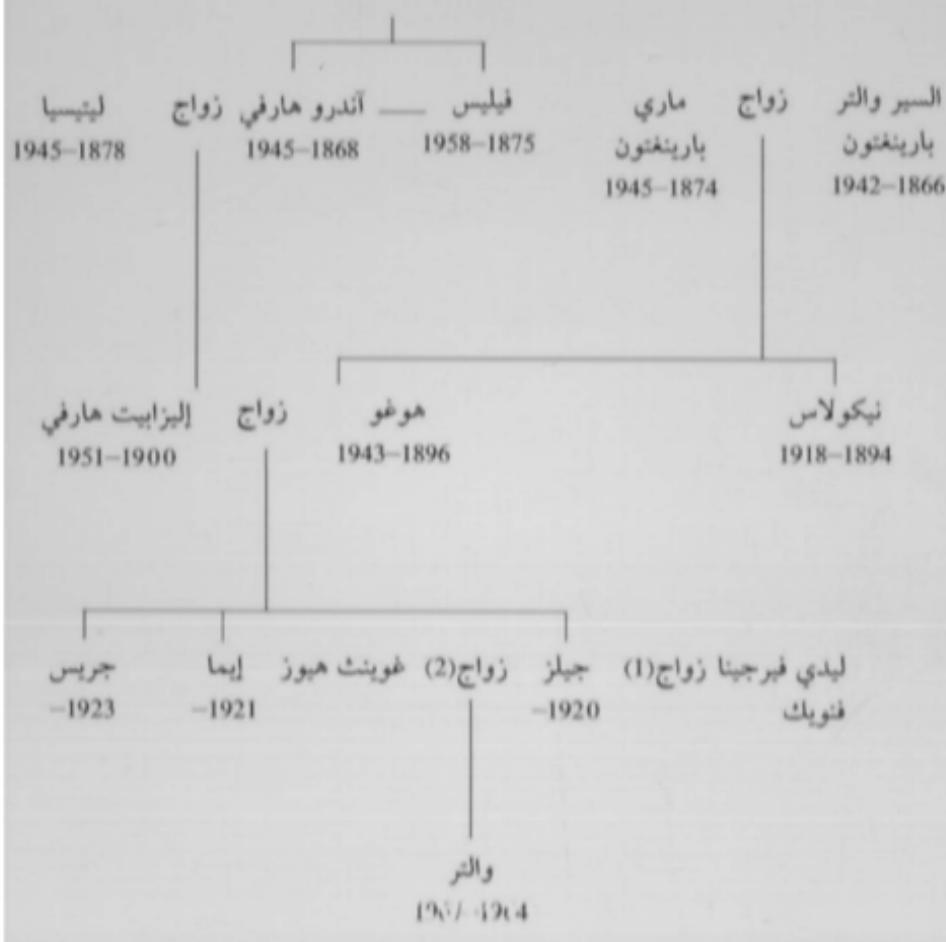
ردمك 9786140239982

تصميم الغلاف: على القهوجي

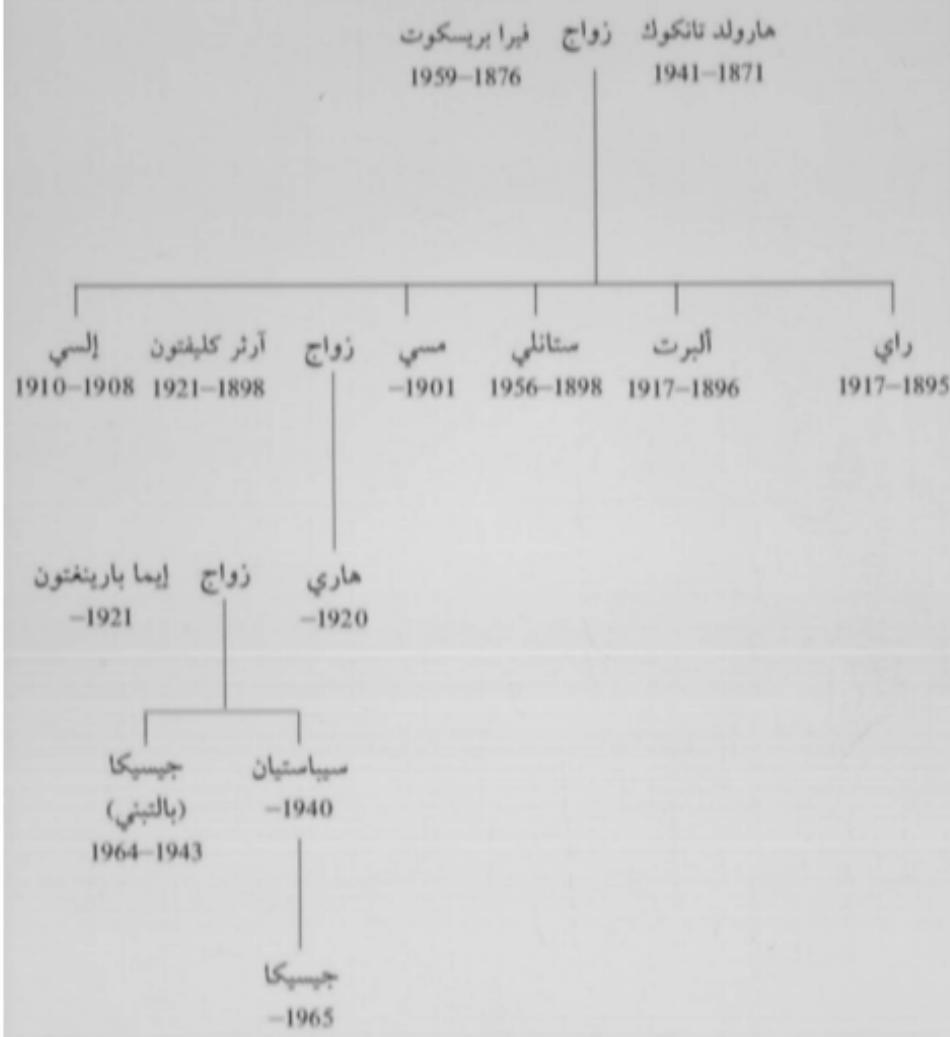


الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل

آل بارينغتون



آل کلیفتون



تمهيد

صاح صوت بهم قائلًا: "هل يمكن للمعنيين بقضية السيدة فيرجينيا فينيويك ضد السيدة إيمان كليفتون...".

قال تريلفورد: "لا بد من أن هيئة المحلفين قد توصلت إلى قرار".

تقدّم تريلفورد الجميع، وبينما كان ينظر خلفه للتأكد من أنهم كانوا يتبعونه، اصطدم بشاب، فاعتذر إليه، ولكن الشاب تابع سيره دون أن ينظر إلى الوراء.

فتح سيbastian باب المحكمة الرابعة عشرة لتنتمكن والدته ومحاميها من دخول القاعة والجلوس في مكانيهما في الصف الأمامي، فكانت إيمان متواترة جدًا لدرجة أنها لم تستطع النطق بأي كلمة، ونظرًا إلى أنها كانت خائفة من حدوث الأسوأ، ظلت تنظر بقلق من فوق كتفها إلى هاري الذي كان يجلس خلفها مباشرة، بينما كان الجميع ينتظرون دخول هيئة المحلفين إلى القاعة.

عندما دخلت السيدة القاضية لين قاعة المحكمة، وقف الجميع، فانحنى أمامهم احترامًا قبل أن تجلس في مكانها على منصة القضاء، حيث الكرسي الجلدي الأحمر العالي الظهر.

ركّزت إيمان انتباها على الباب المغلق بجانب منصة هيئة المحلفين، ولم تُطل النظر كثيرًا حتى انفتح الباب ودخل مأمور المحكمة من جديد، وقد تبعه المحلفون الائنا عشر، فاستغرق عنورهم على أماكنهم بعض الوقت، بينما كانوا يدوسون على أصابع أرجل بعضهم مثل رواد المسرح الذين وصلوا متأخرین على الموعد، فانتظرتهم المأمور حتى

استقرّوا في أماكنهم قبل أن يضرب بعصاه ثلاث مرات على الأرض، وهو يقول: "ليتفضل رئيس هيئة المحلفين بالوقوف".

نهض رئيس الهيئة الذي بلغ طوله خمسة أقدام وأربع بوصات ونظر إلى القاضية مباشرة.

مالت السيدة القاضية لين إلى الأمام، وقالت: "هل توصلتم إلى حكم متفق عليه؟".

شعرت إيمان وكان قلبها سيتوقف عن跳心跳 وهي تنتظر رده.

أجاب: "لا، سيدتي".

"حسناً، هل توصلتم إلى حكم وافقت عليه أغلبية لا تقل عن عشرة مقابل اثنين؟".

قال رئيس الهيئة: "نعم سيدتي، ولكن للأسف، في اللحظة الأخيرة غير أحدهم رأيه، فأصبحنا تسعة أصوات مقابل ثلاثة خلال الساعة الماضية، ولا أظن أن ذلك سيتغير، لذا أرجو مرة أخرى أن تقدمي إلينا توجيهاتك وإرشاداتك بشأن ما يجب أن نفعله الآن".

"هل تعتقد أنه يمكن الوصول إلى اتفاق عشرة على الأقل على قرار موحد إذا منحتك مزيداً من الوقت؟".

"نعم، سيدتي، لأننا الاثني عشر عضواً متفقون كلنا على أمر واحد معين".
"وما ذلك الأمر؟".

"إذا سمح لنا بمعرفة محتويات الرسالة التي كتبها الراند فيشر إلى السيد تريبلفورد قبل أن ينتحر، فقد نتمكن من التوصل إلى قرار سريع إلى حد ما".

شخصت أعين الجميع إلى القاضية باستثناء محامي الليدي فيرجينيا، السيد إدوارد ميكبيس، الذي كان ينظر عن كثب إلى تريبلفورد، محامي

الدفاع عن إيماء، فبدت نظراته إما أنه كان لاعب بوكر رانغا، أو أنه ببساطة لم يرد أن تعرف هيئة المحلفين ما كان في تلك الرسالة.

نهض تريلفورد من مكانه ومد يده إلى جيبيه الداخلي، فاكتشف أن الرسالة لم تعد في حوزته، وحين نظر إلى الجانب الأقصى من المحكمة رأى أن الليدي فيرجينيا كانت تبتسم له، فبادلها الابتسامة.

هاري وإيما كليفتون

1970-1971

1

لم تتوصل المحكمة إلى قرار نهائي، وقد طلبت القاضية من الرجال السبعة والنساء الخمس بذل جهد للتوصل إلى قرار نهائي، وقد دعتهم إلى العودة في صباح اليوم التالي، على الرغم من أنه تشكّلت لديها قناعة بأن آراء هيئة المحلفين ستظل منقسمة، وفي اللحظة التي وقفت فيها، نهض الجميع من أماكنهم في القاعة وانحنوا لها، فرأت القاضية بالمثل، وما إن غادرت القاعة حتى علا الضجيج وبدأ الجميع بالثرثرة.

قال تريبلفورد: "هل يمكنك أن ترافقيني إلى مكتبي، سيدة كليفتون، حتى نتمكن من مناقشة محتوى رسالة الرائد فيشر، وما إذا كان من المفترض الكشف عنه أم لا؟".

أومأت إيما إليه وقالت: "أود أن ينضم إلينا زوجي وأخي، إذا كان ذلك ممكناً، لأن على سيسيستيان العودة إلى العمل على حد علمي".

أجاب تريبلفورد: "بالطبع".

ثم رافقهم خارج قاعة المحكمة، ونزلوا الدرج الرخامي العريض إلى الطابق الأرضي.

وعندما خرجوا من المحكمة، حاصرتهم مجموعة من الصحفيين بكاميراتهم الوامضة مرة أخرى، بينما كانوا يشقّون طريقهم بينهم على مهل، وب مجرد أن وصلوا أخيراً إلى لينكولن إن، وهي ساحة قديمة مليئة بمنازل مدنية أنيقة، كانت في الواقع مكاتب يشغلها المحامون وموظفوهم، وبعد أن أصبحوا

ووحدهم، قادهم السيد تريلفورد عبر درج خشبي يصدر صريزاً إلى الطابق العلوي حيث المكتب رقم 11، وعندما دخلت إيماء مكتب السيد تريلفورد، فوجئت ب مدى صغر حجمه، ولكن أيها يكن الأمر، فليس هناك مكاتب كبيرة في لينكولن إن، وبمجرد أن جلسوا جميعاً، نظر السيد تريلفورد إلى المرأة التي كانت تجلس أمامه.

بدث السيدة كليفتون هادئة ومتمسكة ومحفظة أيضاً، وهو أمر نادر بالنسبة إلى شخص يواجه احتمال الهزيمة والإذلال إلا إذا...

فتح درج مكتبه العلوي، وأخرج منه ملفاً، ثم سلم ثلاثة نسخ من رسالة الراند فيشر إلى السيد والسيدة كليفتون والسيد جايلز بارينغتون، وبقيت الرسالة الأصلية في خزنته، على الرغم من أنه لم يكن لديه أدنى شك في أن الليدي فيرجينيا قد حصلت على النسخة التي كانت معه في المحكمة، وبمجرد أن قرأوا جميعاً الرسالة المكتوبة بخط اليد على ورقة من أوراق مجلس العموم، قال تريلفورد بحزم: "إذا سمحت لي بتقديم هذا الدليل إلى المحكمة، سيدة كليفتون، فأنا على ثقة أننا سنتتمكن من الفوز بالدعوى".

قالت إيماء، وهي تعيد نسختها إلى تريلفورد: "هذا مستحيل"، وأضافت قائلة: "لا يمكنني السماح بذلك".

"هل ستسمحين على الأقل لزوجك والسيد جايلز بإبداء رأيهما؟".

لم ينتظر جايلز إذا إيماء، بل أجابه على الفور: "بالطبع يجب أن يراها المحلفون لأنه بمجرد معرفتهم محتواها، سيصوتون بالإجماع لصالحك، والأهم من ذلك لن تتمكن فيرجينيا من إظهار وجهها

للعلن مرة أخرى".

قالت إيماء بهدوء: "ربما، ولكن في الوقت نفسه سيتوجب عليك سحب ترشيحك للانتخابات الفرعية، وهذه المرة لن يعرض عليك رئيس الوزراء مقعداً في مجلس اللوردات تعويضاً عن خسارتك في الانتخابات".

وأضافت قائلة: "يمكنك أن تتأكد من شيء واحد، وهو أن طليقتك سوف تعتبر تدمير حياتك السياسية جانزة مغربية أكثر بكثير من هزيمتي، لا، سيد تريلفورد ستبقى هذه الرسالة سراً من أسرار العائلة، وعلينا تحمل العواقب".

قال جايلز: "هذا التصرف يدل على العناد والحمقى منك يا اختي، فلا أريد أن أقضي بقية حياتي وأناأشعر بالمسؤولية عن خسارتك الدعوى واضطراك إلى التنحى عن رئاسة مجلس إدارة بارينغتون، ولا تنسي أنه سيعين عليك دفع التكاليف القانونية إلى فيرجينيا أيضاً، ناهيك عن التعويض الذي ستقرر هيئة المحلفين منحها إياه".

قالت إيماء: "إنه ثمن يستحق أن ندفعه".

كرر جايلز ولكن بصوت أعلى هذه المرة: "عناد وحمقى، وأنا أراهن على أن هاري يوافقني في الرأي".

نظرت جميعاً إلى هاري، الذي لم يكن بحاجة إلى قراءة الرسالة مرة ثانية، لأنه كان يستطيع تكرار محتواها كلمة كلمة، ومع ذلك بدا محتاراً بين رغبته في دعم صديقه، وبين رغبته في كسب زوجته دعوى التشهير التي رفعتها ضدها فيرجينيا.

قال هاري: "القرار ليس لي، ولكن لو كان مستقبلي معلقاً بخيط رفيع، لأردث الإعلان عن محتوى رسالة فيشر في المحكمة".

قال جايلز: "أصبحنا اثنين مقابل واحد".

قالت إيماء: "مستقبلي ليس معلقاً بخيط رفيع، وأنت على صواب يا عزيزي، فالقرار النهائي لي". من دون أن تقول المزيد، نهضت من مكانها، وصافحت محاميها، وقالت: "شكراً لك سيد تريلفورد، سنراك في المحكمة صباح الغد، لسماع قرار هيئة المحلفين، والذي سيحدد مصيرنا".

انحنى تريلفورد، وانتظر إغلاقهم الباب وراءهم قبل أن يتذمر من موقف إيماء.

سأله السيد إدوارد: "كيف تمكنت من الحصول عليها؟".

ابتسمت فرجينيا من دون أن تنطق بكلمة، فقد علمها السير إدوارد أنه عند مواجهة الاستجواب، إذا كان الجواب لا يساعد قضيتها، فعليها عدم النطق بأي كلمة.

لم يبادرها السيد إدوارد الابتسامة، بل قال وهو يلوح بالرسالة: "إذا كانت القضية ستسمح للسيد تريلفورد بتقديم هذا الدليل، فلن أكون واثقاً من أننا سنفوز بالقضية، بل سنخسرها بالتأكيد".

قالت الليدي فيرجينيا بثقة: "كليفتون لن تسمح أبداً بالكشف عن محتوى الرسالة في المحكمة".

أجاب: "كيف يمكنك أن تكوني متأكدة إلى هذه الدرجة؟".

"ينوي شقيقها خوض الانتخابات الفرعية في برستول دوكلاندز للفوز بالمقعد الشاغر بعد وفاة الراند فيشر، وإذا انكشف مضمون هذه الرسالة على الملا، فسيتعين عليه الانسحاب، وهكذا ستنتهي مسيرته السياسية".

يفترض أن يكون للمحامين أراوهم في المسائل المتعلقة بموكلיהם، ولكن ليس في هذه الحالة، لأن السيد إدوارد يعرف بالضبط طبيعة الليدي فيرجينيا، ولم يحتج إلى توضيحها داخل المحكمة أو خارجها.

قال المحامي المسئ: "إن كنت على حق أيتها الليدي، ولم يستخدمو الرسالة لصالحهم، فستفترض هيئة المحلفين أنها تسيء إلى قضية السيدة كليفتون، وسيكون ذلك كافيا لأن تقلب الأمور لصالحك".

مؤقت فرجينيا الرسالة ورمي القصاصات الصغيرة في سلة المهملات، وقالت: "أنا أافقك في الرأي، سيد إدوارد".

مرة أخرى، حجز ديزموند ميلور غرفة اجتماعات صغيرة في فندق غير عصري، كي لا يتعرف أحد إلى المجتمعين،

وقال وهو يجلس عند رأس الطاولة: "الليدي فيرجينيا هي الأكثر ترجيحاً للفوز بالدعوى، ويبدو أن الأمر انتهى باليكس فيشر إلى القيام بشيء يستحق العناء على سبيل التغيير".

قال أدريان سلون: "توقيت فيشر ما كان ليكون أفضل، لكننا لا نزال بحاجة إلى أن يكون كل شيء في مكانه إذا كان هناك استحواذ سلس على بارينغتون شيبينغ".

قال ميلور: "أافقك الرأي تماماً، ولهذا السبب قمت بصياغة بيان صحفي أريدك أن تنشره ما إن يتم إعلان الحكم".

"ولكن كل ذلك يمكن أن يتغير إذا سمحت السيدة

كليفتون بتلاوة رسالة فيشر في المحكمة".

قال ميلور: "يمكنني أن أؤكد لكم أن هذه الرسالة لن تبصر النور أبداً".

قال جيم نولز: "أنت تعرف محتوى الرسالة، أليس كذلك؟".

"دعنا نقل فقط إنني واثق من أن السيدة كليفتون لن ترغب في أن يراها المخلفون، الأمر الذي سيقنعهم بأن رئيسنا المحبوبة لديها ما تخفيه، وعندئذ سيصوتون لصالح الليدي فيرجينيا، وستكون نهاية القضية".

قال نولز: "نظرًا إلى أنه من المحتمل أن يتواضلوا إلى حكم في وقت ما غداً، فقد دعوثر مجلس الإدارة إلى اجتماع طارئ يوم الاثنين عند الساعة العاشرة، وسيكون هناك بندان فقط على جدول الأعمال، الأول هو قبول استقالة السيدة كليفتون، والثاني تعيين ديزموند رئيساً جديداً للشركة".

"وسيكون أول قرار بصفتي رئيساً تعيين جيم نائب الرئيس"، فتجهم وجه سلون.

"واردف قائلًا: "ثم سأدعو أدريان إلى الانضمام إلى مجلس الإدارة، الأمر الذي سيقنع سكان المدينة وتحديداً المساهمون في الشركة في أن إدارة بارينغتون أصبحت من دون أدنى شك جديدة".

قال نولز ملوكاً بالبيان الصحفي كما لو كان ورقة يانصيب: "ما إن يقرأ أعضاء المجلس هذا البيان، فلن يمر وقت طويل حتى يدرك الأدميرال ورفاقه أنه ليس لديهم خيار سوى الاستقالة".

قال ميلور ساخراً: "استقالاتهم تلك سأقبلها على مضض، وبقلب مثقل بالحزن".

قال سلون: "لست مقتنعاً بأن سيباستيان كليفتون

سينسجم مع خططنا بهذه السهولة، وإذا قرر البقاء في المجلس فقد لا يكون الانتقال سلساً كما تفكّر فيه، ديزموند".

"لا أستطيع أن أتخيل أن كليفتون سيرغب في أن يصبح مديراً لشركة ميلور للسفر بعد أن تعزّزت والدته للإذلال العلني من قبل الليدي فيرجينيا، لا في المحكمة فحسب بل في كل صحفة وطنية".
كزر نولز كلامه قائلاً: "لا شك في أنك تعرف ما في هذه الرسالة".

لم يحاول جايلز تغيير رأي اخته، لأنّه كان يدرك أن جهوده ستذهب أدراج الرياح، لأنّ من بين صفات إيما العديدة الولاء الشديد لعائلتها وأصدقائها ولكل قضية تؤمن بها، ولكن الجانب الآخر من تلك العمالة كان عناداً سمح أحياناً لمشاعرها الشخصية بتجاوز منطقها السليم، حتى ولو كان قرارها قد يؤدي إلى خسارة قضية التشهير، والاضطرار إلى الاستقالة من منصب رئاسة مجلس إدارة باريونغتون.

عرف جايلز كل ذلك، لأنّه يمكن أن يكون عنيداً بالقدر نفسه، وقد توصل إلى أنها لا بد أن تكون سمة عائلية، ومن ناحية أخرى، كان هاري أكثر براغماتية، ويفكر في الخيارات كما يفكّر في البدائل قبل وقت طويل من اتخاذ قراره، ومع ذلك شك جايلز في أن يكون هاري محظياً بين دعم زوجته والولاء لصديقه.

قال جايلز: "سانجز بعض الأعمال، وبعد ذلك أراكم في المنزل لتناول العشاء معاً، وبالم المناسبة شكرنا لك يا أخي".

أشار هاري إلى سيارة أجرة، وركب هو وزوجته في المقعد الخلفي، ولم يتحزّك جايلز من مكانه حتى

انطلقت السيارة وتوارت عن الأنظار، ثم سار بخطى سريعة باتجاه شارع فليت.

في صباح اليوم التالي استيقظ سيباستيان في وقت مبكر، وبعد قراءة صحيفتي الفاينانشال تايمز والديلي تيليغراف، لم يعد يرى أن لوالدته أي أمل في الفوز بدعوى التشهير، فقد أشارت التيليغراف إلى قرائتها إلى أنه إذا ظل محتوى رسالة الرائد فيشر سريياً، فلن يساعد ذلك في قضية السيدة كليفتون، بينما ركزت الفاينانشال تايمز على المشاكل التي ستواجهها بارينغتون شيبينغ إذا خسرت رئيستها الدعوى واضطربت إلى الاستقالة.

كانت أسهم الشركة قد انخفضت بالفعل بمقدار شلن، بعد أن تأكد العديد من مساهميها من أن الليدي فيرجينيا ستكون هي المنتصرة، وقد رأى سيب أن أفضل ما يمكن أن تأمله والدته هو أن تعلق هيئة المحلفين قرارها، ومثل أي شخص آخر لم يستطع التوقف عن التساؤل عن محتوى الرسالة التي لم يسمح له السيد تريلفورد بقراءتها، ومعرفة أي من الطرفين يمكن أن يفيد الكشف عن مضمونها، وعندما اتصل بوالدته بعد عودته من العمل، لم تكن صريحة معه بشأن الرسالة، كما لم يكلف نفسه عناء سؤال والده.

وصل سيباستيان إلى البنك في وقت أبكر من المعتاد، ولكن بمجرد أن جلس إلى مكتبه وبدأ بمحاولة الاطلاع على البريد الصباحي، لم يستطع التركيز على عمله، وبعد أن سألته سكرتيرته راشيل عدة أسئلة ولم يجب على أي منها، وبعد أن استسلمت اقترحت عليه الذهاب إلى المحكمة وعدم العودة قبل أن تصدر هيئة المحلفين حكمها، فوافقها في رأيها على مضض.

بينما كانت سيارة الأجرة التي تقله تخرج من

المدينة باتجاه شارع فليت، لفت انتباهه العنوان الرئيسي الذي يتتصدر الصفحة الأولى في صحيفة ديلي ميل، فصاح بالسانق: "توقف!".

توقف سائق سيارة الأجرة بمحاذة الرصيف، فنهض سبب من مكانه واتجه نحو بائع الصحف، وأعطاه أربعة بنصات، وأخذ نسخة من الصحيفة، وببدأ يقرأ الصفحة الأولى وهو لا يزال يقف على الرصيف، فشعر بتضارب مشاعره وتباينها بين الإحساس بالفرحة من أجل والدته التي ستفوز بالتأكيد بدعوى التشهير وستتم تبرئتها، والحزن من أجل خاله جايلز الذي ضحى بمسيرته السياسية من أجل القيام بما اعتبره يليق به ويشرفه، لأنه كان يعلم أن والدته لن تسمح أبداً بكشف مضمون تلك الرسالة أمام أي شخص خارج العائلة.

صعد مرة أخرى إلى سيارة الأجرة وتساءل، وهو يحدق من النافذة، عما كان سيقوم به لو واجه المعضلة نفسه، وهل كانت بوصلة أخلاقية مختلفة توجه جيل ما قبل الحرب؟ ولم يكن لديه أدنى شك في موقف والده أو مدى غضب والدته على جايلز، ثم انتقلت أفكاره إلى سامانثا، التي عادت إلى أميركا عندما خذلها، فتساءل عما يمكن أن تفعله في ظروف مماثلة، وتمنى لو أنها أعطته فرصة ثانية فقط، لأنه كان على يقين من أنه ما كان سيرتكب الخطأ نفسه مرة أخرى.

تفقد سبب ساعته، فأدرك أن معظم الناس في واشنطن نائمون على الأغلب في هذا الوقت، لذلك وجد أنه لا يستطيع الاتصال بمديرة مدرسة ابنته جيسيكا، الدكتورة وولف، لمعرفة سبب رغبتها في التحدث إليه بشكل عاجل، هل كان من الممكن فقط...؟

توقفت سيارة الأجرة خارج المحاكم الملكية في ستراند.

قال سائق سيارة الأجرة مقاطعاً أفكاره: "الأجرة لو سمحت أيها الحكم".

أعطاه شلنین وستة بنسات.

عندما خرج من السيارة، بدأت الكاميرات على الفور بالوميض، وكانت الكلمات الأولى التي استطاع سماعها: "هل قرأت رسالة الرائد فيشر؟".

عندما دخلت السيدة القاضية لين المحكمة الرابعة عشرة، وجلست على الكرسي ذي الظهر المرتفع على المنصة المرتفعة، لم تبذر سعيدة، فهي لم يكن لديها أي شك في أنه على الرغم من أنها طلبت من هيئة المحلفين بحزم لا يقرأوا أي صحيفة في أثناء إجراء المحاكمة، إلا أن الموضوع الوحيد الذي سيناقشونه في غرفة المحلفين في ذلك الصباح سيكون ما ورد في الصفحة الأولى من صحيفة дили ميل، كما لم يكن لديها أي فكرة عن سبب رسالة الرائد فيشر، ولكن ذلك لم يمنعها مثل أي شخص آخر في قاعة المحكمة من تكوين رأيه الخاص، وعلى الرغم من أن الرسالة قد أرسلت إلى السيد تريلفورد، إلا أنها كانت واثقة من أنه لا يمكن أن يكون قد سبب مضمونها، لأنه من المستحيل أن يقحم نفسه في ورطة عبر اللجوء إلى مثل هذه الأساليب المخادعة، فقد كانت تعرف بعض المحامين الذين كانوا سيغضبون الطرف، وحتى إنهم قد يلجأون إلى مثل هذا السلوك، ولكن ليس تريلفورد، فهو كان سيفضل أن يخسر الدعوى على السباحة في المياه العكرة، كما كانت واثقة بالقدر نفسه من أنها ليست الليدي فيرجينيا فينيويك، لأنها

كانت ستضر بقضيتها، ولو ساعدها تسريب مضمون الرسالة، لكان اشتبهت بها.

نظرت السيدة القاضية لين إلى السيدة كليفتون التي أحيطت لها رأسها، فهي خلال الأسبوع الماضي أثارت إعجابها، ورغبت في التعرف إليها بشكل أفضل بمجرد انتهاء المحاكمة، ولكن ذلك لن يكون ممكناً، فهي لن تتحدى إليها مرة أخرى، وإذا أرادت القيام بذلك، فسيكون بلا شك عند إعادة المحاكمة، وإذا كان على القاضية أن تخمن المسؤول عن تسريب الرسالة، فهي تظن أنه السيد جايلز بارينغتون، ولكنها تفضل ألا تكتفي بالتخمين، بل بالنظر في الأدلة فقط، ومع ذلك فإن حقيقة أن السيد جايلز لم يكن في المحكمة في ذلك الصباح كان يمكن اعتباره دليلاً، حتى ولو كان ظرفياً.

ركزت القاضية انتباها على السيد إدوارد ميكبيس المحامي البارز الذي كان يقدم موجزه ببراعة، كما أن دفاعه القوي وبلافة أسلوبه في المحكمة ساعدا بلا شك قضية الليدي فيرجينيا، ولكن ذلك قبل أن يلفت السيد تريلفورد انتباها المحكمة إلى رسالة الراند فيشر، وقد تفهمت القاضية عدم رغبة كل من إيمان كليفتون والليدي فيرجينيا في الكشف عن محتوى الرسالة في جلسة المحاكمة علنية، رغم أنها كانت متأكدة من أن السيد تريلفورد كان سيضغط على موكلته للسماح له باستخدامها دليلاً على براءتها، فهو في النهاية يمثل السيدة كليفتون، وليس شقيقها، كما افترضت السيدة القاضية لين أنه لن يمر وقت طويل قبل أن تدخل هيئة المحلفين إلى القاعة وفي حوزتها القرار النهائي.

عندما اتصل جايلز بمقر دائنته الانتخابية في بريستول ذلك الصباح، لم يكن وفتحه الانتخابي جريف هاسكينز بحاجة إلى إجراء محادثة طويلة، فبعد قراءة الصفحة الأولى من الديلي ميل، وافق جريف على مضض على أن يسحب جايلز ترشيحه الذي كان يدعمه حزب العمال للانتخابات الفرعية القادمة في بريستول دوكلاندز.

قال جايلز: "إن فيشر خبير في أنصاف الحقائق والمبالغة والتلميحات".

قال جريف: "هذا لا يفاجئني، ولكن هل يمكنك إثبات ذلك قبل يوم الاقتراع؟ لأن شيئاً واحداً مؤكداً، وهو أن رسالة فيشر سيسخدمها حزب المحافظين عشية الاقتراع لصالحهم، وسيدفعون بها عبر كل صندوق بريد في الدائرة الانتخابية".

اعترف جايلز قائلًا: "كنا سنفعل الشيء نفسه لو أتيحت لنا هذه الفرصة".

قال جريف رافضاً الاستسلام: "لكن إذا كان في إمكانك إثبات أنها كانت مجرد أكاذيب، فسيكون أملك في الفوز كبيراً".

"ليس لدي الوقت للقيام بذلك، وحتى لو فعلت، لست متأكداً من أنه قد يصدقني أحد، لأن تأثير كلمات الأموات أقوى بكثير من تأثير كلمات الأحياء".

قال جريف: "حسناً، لم يبق أمامنا سوى أن نفرط في الشرب لننسى أحزاننا".

قال جايلز: "لقد فعلت ذلك الليلة الماضية، والله وحده يعلم ماذا فعلت غير ذلك".

عاد جريف سريعاً إلى الحديث عن الانتخابات: "بمجرد أن نختار مرشحاً جديداً، أوذ منك أن تطلعه

أو تطلعها على سير الأمور، لأن من نختاره سيحتاج إلى دعمك، والأهم من ذلك إلى خبرتك".

قال جايلز: "قد لا يكون ذلك لمصلحتنا في ظل هذه الظروف".

قال جريف: "توقف عن لوم نفسك وإثارة الشفقة، فلدي شعور بأننا لن نتخلص منك بهذه السهولة، فحزب العمال يجري في دمك، ألم يكن هارولد ويلسون من قال إن أسبوعاً يعاد وقتاً طويلاً في السياسة؟".

عندما فتح الباب، توقف الجميع عن الكلام في القاعة، واستداروا، فكان المأمور يقف جانبنا للسماع للرجال السبعة والنساء الخمس بدخول المحكمة والجلوس في أماكنهم على مقاعد هيئة المحلفين. انتظرت القاضية حتى جلسوا في أماكنهم قبل أن تميل إلى الأمام وتسأل رئيس الهيئة: "هل تمكّنتم من التوصل إلى حكم؟".

نهض رئيس الهيئة ببطء من مكانه، وعذل نظارته، ونظر إلى القاضية وقال: "نعم، يا سيدتي".
"وهل قراركم بالإجماع؟".
"إنه كذلك يا سيدتي".

"هل كان القرار لصالح المدعية، الليدي فيرجينيا فينيويك، أو المدعى عليها، السيدة إيمان كليفتون؟".
قال رئيس الهيئة الذي أنجز مهمته على أكمل وجه: "لقد كان القرار لصالح المدعى عليها".

انتصب سيباستيان واقفاً على قدميه وكان على وشك أن يهتف، ولكنه صمت عندما لاحظ أن والدته القاضية كانتا تعسان في وجهه.

جلس على مقعده بسرعة، ونظر إلى والده الذي

في الجانب الآخر من قاعة المحكمة، جلسَت امرأة كانت تنظر إلى هيئة المحلفين نظرات حادة وهي توشك أن تصرخ في وجوههم، غير قادرة على إخفاء استيائها، بينما جلس محاميها مكتوفَ اليدين.

ما إن قرأ السيد إدوارد الصفحة الأولى من дiلي ميل في ذلك الصباح، حتى أدرك أن موكلته ليست لديها أي فرصة للفوز بالدعوى، وعلى الرغم من أنه كان في إمكانه أن يطالب بإعادة المحاكمة، ولكنه لم يكن ينصح موكلته بأن تعرّض نفسها لخطر خسارة دعوى ثانية في ظل الاحتمالات التي تديّنها كلها بشدة.

جلس جايلز بمفرده إلى ماندة الفطور في منزله في سميث سكوير، بعد أن تغير روتينه المعتاد، فلم يعد يتناول رقائق الذرة، ولا البيض المسلوق، ولا يحتسي عصير البرتقال، ولا يجد أمامه صحيفَة التايمز ولا الغارديان، بل وجد نسخة дiلي ميل الموضوعة أمامه على الماندة.



مجلس العموم

12 تشرين الثاني 1970

عزيزي السيد تريلفورد، سيثير فضولك سبب اختيارك لاكتب لك لا للسيد إدوارد ميكيس، والجواب بكل بساطة، هو أنه ليس لدى أدنى شك في أنكما كليكما ستتصرفان وفقاً لمصلحة موكليكما.

اسمح لي بأن أبدأ بموكلة السيد إدوارد، الليدي فيرجينيا فينيويك، وادعائهما السخيف أنني لست أكثر من مستشار مهني لها، وأنني كنت دائمًا أعمل بعيدًا عنها ومن دون استشارتها، وهذا أبعد ما يكون عن الحقيقة، لم أعرف أبداً أي من الموكليتين كانت أكثر خبرة، ولكن عندما يتعلق الأمر بشراء وبيع أسهم بارينغتون، فكان لديها غرض واحد فقط، وهو تدمير الشركة مهما كان الثمن، إلى جانب تشويه سمعة رئيسة الشركة، السيدة كليفتون، وقبل أيام قليلة من بدء المحاكمة عرضت علي الليدي فيرجينيا مبلغاً كبيراً من المال لادعاء أنها أعطتني تفويضاً مطلقاً للتصرف نيابة عنها من أجل ترك انطباع لدى هيئة المحلفين بأنها تجهل حقاً العمل في سوق الأوراق المالية، واسمح لي بأن أؤكد لك أنه رذا على سؤال الليدي فيرجينيا الذي وجهته إلى السيدة كليفتون في الاجتماع العام السنوي: هل صحيح أن أحد المدراء لديك قد باع حصته الضخمة في محاولة لإسقاط الشركة؟.

والحقيقة أن ذلك بالضبط ما فعلته الليدي فيرجينيا بنفسها خلال ثلاث مناسبات على الأقل، وكانت تنجح في إسقاط بارينغتون، وقد أطلعتك على هذه الحقيقة لأنني لا أستطيع أن أرتاح في قبري، وأنا أحمل ضميري عباء هذا الظلم بحق

السيدة إيماء، كما أن ظلماً آخر بغيضاً قد لحق بشخص آخر، وأنا أيضاً غير قادر على تجاهله، وهو يتعلّق بالسيد جايلز بارينغتون، إذ ستؤدي وفاته إلى إجراء انتخابات فرعية في دائرة بريستول دوكلاندز، وأنا أعلم أن حزب العمال سينظر في إعادة اختيار عضو البرلمان السابق، السيد جايلز بارينغتون، مرشحاً له، ولكنّه يشبه تماماً الليدي فيرجينيا في أنه يخفي سرّاً لم يشاً مشاركته حتى مع عائلته، وهو علاقته بالمترجمة الرسمية الانسة كارين بينغلي، فهو عندما زار برلين الشرقية مؤخراً بصفته ممثلاً لحكومة جلالـة الملكـة، أقام علاقة معها، وقد وصفها لاحقاً في بيان صحفي أنها علاقة دامت ليلة واحدة، وفي وقت لاحق أُعلن أنها كانت سبب ترك زوجته له، على الرغم من أنه كان الطلاق الثاني للسيد جايلز بسبب الخيانة، إلا أنني لا أعتبر أن ذلك السبب وحده كان كافياً لانسحاب الرجل من الحياة العامة، وفي هذه الحالة رأيت أن معاملته القاسية للسيدة المعنية تجعل من المستحيل التزامي بالصمت.

بعد أن تحدّثت إلى والد الانسة بينغلي، عرفت حقيقة أن ابنته كتبت إلى السير جايلز في عدة مناسبات لإخباره بأنها لم تفقد وظيفتها فحسب نتيجة علاقتهم، بل إنها الآن حامل بطفله، وعلى الرغم من ذلك، لم يتكرم السيد جايلز على الرد على رسائلها، أو إظهار أدنى اهتمام بالمأذق الذي وقعت فيه، وهي لا تشكو، إلا أنني أجد نفسي مسؤولاً عن إعلان ذلك نيابة عنها، وأنا ملزم بأن أسأل، هل يستحق هذا الرجل أن يمثل ناخبيه في مجلس العموم؟ لا شك في أن مواطني بريستول سيعبرون عن آرائهم في صناديق الاقتراع، وأعتذر يا سيدي عن وضع عبء المسؤولية على كاهلك، لكنني

شعرت بأنه لم يكن لدى خيار آخر.
المخلص لك،

الرائد ألكسندر فيشر

حذق جايلز إلى ورقة نعوته السياسية.

قال جيم نولز في أثناء دخول إيما إلى قاعة مجلس الإدارة: "مرحبا بك من جديد، رئيسة مجلس الإدارة، فلم أشك لحظة في عودتك منتصرة".

قال كلايف أنسكوت وهو يسحب كرسي إيما إلى الخلف حتى تجلس في مكانها على رأس الطاولة: "اسمع، اسمع".

قالت إيما وهي تجلس: "شكرا لك".

جالت عيناهَا في وجوهِ الجالسين إلى طاولة مجلس الإدارة، وابتسمت لزملائها، فبادلواها جميعهم الابتسامة.

"البند الأول".

نظرت إيما إلى جدول الأعمال كما لو أنه لم يحصل أي شيء غير مرغوب فيه خلال الشهر الماضي، وقالت: "نظرا إلى عقد السيد نولز هذا الاجتماع منذ وقت قصير، فلم يكن لدى أمين الشركة الوقت لتوزيع محضر اجتماع مجلس الإدارة الأخير، لذلك سأطلب إليه قراءته الآن".

سأله نولز: "هل هذا ضروري، في ظل هذه الظروف؟".

قالت إيما: "لست متأكدة من أن لي دراية كاملة بتلك الظروف، يا سيد نولز، ولكنني أفترض أننا على وشك اكتشاف ذلك".

نهض فيليب ويبيستر، أمين الشركة من مكانه، وسعل بتوتر بعض الأشياء لا تتغير أبداً، كما اعتتقدت إيما - وبدأ بقراءة المحضر كما لو كان يعلن عن القطار الذي من المقرر وصوله إلى المنصة الرابعة.

"فقد اجتمع مجلس الإدارة في بارينفتون هاووس

يوم الثلاثاء 10 تشرين الثاني 1970، وكان جميع المدراء حاضرين، باستثناء السيدة إيمان كليفتون والسيد سياستيان كليفتون اللذين أرسلا اعتذارهما موضحين أنه كان لديهما ارتباطات أخرى، وبعد استقالة نائب الرئيس السيد ديزموند ميلور وفي أثناء غياب السيدة كليفتون، وافق الجميع على أن يتولى السيد جيم نولز الرئاسة، ثم تبع ذلك نقاش طويل حول مستقبل الشركة والإجراء الذي يجب اتخاذه إذا فازت الليدي فيرجينيا فينيويك بدعوى التشهير ضد السيدة كليفتون، وقد سجل الأدميرال سامرز اعتراضه لأنّه يرى أنه لا ينبغي اتخاذ أي قرار قبل إصدار حكم المحكمة، لأنّه كان واثقاً من براءة الرئيسة".

ابتسمت إيمان للقائد العجوز الذي لو غرق السفينة، لكان آخر من سيغادرها.

"ومع ذلك لم يؤيد نولز رأي الأدميرال، وأبلغ المجلس أنه كان يتبع الدعوى عن كتب، وتوصل إلى استنتاج مفاده أنه لم يكن لدى السيدة كليفتون أي فرصة للفوز، وهذا ليس كل شيء بل إن الليدي فيرجينيا لن تربح الدعوى فحسب بل إن هيئة المحلفين ستمنحها تعويضات كبيرة أيضاً، ثم ذكر السيد نولز المجلس بأن السيدة كليفتون قد أكدت أنها ستستقيل من منصب رئاسة المجلس إذا خسرت الدعوى، ومضى يقول إنه يعتبر أن واجب مجلس الإدارة النظر في مستقبل الشركة في ظل هذا الاحتمال، واختيار الاسم الجدير بأن يحل محل السيدة كليفتون ويحتل منصب الرئيس، واتفق السيد كلايف أنسكوت مع نائب الرئيس على اقتراح اسم السيد ديزموند ميلور الذي أُعلن مؤخراً أن السبب الذي يتعين عليه الاستقالة من

مجلس الإدارة، أنه لا يمكنه البقاء في المجلس ما دامت "تلك المرأة" هي المسئولة، ثم تبع ذلك نقاش مطول اتضح خلاله أن الأعضاء منقسمون بالتساوي حول كيفية حل المشكلة، وخلص السيد نولز، إلى أنه ينبغي إعداد بيانين، وبمجرد معرفة نتيجة الدعوى، ينبغي الإعلان عن البيان المناسب ونشره في الصحف، وقد صرَّح الأدميرال سامرز بأنه لن تكون هناك حاجة لبيان صحفي لأنَّه بمجرد تبرئة السيدة كليفتون، ستعود الأمور إلى نصابها، فضفط السيد نولز على الأدميرال سامرز بشأن ما سيفعله إذا فازت الليدي فيرجينيا بالدعوى، فرد الأدميرال بأنه سيستقيل من مجلس الإدارة، لأنَّه لن يستطيع العمل تحت قيادة السيد ميلور، فطلب السيد نولز تسجيل كلمات الأدميرال في المحضر، ثم مضى ليوضح استراتيجيته من أجل مستقبل الشركة، في حال حدوث الأسوأ".

سألت إيماء ببراءة: "وما استراتيجيتك سيد نولز؟". انتقل السيد ويستر إلى الصفحة التالية من المحضر.

قال نولز وهو يبتسم لإيماء ابتسامة متصنعة: "هذا لم يعد مهما، وبعد كل شيء قد ثبت أنَّ الأدميرال على حق، ولكنني اعتبرت أنه من واجبي إعداد مجلس الإدارة لكل احتمال".

قال الأدميرال سامرز: "الاحتمال الوحيد الذي كان عليك الاستعداد إليه هو تسليم استقالتك قبل عقد هذا الاجتماع".

قال أندى دوبز: "لا تعتقد أنَّ هذا القرار قايس بعض الشيء؟ بعد كل ما حصل كان جيم في موقف لا يحسد عليه".

قال الأدميرال: "الولاء ليس موقفًا لا يحسد عليه،

ما لم تكن بالطبع نذلاً".

كبح سيباستيان ابتسامته، فلم يستطع تصديق أن أحذا لا يزال يستخدم كلمة "نذل" في النصف الثاني من القرن العشرين، وقد رأى أن عبارة "المنافق اللعين" يمكن أن تكون أكثر ملاءمة، رغم أنها في الحقيقة لم تكن أكثر فعالية.

قالت إيماء: "ربما ينبغي لأمين الشركة قراءة بيان السيد نولز الذي كان سيعلنه أمام الصحافة لو خسرت القضية".

أخرج السيد ويبيستر ورقة من ملفه، ولكن قبل أن تتاح له الفرصة للتفوه بأي كلمة، نهض نولز من مكانه، وجمع أوراقه، وقال: "لن يكون ذلك ضروريًا، أيتها الرئيسة، لأنني أقدم استقالتي".

ومن دون أن ينطق بكلمة أخرى، استدار ليغادر، ولكن ليس قبل أن يتمتم الأدميرال سامرز قائلًا: "قرارك متاخر جداً".

ثم نظر إلى المديرين الآخرين اللذين دعوا نولز، وبعد لحظة من التردد، وقف كلايف أنسكوت وأندي دوبز أيضًا، وغادرا الغرفة بهدوء.

انتظرت إيماء إغلاق الباب قبل أن تتحدى مرة أخرى: "من وقت لآخر قد أبدو غير صبوراً مع تسجيل أمين الشركة محاضر مجلس الإدارة بدقة، وأعترف الان بأن السيد ويبيستر أثبت أنني مخطئة، وأنا اعتذر بلا تحفظ".

سأل ويبيستر من دون أي تلميح بالسخرية: "هل تريدين أن أسجل مشاعرك في المحضر، سيدتي الرئيسة؟".

هذه المرة سمح سيباستيان لنفسه بالابتسام.

بمجرد أن حَرَّ هاري المسودة الرابعة من مذكرات أناتولي باباكوف الرائعة التي تناولت روسيا السтаلينية، لم يعد يطيق صبزا حتى يستقل أول رحلة طيران متاحة إلى نيويورك، ويسلم نص كتاب العم جو إلى ناشر كتبه هارولد غوينزبورغ، إلا أن حدثاً أكثر أهمية منعه من القيام برحلته، ولم يكن ينوي تفویته مهما كانت الظروف، وهو حفل عيد ميلاد والدته السبعين. لقد أقامت مايسى في قصر مانور هاووس منذ وفاة زوجها الثاني قبل ثلاث سنوات، وظلت تشارك في نشاطات جمعيات خيرية محلية عديدة، وعلى الرغم من أنها نادراً ما فوتت النزهة اليومية التي تبلغ مسافتها ثلاثة أميال سيراً على الأقدام، إلا أنها باتت تستغرق أكثر من ساعة. كما لن ينسى هاري أبداً التضحيات العظيمة التي قدمتها والدته لضمان فوزه بمنحة كورالية في سانت بيد، والتي منحته فرصة التنافس مع أي شخص مهما علا شأنه، ومن بينهم صديقه جايلز بارينغتون الذي التقى به للمرة الأولى في سانت بيد منذ أكثر منأربعين عاماً، وقتها لم يكن من المتوقع أن ينتهي بهما المطاف إلى أن يكونا صديقين مقربين، حيث ولد أحدهما في الشوارع الخلفية، والأخر في جناح خاص في مستشفى بريستول الملكي.

أحدهما أديب وخجول والآخر رياضي ومنفتح، وبالتأكيد لم يتوقع أحد أن يقع هاري في حب اخت جايلز، باستثناء إيمان نفسها، التي أذاعت أنها خططت لكل شيء بعد أن التقىا للمرة الأولى في حفل عيد ميلاد جايلز الثاني عشر، وكل ما يمكن أن يتذكره هاري في تلك المناسبة كان فتاة صغيرة نحيفة -

حسب وصف جايلز - تجلس بجوار النافذة، تنظر إلى الأسفل وهي تقرأ كتاباً، وقد تذكر الكتاب، ولكنه لم يتذكر الفتاة، ثم التقى هاري بشابة مختلفة تماماً بعد سبع سنوات، وعندما انضمت مدرسته الثانوية إلى مدرسة ريدميديز لانتاج عمل مسرحي مشترك، كان عبارة عن مسرحية روميو وجولييت، كانت إليزابيث بارينغتون، والدة إيماء، أول من لاحظت أنهما استمرا بالامساك بيدي بعضهما بعد مغادرتهما المسرح، وعندما أسدل الستار في المشهد الأخير، اعترف هاري لوالدته بأنه وقع في حب إيماء ويريد الزواج منها، فكانت الصدمة أن مايسى لم يسرها الخبر الذي أعلنه، كما لم يبذل والد إيماء، السيد هوغو بارينغتون، أي محاولة لإخفاء رفضه لهذا الزواج، على الرغم من أن زوجته لم تستطع تفسير سبب معارضته الشديدة زواجهما، وبالتالي لا يمكن أن يكون متكتزاً إلى هذه الدرجة، لكن على الرغم من مخاوف والديهما، تَم خطوبة هاري وإيماء قبل ذهابهما إلى أكسفورد، ولم يقيما علاقة حميمة إلا قبل أسبوع من موعد زفافهما.

لكن حفل الزفاف انتهى بمحنة، لأنه عندما قال قسيس الكلية: "إذا كان في إمكان أي رجل أن يظهر سبباً عادلاً لعدم تزويجهما بشكل قانوني، فليتكلم الآن، وإنما فليصمت إلى الأبد".

لم يصمت جاك، معلم هاري وصديقه، بل أخبر الحضور بأن لديه سبباً بالفعل.

عندما علم هاري حقيقة من يكون والده، ذهل لدرجة أنه غادر أكسفورد على الفور وانضم إلى البحرية غير مدرك أن إيماء كانت حاملاً، أو أنه في أثناء عبوره المحيط الأطلسي، قد أعلنت إنكلترا الحرب على ألمانيا، وحتى بعد إطلاق سراحه من

السجن، والتحاقه بالجيش الأميركي وتعزضه لتفجير بواسطة لغم أرضي ألماني، ظل يجهلحقيقة أن لديه طفلاً اسمه سيباستيان، ويبلغ من العمر ثلاث سنوات، ولم يكتشف تلك الحقيقة إلا بعد عودته أخيراً إلى إنكلترا والتنام شمله مع إيماء حتى ذلك الحين، مَرْ عامان آخران قبل أن تقرر أعلى محكمة في البلاد أن السيد هوغو بارينغتون لم يكن والد هاري، ولكن على الرغم من صدور الحكم، فقد أدرك هاري وإيماء أنه سيستمر دائماً الشك في شرعية زواجهما في محكمة ذات طابع أعلى، وعلى الرغم من أنهما كانا يرغبان بشدة في إنجاب طفل ثان، إلا أنهما فضلاً الاكتفاء بولدهما سيباستيان، ولكنهما اتفقا على عدم إخباره بسبب اتخاذهما لهذا القرار، كما لم يلقي هاري اللوم على والدته الحبيبة، لأنه لم يتطلب الكثير من البحث لاكتشاف أن مايسى لم تكن أول عاملة مصنع يغويها هوغو بارينغتون خلال الأعمال السنوية التي تنطلق في ويستون سوبر ماري، وعندما توفي السير هوغو في ظروف مأساوية، ورث جايلز لقبه بالإضافة إلى العقارات، وفي النهاية عادت الأمور إلى مجريها الطبيعي، ولكن في الوقت الذي كان هاري يعيش بسعادة مع إيماء، طلق جايلز مرتين، ويبدو أن حياته السياسية الآن في خطر.

أمضت إيماء الأشهر الثلاثة الماضية في التحضير لـ "الحدث الكبير"، ولم يترك شيء للصدفة، حتى إنها أجبرت هاري على التدريب على خطابه في غرفة نومهما في الليلة السابقة.

ثلاثمائة ضيف شقّوا طريقهم إلى القصر الريفي لحضور العشاء والاحتفال بسبعة عقود من عمر

مايسى، وعندما دخلت وهي تتشكل على ذراع هاري، لم يصعب على أي شخص تصديق أنها كانت واحدة من أجمل الحسنات في شبابها، فجلس هاري إلى جانبها وابتسم بفخر، إلا أنه قد أصبح أكثر توتراً مع اقتراب اللحظة التي سيتعين عليه فيها أن يطلب من الحاضرين أن يشربوا نخب والدته، وعلى الرغم من مواجهة جمهور حاشد لم تعد يزعجه، ولكن الوقوف أمام والدته...

بدأ بتذكير الضيوف بإنجازات والدته الهائلة رغم كل الصعاب التي واجهتها، فهي قد تقدّمت من كونها نادلة في مقهى شاي تيلي، إلى مديرية فندق غراند في المدينة، وهي أول امرأة تشغّل هذا المنصب، وبعد أن تقاعدت على مضض في سن الستين، التحقت بجامعة بريستول، حيث درست الأدب الإنكليزي، وتخرّجت بعد ذلك بثلاث سنوات مع مرتبة الشرف، وهو ما لم ينجزه أي من هاري وإيما وسيباستيان، وإن كان لدى كل منهم سببه الخاص.

عندما ظهرت مايسى للرد، نهض كل من في الغرفة معها، فافتتحت خطابها مثل أي امرأة محترفة ومحنكة، من دون أن ترتعش، أو أن تحمل ورقة ملاحظة في يدها.

قالت: "تعتقد الأمهات دائمًا أن أبناءهن مميزون، وأنا لست استثناء، وبالطبع أنا فخورة بإنجازات هاري العديدة، وليس في مجال الكتابة فحسب، بل بصفته رئيساً لرابطة القلم الإنكليزية، ويمثل زملاءه الأقل حظاً في البلدان الأخرى، وأنا أرى أن حملته لإطلاق سراح أناتولي باباكوف من المعتقل في سيبيريا، ثُمَّ إنجازًا أكبر بكثير من تصدره قائمة نيويورك تايمز للكتب الأكثر مبيعاً، ولكن أذكي ما

فعله هاري هو الزواج من إيماء، لأنه وراء كل رجل عظيم...".

بدا من أصوات الضحك والتصفيق أن الجمهور يؤيد كلام مايسى.

"إيماء امرأة رائعة في حد ذاتها، وهي أول امرأة تتولى رئاسة شركة عامة، ولكنها لا تزال بطريقة ما قادرة على أن تكون زوجة مثالية وأمًا رائعة، ثم بالطبع هناك حفيدي، سيباستيان، الذي قيل لي إنه سيكون الحاكم القادم لبنك إنكلترا، ويجب أن يكون ذلك صحيحًا، لأن سيباستيان بنفسه أبلغني هذا الخبر".

همس سيب إلى خالته غريس، التي كانت تجلس إلى جانبه: "أفضل أن أكون رئيساً لبنك فارذنفرز".

قالت له غريس: "كل شيء في وقته يا عزيزي".

اختتمت مايسى كلامها بالقول: "لقد كاناليوم أسعد أيام حياتي، وأنا اعتبر نفسي محظوظة لأن لدى الكثير من الأصدقاء".

انتظر هاري أن يهدأ التصفيق قبل أن ينهض مرة أخرى ليقترح شرب نخب حياة مايسى الطويلة وسعادتها، فرفع الضيوف المجتمعون كؤوسهم، واستمروا بالهتاف كما لو كانت الليلة الأخيرة في الحفلة الراقصة.

"قالت غريس بمجرد أن خمد التصفيق وعاد الجميع إلى مقاعدهم: "أنا آسفة لكونك وحيدًا مرة أخرى، سيب".

لم يعلق سيباستيان على كلامها.

امسكت غريس بيدي ابن اختها، وقالت: "الم يكن الوقت أخيرًا لتقبل زواج سامانثا وأن لديها حياة أخرى؟".

قال سيب: "أتمنى لو كان الأمر بهذه السهولة".

قالت غريس: "أنا نادمة على عدم الزواج وإنجاب الأطفال، وهذا شيء لم أخبر به أحداً ولا حتى اختي، ولكنني أعلم أن إيماناً تتوقف بشدة إلى أن تكون جدة".

همس سيب إليها قائلًا: "هي بالفعل كذلك، م تلك تماماً، وهذا ما لن أخبرها به أبداً".

فغرت غريس فمها من هول الصدمة، ولكنها لم تقل شيئاً.

قال سيب: "لدى سام طفلة صغيرة تدعى جيسيكا، كنت بحاجة إلى رؤيتها مرة واحدة فقط لأعرف أنها ابنتي".

قالت غريس: "الآن بدأت أفهم، هل حقاً لا توجد فرصة لتصالح وسامانثا؟".

"لا يمكن أن يحصل ذلك ما دام زوجها على قيد الحياة".

قالت غريس، وهي تضغط على يد ابن اختها: "أنا آسفة جداً".

كان هاري سعيداً لرؤيا صهره يتحدث بود مع جريف هاسكينز المفتاح الانتخابي لحزب العمال في برستول دوكلاندز، فربما لا يزال في إمكان الرجل المحترف المحنك إقناع جايلز بالمضي قدماً في ترشحه للانتخابات، على الرغم من تدخل الرائد فيشر لافساله، ولكن بعد كل شيء لا يزال جايلز قادرًا على إثبات أن الرسالة تتضمن انصاف الحقائق، وأنها كانت محاولة لتصفية حسابات قديمة.

سأل هاري، عندما انفصل جايلز عن جريف ليُنضم

إليه: "حسنا، هل اتخذت قراراً بشأن الانتخابات الفرعية؟".

قال جاييلز: "لم يكن لدى الكثير من الخيارات، فطلاقان وإقامة علاقة بامرأة من ألمانيا الشرقية، قد تكون جاسوسة في جهاز أمن الدولة، لا تجعل من المرأة المرشح المثالى".

"لكن يبدو أن الصحافة مقتنة بأنه أيها كان مرشح حزب العمال، فمن المؤكد أنه سيفوز بأغلبية أصوات ساحقة ما دام أداء حكومة المحافظين سيئاً".

"ليست الصحافة ولا الناخبوна هم الذين سيختارون المرشح، ولكن مجموعة من الرجال والنساء الذين يشكلون لجنة اختيار المحلية، ويمكنني أن أقول لك يا هاري، لا يوجد شيء أكثر تحفظاً من لجنة اختيار حزب العمال".

"ما زلت مقتنة بأنهم سيدعمونك الآن، وهم يعرفون الحقيقة، لماذا لا تجاذف وتتركهم يقررون؟".

"لأنهم إذا سألوني عن شعوري تجاه كارين، فقد لا تعجبهم الحقيقة".

"لقد كان لطف منك أن تجعليني أنضم إلى مثل هذه المناسبة اللامعة، سيدة كليفتون".

"لا تكن سخيفاً، حكيم، فقد كان اسمك من أول الأسماء في قائمة المدعوين، فلا أحد في إمكانه فعل ما فعلته من أجل سيباستيان، وبعد هذه التجربة غير السارة إلى حد ما، والتي خضتها مع أديريان سلون، سأظل مدينة لك إلى الأبد".

"يمكنك أن تعرفي أصدقاءك الحقيقيين عندما تقضين الكثير من الوقت وأنت تراقبين من فوق

كتفك، سيدة كليفتون".

قالت له ياصرار: "نادني إيماء، وأخبرني يا حكيم، ما الذي تراه بالضبط عندما تراقب من فوق كتفك؟".

"أرى ثالوثاً غير مقدس، وأعتقد أن لديه خططاً للنهوض من بين الأموات، والمحاولة مرة أخرى للسيطرة على فارذنفز وربما على أريينغتون أيضاً".

قالت إيماء: "لكن ميلور ونولز لم يعودا عضوين في مجلس إدارة باريينغتون، كما أن سلون قد فقد أي مصداقية كان يتمتع بها في المدينة، ولم تعد سمعته حسنة".

"صحيح، ولكن ذلك لن يمنعهما من تأسيس شركة جديدة".

"أهي ميلور للسفر؟".

"نعم، ولا أتوقع أن توصي زبائنها بحجز العطلة على خط باريينغتون".

قالت إيماء: "سننجو".

قال لها: "أفترض أنك تعلمين أن الليدي فيرجينيا فينيويك تفكّر في بيع أسهمها في باريينغتون؟ أخبرني جواسيسك بأنها تعاني من ضائقه مالية في الوقت الحالي".

قالت إيماء: "هل ستفعل ذلك بالفعل؟ حسناً، لا أريد أن تقع هذه الأسهم في الأيدي الخطأ".

"لا داعي للقلق بشأن ذلك، إيماء، فقد أصدرت تعليماتي لسيbastian بشراء هذه الأسهم في اللحظة التي تصبح فيها في السوق، وكوني مطمئنة، فحكيم بشاره وقاقة الجمال الخاصة به سيكونان تحت تصرفك إذا فكر أي شخص في مهاجمتك مرة أخرى".

قالت مايسى لرجل نحيف في منتصف العمر،

وشعره رمادي، قد اقترب منها ليلقى عليها التحية:
"أنت ديكنز، أليس كذلك؟".

كان يرتدي البذلة التي تخرج بها على الأغلب.

"أشعر بالاطراء لأنك تتذكريني، سيدة كليفتون".

قالت له: "وكيف لي أن أنساك؟ بعد كل شيء لم يتوقف هاري أبداً عن تذكيري بأن ديكنز في صفي، ولكن بصراحة، في فصل مختلف".

قال هاري عندما انضم إليهما: "ولقد ثبت أنني على حق، يا أمي، لأن ديكنز هو الآن أستاذ ملكي للغة اليونانية في أكسفورد، وتماماً كما حصل معي، فقد اختفى في ظروف غامضة في أثناء الحرب، ولكن انتهى بي المطاف إلى السجن، وهو كان في مكان يسمى بلتشلي بارك، ولكنه لا يكشف أبداً عما حدث خلف تلك الجدران".

قالت مايسى وهي تنظر عن كتب إلى ديكنز:
"وأشك في أنه سيكشف عن أي شيء".

قال جايلز، الذي ظهر إلى جانب ديكنز: "هل رأيت يوماً صورة تجمعنا نحن الثلاثة؟".

سأل هاري: "من أي مسرحية هذه المقوله؟".

قال جايلز: "مسرحية الليلة الثانية عشرة".

قال هاري: "ليست سينية، ولكن من الشخصية التي تقول هذه الكلمات؟ ولمن توجهها؟".

"شخصية الأحمق، وتوجهها إلى السيد أندرو أجوتسيك".

قال هاري: "ومن أيضاً؟".

أجاب جايلز: "والسيد توببي بيلش".

قال ديكنز مبتسمًا لصديقه القديم: "هذا مثير للإعجاب، ولكن في أي فصل وأي مشهد يقال هذا

القول؟".

صمت جايلز.

قال هاري: "الفصل الثاني، والمشهد الثالث، لكن هل لاحظت أنه أخطأ في قول كلمة واحدة؟".

قالت مايسى: "أنا لاحظت ذلك".

أدى هذا إلى إسكاتهم الثلاثة معاً، حتى جاءت إيما، وقالت: "توقفوا عن التبااهي وتفرقوا، فهذه ليست مناسبة للتنام شمل الأصدقاء القدامى".

قال جايلز بينما انفصل عن صديقي مدرسته القديمين، وبدأ بالاختلاط مع الضيوف الآخرين: "لطالما كانت مسلطة صغيرة".

قالت مايسى: "عندما ظهرت المرأة بعض القيادة، توصف على الفور أنها مسلطة، ولكن عندما يفعل الرجل الشيء نفسه تماماً فإنه يوصف أنه حازم وقائد بطبعه".

قالت إيما: "لطالما جرت الأمور على هذا النحو، وربما يجب أن نفعل شيئاً حيال ذلك".

قالت مايسى: "لقد فعلت ما يكفي مسبقاً يا عزيزتي".

بعد مغادرة الضيف الأخير، رافق هاري وإيما مايسى إلى قصرها.

قالت مايسى: "أشكرك على منحي ثانى أسعد يوم في حياتي".

ذكرها هاري قائلاً: "في خطابك، يا أمي، قلت إنه كان أسعد يوم في حياتك".

أجابت مايسى: "لا، فهو لا يقارن بأسعد يوم في حياتي على الإطلاق، وهو اليوم الذي اكتشفت فيه أنك ما زلت على قيد الحياة".

كان هاري يستمتع دائمًا بزيارة ناشر كتبه في نيويورك، لكنه تساءل عما إذا كان سيتغير أي شيء الآن بعد أن تولى أرون غوينزبورغ منصب الرئيس بدلاً من والده، فاستقل المصعد إلى الطابق السابع، وعندما انفتحت الأبواب، وجد كيرستي سكرتيرة هارولد السابقة التي عاثت طويلاً من مديرها السابق تنتظره، فعلى الأقل ذلك لم يتغير، ثم قادثة في الحال إلى مكتب الرئيس، ونقرت نقرة خفيفة على الباب قبل أن تفتحه، وتسمح له بدخول مكتب ينتمي إلى عالم آخر.

اعتبر أرون مثل والده من قبله أنه لا بد من أن عدم ولادته في الجانب الآخر من المحيط الأطلسي كان خطأً. كان يرتدي بدلة أنيقة مخططة، وربما تفت خياطتها في سافيل رو، وقميصاً أبيض ويضع ربطة عنق، وما كان من الممكن الشك في كلام هاري، لو أكد أن والد أرون قد تم استنساخه بسبب الشبه الكبير بينهما.

نهض الناشر من خلف مكتبه ليحيي مؤلفه المفضل، فعلى مدار السنين قد أصبح الاثنين صديقين حميميين، وب مجرد أن جلس هاري على الكرسي الجلدي القديم في الجانب الآخر من مكتب الناشر الكبير، أمضى بعض لحظات وهو يستمتع بالأجواء المألوفة، فكانت الجدران المكسوة بألوان البلوط لا تزال مغطاة بالصور ذات اللون البني الداكن - همنغواي وفوكنر وبوشان وفيتزجيرالد وغيرهم ومؤخراً سول بيلو - ولم يستطع هاري إلا أن يتساءل كعادته عما إذا كان سينضم إليهم يوماً ما.

لقد تفوق بالفعل على معظم المؤلفين المعلقة صورهم على الحائط، ولكن عائلة غوينزبورغ لم

يقيسوا النجاح من خلال المبيعات وحدها.

قال بالصوت الدافن الصادق نفسه: "مبروك يا هاري، لقد حللت في المرتبة الأولى مرة أخرى، وأصبح كتاب ويليام وورويك أكثر الكتب شهرة، وبعد أن قرأت ما كشف عنه باباكوف حول أن خروتشوف كان له دور في قتل ستالين، لم أعد أطيق الانتظار إلى نشر كتاب العم جو، وأنا واثق من أنه سيحتل أيضًا الصدارة في قائمة الكتب الواقعية".

أجاب هاري: "إنه عمل رائع حقًا، أتمنى لو كنت قد كتبت هذه فعلاً".

قال أرون: "أظن أنك كتبت معظمها، لأنني أجد أسلوبك في كل صفحة تقريبًا"، وهو ينظر إلى هاري نظرية تساؤل.

فقال هاري: "كل كلمة وردت في الكتاب، كانت من كلمات أنا تولي، وأنا لم أكن أكثر من كاتبه الأمين".

"إذا كانت هذه هي الطريقة التي تنظر بها إلى الأمور، فلا بأس بذلك، إلا أن معظم المعجبين المتحمسين قد لاحظوا أن أسلوبك وعباراتك تتسلل إلى صفحات الكتاب من وقت إلى آخر".

ثم أكمل كلامه قائلًا: "لقد أعددت عقدًا لكتاب العم جو، ويطلب توقيع السيدة باباكوف بصفتها ممثلة زوجها، وأنا على استعداد إلى أن أعرض عليها سلفة قدرها مئة ألف دولار عند توقيع العقد، مقابل عشرة في المائة من العائدات".

قال هاري: "كم عدد النسخ التي تعتقد أنك ستبيعها؟".

"مليون، وربما أكثر".

"إذا أريد أن ترفع نسبة العائدات إلى اثنين عشر

ونصف في المئة بعد بيع أول ألف نسخة، وخمسة عشر في المئة بمجرد بيع ربع مليون". احتاج أرون على كلامه قائلًا: "لم أقدم مثل هذه الشروط للكتاب الأول من قبل".

قال هاري: "هذا ليس الكتاب الأول، بل إنه الكتاب الأخير، فهو كتاب لمرة واحدة، ولن يكون هناك أي كتاب غيره".

قال أرون: "أنا أقبل بشروطك، ولكن بشرط واحد، عندما يتم نشر الكتاب، ستقوم بجولة دعائية، لأن الجمهور سيكون منبهًًا بمعرفة الطريقة التي تمكنت من خلالها تهريب المخطوطة إلى خارج الاتحاد السوفيياتي".

أوما إليه هاري موافقًا، ثم وقف الرجالان وتصافحا، فهناك شيء آخر يشترك فيه أرون مع والده، وهو أن المصافحة كانت كافية لإظهار أن الصفقة قد تقت، وفي عقد غويينزبورغ، لم يكن هناك مكان للتهرب من فعل ما هو متفق عليه.

في "أثناء وجودك هنا، احتاج إلى وضع اللمسات الأخيرة على عقد جديد لثلاثة كتب من سلسلة ويليام وورويك".

قال هاري: "بشروط كتاب باباكوف نفسها".

قال أرون: "هل سيكتب هذه الكتب أيضًا؟".

ضحك الرجالان، قبل أن يتصافحا للمرة الثانية. سأل أرون وهو يجلس من جديد: "من سينشر العم جو في إنكلترا؟".

"بيلي كولينز، لقد أبرمنا الصفقة الأسبوع الماضي".

"هل طلبت الشروط نفسها؟"

قال هاري: "هل أنت متأكد من أنك تود أن تعرف؟

ضع في اعتبارك، أنني عندما أعود إلى دياري، من المؤكد أنه سيسألني السؤال نفسه".

"وسيحصل على الرد نفسه، بلا شك، هاري، توقيتك مناسب جداً لأنني بحاجة إلى التحدث إليك حول موضوع آخر بسرية تامة".

اسند هاري ظهره إلى كرسيه، وهو يصفي باهتمام. "لطالما كنت أرغب في دمج الفايكنغ مع دار مناسبة للكتب الورقية، حتى لا يتبعين علي عقد صفقات منفصلة طوال الوقت، فقد سلكت العديد من الشركات الأخرى هذا الدرب، كما تعلم بالتأكيد".

قال هاري: "ولكنني أتذكر أن والدك يعارض الفكرة، لأنه كان يخشى أن يؤدي ذلك إلى خنق استقلاليته".

"وما زال كذلك، لكنه لم يعد رئيساً، وأنا أرى أن الوقت قد حان لتطوير أدائنا، وقد غرض علي مؤخراً عرض مغير من قبل ريكس مولبيري صاحب دار نشر مولبيري".

قال هاري: "هكذا النظام القديم سيتغير، وسيحل مكانه نظام جديد".

أجاب أرون: "ذكرني من أين هذا الاقتباس؟".

قال هاري: "موت آرثر لتينيسون".

"حسناً، هل أنت مستعد للنظام الجديد؟".

قال هاري: "على الرغم من أنني لا أعرف ريكس مولبيري، إلا أنني سأكون سعيداً بتقديم قرارك".

"هذا جيد، سأجهز العقود على الفور، وإذا تمكنت من إقناع السيدة باباكوف بالتوقيع على عقدها، فسوف يكون عقدك جاهزاً عند عودتك من بيتسبرغ".

قال هاري: "من المحتمل أنها سترفض قبول دفعة

مقدماً، أو حتى نسبة العائدات، لذلك على فقط أن أذكرها بأن آخر شيء قاله أناتولي قبل أن ينفصل عني 'اضمن لي أن يليينا لن تضطر إلى قضاء بقية حياتها في سجن من نوع آخر".

"لا بد أن ذلك سيفي بالغرض".

قال هاري: "ربما، لكنني أعلم أنها لا تزال ترى أنه من واجبها أن تعاني من الحرمان نفسه الذي يعاني منه زوجها".

"إذا عليك أن تشرح لها أنه لا يمكننا نشر الكتاب إذا لم توقع العقد".

أجاب هاري: "ستتوقع العقد، لأنها تريد أن يعرف العالم كله حقيقة جوزيف ستالين، ولكنني لست مقتنعاً بأنها ستصرف الشيك".

"حاول أن تستخدم معها سحر عائلة كليفتون الذي لا يقاوم".

نهض آرون من مكانه وقال له: "أتناول الغداء معاً؟".

قال هاري: "في نادي بيل؟".

أجاب آرون: "بالتأكيد لا، فلا يزال أبي يتناول الطعام هناك كل يوم، ولا أريده أن يكتشف ما أنا بقصد القيام به".

نادرًا ما يقرأ هاري قسم الأعمال في أي صحيفة، ولكن اليوم كان استثناء، فقد خصصت صحيفة نيويورك تايمز نصف صفحة لخبر الاندماج بين فايكنغ ومولبيري، إلى جانب صورة آرون وهو يصافح ريكس مولبيري، وقد حصلت فايكنغ على 34 في المئة من الشركة الجديدة، في حين أن مولبيري، وهي دار أكبر بكثير، ستسيطر على 66

عندما سألت صحيفة التايمز أرون عن موقف والده من الصفقة، أجاب ببساطة: "كان كورتيس مولبيري وأبي صديقين مقربين لسنوات عديدة، ويسعدني أن أكون شريك ابنه، كما أتطلع إلى نشوء علاقة طويلة الأمد ومثمرة بالقدر نفسه".

قال هاري بينما كان نادل عربة الطعام يسكب له فنجانًا ثانية من القهوة في القطار: "يا له من خبر مفرح!".

نظر من النافذة إلى ناطحات السحاب في مانهاتن التي بدأت تصبح أصغر فأصغر كلما تقدم القطار إلى الأمام في أثناء رحلته إلى بيتسبرغ، فجلس هاري وقد أغضض عينيه وهو يفكر في لقائه مع يلينا باباكوف أملاً في أن تلبّي رغبة زوجها فقط، وقد حاول أن يتذكر كلمات أناتولي حرفياً.

استيقظ أرون غوينزبورغ مبكراً متھمساً في يومه الأول بصفته نائباً لرئيس الشركة الجديدة.

تمتم وهو ينظر إلى مرآة الحلاقة: "فايكنغ مولبيري"، فأعجبه الاسم الجديد للشركة.

لقد تم تحديد موعد اجتماعه الأول في ذلك اليوم عند الساعة الثانية عشرة ظهراً، وفي الوقت الذي كان من المفترض أن يكون هاري يعذ فيه تقريباً عن لقائه مع السيدة باباكوف، كان يخطط لنشر العم جو في نيسان، وهو سعيد لقبول هاري القيام بجولة دعائية.

بعد إنتهاء أرون تناول وجبة فطور خفيفة مكونة من توست ومربي أوكسفورد وبيبة مسلوقة لمدة ثلاثة دقائق ونصف، واحتساء كوب شاي

إيرل غراري،قرأ المقال في صحيفة نيويورك تايمز للمرة الثانية، فشعر بأنه كان انعكاساً عادلاً لاتفاقه مع ريكس مولبيري، كما كان سعيّداً لرؤيه شريكه الجديد يذكر شيئاً قاله لارون عدة مرات: أنا فخور بالانضمام إلى دار تتمتع بهذا التاريخ الأدبي العريق.

كان صباحاً جميلاً وساحزاً، فقرر أرون الذهاب إلى العمل سيّراً على الأقدام والاستمتاع بيومه الأول الذي سيبدأ فيه مرحلة جديدة من مراحل حياته، وهو يتتساءل عن المدة التي سيحتاج إليها ليبرهن لوالده على كفاءته العالية، ويثبت له أنه اتخذ القرار الصحيح، فعبر الطريق إلى الجادة السابعة، وابتسمت له تتسع مع كل خطوة يخطوها، وبينما كان يسير باتجاه المبنى، لاحظ وجود حارسين يرتديان ملابس أنيقة يقفان عند المدخل، فكان أول قرار ما كان سيوافق عليه والده.

تقدّم أحد الرجلين إلى الأمام وألقى التحية: "صباح الخير سيد غوينزبورغ".

وقد شعر أرون بالفخر لمعرفته اسمه.

وتبع قائلًا: "لقد تلقينا تعليمات حاسمة، سيد،
بعدم السماح لك بدخول المبنى".

عجز أرون عن الكلام من شدة الدهشة، ولكنه قال أخيراً: "لا بد من أن هناك خطأ ما، فأنا نائب رئيس الشركة".

قال الحراس الثاني وهو يتقدّم لمنعه من الدخول: "أنا أسف يا سيد، ولكن هذه هي تعليماتنا".

ذكر أرون كلامه قائلًا: "يجب أن يكون هناك خطأ ما".

"لا يوجد خطأ يا سيد، كانت التعليمات واضحة، إذا حاولت دخول المبنى فسنمنعك".

تردد أرون للحظة قبل أن يتراجع، ثم حدق إلى اللافتة التي تم سكها حديثاً وقد كتب عليها 'فايكنغ مولبيري'، ثم حاول دخول المبنى مرة أخرى، لكن الحراسين سدا عليه الطريق، ولم يتزحزحا من مكانهما.

استدار على مضض، وأوقف سيارة أجرة، ثم أعطى السائق عنوان منزله، فلا بد أن هناك تفسيراً بسيطاً، هذا ما ظل يقوله لنفسه بينما كانت سيارة الأجرة تتجه نحو شارع 67.

ما إن وصل أرون إلى شقته حتى أمسك بسماعة الهاتف، واتصل برقم لم يكن بحاجة إلى البحث عنه في دليل الهاتف.

"صباح الخير، شركة فايكنغ مولبيري، كيف يمكنني مساعدتك؟"

قال: "ريكس مولبيري".

"من المتصل من فضلك؟".

أجاب: "أرون غوينزبورغ".

سمع نقرة، وبعد لحظة قال صوت آخر: "معك مكتب الرئيس".

"أنا أرون غوينزبورغ، أريد التكلم إلى ريكس".

"السيد مولبيري لديه اجتماع".

قال أرون، وقد بدأ يفقد اعصابه: "إذا أخرجوه من الاجتماع".

سمع صوت نقرة أخرى، ثم تم قطع الاتصال.

عاود الاتصال مرة أخرى، ولكنه هذه المرة لم يتلق إجابة، فجلس على أقرب كرسي وقد انهارت قواه، وحاول استجماع أفكاره، وبعد مرور فترة وجيزة، التقط سماعة الهاتف مرة أخرى.

قال الصوت: "فريدمان، فريدمان ويابلون".

"معك أرون غوينزبورغ، أحتاج إلى التحدث إلى ليونارد فريدمان".

كان أرون يتحدث إلى محامييه، وقد أخذ وقته في شرح ما حدث معه عندما توجه إلى مكتبه هذا الصباح، بالإضافة إلى ما حدث خلال مكالماته الهاتفية.

"حسناً كان والدك محقاً طوال الوقت".
"ماذا تقصد؟".

"كانت المصادقة تفي دائماً بالغرض مع كورتيس مولبيري، ولكن عندما تتعامل مع ابنه ريكس، عليك بقراءة شروط وأحكام العقد بتمعن، والتتأكد من أنها منصفة بحق كلاً الطرفين".

"هل تعني أن مولبيري يحق له اتخاذ القرارات وحده من دون الرجوع إلي؟".

قال فريدمان: "بالتأكيد، فالقانون إلى جانبه، وطالما أنه يسيطر على ستة وستين في المئة من أسهم الشركة، يمكنه أن يتتخذ القرارات وحده، وقد حذرتك سابقاً من عواقب امتلاكه نسبة قليلة من الأسهم، ولكنك كنت مقتنعاً بأن ذلك لن يشكل مشكلة، على الرغم من أنني يجب أن أعترف بأنني متفاجئ من سرعة مولبيري في استغلال منصبه".

ما إن أطلع فريدمان موكله على التفاصيل ذات الصلة بالعقد، تفتقى أرون لو أنه درس الحقوق في جامعة هارفارد، وليس التاريخ في جامعة بيل.

قال له المحامي: "ومع ذلك فقد تمكنا من إدخال البند 19 أ، والذي سيجعل رئيس شركة مولبيري يندم الان على موافقته عليه بالتأكيد".
"ما أهمية البند 19 أ؟".

بعد أن وضح فريدمان أهمية بند الخروج

بتفصيل كبير، وضع أرون الهاتف وتوجه إلى خزانة المشروبات، ولأول مرة في حياته سكب لنفسه شراباً قبل حلول الساعة الثانية عشرة ظهراً، فتذكرة فجأة أن لديه في تمام الساعة الثانية عشرة موعداً مع هاري، وحين نظر إلى ساعته كانت الساعة 11:38، فوضع شرابه جانباً، وخرج بسرعة من الشقة، وببدأ يشتم المصعد البطيء وهو ينزل إلى الطابق الأرضي، ثم خرج إلى الشارع، وأشار إلى سيارة أجرة صفراء، فلم تواجهه مشكلة في الجادة الخامسة، ولكن بمجرد وصوله إلى الجادة الثالثة، علق بازدحام مروري خانق، ما كان من الممكن تجاوزه، وببدأ أن إشارات المرور كلها تتحول إلى اللون الأحمر ما إن تقترب السيارة من مقدمة الطريق، وعندما توقفا عند إحدى الإشارات، أعطى أرون السائق خمسة دولارات وترجل من السيارة، وركض باتجاه آخر كتلتين سكنيتين متلاصقتين حركة المرور، بينما كانت أبواب السيارات تصدح، وهو يحاول جاهذا تفادي صدماتها من دون أن يتوقف عن الركض.

كان الحراسان لا يزالان متمركزين خارج المبنى، كما لو أنهما يتوقعان عودته، فنظر أرون إلى ساعته وهو يركض راجياً أن يتأخر هاري، ولكن هاري ليس من النوع الذي يتأخر أبداً، فرأه على بعد حوالي مئة ياردة، وهو يمشي باتجاهه، ولكنه وصل إلى مقدمة المبنى قبل لحظات من أرون، فوقف الحراسان جانباً وسمحا له بالمرور.

صاح به: "هاري! هاري!".

لقد صرخ أرون وهو على بعد خطوات قليلة من الباب الأمامي، ولكنه كان قد دخل المبنى بالفعل ولم يسمعه.

"هاري!".

صرخ أرون مرة أخرى عندما وصل إلى المدخل، ولكن الحارسين تقدما إلى الأمام، وسدا طريقه تماما، بينما استقل هاري المصعد.

عندما فتح باب المصعد، فوجن هاري بعدم رؤية كيرستي تنتظره، فظن أنه من المضحك أن يعتاد الإنسان على شيء ما قد يعتبره أمراً مفروغاً منه، ثم شق طريقه إلى مكتب الاستقبال، وقال لامرأة شابة لا يعرف اسمها:

"لدي موعد مع أرون غوينزبورغ."

تفقدت الشابة دفتر المواجهات الذي أمامها، وقالت: "نعم، يمكنك رؤية الرئيس عند الثانية عشرة، سيد كليفتون، ستتجده في مكتب السيد غوينزبورغ القديم".

قال هاري وهو غير قادر على إخفاء دهشته: "في مكتبه القديم؟".

أجابت الشابة: "نعم، الغرفة في أقصى نهاية الممر".

أجابها هاري قبل أن يتجه إلى مكتب أرون: "نعم، أعرف مكانها".

طرق الباب وانتظر، ثم قال له صوت غريب: "تفضل بالدخول".

فتح هاري الباب وافتراض على الفور أنه دخل الغرفة الخطأ، بعد أن تم تجريد الجدران من لوحاتها الرائعة المعلقة على الجدران المكسوة بخشب البلوط، واستبدلت بصور المؤلفين المتميزين ومجموعة من المطبوعات المبهргة لشارع سوه، ورأى رجلاً لم يسبق له أن قابله، ولكنه تعزف إليه

من خلال صورته التي راها في صحيفة نيويورك تايمز في ذلك الصباح، فنهض الرجل من خلف مكتبه، ومهديه ليصافحه، وهو يعرف بنفسه: "ريكس مولبيري، مسرور للقائك أخيراً، هاري".

قال هاري: "صباح الخير سيد مولبيري، لدى موعد مع ناشر كتبى، أرون غوينزبورغ".

قال مولبيري: "أخشى أن أرون لم يعد ي العمل هنا، وأنا رئيس مجلس إدارة الشركة الجديد، فقد قرر مجلس الإدارة أن الوقت قد حان لإجراء بعض التغييرات الجذرية في شركة فايكنغ، ولكن دعني أطمئنك، فأنا معجب كبير بأعمالك".

قال هاري: "إذن أنت من محبي ويليام وورويك، أليس كذلك؟".

"نعم، أنا معجب كبير به، لو سمحت تفضل بالجلوس".

جلس هاري على مضض أمام الرئيس الجديد. "لقد انتهيت للتو من النظر إلى عقدك الأخير، وأنا متأكد من أنك ستتوافق على أنه كريم للغاية وفقاً لمعايير النشر العادلة".

"لم أتعامل مع شركة غير فايكنغ، لذلك لا يمكنني مقارنتها بغيرها".

"ولكن بالطبع سنحترم عقد أرون الأخير بالنسبة إلى سلسلة كتب ويليام وورويك، بالإضافة إلى عقد العم جو".

حاول هاري التفكير في ما كان سيفعله سيباستيان في مثل هذه الظروف، على الرغم من أن العقد الخاص بالعم جو كان في جيده، وقد وقعت عليه علينا باباكوف بعد محاولات إقناع مجده. .

قال وهو يحاول المماطلة: "لقد وافق أرون على

إعداد عقد جديد لثلاثة كتب، وكان ينوي إطلاعي عليه اليوم".

قال مولبيري: "نعم، إنه لدى هنا".

وأضاف وهو يمزّر العقد عبر الطاولة: "هناك بعض التعديلات الطفيفة، وليس لأي منها أي أهمية حقيقة".

انتقل هاري إلى الصفحة الأخيرة، ليجد توقيع ريكس مولبيري على العقد، ثم أخرج قلم الحبر الذي كان هدية قدمها إليه آرون، وحذق إلى الكلمات بالنيابة عن المؤلف.

تردد قبل أن يقول أول فكرة خطرت في رأسه: "أريد الذهاب إلى دورة المياه، فقد جئت مباشرة من محطة غراند سنتراال، لأنني لم أكن أريد أن أتأخر". أجب ريكس مولبيري نفسه على الابتسامة، بينما وضع هاري قلم الحبر على الطاولة إلى جانب العقد.

أضاف هاري وهو ينهض من مقعده، ويغادر الغرفة بشكل عرضي: "لن أطيل الغياب".

أغلق هاري الباب خلفه، وسار بسرعة عبر الممر، وتجاوز مكتب الاستقبال، ولم يتوقف حتى وصل إلى الردهة، ودخل أول مصعد متاح، وعندما فتحت الأبواب مرة أخرى في الطابق الأرضي، انضم إلى عمال المكتب الذين كانوا يشقون طريقهم إلى خارج المبني لقضاء استراحة الغداء.

نظر إلى الحراسين، ولكنهما لم ينظرا إليه عندما مرّ أمامهما، وبيدو أن تركيزهما كان على شخص يقف مثل الحراس في الجانب الآخر من الشارع، فأدار هاري ظهره لآرون، وأوقف سيارة أجرة.

"أين وجهتك؟".

قال هاري: "لست متأكداً بعد، ولكن هل يمكنك

القيادة إلى الزاوية حيث يقف ذاك الرجل المحترم هناك".

توقف سائق الأجرة في الجانب الآخر من الشارع، وأنزل هاري النافذة وقال: "اصعد".

نظر آرون إلى داخل السيارة بريبة، ولكنه عندما رأى هاري، انضم إليه بسرعة في المقعد الخلفي.

كانت كلمات آرون الأولى: "هل وقعت على العقد؟".

"كلام لم أفعل".

"وماذا عن عقد باباكوف؟".

قال هاري: "لا يزال في حوزتي".

"إذا يمكن القول إننا في وضع آمن".

"ليس بعد، فقد أقنعت السيدة باباكوف بضرورة صرف شيك فايكنغ الذي تبلغ قيمته مئة ألف دولار".

سأل سائق سيارة الأجرة من جديد: "إلى أين وجهتكم؟".

قال هاري: "محطة غراند سترال".

قال آرون: "ألا يمكنك الاتصال بها؟".

"ليس لديها هاتف".

قالت إيماء وهي تسكب فنجانًا ثانية من القهوة: "إنها المرة الأولى التي أعرف فيها أنك تقوم بعمل غير شريف".

قال هاري: "لكن من المؤكد أنه مبرر أخلاقيا، في النهاية الغاية تبرر الوسيلة".

"هذا غير مؤكد، لا تنس أن السيدة باباكوف قد وقعت العقد بالفعل وقبلت الشيك".

قال هاري: "لكنها لم تصرفه، وأيامًا يكن الأمر، فقد كان انطباعها أن كتاب أناتولي سينشره دار فايكنغ".
"ولا يزال كذلك".

قال هاري: "ولكن ليس بواسطة آرون غوينزبورغ الذي أبزمه الصفة معه".

"قد يعتبر قاضي المحكمة العليا أن هذه معضلة قانونية مثيرة للاهتمام، ومن الذي سينشر كتب ويليام وورويك الآن، بما أنك لم تعد تتعامل مع فايكنغ؟".

"مطبعة غوينزبورغ، وسيكون كتابي وكتاب أناتولي أول كتابين تنشرهما الشركة، كما سيقدم إلى آرون قلم حبر جديد".
"قلم جديد؟".

قال هاري، وهو يقطع البيضة: "إنها قصة طويلة، سأخبرك بها عندما تعودين من اجتماع مجلس الإدارة".

"ما زال يتير دهشتني أن مولبيري لم يفکر في احتمال إنشاء آرون شركته الخاصة، وأن وثيقة الاندماج لم تتضمن بندا يمنعه من أخذ أي من مؤلفي شركة فايكنغ".

"أنا متأكد من أنه نظر في هذه المسألة، ولكنه لو أدرج مثل هذا البند، لكان محامو أرون سيدركون على الفور ما كان ينوي القيام به".

"ربما كان يشك في أن أرون يمتلك الموارد الازمة لإنشاء شركة نشر جديدة".

قال هاري: "يبدو أنه كان مخطئاً بشأن ذلك، فكان لدى أرون عدة عروض من أجل شراء أسهمه في فايكنغ مولبيري، ومن ضمنها عرض قدمه ريكس مولبيري نفسه، والذي من الواضح أنه لا يريد أي من منافسيه الحصول على حصة أرون البالغة أربعة وثلاثين في المئة".

قالت إيماء: "كما تدين ثدان".

ابتسم هاري وهو يرث قليلاً من الملح على بيضته.

تابعت إيماء: "لكن مهما كنت تحب أرون، وبعد افتقاره الواضح إلى الحكمة استناداً إلى حصل في مولبيري، فهل أنت متأكد من أنه الرجل المناسب ليكون ناشر كتب الأميركي؟ فإذا كنت ستتوقع الان عقداً لثلاثة كتب، وبعد ذلك...".

قال هاري: "اعترف بأن لدي بعض الشكوك، ولكنني شعرت بالاطمئنان ما إن علمت بأن والد أرون قد وافق على العودة إلى ترأس الشركة الجديدة".
"وهل سيكون فعالاً في إدارة الشركة واتخاذ القرارات؟".
"بالطبع".

قالت إيماء بصوتها الحازم والواضح: "العنصر الأول، آخر التطورات بشأن بناء سفينتنا السياحية الفاخرة بالمورال"، ثم نظرت إلى الرئيس التنفيذي الجديد

للمجموعة، إريك هيرست، الذي كان ينظر إلى ملف مفتوح أمامه مسبقاً، وهو يقول: "سيكون المجلس مسروزاً عندما يعلم أنه على الرغم من بعض التأخير الذي لا مفر منه وال الطبيعي بالنسبة إلى مشروع كبير كهذا، ما زلنا في طريقنا إلى إطلاق السفينة الجديدة في أيلول، وفي مستوى الأهمية نفسه، وأننا لا نزال ضمن حدود ميزانيتنا المتوقعة، بعد أن تجنبنا معظم المشكلات التي أفسدت بناء باكنغهام".

قال الأدميرال سامرز: "هناك دائمًا استثناء واحد أو أو أكثر من الاستثناءات البارزة".

قال هيرست: "أنت على حق أيها الأدميرال، وأعترف بأنني لم أتوقع الحاجة إلى بار كوكتيل ثان في الطابق العلوي".

قال الأدميرال: "أيسمح للركاب باحتساء الكحول على سطح السفينة؟".

قالت إيمى وهي تكتم ابتسامة خفيفة: "أخشى أن الأمر كذلك، ولكن هذا يعني دخول أموال إضافية إلى خزينتنا".

تابع هيرست: "على الرغم من أنني ما زلت بحاجة إلى مراقبة توقيت الانطلاق، فلا ينبغي أن يمر وقت طويل قبل أن نعلن عن فترة الحجز الأولى على سفينة بالمورال".

قال ماينارد: "أتسائل عما إذا كنا قد تجاوزنا قدراتنا من خلال بناء هذه السفينة".

قال هيرست: "اعتقد أن المدير المالي يمكنه أن يجب عن تساؤلك لا أنا".

قال مايكيل كاريوك: "إنه بالتأكيد كذلك".

ثم أضاف وهو ينظر إلى آلة حاسبة الجيب

الخاصة به، والتي رفضها الأدميرال كونها ألة حديثة: "إن الوضع العام للشركة يفيد أن حجم مبيعاتنا ارتفع بنسبة 3 في المائة مقارنة بالوقت نفسه من العام السابق، وذلك على الرغم من اقتراض مبلغ كبير من باركليز للتأكد من دفع كافة المصارييف خلال مرحلة البناء".

قال ماينارد: "ما قيمة القرض كبير؟".

قال كاريوك من دون الحاجة إلى التحقق من الرقم: "يبلغ مليونين".

"هل يمكننا تحمل سحب هذه المبالغ الطائلة من الأموال؟".

"نعم، سيد ماينارد، لأن التدفق النقدي لدينا قد ارتفع أيضاً في العام الماضي، إلى جانب زيادة الحجوزات على باكتفهام، إذ يبدو أن الجيل القديم من الذين يبلغون سبعين عاماً وما فوق يرفضون الاستسلام للموت، وقد أعجبتهم فكرة القيام برحلة بحرية سنوية، لدرجة أنها قدمنا مؤخراً برنامجاً خاصاً للعملاء الذين قضوا عطلتهم على متن سفينتنا أكثر من ثلاث مرات".

سأل موريس براشر، ممثل باركليز في المجلس: "وماذا تخولهم العضوية؟".

"خصم عشرين في المائة من سعر أي رحلة يقومون بها شرط أن يتم حجزهم قبل عام، والأمر يشجع زبائننا المعتادين على النظر إلى باكتفهام على أنها موطنهم الثاني".

سأل ماينارد: "ماذا لو ماتوا قبل نهاية العام؟".

قالت إيماء: "يسترد ورثتهم المبلغ، لأن باكتفهات ترتفق إلى مستوى السفن السياحية الفاخرة، يا سيد ماينارد، ولسنا متعمدي دفن الموتى".

قال براشر: "ولكن هل لا يزال في إمكاننا تحقيق الربح إذا قدمنا خصما يصل إلى نسبة عشرين في المئة إلى عدد كبير من عملائنا؟".

قال كاريك: "نعم، فلا نزال نربح عشرة في المئة، ولا تنس أنهم عندما يصعدون على متن السفينة ينفقون الأموال في متاجرنا وباراتنا، فضلاً عن أن الكازينو يفتح أبوابه 24 ساعة على مدار الأسبوع".

تمتم الأدميرال: "وهو شيء آخر لا أوفق عليه".

سأل ماينارد: "ما هو معدل الإشغال الحالي لدينا؟".

وصل إلى واحد وثمانين في المئة خلال الاثني عشر شهرا الماضية، وغالباً ما يكون منه في المئة في الطوابق العليا، وهذا هو السبب في أننا نبني المزيد من الغرف الفاخرة في بالمورال".

"وما نسبة تعادل الدخل والنفقات؟".

قال كاريك: "تبلغ ثمانية وستين في المئة".

قال براشر: "هذا جيد للغاية".

قالت إيماء: "أوافقك في الرأي يا سيد براشر، ولكن لا يمكننا الاسترخاء، إذ تخطط يونيون كاسل لتحويل سفينة رينا ديل مار إلى سفينة فاخرة، وبدأت كل من كونارد وبي آند أوه مؤخراً ببناء سفن ستقل أكثر من ألفي راكب".

تبع ذلك صمت طويلاً، بينما كان أعضاء مجلس الإدارة يحاولون استيعاب هذه الحقائق.

سأل ماينارد الذي لم تتر اهتمامه أسئلة المدراء الآخرين: "هل لا تزال الرحلات إلى نيويورك الأكثر ربحاً بالنسبة إلينا؟".

قال هيرست: "نعم، لكن رحلة بحر البلطيق تثبت شعبيتها أيضاً، من ساو�مبتون إلى لينينغراد

وكوبنهاغن وأوسلو وستوكهولم وهلسنكي".

تابع ماينارد: "لكننا نطلق الان سفينة ثانية، وبالنظر إلى عدد السفن الأخرى المتوفرة في أعلى البحار، هل تتوقع مواجهة أي مشاكل في التوظيف؟".

شعرت إيماء بالحيرة من عدد الأسئلة التي كان يطرحها ماينارد، حتى بدأت تشک في أن لديه أجندته الخاصة.

قال القبطان تورنبل، الذي لم يتحدى طوال الوقت: "لا ينبغي أن يشكل التوظيف مشكلة، إذ تحظى باريونغتون بقبال عدد كبير من الراغبين في العمل، خاصة الفلبينيين الذين يبقون على متنه السفينة لمدة أحد عشر شهراً، ولا يغادرونها، كما أنهم نادراً ما ينفقون أموالهم".

سأل سيباستيان: "وماذا عن الشهر الثاني عشر؟".
"يعودون فيه إلى ديارهم ليسلموا نقودهم التي حصلوا عليها بشق الأنفس لزوجاتهم وعائلاتهم، ثم يعودون إلى الخدمة بعد ثمانية وعشرين يوماً".
قال براشر: "مساكين".

قال تورنبل: "في الحقيقة، سيد براشر، الفلبينيون هم أسعد أفراد طاقمي، فقد أخبروني بأنهم يفضلون العمل في خط باريونغتون بدلاً من قضاء 12 شهراً عاطلين عن العمل في مانيلا".

"ماذا عن البحارة؟ هل هناك أية مشاكل تواجهها معهم، أيها القبطان؟".

"يتقدم ستة رجال مؤهلين على الأقل إلى كل وظيفة متاحة أيها الأدميرال".

سألت إيماء: "هل تتقدم النساء إلى العمل؟".

أجاب تورنبل: "نعم، لقد وظفنا أول امرأة للعمل

لدينا، كلير طومسون، وهي أول مساعدة قبطان وقد أثبتت كفاءتها العالية".

قال الأدميرال: "ما الذي وصل إليه العالم؟ دعونا نأمل ألا أعيش لأرى امرأة تتولى رئاسة الوزراء".

قالت رئيسة مجلس الإدارة وهي توبخ مديرها المفضل برفق: "لنأمل أن تعيش لترى ذلك لأن العالم قد تقدم، وربما ينبغي لنا أن نواكب التقدم أيضاً".

ثم نظرت إيماء إلى ساعتها وقالت: "هل من أعمال أخرى؟".

سعل أمين سر الشركة إشارة منه إلى أن لديه ما يريده إخبار مجلس الإدارة به.

قالت إيماء وهي تعاود الجلوس، لأنها تعرف أنه رجل لا يحب مناقشة المسائل على عجلة: "سيد ويبرستر".

"أشعر بأنني يجب أن أبلغ مجلس الإدارة بأن الليدي فيرجينيا فينيويك تخلصت من حصتها البالغة سبعة ونصف في المئة في الشركة".

قالت إيماء: "لكنني ظننت.." .

"وتم تسجيل الأسهم في كومبانيز هاوس باسم المالك الجديد".

كَرَّرت إيماء وهي تنظر مباشرة إلى ابنها: "لكنني ظننت.." .

قال سيباستيان: "لا بد أنها كانت صفقة خاصة، يمكنني أن أؤكد لكم أن أسهمها لم تُعرض أبداً للبيع في السوق المفتوح، ولو حصل ذلك، لكان الوسيط الذي أتعامل معه اشتراها على الفور نيابة عن فارذنغر، ولكن حكيم بشارة قد انضم إلى مجلس الإدارة بصفته ممثلاً للبنك".

بدأ جميع من في الغرفة بالكلام في الوقت ذاته،

فقد كانوا جميعاً يسألون السؤال نفسه: "إذا لم يشتري
بشاره الأسمهم، فمن الذي اشتراها؟".

انتظر أمين سر الشركة حتى يهدا أعضاء مجلس
الادارة قبل أن يرد على تساؤلاتهم الجماعية.
"السيد ديزموند ميلور".

كانت الضجة صاحبة، وقد تم تهدئتها ما إن قدم
سيbastian مداخلته قائلاً: "لدي شعور بأن ميلور لن
يعود عضواً في مجلس الادارة، والأمر واضح للغاية،
فلن يناسب ذلك أغراضه".

بدت إيمان مرتابة، وهي تقول: "لا، أعتقد أنه
سيختار شخصاً آخر لتمثيله لم يكن قد ترأس سابقاً
مجلس إدارة".

جحظت كل الأعين إلى سيbastian، لكن
الأدميرال هو الذي سأله: "ومن برأيك قد يكون هذا
الشخص؟".

"أدريان سلون".

كانت سيارة ليموزين سوداء متوقفة خارج فندق ذي شيري-هولندا، وقد فتح سائق يرتدي ملابس أنيقة الباب الخلفي، ما إن خرج هاري من الفندق، فركب السيارة، وغرق في المقعد الخلفي متوجهاً لأوراق الصباح المكدسة بعناية على بار الكوكتيل المقابل له، وتساءل حول من يمكن أن يشرب في ذلك الوقت المبكر من الصباح، ثم أغلق عينيه وحاول التركيز على المقابلة، على الرغم من أنه كان قد أخبر هاري أرون غوينزبورغ عدة مرات أنه لا يحتاج إلى سيارة ليموزين للقيام برحلة قصيرة من الفندق إلى الاستوديو، وأن سيارة أجرة صفراء تفي بالغرض.

وكان يردد عليه باستمرار: "كل ذلك جزء من الخدمة التي يقدمها برنامج توداي شو لضيوفه الرئيسيين".

استسلم هاري، رغم أنه كان يعلم أن إيمانه كانت لتوافق على ذلك.

تذكّر هاري المرة الأولى التي ظهر فيها في برنامج إذاعي أمريكي صباحي قبل أكثر من عشرين عاماً، عندما كان يرتجح رواية ويليام وورويك للمرة الأولى، فكانت النتيجة فشلاً ذريعاً، إذ تم اختصار فقرته التي يظهر فيها بعدما تخاطى الضيفان السابقان، ميل بلان وكلارك جابل، الوقت المخصص لهما، وعندما جاء دوره أخيراً للتحدث أمام الميكروفون، نسي ذكر عنوان كتابه، وسرعان ما بدا واضحاً أن مضيّفه، مات جاكوبس، لم يكن قد قرأ الكتاب، ولكن بعد عقدين من الزمان، توصل إلى أن هذا كله يُعدّ جزءاً من العمل، ولكن هاري كان مصمماً على ألا يعاني من المصير نفسه مع كتاب العم جو،

الذي وصفته صحيفة نيويورك تايمز بأنه أكثر كتاب يتوقع أن يتتصدر المرتبة الأولى هذا الموسم، وقد عرضت عليه البرامج الصباحية الثلاثة الظهور في وقت الذروة، في الساعة 7:24 صباحا، ولم تكن المقابلة من ست دقائق تبدو طويلة، ولكن من منظور التلفزيون، يعد ذلك مقبولاً.

أشار إليه أرون قائلًا: "فكّر فقط في المبلغ الذي يتعين علينا دفعه مقابل الإعلان في وقت الذروة لمدة ست دقائق".

توقفت سيارة الليموزين خارج الاستوديو ذي الواجهة الزجاجية في شارع كولومبوس، وكانت امرأة شابة ترتدي ملابس أنيقة تقف على الرصيف في انتظاره.

قالت: "صباح الخير يا هاري، اسمي آن، وأنا مساعدتك الخاصة، وسأخذك مباشرة إلى قسم التزيين".

قال هاري الذي لم يعتد بعد على الأشخاص الذين لم يقابلهم من قبل، وينادونه باسمه المسيحي: "شكرا لك".

"كما تعلم، أنت ستظهر عند الساعة 7:24 ولمدة ست دقائق، وسيكون المحاور الخاص بك هو مات جاكوبس".

تنهد هاري وهو يتتساءل، هل سيكون قد قرأ كتابه هذه المرة؟

ثم قال: "عظيم".

كان هاري يكره التجميل والماكياج، وكان قد اغتسل وحلق ذقنه قبل ساعة فقط، ولكنه يعد من الطقوس التي يعلم أنه لا يستطيع رفضها، على الرغم من إصراره على "أقل قدر ممكن" من

بعد وضع كمية وفيرة من الكريم على وجنتيه، ووضع مسحوق ما على جبهته وذقنه، سالت فنانة الماكياج: "هل يمكنني إزالة تلك الشعرات الشائبة؟". قال هاري: "بالتأكيد لا"، فخاب أملها قليلاً، واكتفت بتشذيب حاجبيه، وبمجرد هروبها منها، اصطحبته أن إلى الغرفة الخضراء، حيث جلس بهدوء في زاوية، بينما كان أحد نجوم أفلام الدرجة الثانية، الذي لم يعرف اسمه، يخبر الجمهور بشعوره حيال مشاركته في مشهد مع الممثل بول نيومان.

عند الساعة 7:20، انفتح الباب، وعادت أن لأداء أهم وظيفة لها خلال اليوم.

"حان الوقت لأخذك إلى الاستوديو، هاري".

نهض هاري وسار خلفها في ممر طويل، فكان متوتزاً للغاية لدرجة أنه لم يتفوّه بكلمة، ولكن من الواضح أنها كانت معتادة عليه، ثم توقفت خارج باب مغلق مكتوب عليه عبارة: لا تدخل عندما يكون الضوء الأحمر مضاء.

وعندما تحول الضوء إلى اللون الأخضر، فتحت الباب الثقيل، وقادته إلى استوديو بحجم مرآب الطائرات، وكان يغص بالأضواء والكاميرات، وكان يركض فيه الفنيون والموظفوون في كل اتجاه في أثناء استراحة الإعلان، فابتسم هاري للحاضرين في الاستوديو، والذين يبدون بوضوح من خلال التعبيرات الفاترة المرتسمة على وجوههم أنهم لا فكرة لديهم عن هويته، ثم ركز انتباهه على المضيف، مات جاكوبس، الذي كان جالساً على أريكة، وبيدو وكأنه عنكبوت ينتظر التقاط ذبابة عابرة، فسلمته مساعد الاستوديو نسخة من كتاب العم جو بينما قام مساعد آخر بوضع البودرة على

أنفه، فألقى جاكوبس نظرة خاطفة على الكتاب قبل أن يتفقد الغلاف الخلفي للتحقق من السيرة الذاتية للمؤلف، ثم التفت أخيراً إلى الغلاف الخلفي وقرأ ملخص الكتاب، هذه المرة كان هاري مستعداً، بينما كان ينتظر أن يتم نقله إلى مكانه، وقد درس مضيفه بعناية، فلا يبدو أن جاكوبس قد تقدم في العمر خلال العشرين عاماً الماضية، على الرغم من أنه كان واثقاً من أنه إما شمح لفنانة الماكياج باستخدام مهاراتها الكبيرة لإخفاء كل العيوب، أو أنه قام بعملية شد الوجه؟

دعا مدير الاستوديو هاري للانضمام إلى جاكوبس على الأريكة، وقد تم تكريمه بعبارة: "صباح الخير، سيد كليفتون"، ولكن بعد ذلك أصبح مضيفه مشتتاً بوجود ملاحظة وضعها مساعد آخر أمامه.

قال صوت من خلف الأضواء: "بقي ستون ثانية".
سأل جاكوبس: "أين ستكون؟".

قال مدير الطابق: "ستظهر الصفحة على الكاميرا الثانية".
"ثلاثون ثانية".

كانت تلك اللحظات التي أراد فيها هاري دائفاً النهوض ومغادرة الاستوديو.

كان يكرر بصوت منخفض: "العم جو، العم جو، العم جو".

فقد استمر آرون بتذكيره لا تنس الاستمرار بذكر عنوان الكتاب، لأن اسمك ليس على الغلاف.
"عشر ثوان".

ارتشف هاري رشفة من الماء، بينما ظهرت يد أمام وجهه.
"خمس، أربع..".

أسقط جاكوبس ملاحظاته على الأرض، ونظر مباشرةً إلى الكاميرا.

قال جاكوبس وهو يقرأ مباشرةً من الملقة: "مرحباً بكم، ضيفي التالي هو الروائي هاري كليفتون، ولكننا اليوم لا نناقش أحد أعماله، بل نناقش كتاباً قام بتهريبه من الاتحاد السوفياتي".

حمل جاكوبس نسخة من كتاب العم جو، والتي ملأت الشاشة بأكملها.

وتابع جاكوبس قائلاً: "لكن اسمحوا لي بأن أوضح أنه لم يكن الكتاب نفسه الذي قام السيد كليفتون بتهريبه، بل الكلمات فقط، فهو يقول إنه بينما كان محتجزاً في سجن روسي في إحدى الزنزانات برفقة أناتولي باباكوف، مؤلف العم جو، حفظ النص بأكمله عن ظهر قلب خلال أربعة أيام، وبعد الإفراج عنه كتبه حرفياً كلمة كلمة، وقد يجد الناس صعوبة في تصديق ذلك".

ثم استدار جاكوبس صوب هاري.

"دعني أحاول أن أفهم ما تدعيه، سيد كليفتون، لقد كنت تشارك الزنزانة مع الكاتب المميز أناتولي باباكوف، وهو رجل لم يسبق لك أن قابلته".

أومأ هاري إليه برأسه موافقاً، بينما توجهت الكاميرا نحوه.

"وخلال الأيام الأربع التي أمضيتها برفقته، تلا محتوى كتابه المحظور العم جو كاملاً، والذي وثق فيه ما شهده خلال الأعوام الأحد عشر التي عمل فيها في الكرملين بصفته مترجماً لجوزيف ستالين".

قال هاري: "هذا صحيح".

"لذلك عندما تم إطلاق سراحك من السجن بعد أربعة أيام، وبما أنك ممثل محترف، كنت تعرف

دورك عن ظهر قلب".

ظل هاري صامتا، حيث أصبح من الواضح الان أن جاكوبس لديه أجندته الخاصة.

"أنا متأكد من أنك ستتوافقني في الرأي، سيد كليفتون، في أنه لا يمكنك أن تتوقع أن يتذكر أي ممثل، مهما كان متعرضا، ثمانية وأربعين ألف كلمة خلال أربعة أيام فقط من التدريب".

قال هاري: "أنا لست ممثلا".

قال جاكوبس: "اعذرني، ولكنني أظن أنك ممثل بارع للغاية لابتدارك هذه القصة بأكملها، وليس لأي غرض آخر سوى ترويج كتابك الأخير، وإذا لم يكن الأمر كذلك، فربما ستسمح لي باختبارك للتأكد من صحة ادعائك".

ومن دون انتظار رد هاري، الثُّفَّت جاكوبس إلى كاميرا أخرى، ورفع الكتاب، وقال: "إذا كان من الممكن تصديق قصتك، سيد كليفتون، فأظن أنك لن تواجه أي صعوبة في تلاوة أي صفحة اختارها من كتاب السيد باباكوف".

عبس هاري، بينما تابع جاكوبس كلامه قائلاً: "سأختار الصفحة بشكل عشوائي، والتي ستظهر على الشاشة حتى يتمكن جميع مشاهدينا من رؤيتها، وستكون الشخص الوحيد الذي لن يستطيع رؤيتها".

تسارعت دقات قلب هاري على وتيرة واحدة، لأنه لم يقرأ العم جو منذ أن سلم نص الكتاب إلى أرون غوينزبورغ منذ فترة.

قال جاكوبس: "لكن أولاً دعني أطلب منك التأكيد على أننا لم نلتقط من قبل قط".

أجاب هاري: "بلى، لقد التقينا مرة واحدة فقط،

وقد أجريت مقابلة معاً في برنامج الإذاعي قبل عشرين عاماً، ولكن من الواضح أنك نسيت".

بدا جاكوبس مرتباً، ولكنه سرعان ما قال: "فلنأمل إذاً أن تكون ذاكرتك أفضل من ذاكرتي".

ثم التقى الكتاب، وتصفح عدة صفحات قبل أن يتوقف بشكل عشوائي.

وتابع قائلًا: "سأقرأ السطر الأول من الصفحة 127، وبعد ذلك سنرى ما إذا كان في إمكانك إكمال باقي الكلمات الواردة في الصفحة".
بدأ هاري بالتركيز.

"أحد الموضوعات العديدة التي لم يجرؤ أحد على طرحها على ستالين..".

حاول هاري استجمام أفكاره، ومع مرور الثواني، بدأ الجمهور يتبرأ من الانتظار، بينما أصبحت ابتسامة جاكوبس أكثر اتساعاً.

كان على وشك التحدث مرة أخرى، عندما قال هاري: "أحد الموضوعات العديدة التي لم يجرؤ أحد على طرحها على ستالين كان الدور الذي أذاه في أثناء حصار موسكو، عندما كانت نتيجة الحرب العالمية الثانية لا تزال غير محددة، فهل قام مثل معظم وزراء الحكومة ومسؤوليها، بالانسحاب السريع إلى كويبيشيف على نهر الفولغا، أم أنه كما زعم رفض مغادرة العاصمة والبقاء في الكرملين، ونظم الدفاع عن المدينة شخصياً؟ لقد أصبحت روایته أسطورة، وهي جزء من التاريخ السوفيياتي الرسمي، على الرغم من أن العديد من الأشخاص رأوه على المنصة قبل لحظات من مغادرة القطار إلى كويبيشيف، ولا توجد تقارير موثوقة عن أي شخص رأه في موسكو مرة أخرى حتى طرد الجيش الروسي العدو من أمام بوابات المدينة،

وقلة من الذين أعربوا عن شكوكهم حول رواية ستالين قد عاشوا ليرروا الحكاية".

نظر هاري إلى الكاميرا وواصل سرد السطور الائني عشر من دون تردد، وعندما وصل إلى نهاية الصفحة صفق الجمهور في الاستوديو بشدة.

استغرق استعادة رباطة جأش جاكوبس وقتا طويلا، ولكنه نجح في النهاية في السيطرة على توئره، وقال بابتسامة متكلفة: "ربما ساقرا هذا الكتاب بنفسي".

قال هاري: "سيكون ذلك على غير عادتك".

ثم ندم على الفور على الكلمات التي نطق بها، على الرغم من أن بعض جمهور الاستوديو ضحكوا وصفقوا بشدة، بينما شهق آخرون.

استدار جاكوبس لمواجهة الكاميرا، وقال: "سنأخذ فاصلاً قصيراً ونعود بعدها الإعلان".

عندما أضيء الضوء الأخضر، سحب جاكوبس ميكروفونه الموجود على طية صدر السترة، ونهض من الأريكة وسار إلى مدير الإنتاج، وقال: "أخرجوه من هنا في الحال".

قال مدير الإنتاج وهو يتفقد حافظته: "ولكن لا يزال لديه ثلاثة دقائق أخرى".

"لا أكترث لذلك، فلننتقل إلى الضيف التالي".

"هل تريدين حفنا إجراء مقابلة مع تروي دوناهو لمدة ست دقائق؟".

قال مشينا إلى هاري: "أي شخص آخر غير ذاك الرجل".

ثم نظر إلى أن، وقال لها: "أخرجيه من هنا في الحال".

أسرعت أن إلى الأريكة، وقالت لهاري: "أرجو أن

تراافقني، سيد كليفتون".

أخرجت هاري من الاستوديو، ولم تتوقف حتى وصلا إلى الرصيف، حيث تخلّث عن ضيوفها الرئيسي، وعلى الرغم من عدم وجود سائق ينتظره بجانب باب سيارة ليموزين مفتوح هذه المرة، إلا أن أشار هاري إلى سيارة أجرة، وفي طريق عودته إلى فندق شيري-هولندا قام بتفقد الصفحة 127 من نسخة كتاب العم جو وهو يتساءل، هل نسي أن يقول كلمة "السريع"؟ لم يكن متاكذاً من ذلك.

ذهب مباشرة إلى غرفته، وأزال ماكياجه واستحم للمرة الثانية هذا الصباح، فلم يكن يعرف ما إذا كانت الأضواء الساطعة أو طريقة جاكوبس الفظة هي التي تسببت في تعرقه بشدة، وما إن ارتدى هاري قميصاً نظيفاً وبذلة أخرى حتى استقل المصعد إلى الطابق الثاني، وعندما دخل إلى غرفة الطعام، تفاجأ بعدد الأشخاص الذين كانوا ينظرون إليه، فطلب الفطور، ولكنه لم يفتح صحيفة نيويورك تايمز، لأنه فكر في مدى غضب غوينزبورغ عليه بعد أن أهان أحد كبار مقدمي البرامج الصباحية في التلفزيون.

كان من المقرر أن يلتقي بالغوينزبورغ في مكتب أرون الساعة التاسعة لمناقشة تفاصيل جولته الترويجية، ولكن هاري افترض أنه سيعود الآن إلى مطار هيثرو في الرحلة التالية.

وقع هاري على الشيك، وقرر السير إلى مكتب أرون الجديد في شارع ليكسينغتون، وقد غادر فندق شيري - هولندا بعد الساعة 8:40 مباشرة، وما إن وصل إلى ليكسينغتون حتى استعد إلى مواجهة غضب آل غوينزبورغ.

استقل المصعد إلى الطابق الثالث، وعندما فتحت

الأبواب، كانت كيرستي تقف هناك.

قالت له باقتضاب: "صباح الخير يا سيد كليفتون"، قبل أن تقوده إلى مكتب الرئيس، وطرقـت الباب ثم فتحته لتكشف عن نسخة مطابقة عن المكتب الذي كان لدى هاري ذكريات جميلة فيه.

حـدق هـمنـغـواـي وـفيـتـزـجيـرـالـد وـغـرـين وـبـوشـان إـلـى وجـهـه عـلـى الجـدـرـان المـكـسـوـة بـالـلـوـاـحـ الـبـلـوـطـ، فـدـخـلـ هـارـي ليـرـى الأـبـ وـالـابـنـ جـالـسيـنـ مـقـابـلـ بـعـضـهـما عـلـى المـكـتبـ المـزـدـوـجـ، وـفـيـ اللـحـظـةـ التـيـ رـأـيـاهـ فـيـهاـ، وـقـفـاـ اـحـتـرـامـاـ لـهـ وـصـفـقـاـ بـقـوـةـ.

قال أرون: "تحية للبطل الفاتح".

قال هاري: "لكنني ظنتـكـما سـتـكونـانـ..".

قال هـارـولـدـ غـويـنـزـبـورـغـ وـهـوـ يـربـتـ عـلـىـ ظـهـرـهـ: "فـي قـمـةـ السـعـادـةـ، لـقـدـ ظـلـ الـهـاـتـفـ يـرـئـ طـوـالـ السـاعـةـ الـماـضـيـةـ، فـالـجـمـيـعـ يـرـيـدـونـ ظـهـورـكـ فـيـ كـلـ بـرـامـجـهـمـ الـحـوـارـيـةـ فـيـ جـمـيـعـ أـنـحـاءـ الـبـلـادـ، وـلـكـ كـنـ حـذـراـ، سـيـخـتـارـ الـجـمـيـعـ صـفـحةـ مـخـتـلـفـةـ لـكـ بـعـدـ اـنـتـصـارـكـ هـذـاـ الصـبـاحـ".

"ولـكـ ماـذـاـ عـنـ جـاكـوبـسـ؟ـ".

"لـقـدـ حـوـلـكـ إـلـىـ نـجـمـ بـيـنـ عـشـيـةـ وـضـحاـهـاـ، قـدـ لاـ يـدـعـوكـ إـلـىـ بـرـنـامـجـهـ مـرـةـ أـخـرىـ، وـلـكـ جـمـيـعـ الشـبـكـاتـ الـأـخـرىـ تـطـارـدـكـ".

أمضـىـ هـارـيـ الـأـيـامـ السـبـعـةـ التـالـيـةـ مـسـافـرـاـ مـطـارـ إـلـىـ مـطـارـ بـوـسـطـنـ، وـوـاشـنـطـنـ، وـدـالـاسـ، وـشـيكـاغـوـ، وـسـانـ فـرـانـسـيـسـكـوـ، وـلـوـسـ آـنـجـلوـسـ، وـقـدـ تـنـقـلـ مـنـ اـسـتـودـيـوـ إـلـىـ اـسـتـودـيـوـ مـحـاـوـلـاـ الـوـفـاءـ بـكـلـ الـالـتـزـامـاتـ الـتـيـ عـلـىـ جـدـولـ موـاعـيـدـهـ، أـكـانـ فـيـ الـجـوـ أوـ فـيـ مـؤـخـرـةـ سـيـارـةـ لـيـمـوزـيـنـ أوـ فـيـ غـرـفـةـ خـضـراءـ

وحتى في السرير، كان يقرأ ويعيد قراءة العم جو، وقد أذهلت ذاكرته الرائعة الجماهير في جميع أنحاء البلاد.

وفي الوقت الذي وصل فيه إلى لوس أنجلوس ليحل ضيفاً رئيسيًا في برنامج جوني كارсон، ذاتونايت شو، كان الصحفيون وطواقم المحطات التلفزيونية قد حضروا إلى المطار، على أمل إجراء مقابلة معه، حتى ولو في أثناء تنقله السريع.

أخيراً عاد هاري إلى نيويورك مرهقاً، وقد تم إيصاله في سيارة ليموزين إلى مكتب ناشر كتبه في شارع ليكسينغتون.

وعندما فتحت كيرستي باب مكتب الرئيس، كان هارولد وأرون غوينزبورغ يمسكان بنسخة من قائمة نيويورك تايمز للكتب الأكثر مبيعاً، فقفز هاري في الهواء عندما رأى أن العم جو قد وصل إلى الصدارة. "كم أتمنى لو تمكّن أناتولي من مشاركتي هذه اللحظة!".

قال أرون: "أنت تنظر إلى القائمة الخاطئة".

نظر هاري إلى الجانب الآخر من الصفحة ليرى أن كتابه ويليام وورويك يتتصدر قائمة الروايات الخيالية.

قال هارولد وهو يفتح زجاجة شراب: "هذه أول مرة في تاريخ شركتي، يحتل فيها كتابان نشرتهما المرتبة الأولى في قائمة الروايات الخيالية والواقعية في الوقت نفسه".

استدار هاري فرأى أرون يعلق صورة هاري كليفتون على الحائط، بين جون بوشان وغراهام جرين.

جايلز بارينغتون

1971

8

قال جايلز: "أخشى أن ذلك غير ممكن".

قال جريف: "لم لا؟، دعنا نواجه الأمر، معظم الناس لن يتذكروا ما حدث في برلين، كما أنك لن تكون عضو البرلمان الوحيد الذي طلق زوجته".

قال جايلز: "ولكنني تطلقت مرتين، والسبب في المرتين الزنى!".

أسكت كلامه وكيله البرلماني للحظة.

وأضاف جايلز قائلًا: "كما أن لدى مشكلة أخرى لم أخبرك بها".

قال جريف بيأس شديد: "هيا، فاجنبي".

"لقد أحاول الاتصال بكارين بينغلي".

"ماذا فعلت؟".

"في الواقع أنا في طريقي إلى كورنوال لمعرفة ما إذا كان والدها يمكنه مساعدتي".

"هل جننت؟".

قال جايلز: "هذا وارد جداً".

غضطى وكيل حزب العمال في بريستول دوكلاندز وجهه بيديه إشارة إلى تصرف جايلز الجنوني، وقال له:

"لقد كانت علاقة لليلة واحدة، جايلز، هل نسيت ذلك؟".

"تلك هي المشكلة، أني لم أنس أبداً، وليس أمامي سوى طريقة واحدة لمعرفة ما إذا كان الأمر أكثر من مجرد علاقة عابرة بالنسبة إليها".

"هل هذا الرجل نفسه الذي منح وسام الصليب العسكري لتصديه للألمان، ثم اكتسب سمعة مشرفه عندما كان وزيرا في الحكومة، وعندما أُلقي له حبل النجاة الذي سيسمح له بالعودة إلى مجلس العموم، يرفضه؟".

قال جايلز: "أعلم أن الأمر يبدو غير منطقي، ولكن إذا كانت مجرد علاقة لليلة واحدة، فيجب أن أخبرك بأنني لم أمض أي ليلة تشبهها من قبل".
"لا شك في أنك كافأتها مكافأة قيمة عليها".

قال جايلز متوجهاً التعليق: "حسناً، ماذا ستفعل الان بعد أن اتخذت قراري؟".

"إذا كنت حقاً لن تكافح من أجل الحصول على المنصب، فسوف يتوجب علي تعيين لجنة فرعية لاختيار مرشح جديد".

"سيكون لديك سيل من الالتفاتات، كما أن بلوغ معدل التضخم عشرة في المئة، والحل الوحيد الذي قدمه حزب المحافظين كان حصر استخدام الكهرباء لثلاثة أيام في الأسبوع فقط، وفي ظل هذه الظروف قد يندفع الناس إلى انتخاب كلب يرتدي وردة حمراء".

"وهذا بالضبط ما يجب أن يمنعك من الاستسلام".
"الم تستمع إلى ما قلته لك؟".

"استمعت إلى كل كلمة، ولكن إذا كنت قد اتخذت قرارك حقاً، أمل أن تكون متوفراً لتقديم المشورة لمن سنختاره مرشحاً".

"ولكن ما النصيحة التي يمكنني أن أقدمها إليه، ولا تستطيع أن تقدمها أنت، جريف؟ لكن صريحي، فقد كنت تنظم الانتخابات منذ الأزل ولست بحاجة إلى".

"ولكنني لم أترشح من قبل، فهذه التجربة مختلفة،
فهل يمكنك أن ترافقه في جولاته؟".

قال جايلز مبتسمًا: "أو أرافقها..".

قال جريف: "أو ترافقها عندما تتجول في الشوارع
محاولة كسب الأصوات".

"إذا كنت تعتقد أن مرافقتني ستساعد مرشحك،
فسأكون متاحًا متى احتجت إلى مساعدتي".

"يمكن أن يحدث مساعدتك فرقاً من مجرد
الفوز إلى تأمينأغلبية كبيرة بما يكفي لجعل
حزب المحافظين يصعب عليه إحداث انقلاب في
الانتخابات المقبلة".

قال جايلز: "يا إلهي! حزب العمال محظوظ بك،
وأعدك أن أفعل كل ما في وسعي من أجل تقديم
المساعدة".

قال له جريف: "شكراً لك، وأعتذر عن ثورتي،
فالحقيقة أنني دائمًا متشائم، وأظن أن ذلك التشاوم
يعد جزءاً من العمل، ولكن دعنا نأمل أن أكون
مخططاً هذه المرة، وإذا غيرت رأيك يمكنك تأجيل
تعيين لجنة لاختيار مرشح جديد لمدة أسبوعين
على الأقل".

قال جايلز: "الآن تملي أبداً؟".

"ليس إن كان هناك فرصة ولو ضئيلة أن تكون
مرشحاً".

بينما كان جايلز يجلس وحده في مقصورة الدرجة
الأولى، وهو في طريقه إلى ترورو، فكر ملياً في
كلام جريف.

هل كان حقاً يضحي بمسيرته السياسية من أجل
امرأة ربما لم تفك فيه منذ أن غادر برلين؟

وهل سمح لخياله بالتفغل على منطقه وتفكيره السليمين؟ وإذا قابل كارين مرة أخرى، فهل ستتلاشى مشاعره تجاهها؟ كما كان هناك احتمال أقوى، وقد حاول تجاهله، وهو أن كارين لم تكن سوى جاسوسة ألمانية، تؤدي عملها ببساطة، مما يثبت أن وكيله المخضرم لم يكن متشارقا بل واقعيا.

بعد الساعة السادسة مساء وصل جايلزقطار إلى محطة ترورو، وكان لا يزال محتازا، فاستقل سيارة أجرة إلى فندق ميسونز أرمز، وبمجرد وصوله صعد الدرج إلى غرفته، وأفرغ حقيبة سفره، ثم استحم وبذل ملابسه ونزل إلى الحانة قبل السابعة ببعض دقائق، لأنه لا يريد ترك والد كارين ينتظر وصوله، بعد أن وافق على مقابلته في ذلك المساء، وعندما دخل الحانة، رأى رجلاً جالساً إلى طاولة في الزاوية، وما كان لينظر إليه مجدداً لو لم يقف على الفور ويلوح له، فسار جايلز باتجاهه للانضمام إليه، بينما كان يمد يده ليسلم عليه.

وبعد أن تصافحا لم يكن من داع للمقدمات.

قال جون بينغلي: "دعني أحضر لك مشروباً، سيد جايلز، فالجعة المحلية ليست بسيئة، أو ربما تفضل الشراب الاسكتلندي".

قال جايلز، وقد جلس إلى طاولة صغيرة ملطخة بالجعة: "سيكون نصف كوب جعة مناسباً".

وبينما كان والد كارين يطلب المشروبات، ألق جايلز نظرة فاحصة عليه، فلا بد أنه كان في الخمسين، وربما في الخامسة والخمسين من عمره، وعلى الرغم من أن شعره أبيض، إلا أن سترته كانت بالية جداً، ولكنها لا تزال تلائم تماماً، مما يشير إلى أنه لم يزدد وزنه أكثر من بضعة أرطال منذ أن

ترك الجيش، وربما كان يمارس الرياضة بانتظام، وعلى الرغم من أنه بدا متحفظاً وخجولاً، إلا أنه كان من الواضح أنه لم يكن غريباً عن المكان، لأن أحد السكان المحليين الجالسين في الحانة ألقى عليه تحية حارة، كما لو أنه قد التقى بأخيه الذي غاب عنه فترة طويلة، وفكّر جايلز في مدى قسوة الظروف عليه، والتي جعلته يعيش وحده، بينما زوجته وابنته غير قادرتين على الانضمام إليه، لأنهما كانتا في الجانب الخطاً من الجدار.

عاد بينغلي بعد لحظات قليلة حاملاً كوبين، ووضع أحدهما على الطاولة أمام جايلز.

"لقد كان لطف منك أن تتبّع العناء هذه الرحلة الطويلة، سيدتي، وأتمنى أن تشعر بأن الأمر يستحق العناء".

"من فضلك نادني جايلز، كما أمل في أننا لن تكون صديقين فقط، بل سنتمكّن من خدمة قضايا بعضنا".

"عندما تكون جندياً عجوزاً...".

قال جايلز، وهو يحتسي الجمعة: "لست عجوزاً". وأضاف قائلاً محاولاً التوడد إليه: "لا تنس أننا خدمنا كلانا في الحرب الأخيرة، ولكن أخبرني كيف التقىت بزوجتك في المرة الأولى؟".

"كان ذلك بعد الحرب عندما كانت القوات البريطانية متمركزة في برلين، وكانت عريقة في مستودع الإمدادات حيث كانت غريباً تعمل على تنظيم الرفوف، وهو العمل الوحيد الذي أمكنها أن تحصل عليه في ذلك الوقت، ولا بد أنه كان حتّى من النظرة الأولى، لأنها لم تتمكن من النطق بكلمة واحدة باللغة الإنجليزية، كما أنها لم تستطع النطق بأي كلمة باللغة الألمانية، ولكنها كانت ذكية، فقد

تعلمت لغتي خلال وقت قصير، بينما احتجت إلى وقت طويل لاتعلم لغتها".

ابتسم جايلز بتسامة خفيفة.

"ومنذ البداية كنت أدرك أن الأمر لن يكون سهلاً، وما إن انتهت مهمتي، حتى قررت الزواج من غريبتا من دون أن أبالي بالعواقب، ولكن منذ ذلك الوقت بدأت مشاكل، فأن تعاشر إحدى الفتيات المقيمات هناك يعد تصرف مقبولًا، ولكن أن ترغب في الزواج من إحداهن فتشتت خانثًا، ولا يعود يثق بك أي من الطرفين، وهذا ما حصل عندما أخبرت الضابط المسؤول بأنني أنوي الزواج من غريبتا، ولو أن ذلك يعني أنني يجب أن أبقى في برلين، فوضع كل عقبة ممكنة في طريقه، وأخبرني بأنه قد يسلمني أوراق تسريحي من الخدمة خلال أسبوع، فشعرت باليأس لدرجة إني فكرت في الفرار، ولكن ذلك كان يعني قضاء سنوات في السجن العسكري إذا أمسكوا بي، ثم أخبرني محامي غرفة التكنات بأنهم لا يستطيعون منعني من الزواج من غريبتا إذا كانت حاملًا، فادعيت أنها حامل".

سأل جايلز: "وماذا حدث بعد ذلك؟".

"وكان أبواب الجحيم قد انفتحت أمامي، فما إن وصلت أوراق تسريحي بعد أيام قليلة، حتى خسرت غريبتا وظيفتها، ولم أتمكن من أن أجد عملاً، وما زاد الوضع سوءًا أنني بعد أسابيع قليلة عرفت أن غريبتا كانت حاملًا بكارين".

"أريد أن اسمع كل شيء عن كارين، ولكن ليس قبل أن أطلب مشروباً آخر".

التقط جايلز الكوبين الفارغين وشق طريقه إلى البار.

وقال للنادل: "احضر الطلبيين نفسيهما من فضلك،

ولكن املا الكوب كله هذه المرة".

أخذ بینغلي نفسها عميقا قبل أن يواصل قصته.

"ولكن وجود كارين في حياتي قد استحق ما قدمته من تضحيات، كما أنه جعل كل ما واجهته من مشاكل بالإضافة إلى تحمل التحقيق والإدلال ضنيلأ، وكما كنت أعيش غريتا، كنت أعيش كارين أيضا. وبعد مرور عام، طلب مني ضابط الخدمة القديم في المستودع الحلول مكان شخص كان في إجازة مرضية، وقد ذُعيت للعمل بصفتي ضابط اتصال مدني بين العمال البريطانيين والألمان، لأنه في ذلك الوقت، وبفضل غريتا، أصبحت أتكلم الألمانية بطلاقة، فالبريطانيون وإن كانوا يتمتعون بالعديد من الصفات الرائعة، ولكنهم كسالى عندما يتعلق الأمر بتعلم لغة الآخرين، لذلك سرعان ما أصبح من صعب التخلص عنني في العمل.

لم يكن الراتب كبيرا، ولكنني أنفقت كل قرش كسبته من أجل توفير احتياجات كارين، كما قضيت كل لحظة فراغ إلى جانبها، ومثل كل البنات كانت تعرف أنني أحب احتضانها، وقد يكون كلامي مبتذلاً، ولكنها جعلتني كالخاتم في إصبعها الصغير". فكر جايلز، وهو يرتشف رشفة أخرى من الجعة، أنه يشعر مثله تماماً.

قال بینغلي: "كان سروري كبيرا عندما وافقت المدرسة الإنكليزية في برلين على إجراء كارين امتحان القبول فيها، وبعد بضعة أسابيع حجز لها مكان في الجامعة، وقد ظن الجميع أنها إنكليزية، لأنها كانت تمتلك لكتتي، ومنذ ذلك الحين لم أعد أقلق أبدا بشأن تعليمها. في الواقع عندما كانت في الصف السادس، كان لديها فرصة كبيرة للالتحاق بجامعة أكسفورد، ولكن ذلك كان قبل بناء الجدار،

وما إن بني ذلك الجدار الشنيع، حتى فرض على كارين أن تلتحق بمدرسة اللغات الألمانية الشرقية، والتي بصراحة ليست أكثر من مركز تجنييد لجهاز أمن الدولة الألماني، وكانت المفاجأة الوحيدة عندما اختارت دراسة اللغة الروسية بصفتها لغة أولى، ولكن في ذلك الوقت كانت لغتها الإنجليزية والألمانية قد أصبحتا بالفعل معياراً للحصول على درجة علمية عالية، وعندما تخرجت كان العرض الجاد الوحيد الذي حصلت عليه العمل بصفتها مترجمة فورية لدى جهاز أمن الدولة، فكان عليها إم أن تقبل العرض أو أن تبقى عاطلة عن العمل، لذلك لم تكن خياراتها كثيرة، وقد عبرت في رسائلها عن استمتاعها بعملها، وخاصة خلال المؤتمرات الدولية، التي أتاحت لها الفرصة للقاء العديد من الأشخاص المثيرين للاهتمام من مختلف دول العالم، وقد طلبها للزواج رجلان أمريكيان ورجل آخر من ألمانيا الغربية، ولكنها رفضتهم جميعاً، وقد أخبرت غريتنا أنها لم تقع في الحب حتى التقى بك، وأنك أضحكتها عندما بدأت بتقليل لهجتها على الفور، وأنها ترغب في أن تخرج من برلين نهائياً.

ابتسم جايلز وهو يتذكر الحادثة.

"على الرغم من محاولاتي العديدة للعودة إلى عائلتي، لم تسمح لي سلطات ألمانيا الشرقية بالعودة، على الرغم من إصابة غريتنا بمرض خطير مؤخراً، وأظن أنهم يشكّون بي أكثر من البريطانيين".

قال جايلز: "سأفعل كل ما في وسعي للمساعدة". "غالباً ما تكتب كارين إلي، ولكن لا تصلني رسائلها كلها، وفي إحدى تلك الرسائل أبلغتني أنها قابلت شخصاً ممِيزاً، ولكنها لا تأمل في رؤيته مجدداً، لأنه

لم يكن متزوجاً فحسب، بل كان إنكليزياً ولم يحضر إلى برلين إلا لبضعة أيام فقط، والأسوأ من ذلك كله أنها لم تكن متأكدة مما إذا كان يبادلها المشاعر".

قال جاييلز بهدوء: "كم كانت مخطئة!".

"لم تذكر اسمك بالطبع، أو سبب زيارتك للقطاع الروسي، لأنها كانت تدرك تماماً أن السلطات ستقرأ رسائلها، ولكن حين تواصلت معي، أدركت أنه لا بد أن تكون من كانت تكتب عنه".

"ولكن كيف تورط أليكس فيشر في المسألة؟".

"بعد أيام قليلة من استقالتك، ظهر في تروورو من دون سابق إنذار، بعد أن تعقب أثري، وأخبرني بأنك قد تبرأت من كاريئن علينا، وأنك لفتحت إلى أنها كانت إما وضيعة أو جاسوسة لجهاز أمن الدولة، وأن لا نية لديك على رؤيتها مجدداً".

"لكنني حاولت جاهذا الاتصال بها، حتى إنني سافرت إلى برلين، ولكنهم لم يسمحوا لي بعبور الحدود".

"أعرف ذلك الآن، ولكن في ذلك الوقت...".

تنهد جاييلز قائلاً: "نعم، فيشر يمكن أن يبدو مقنعاً للغاية".

قال بينغلي: " خاصة أنه كان رائداً، وأنا مجرد عريف، كما أنني تابع كل أخبار محاكمة التشهير التي زفعت ضد السيدة كليفتون عبر الصحف، ومثل أي شخص آخر قرأ الرسالة التي كتبها فيشر قبل انتشاره، وإذا كان سيساعدك كلامي، فسأكون سعيداً بإخبار أي شخص بأن ما كتبه في رسالته لا يمث إلى الحقيقة بصلة".

"هذا لطف منك يا جون، رغم أنني أخشى أن الوقت قد فات على ذلك".

"لكنني سمعت عبر الراديو بالأمس، سيد جايلز، أنك ما زلت تفكّر في الترشح للانتخابات الفرعية في بريستول".

"ليس الان، لقد سحبّت ترشيحي، ولا يمكنني التفكير في القيام بأي عمل قبل أن أرى كارين مرة أخرى".

"بالطبع، ولكنني بصفتي والدها أعتقد أنها تستحق كل هذا العناء، ولكنك تقدم تضحية كبيرة من أجلها".

قال جايلز ضاحكاً للمرة الأولى: "أنت أسوأ من وكيلي".

تناول رشفة من الجمعة وجلسا صامتين لبعض الوقت، ثم سأله: "هل كارين حامل حقاً؟".

"لا، إنها ليست كذلك، وهذا جعلني أدرك أن كل ما أذعاه فيشر كان مجرد أكاذيب، وأن هدفه الوحيد كان الانتقام منك".

قال جايلز بهدوء: "أتمنى لو كانت حاملاً".
"لماذا؟".

"لأن حملها كان سيجعل إخراجها من ذاك السجن أسهل بكثير".

"هل من طلبات أخيرة، أيها السيدان؟ لأن الحانة على وشك الإغلاق".

قال جايزلز: "كم أن السياسة لعبة قديمة ومثيرة للضحك! فأنا عالق في البرية، بينما أنت وزير خارجية ألمانيا الغربية".

قال والتر شيل: "لكن يمكن أن تنقلب أوضاعنا بين عشية وضحاها، وأنت أكثر من يدرك ذلك".

"قد يتطلب الأمر الكثير من الحظ، لأنني لا أخوض الانتخابات الفرعية، وحزبي ليس في السلطة".

قال والتر: "لماذا لم تترشح للانتخابات الفرعية؟"، فعلى الرغم من معرفتي السطحية بنظامكم البرلماني، إلا أنه يبدو أن حزب العمال سيفوز بالتأكيد بمقعده القديم".

"قد يكون الأمر كذلك، ولكن لجنة الحزب المحلية قد اختارت مرشحاً شاباً كفوفاً يدعى روبرت فيلدینغ ليحل مكانى، وهو شاب متخصص ومفعم بالحيوية".

"تماماً كما اعتدت أن تكون".

"في الواقع، ما زلت كذلك".

"حسناً، لماذا قررت التراجع عن الترشح للانتخابات؟".

"إنها قصة طويلة، والتر، في الحقيقة، هذا هو سبب رغبتي في روبيتك".

قال والتر وهو يفتح القائمة: "دعنا نطلب الطعام أولاً، وبعد ذلك يمكنك أن تأخذ وقتك في إخباري بسبب حاجتك إلى مساعدة وزير خارجية ألمانيا الغربية".

بدأ يتصفّح قائمة الطعام.

"آه، طبق اليوم هو لحم البقر المشوي وبودينغ

يوركشاير، إنه المفضل لدى، ولكن لا تخبر أحدا من مواطني بلدك أو مواطنبي بلدي بهذا الأمر، وإن فسينكشف سري الصغير، وما سرّك أنت؟".

عندما أطلع جاييلز صديقه القديم على قصة كارين وفشلها في العودة إلى ألمانيا الشرقية، كانا كلاهما يستمتعان باحتساء القهوة.

"إنها الشابة التي كانت في غرفتك في الفندق عندما كان لدينا ذلك الاجتماع الخاص؟".
"أتذكرها؟".

قال والتر: "أنا أتذكرها بالتأكيد، فقد كانت مترجمتي في الماضي، ولكنها لم تعطني أي فرصة أبدا، رغم أنني حاولت التوడد إليها، لذا أخبرني يا جاييلز، هل أنت على استعداد إلى خوض مبارزة من أجل هذه المرأة الشابة؟".

"نعم أنا مستعد".

ضحك والتر، وقال: "بجدية أكبر يا جاييلز، هل لديك أي سبب للاعتقاد أنها تريد الانشقاق عن جماعتها؟".

"نعم، لقد توفيت والدتها مؤخرا، ولم تسمح سلطات ألمانيا الشرقية لوالدتها الذي يقيم في كورنوال ويتحدث الإنكليزية بعبور الحدود لرؤيتها".

رشف والتر القهوة بينما كان يفكر في المشكلة، ثم قال: "هل ستتمكن من السفر إلى برلين في أي لحظة؟".

"سأكون على متن الطائرة التالية إذا أردت".

قال والتر بينما كان النادل يضع كأس الشراب أمامه: "إنك متھور كعادتك، هل لديك أي فكرة عما إذا كانت تتتقن اللغة الروسية؟".

"نعم، إنها تتحدث الروسية بطلاقة، فقد كانت إحدى اللغات التي تعلمتها في مدرسة اللغات".

"جيد، لأنني سأعقد اجتماعاً تجارياً ثنائياً مع الروس في الشهر المقبل، وقد توافق السلطات على ذلك".

"هل يمكنني تقديم المساعدة إليك؟".

"فقط تأكد من حصولها على جواز سفر بريطاني".

"اسمي روبرت فيلدينغ، وأنا مرشح حزب العمال لانتخابات بريستول دوكلاندز الفرعية في العشرين من أيار".

حاول الشاب مصافحة امرأة كانت تحمل أكياس التسوق.

سألته المرأة: "ما الذي ستقوم به من أجل طائرة كونكورد؟".

قال فيلدينغ: "سأفعل كل ما في وسعي للتأكد من أن الطائرة ستصنع في فيلتون وليس في تولوز".

بدت المرأة راضية بالإجابة، فقالت له: "إذا صوت لك".

ثم أضافت قائلة وهي تشير إلى جايلز: "لكنني كنت أفضل أن تصوت له".

أكملت المرأة طريقها، وبدا الشاب يائساً.

"لا تقلق بشأن ما قالت، فهي الحادي والعشرين من أيار، ستكون عضواً في البرلمان، وسأكون عضواً منسيّاً".

"وماذا بشأن طائرة كونكورد؟".

"لقد أعطيتها الرد الوحيد الموثوق به، فسيحاول الفرنسيون المفاوضة كثيراً، وسيكون لديهم كل الحق في ذلك، وفي النهاية أظن أن العمل سيتم

تقسيمه بالتساوي بين البلدين، وربما كان عليك أن تسألاها عما إذا كان زوجها يعمل في فيلاتون، لأنني أظن أن هذا هو سبب طرحها السؤال".

"بالطبع، كان يجب أن أفكّر في ذلك، هل من ملاحظات أخرى؟".

"عَرَفْ بِنَفْسِكَ أَمَامَ النَّاسِ أَنْكَ بُوبَ فِيلَدِينِغْ بَدْلًا مِنْ رُوبِرت، فَأَنْتَ لَا تَرْغُبُ فِي تَذْكِيرِ مُؤْيِدِيكَ باسْتِمرَارِ بِأَنْكَ ذَهَبْتَ إِلَى مَدْرَسَةِ عَامَةٍ وَقَدْ التَّحَقْتَ بِجَامِعَةِ أَكْسَفُورْدْ".

أوْمَا فِيلَدِينِغْ بِرَأْسِهِ موافِقًا، وَاسْتَدارَ نَحْوَ شَخْصٍ أَخْرَى مِنَ الْمَارَةِ، وَقَالَ لَهُ: "مَرْحَبًا، اسْمِي بُوبَ فِيلَدِينِغْ، وَأَنَا مرْشِحُ حَزْبِ الْعَمَالِ لِلانتِخَابَاتِ الْفَرْعَوِيَّةِ فِي العَشْرِينِ مِنْ أَيَّارِ، وَأَتَمَّيِ الْحُصُولِ عَلَى دَعْمِكَ".

"يُؤْسِفُنِي أَنْكَ لَسْتَ مرْشَحًا لِلانتِخَابَاتِ سَيِّد جَايِلَزْ".

أَجَابَ جَايِلَزْ: "هَذَا لَطْفٌ مِنْكَ يَا سَيِّدي، وَلَكِنَّنَا اخْتَرْنَا مرْشَحًا جَدِيرًا بِالثِّقَةِ، وَأَتَمَّيِ الْحُصُولِ عَلَى بُوبَ فِيلَدِينِغْ يَوْمَ الْخَمِيسِ فِي العَشْرِينِ مِنْ أَيَّارِ".
قَالَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَخْطُو خَطُوطَ سَرِيعَةٍ: "إِنْ كَانَ هَذَا مَا تَرَاهُ مِنْاسِبًا فَسَأَفْعُلُ ذَلِكَ".

قَالَ فِيلَدِينِغْ وَهُوَ يَذْكُرُ نَفْسَهُ: "الْخَمِيسُ، الْخَمِيسُ، الْخَمِيسُ، دَانِفَا تَذَكَّرُ أَنْ تَقُولَ الْخَمِيسُ، أَعْرِفُ أَنْكَ ذَكَرْتَنِي بِذَلِكَ كَثِيرًا".

قَالَ جَايِلَزْ: "لَا تَقْلُقْ بِشَأنِ ذَلِكَ، سَتَتَعَوَّدُ عَلَى ذَكْرِ الْمَوْعِدِ، وَبِصَرَاحةٍ أَنْتَ مرْشِحٌ تَتَمَيَّزُ عَنِّي بِصَفَاتٍ كَثِيرَةٍ مَقَارِنَةً بِمَا كُنْتُ عَلَيْهِ فِي أَوَّلِ انتِخَابَاتِ تَرْشِحْتُ لَهَا".

ابْتَسَمَ الشَّابُ لِلْمَرْأَةِ الْأُولَى.

ثم قال الشاب، بينما كانت إيما تتجه نحوهما للانضمام إلى أخيها: "مرحبا، اسمي بوب فيلدينج، وأنا مرشح حزب العمال للانتخابات الفرعية، فلا تنسوا أن تصوّتوا لي يوم الخميس في العشرين من مايو".

همست إيما إلى أخيها وهي تقوم بتوزيع المنشورات: "هل بدأت تندم على عدم الترشح للانتخابات؟ لأنّه من الواضح أن الناخبين إما قد سامحوك أو أنّهم نسوا قضية برلين نهائياً".

قال جايلز وهو يصافح أحد المارة: "لكنني لم أندم أبداً".

"هل عاود والتر شيل الاتصال بك؟".

"لا، لكن هذا الرجل لن يتصل إلا إذا كان لديه ما يقوله".

قالت إيما: "لنأمل أن تكون على حق، وإنّا مستندم حقاً".

كان أحد الناخبين يقول للشاب: "نعم، ولكن ماذا ستفعل حيال ذلك؟".

قال فيلدينج: "حسنا، إن البلاد تسير في طريق مسدود، ومدة ثلاثة أيام في الأسبوع ليست الحل الأمثل، إلا إن أولوية حزب العمال كانت دائمة الحد من البطالة".

همس جايلز إليه: "لا تقل البطالة أبداً بل التوظيف، لأن عليك أن تحاول دائماً أن تبدو إيجابياً".

"صباح الخير، اسمي بوب...".

قالت إيما وهي تنظر إلى إحداهن: "هل هي من أطئها؟".

قال جايلز: "إنها هي بالتأكيد".

"هل ستقدمني إليها؟".

قال جايلز: "لابد من أنك تمزحين، لا شيء سيهجم هذه السيدة أكثر من أن تتصدر صورتها كل صفحة رئيسية في صحف الغد، وهي تصافح العضو السابق في المجلس".

"حسناً، إذا سأفعل ذلك بنفسي".

"لا يمكنك...".

لكن إيماء كانت بالفعل متجهة نحوها، وبمجرد أن وصلت إلى الجانب الآخر، سارت مباشرة إلى وزيرة التربية والعلوم ومذلت يدها لتسليم عليها، وهي تقول:

"صباح الخير، سيدة تاتشر، أنا أخت السيد جايلز..".

"والاهم من ذلك، أنت سيدة كليفتون، وأول امرأة تترأس شركة عامة".

ابتسمت إيماء بابتسامة ساحرة.

ثم صرخ رجل عبر نافذة سيارة وهو يعبر من أمامهما: "ما كان يجب أن تمنح النساء حق التصويت!".

لوحظت السيدة تاتشر له، وابتسمت بابتسامة عريضة.

قالت إيماء: "لا أعرف كيف تحملين هذه التعليقات".

قالت تاتشر: "في حالي، هذا أكثر ما أحب فعله، على الرغم من أنني أعترف بأن الديكتاتورية قد تجعل عمل المرأة أسهل قليلاً".

ضحكـت إيمـاء، لكن السـيدة تـاتـشر لم تـبـدـ أيـ ردـةـ فعلـ.

قالـتـ وهيـ تنـظرـ إـلـىـ الطـرـيقـ:ـ "ـبـالـمـنـاسـبـةـ،ـ كـانـ شـقـيقـكـ نـائـبـاـ مـنـ الدـرـجـةـ الـأـوـلـىـ،ـ وـوزـيرـاـ يـحظـىـ

بااحترام كبير في الداخل والخارج، وسنفتقده في مجلس العموم، ولكن لا تقولي له إنني قلت لك ذلك".

قالت إيماء: "لم لا؟".

"لأن ذلك لا يتناسب مع الصورة التي رسمها لي في ذهنه، ولست متأكدة من أنه سيصدق".

"أتمنى لو أستطيع إخباره، فهو في وضع سين نوعاً ما في الوقت الحالي".

"لا تقلقي، سيعود إلى المجلس عاجلاً أم آجلاً، فهذا العمل في دمه، ولكن ماذا بشأنك؟ هل فكرت يوماً في دخول معتنوك السياسة، سيدة كليفتون؟ فلديك كل المهارات للقيام بهذا العمل".

قالت إيماء من دون تردد: "أبداً، أبداً، أبداً، لا أستطيع تحمل ضغوطات هذا العمل".

"لقد تعاملت مع محاكمةك الأخيرة بصبر بما فيه الكفاية، وأعتقد أنك تحسنين التعامل مع الضغوطات التي تتعلق بمواجهة زملائك المدراء".

قالت إيماء: "هذا نوع مختلف من الضغط، وعلى أي حال..".

قال رجل يبدو عليه التوتر: "أنا آسف لمقاطعتكم، ولكن يبدو أن المرشح يواجه بعض المتاعب، سيدتي الوزيرة".

نظرت السيدة تاتشر إلى امرأة عجوز تضرب ياصبعها مرشح حزب المحافظين.

"هذه ليست بمتاعب، ربما تتذكر تلك السيدة تعرض هذا الشارع للقصف من قبل الألمان، وهذا ما أسميه حقاً بالمتاعب".

ثم نظرت إلى إيماء، وقالت: "سوف أتركك الان، سيدة كليفتون، ولكنني أمل في أن نلتقي مرة أخرى

في ظروف أكثر هدوء".

قال الرجل: "سيدتي..".

قالت السيدة تاتشر: "نعم نعم أنا قادمة، وإذا كان لا يستطيع التعامل مع سيدة عجوز من دون أن أضطر إلى إمساك يديه، فكيف سيتعامل مع المعارضة القوية في مجلس العموم؟".

ثم ابتعدت عنها.

ابتسمت إيماء، ثم انضمت مجدداً إلى شقيقها، الذي كان يخبر رجلاً عسكرياً بالقصة التي جعلته لا يخوض الانتخابات الفرعية.

سألها جايلز بمجرد أن أنهى حديثه: "إذا ما رأيك فيها؟".

قالت إيماء: "إنها رائعة، رائعة جداً".

قال جايلز: "أوافقك في الرأي، ولكن لا تخبريها أبداً بأنني قلت ذلك".

تلقي جايلز مكالمة هاتفية في وقت لم يكن يتوقعه، فأشعّل الضوء بجانب سريره، وعرف أن الساعة لا تزال الخامسة صباحاً، فتساءل عمن يمكن أن يتصل به في ذلك الوقت المبكر.

"آسف للاتصال في هذا الوقت يا جايلز، لكن هذه المكالمة لا يمكنني إجراؤها من مكتبي".

قال جايلز الذي استيقظ لتوه: "أنا أتفهم ذلك".

قال والتر: "إذا كان في إمكانك أن تكون في برلين في الثاني والعشرين من أيار، فقد أتمكن من توصيل شحنتك".

"إنها أخبار سارة".

"لكن الرحلة تتخللها مخاطر كبيرة، لأن الأمر سيطلب القليل من الحظ وشجاعة امرأتين شابتين

على وجه الخصوص".

نهض جايلز من فراشه، وجلس على حافة السرير، وهو يستمع بعناية إلى ما يطلبه وزير خارجية ألمانيا الغربية منه، وما إن انتهى والتر من الكلام، حتى تلاشى الظلام في الخارج.

اتصل جايلز بالرقم مرة أخرى، على أمل أن يرد على اتصاله، وما إن رفع سماعة الهاتف، حتى قال على الفور:

"صباح الخير، يا جون".

قال بينغلي الذي تعزف إلى الصوت مباشرةً: "صباح الخير سيد جايلز".

تساءل جايلز عن الوقت الذي سيستغرق التوقف عن مناداته سيد.

"جون، قبل أن أتواصل مع القسم المعنى في وزارة الداخلية، أحتاج إلى معرفة ما إذا كانت كارين قد تقدمت إلى طلب للحصول على جواز سفر بريطاني".

قال بينغلي: "نعم، أو على الأقل فعلت ذلك نيابة عنها عندما كانت تفكّر في الذهاب إلى أكسفورد".

"لا تقل لي إنه مفقود في مكان ما في برلين الشرقية".

"لا، لقد أحضرته من بيتي فرنس بنفسه، و كنت أنوي إعادته معي عند عودتي إلى ألمانيا الشرقية، ولكن بالطبع لم أفعل ذلك مطلقاً، وكان ذلك قبل بضع سنوات ولا أعرف مكانه الان، وحتى لو تمكنت من إيجاده، فمن المحتمل أنه منتهي الصلاحية".

"إذا تمكنت من العثور عليه يا جون، فمن الممكن أن ترى ابتك في وقت أقرب بكثير مما كنت

على الرغم من أن جريف هاسكينز دعا جايلز لحضور عد الأصوات، إلا أنه لم يستطع تلبية دعوته، لأنه كان مرهقاً، بعد أن جال في الشوارع برفقة المرشح على مدار الأسابيع الأربعة الماضية، كما حضر اجتماعات عامة لا حصر لها، وقام بتوزيع منشورات عشية الاقتراع، وعند الساعة العاشرة صباح يوم الخميس في 20 أيار، صافح جايلز بوب فيلدينغ وتمنى له التوفيق، ثم عاد مباشرة إلى منزله، وفور وصوله سكب كأساً كبيرة من الشراب، وبعد ذلك أخذ حماماً دافئاً، ثم غط في نوم عميق، وخلال دقائق من استلقائه على السرير، استيقظ بعد السادسة بقليل، فكانت أطول فترة نوم حصل عليها خلال هذا الشهر. نهض من فراشه ودخل الحمام، ومسح وجهه بمنشفة مبللة، ثم ارتدى ثيابه وانتعل حذاءه، ونزل إلى الطابق السفلي، فسار كلب لبرادرور أسود باتجاهه في غرفة الجلوس، وببدأ يهز بذيله ظناً منه أن الوقت قد حان لنزهته الصباحية، إذ لا سبب آخر يمكن أن يدفع سيده للاستيقاظ مبكزاً جداً.

أمره جايلز بالجلوس، فجلس الكلب بجانبه بالفعل، وذيله يلامس السجادة.

أدار جايلز الراديو، وهو يجلس على كرسي مريح لل الاستماع إلى أخبار الصباح، فعلم بأن رئيس الوزراء البريطاني في باريس يجري محادثات مع الرئيس الفرنسي حول إمكان انضمام بريطانيا إلى السوق الأوروبية المشتركة، في العادة، كان جايلز هو أول من يعترف بالأهمية التاريخية لمثل هذا الاجتماع، ولكن ليس في هذه اللحظة بالذات، لأن كل ما أراد

معرفته هو نتيجة انتخابات بريستول دوكلاندز الفرعية.

"تناول السيد هييت العشاء مع الرئيس بومبيدو في قصر الإليزيه الليلة الماضية، وعلى الرغم من عدم إصدار بيان رسمي، فمن الواضح أن الجنرال ديغول لم يعد ذات قوة سياسية كبيرة الان، وأخيراً سيؤخذ طلب بريطانيا الانضمام إلى السوق الأوروبية المشتركة على محمل الجد".

قال جاييلز وكان مذيع الأخبار يستطيع سماعه: "انتقل إلى الخبر الذي يليه".

"نكسة أخرى للمحافظين الذين خسروا الانتخابات الفرعية في بريستول دوكلاندز الليلة الماضية أمام حزب العمال، بعد أن أصبح المقعد شاغراً بعد وفاة الراند أليكس فيشر، عضو حزب المحافظين، وننضم الان إلى مراسلنا في بريستول، للاطلاع على آخر المستجدات".

"في الساعات الأولى من صباح هذا اليوم، أعلن فوز بوب فيلدينغ مرشح حزب العمال في الانتخابات الفرعية في بريستول دوكلاندز بأغلبية الأصوات، وهو يمثل انتقالاً بنسبة 11 في المئة من حزب المحافظين إلى حزب العمال".

قفز جاييلز في الهواء، فتوقف الكلب عن هز ذيله. "وعلى الرغم من أن الإقبال كان منخفضاً، إلا أنه كان نمراً مدوياً للسيد فيلدينغ الذي يبلغ الثانية والثلاثين من عمره، وهو أصغر الأعضاء في المجلس، وهذا ما قاله بعد إعلان النتيجة: 'أود أولاً أنأشكر مشرف الانتخابات، وموظفيه على عملهم الرائع.." .

ثم بدأ الهاتف يرن إلى جانبه، فبدأ بالشتت، وأوقف تشغيل الراديو، والتقط الهاتف مفترضاً أنه يجب أن

يكون المتصل جريف هاسكينز لأنه يعلم أنه لم يتم
الليلة الماضية.

"صباح الخير جايلز، أنا والتر شيل...".

لم يستطع جايلز أن يغط في نوم عميق في الليلة التي سبقت سفره إلى برلين، فقد استيقظ قبل شروق الشمس بوقت طويل، ولم يكلف نفسه عناء تناول الإفطار، ثم استقل سيارة أجرة من منزله في سميث سكوير إلى مطار هيثرو قبل ساعات من موعد إقلاع رحلته.

كانت الرحلات الأولى في الصباح هي الوحيدة التي تضمن إقلاعها في الوقت المحدد تقريباً.

التقط نسخة من صحيفة الغارديان في صالة الدرجة الأولى، ولكنه لم يقلب الصفحة الأولى، وهو يشرب فنجان من القهوة السوداء، ويراجع خطة والتر مرازا وتكرازا، والتي كانت نقطة ضعفها الأساسية، وصفها بأنها مخاطرة ضرورية.

كان جايلز من أول من استقل الطائرة، وعلى الرغم من إقلاعها في الوقت المحدد، ظل يتفحص ساعته كل بضع دقائق طوال الرحلة، فهبطت الطائرة في برلين عند الساعة 9:45 صباحاً، ولأن جايلز لم يحضر أي أمتعة، فقد كان جالساً في مؤخرة سيارة الأجرة بعد عشرين دقيقة.

قال للسانق: "خذني إلى نقطة تفتيش تشارلي".

نظر إليه السائق نظرة استغراب، ثم انضم إلى حركة المرور الصباحية المتوجهة إلى المدينة، وبعد فترة وجيزة من عبور بوابة براندنبورغ المتداعية، رأى جايلز حافلة المرسيدس البيضاء التي أطلب منه والتر أن يبحث عنها، ونظرًا إلى أنه لم يكن يريد أن يكون أول شخص يصعد إلى الحافلة، فقد طلب من سائق سيارة الأجرة التوقف على بعد بضع مئات من اليارات عن نقطة العبور، ودفع الأجرة للسانق،

وببدأ يتتجول كما لو كان سائحاً، على الرغم من أنه لم يصادف أي موقع جميلة تلفت النظر إليها، باستثناء جدار مغطى بالكتابات، ولم يشق طريقه نحو الحافلة حتى رأى عدة مندوبيين آخرين يستقلونها، فانضم إلى صف الشخصيات الأجنبية البارزة والصحفين والسياسيين الذين حضروا من جميع أنحاء أوروبا لحضور مأدبة غداء رسمية، والاستماع إلى خطاب إريك هونيكر، الأمين العام الجديد لحزب الوحدة الاشتراكي، وهو لا يزال يتساءل عما إذا كان يمكن منفعة مرة أخرى من عبور الحدود، مما يترك أمامه خيالاً واحداً، وهو العودة في الرحلة التالية إلى مطار هيثرو، ولكن والتز أكّد له أنه بصفته يمثل حزب العمال البريطاني وزيراً سابقاً، فإنه سيحظى بترحيب كبير من قبل مضييفيه، وقد أوضح له أن نظام ألمانيا الشرقية لم يكن قادرًا على البدء بأي حوار بناء مع حكومة المحافظين الحالية، وكان يتطلع إلى تشكيل بعض التحالفات الجديرة بمساعدة حزب العمال، خاصة بعد أن بدا أنه من المحتمل أن يعودوا إلى السلطة قريباً.

عندما وصل جاييلز إلى مقدمة صف الانتظار، سلم جواز سفره إلى الضابط الذي بدوره نظر إليه نظرة خاطفة قبل أن يسمح له بالصعود إلى الحافلة، وبذلك تم اجتياز أول عقبة، بينما كان جاييلز يسير في الممر، رأى امرأة شابة تجلس بمفردها في الخلف وتنتظر من النافذة.

قال لها: "مرحباً".

نظرت إلى الأعلى وابتسمت له.
لم يكن يعرف اسمها، وربما كان من الأفضل لا يعرف ذلك، وكل ما كان يعرفه عنها أنها تتحدث الإنكليزية بطلاقة، وكانت مهنتها الترجمة، وهي في

عمر كارين، وترتدي زيًا مطابقًا لها، إلا أن شيئاً واحداً لم يوضحه له والتر، لماذا كانت مستعدة لمواجهة مثل هذه المخاطرة؟

نظر جايلز إلى زملائه المندوبين، فلم يتعرف إلى أي واحد منهم، وكان سعيداً لأنَّه لم يظهر أي شخص منهم أدنى اهتمام به، فجلس قرب الشابة، ووضع يده في جيبيه الداخلي، وأخرج جواز سفر كارين الذي فقد جزء منه، وسيبقى في محفظته حتى رحلة العودة، ثم انحنى إلى الأمام ليخفى ما ستقوم به، وتتمكن من الغراء من حقيبة يدها، فأنجزت مهمتها خلال دقيقتين، وكان من الواضح أنها تمَّنَت على القيام بها عدة مرات، وما إن وضعت جواز السفر في حقيبة يدها، حتى ألقى جايلز نظرة فاحصة عليها، وهي تجلس إلى جانبه، فاستطاع أن يرى على الفور سبب اختيار والتر لها، فقد كانت في عمر كارين نفسه، ولديها بنيتها نفسها، وقد تكون أكبر منها بستين وتزيد عنها ببضعة أرطال، ولكن الطول نفسه تقريرًا، ولها لون عينيها الداكن، والشعر البني الذي سرَّحته ليبدو كتسريحة شعر كارين.

تفقد جايلز ساعة يده مرة أخرى، فوجد أنه قد حان وقت المغادرة تقريرًا، وبعد أن أحصى السائق عدد الأشخاص لاحظ أنَّ شخصين لم يصلا بعد، فقال: "سأمنحهما خمس دقائق أخرى".

بينما كان جايلز يحذق من النافذة رأى شخصين يركضان نحو الحافلة، فتعرَّف إلى أحدهما على الفور إنه وزير إيطالي سابق، رغم أنه لم يستطع تذكر اسمه، مع أنه قد حضر الكثير من الوزراء الإيطاليين السابقين.

قال الرجل وهو يصعد إلى الحافلة: "اسف على

التأخير".

وما إن جلس الشخصان المتأخران حتى أغلقت الأبواب بسلامة، وانطلقت الحافلة باتجاه المعبر الحدودي، فتوقف السائق أمام حاجز مخطط باللونين الأحمر والأبيض، وانفتح باب الحافلة للسماح لرجلين من الشرطة العسكرية الأمريكية بالصعود على متنها، وتفحص كل جواز سفر بعناية، للتأكد من أن التأشيرات المؤقتة سليمة.

وبمجرد الانتهاء من مهمتهما، قال أحدهما ببرود: "أتمنى لكم يوماً سعيداً".

استمرت الحافلة تسير ببطء شديد، وما إن تقدمت ثلاثة ياردة أخرى باتجاه حدود ألمانيا الشرقية حتى توقفت مرة أخرى، فصعد ثلاثة ضباط يرتدون الذي الرسمي الأخضر، وينتعلون أحذية جلدية تصل إلى ركبهم وقبعات عالية، ولم يبتسموا ولا حتى ابتسامة واحدة.

لقد استغرقوا وقتاً أطول وهم يفحصون كل جواز سفر، ويتأكدون من تاريخ كل تأشيرة، وأنها مختومة بشكل صحيح، قبل أن يضع أحدهم علامة على الاسم وينتقل إلى الراكب التالي.

لم يظهر جاييلز أي تعبير على وجهه عندما طلب أحد الضباط رؤية جواز سفره وتأشيرته، ففحص الضابط الوثيقة بعناية، ثم وضع علامة باسم بارينغتون، واستغرق وقتاً أطول وهو يفحص جواز سفر كارين، ثم سألاها بضعة أسئلة، ونظرًا إلى أن جاييلز لم يستطع فهم الكلمة مما قاله الحراس، فقد أصبح قلقاً مع مرور الوقت، حتى تم وضع علامة بجوار اسم كارين بينغلي أخيراً، ولم يقل جاييلز الكلمة حتى ترجل الضابط الثلاثة من الحافلة، وأغلق الباب خلفهم، وعبرت الحافلة خطأ أصفر عريضاً

يشير إلى أنهم عبروا الحدود.

قال السائق: "أهلاً بكم في برلين الشرقية".

نظر جايلز إلى الأبراج الحجرية العالية التي يحرسها حراس مسلحون، يحدقون إلى الجدار الخرساني المتوج بأسلاك شائكة، فشعر بالأسف لسجن سكانها خلفه.

قال جايلز: "ماذا سألك الضابط؟".

"أراد أن يعرف أين أقيم في إنكلترا".
"وأين قلت له؟".
"بارسون غرين":

قال جايلز: "لماذا بارسون غرين بالتحديد؟".

"لأنه المكان الذي كنت أقيم فيه عندما كنت أدرس اللغة الإنجليزية في جامعة لندن، ولا بد أنه ظنَّ أنني عشيقتك، لأن اسم زوجتك لا يزال على جواز سفرك، ولحسن الحظ أن أكون عشيقه شخص ما لا يعُد جريمة في ألمانيا الشرقية حتى الآن".

قال جايلز: "ومن الذي سيأخذ عشيقته إلى برلين الشرقية؟".

"الشخص الذي يحاول إخراج أحدهم فقط".

تردد جايلز قبل أن يسأل سؤاله التالي، ثم قال:
"هل نراجع تفاصيل الخطة فور وصولنا إلى الفندق؟".

قالت له: "لن يكون ذلك ضروريًا، فقد التقى كارين قبل بضعة أيام، عندما كان الوزير يجري محادثات ثنائية مع نظيره، لذلك كل ما عليك فعله هو البقاء في مقعدك في أثناء الغداء، والظهور أمام الجميع بأنك تستمتع بتناول وجبة الطعام، والاستمرار بالتحقيق في أثناء إلقاء الأمين العام كلمته، ودعنا نقوم بالباقي".

قال جايلز: "ولكن.." .

قالت بصوت حازم: "من دون ولكن، فمن الأفضل
الاتعرف أي شيء آخر".

كان جايلز يود أن يسألها عما تعرفه عن كارين،
ولكنه ظنَّ أن ذلك ربما يكون محرماً أيضاً، على
الرغم من أنه لا يزال يشعر بالفضول حول أسباب
مجازفتها بحياتها.

همس إليها جايلز: "لا أستطيع أن أجبر لك عن مدى
تقديرني لما تفعلينه من أجلني ومن أجل كارين".

قالت بنبرة فاترة: "أنا لا أفعل ذلك من أجل أي
منكمَا، بل أفعل ذلك من أجل والدي، الذي أطلق
عليه الرصاص، وهو يحاول التسلق فوق ذلك
الجدار بعد ثلاثة أيام من بنائه".

قال جايلز: "أنا آسف للغاية".

وأضاف وهو ينظر إلى الجدار الخرساني الرمادي:
"دعينا نأمل أن يزيلوه يوماً ما".

قالت بنبرتها الفاترة نفسها: "لن يحصل ذلك خلال
حياتي على الأقل".

في النهاية توقفاً خارج فندق أدلون، ولكن لم
يسمح لهما بالنزول إلا بعد مرور بعض الوقت،
وعندما فتحت الأبواب استقبلهم عدد من رجال
الشرطة الذين يرتدون الذي الرسمي وبرفقتهم
كلاب الحراسة، وقد ظلَّ المندوبون مع بعضهم
حتى وصلوا إلى قاعة الطعام، فتفرقوا للعثور
على أماكن جلوسهم، وقد تفقد جايلز مخطط
الجلوس المعروض على لوح إلى جانب أحد الأبواب
المزدوجة، فوجد أن رقم طاولته ومترجمته 43،
وهي تقع بالقرب من الجزء الخلفي من الصالة،
حيث لن يجذبها الانتباه، كما أكد له والتر، وما إن

عثرا على مكانيهما حتى جلسا، وقد حاول جاهذا معرفة اسمها ومهنتها، ولكنها لم تفصح عن شيء، فكان من الواضح أن هويتها يجب أن تظل سرية، لذلك استسلم وببدأ بالحديث عن لندن والمسرح، وهو ما استجابث له بحماسة، وفجأة وقف العديد من الأشخاص في الغرفة وبدأوا يصفقون، وقد صفق بعضهم بقوه أكبر من الآخرين.

وقف جاييلز ليرى الرفيق هونيكر وهو يدخل الصالة بشخصيته الهزيلة، وهو محاط بعشرات الحراس الشخصيين الذين تحلقوا حوله لدرجة أنه بالكاد كان مرئيا، فشارکهم في التصفيق لأنه لم يرغب في لفت الأنظار إليه، ومشى الأمين العام نحو الطاولة العلوية، وبينما كان يصعد الدرجات القليلة إلى المنصة، لاحظ جاييلز والتر وهو يصفق بحماسة مثله، فكان وزير خارجية ألمانيا الغربية جالسا على بعد طاولتين فقط من الأمين العام، ولم يكن من الصعب عليه أن يدرك أن الرجل الذي إلى جانبه نظير والتر الروسي، لأنه كان يصفق بحماسة أكثر من أي شخص آخر، وعندما جلس أخيزا كل من في الصالة، رأى جاييلز كارين للمرة الأولى، وهي تجلس خلف وزير الخارجية، وتذكرة على الفور سبب ولعه بها، وفي أثناء تناول وجبة الطعام، لم يستطع جاييلز التوقف عن التحديق إليها، ولكنها لم تبادله النظرات ولو لمرة واحدة، وكانت الوجبة المكونة من ثلاثة أطباق كبيرة غير صالحة للأكل، وهي عبارة عن حساء نبات القراص واللحم البقرى المسلوق والملفوف المبلل بالماء ولوح من الكعك القاسي المفطى بالكاسترد، والذي كان سيمتنع عن تناوله أي تلميذ مدرسة يهتم بأنواع الأطعمة التي يتناولها، ثم بدأت مرافقته بطرح الأسئلة عليه محاولة تشتيت انتباذه عن التحديق المستمر إلى

كارين، فسألته عن المسرحيات الموسيقية التي
تعرض في لندن، ولكنه لم يعرف أي واحدة منها، ثم
سأله عمّا إذا شاهد مسرحية أوه كلكوتا، فأجابها
بالنفي، وعندما سأله عمّا يعرض في متحف تيت،
لم تكن لديه أدنى فكرة عنه، وأخيزا سأله عمّا إذا
كان قد التقى بالأمير تشارلز، فكانت إجابته:
"نعم، مرة واحدة، ولفتره قصيرة".

"من الفتاة المحظوظة التي ستتزوج منه؟".
ليست لديه حبيبة، ولكن لا بد أن تكون فتاة
تواافق عليها الملكة".

وأصلا الدردشة، ولكنها لم تذكر اسم كارين أو
تخبره كيف التقى، وأخيزا بدأ الثدل بجمع أطباق
الحلوى عن الطاولات، فكان لا يزال هناك ما يكفي
لإطعام خمسة آلاف شخص، ثم نهض الرئيس،
عمدة برلين الشرقية، على مهل من مكانه، ونقر على
ميكروفونه عدة مرات، ولم يبدأ بالكلام حتى ساد
الصمت التام، ثم أعلن بثلاث لغات أنه سيكون هناك
استراحة لمدة عشر دقائق قبل إلقاء الأمين العام
لحزب الوحدة الاشتراكي خطبته.
فهمست إليه الفتاة: "حظا سعيدا".

وغادرت قبل أن تناح له الفرصة لشكرها، فراقبها
وهي تختفي بين الحشد، ولم يكن متأكدا مما
سيحدث بعد ذلك، وما كان عليه إلا أن يتمسك
بجاني كرسيه حتى لا يرتجف، فبدت استراحة
العشر دقائق أبدية.

ثم رأها تمشي بين الطاولات نحوه، وهي ترتدي
البدلة الداكنة نفسها التي ترتديها رفيقته السابقة،
ووشاحا أحمر متطابقا، وتنتعل حذاء أسود عالي
الكعب، وهذا كان التشابه بينهما فقط.

جلست كارين بجانبه، ولكنها لم تنطق بكلمة، فقد أخبرته ذات مرة أن المترجمين لا يجرؤون محادثات جانبية مع من يترجمون لهم، فرغم جاييلز في أن يضفها إلى صدره، وأن يشعر بدفء جسدها ولمستها الرقيقة، وأن يشم عطرها، ولكنها ظلت باردة المشاعر وتتصرف بمهنية كي لا تلتف الانتباه إلى ما يشعر به تجاهها، وبمجرد أن جلس الجميع في أماكنهم وقدم الندل القهوة إليهم، قام الرئيس للمرة الثانية، ولم يكن عليه سوى النقر على الميكروفون مرة واحدة حتى يصمت الجمهور.

"يشرفني بصفتي مضيفا لكم أن أقدم إليكم متحدثنااليوم، أحد أعظم رجال الدولة في العالم...".

عندما جلس الرئيس بعد عشرين دقيقة، لم يستطع جاييلز إلا أن يتتسائل عن المدة التي سيسفرقها خطاب الأمين العام، فبدأ هونيكر بتوجيه الشكر إلى جميع المندوبين الأجانب والصحفيين المتميزين الذين حضروا من مختلف أنحاء العالم لسماع خطابه.

قال جاييلز بصوت منخفض: "ولكن ليس هذا سبب مجئي إلى هنا".

تجاهلت كارين تعليقه، وواصلت ترجمة كلمات الأمين العام، وقالت: "يسعدني أن أرحب بكم جميعا في ألمانيا الشرقية، منارة الحضارة التي تعد معيارا لكل تلك الدول التي تتطلع إلى الاقتداء بنا".

همس إليها جاييلز: "أريد أن أمسك".

قالت كارين: "أنا فخور بأن أعلن أننا في ألمانيا الشرقية لا نعاني من انتشار البطالة".

وبيّنما كان ينتظر انتهاء التصديق، قلب الأمين العام صفحة أخرى من خطابه الطويل.

قال جايلز: "أريد أن أخبرك بأشياء كثيرة، ولكنني
أدرك أنه سيعين على الانتظار".

"وعلى وجه الخصوص، يعذ برنامج الزراعة
الخاص بنا مثالاً لكيفية استخدام الأرض من أجل
إفادة من هم في أمس الحاجة إليها".

همست إليه كارين قائلة: "توقف عن التحديق إلى،
سيد جايلز، وركّز على كلمات القائد".

ركّز جايلز انتباهه على هونيكر وحاول أن يبدو
مهتفاً بخطابه.

قالت كارين: "مستشفياتنا يحسدنا الغرب عليها،
وأطباؤنا وممرضاتنا هم الأكثر كفاءة في العالم، أما
صناعة البناء، والعمل الملهم الذي يقوم به مهندسونا
 فهو يحتل المرتبة الأولى من بناء منازل جديدة
ومصانع وجسور وطرق.." .

قال جايلز "ناهيك عن بناء الجدران".

قالت كارين: "كن حذراً، سيد جايلز، يجب أن
تفترض أن كل شخص آخر في هذه الغرفة قد يكون
جاسوساً".

كان يعلم أن كارين محققة، وأن عليه أن يستمر
بالتظاهر بالاهتمام بخطاب الرئيس حتى يعبر
الحدود ويشعرها بحرية الغرب.

"لقد تم تبني الرؤية الشيوعية من قبل ملايين
الرفاق في جميع أنحاء العالم في كوبا والأرجنتين
وفرنسا وحتى في بريطانيا العظمى، حيث تضاعفت
عضوية الحزب الشيوعي العام الماضي فيها".

شارك جايلز الجماهير في التصديق، على الرغم من
علمه أن عضوية الحزب الشيوعي قد انخفضت إلى
النصف. في بريطانيا.

عندما لم يعد قادرًا على تحمل سماع الخطاب

الممل، استدار وألقى نظرة على كارين التي بادلته نظرة قاسية، مما جعله يصبر لمدة خمس عشرة دقيقة أخرى.

"قوتنا العسكرية التي تدعمها روسيا الأم، لا مثيل لها، وهذا ما يتتيح لنا مواجهة أي تحذّ.".

كان جاييلز على وشك أن ينفجر من الضيق والاستياء، فإلى أي مدى يمكن أن تستمر هذه المهلة، وكم من الأشخاص الموجودين يصدق هذا الكلام الهراء؟ مرت ساعة ونصف قبل أن يجلس هونيكر أخيراً، وبعد أن ألقى خطابه بدا لجاييلز أنه أشبه بأحد ملاحم ريتشارد فاغنر الموسيقية، ولكن من دون أي موسيقى، وما لم يكن جاييلز مستعداً له هو التصفيق الحار لمدة خمس عشرة دقيقة أعقبت خطاب هونيكر، وقد استمر بالتصفيق بفضل العديد من أعضاء الحزب الشيوعي والأتباع الآخرين الذين ربما استمتعوا بالطعام الرديء الذي تم تقديمها.

أخيراً غادر الأمين العام المنصة، ولكن ليس قبل أن يقف مرازاً وتكرزاً ليصافح المندوبين المتحمسين الذين استمروا بالتصفيق حتى بعد مغادرته القاعة.

قال الوزير الإيطالي السابق الذي ما زال جاييلز لا يتذكر اسمه: "يا له من خطاب رائع!".

قال جاييلز مبتسمًا لكارين التي عبست في وجهه مرة أخرى: "حسناً، هذا رأيك وأنا أحترمه".

أدرك جاييلز أن الرجل الإيطالي كان ينظر إليه عن كتب، لذلك أضاف قائلًا: "إنه إنجاز رائع في الخطابة، ولكنني سأحتاج إلى قراءة النص بعناية للتأكد من أنني لم أفوّت أي نقاط رئيسية".

تم تزويد جاييلز بنسخة من خطاب هونيكر على الفور، مما ذكره بضرورة أن يكون حذراً في كلامه.

بدا الرجل الإيطالي مقتنعاً بكلام جايلز، ثم تشتت انتباهه عندما سار مندوب آخر نحوه وعانقه قائلًا: "كيف حالك، جيان لوسيو؟".

همس إليها جايلز: "إذا ماذا سيحصل الآن؟".

"ننتظر حتى اصطحابنا إلى الحافلة، ولكن من المهم أن تستمرة بالظهور بأنك منبهر بالخطاب، لذا يرجى منك الاستمرار ب مدح مضيفيك".

ابتعد جايلز عن كارين، وبدأ بمصافحة العديد من السياسيين الأوروبيين الذين كان جريف هاسكينز سيرفض مشاركتهم في احتساء المشروب حتى، ولم يصدق جايلز ما حصل بعد ذلك، فقد أطلق شخص ما صافرة لجذب انتباه المندوبيين الأجانب، ثم تم تجميدهم ومرافقتهم إلى الحافلة مثل أطفال المدارس المشاغبين، وبعدما أصبح جميع الركاب البالغ عددهم 32 راكباً في الحافلة انطلقت برحلتها البطيئة إلى الحدود، وقد رافقتها أربع دراجات نارية تابعة للشرطة.

كان جايلز على وشك أن يمسك بيده كارين، عندما سمع صوتاً من خلفه يقول: "إنه السيد جايلز باريونغتون، أليس كذلك؟".

نظر جايلز خلفه ليرى وجهها مألوفاً، رغم أنه لم يستطع تذكر الاسم.
"أنا كيت بروكس".

قال جايلز: "آه نعم، من صحيفة التليغراف، سعيد لرؤيتك مرة أخرى، كيت".

قال كيت: "بما أنك تمثل حزب العمال، سيد جايلز، فهل يمكنني أن أفترض أنك ما زلت تأمل في العودة إلى الحياة السياسية؟".

أجاب جايلز الذي لم يرحب في إجراء محادثة

مطولة مع أحد الصحفيين: "إنني لا أزال على تواصل مع الحزب".

قال بروكس: "أنا أسف لأنك لم تشارك في الانتخابات الفرعية، على الرغم من أن فيلدينغ يبدو مؤهلاً بما يكفي لممارسة العمل السياسي، ولكنني سأفتقد وجودك في مقاعد كبار المسؤولين في البرلمان".

"لم يكن هناك الكثير من الدلائل على إعجابك بي عندما كنت في مجلس العموم".

"هذه ليست سياسة صحيفتنا، كما تعلم جيداً، ولكن لديك معجبين كثيرون في قسم الأخبار، ومن ضمنهم بيل ديدس، وأستطيع أن أخبرك بأننا جميعاً نجد أن مجموعة وزراء الظل الحالية مملة جداً".

"من المأثور قول ذلك عن كل جيل جديد من السياسيين".

"ومع ذلك، إذا قررت العودة، اتصل بي".

ثم أعطى جاييلز بطاقة في محفظته، وأضاف قبل العودة إلى مكانه: "قد يفاجئك موقفنا من عودتك إلى السياسة".

قالت كارين: "لقد بدا لطيفاً".

قال جاييلز وهو يضع البطاقة في محفظته: "لا يمكنك أن تشقى في صحيفة التليغراف المؤيدة للمحافظين".

قالت كارين: "هل تفكّر في العودة إلى العمل السياسي؟".

"لن يكون الأمر بهذه السهولة".

قالت كارين، وهي تمسك بيده بينما توقفت الحافلة عند الحاجز: "هل حصل ذلك بسببي؟".

كان سيجيبها، ولكن الباب قد انفتح ما سمح

بهبوب عاصفة من الهواء البارد.

صعد ثلاثة ضباط يرتدون الذي الرسمي على متن الحافلة مرة أخرى.

شعر جايلز بالارتياح لمعرفة أن ضباط الدوام الصباحي قد تغيروا، وعندما بدأوا بفحص كل جواز سفر وتأشيرته ببطء ودقة، تذكر جايلز فجأة شيئاً مهماً، ففتح محفظته، وأخرج صورة كارين الصغيرة، وأعطتها إياها بسرعة، فشتمت بصوت منخفض، وتناولت جواز سفرها من حقيبتها، وبدأت بتقشير الصورة التي ألصقت في الصباح بعناية باستخدام مبرد الأظافر، وهمست إلى جايلز، وهي تستخدمن أنبوب الغراء الصغير لتشويه صورتها في مكانها: "كيف أمكنني نسيان ذلك؟".

قال جايلز وهو يحدق إلى الممر لمراقبة تقدم الضباط: "هذا خطئي أنا، لكن شاكرين فقط لأننا لم نجلس في مقدمة الحافلة".

كان الضباط لا يزالون على بعد صفين منهم، بينما كانت كارين تنجذب عملية تغيير الصورة، وعندما استدار جايلز رأى أنها ترتجف، فامسك بيدها بقوة، ولحسن الحظ، استغرق الحراس وقتاً أطول بكثير للتحقق من كل اسم، لأنه على الرغم من مزاعم هونيكر فقد أثبتت الجدار أن الأشخاص الذين يريدون الخروج من ألمانيا الشرقية أكثر من الذين يريدون الدخول إليها.

عندما ظهر ضابط شاب إلى جانبهما، سلمه جايلز جواز سفره بلا مبالاة، وبعد أن قلب الحراس بضع صفحات وفحص تأشيرة الرجل الإنكليزي، أعاده إليه بعد أن وضع إشارة إلى جانب اسم جايلز، فلم يكن الأمر مخيّفاً كما توقع، وعندما فتح الحراس جواز سفر كارين، لاحظ جايلز أن صورتها كانت

مائلة قليلاً، فأخذ الشاب وقته في دراسة التفاصيل وتاريخ الميلاد وقائمة الأقارب، وقد أمل جايلز في إلا يسألها عن مكان إقامتها في إنكلترا، ومع ذلك، عندما بدأ الشاب باستجوابها بالفعل، سرعان ما اتضح من نبرة صوته أنه غير مقتنع بإجاباتها، فلم يعرف جايلز ما عليه أن يفعله، لأن أي محاولة تدخل ستلفت الانتباه أكثر إليهما.

أمر الحراس كارين بالنهوض من مكانها، وكان جايلز على وشك الاعتراض، عندما قفز بروكس من ورائهم وبدأ بالتقاط الصور للضابط الشاب، فتقدّم الضابطان الآخران على الفور للانضمام إلى زميلهما، وأمسك أحدهم بالكاميرا ومرق الفيلم، بينما سحب الآخران بروكس من الحافلة بشكل همجي.

قالت كارين، التي كانت ترتجف: "لقد فعل ذلك عن قصد، ولكن لماذا؟".

"لأنه اكتشف هوبيتك".

سالت كارين، وقد بدت قلقة: "ما الذي سيحدث له؟".

"سيقضى الليلة في السجن ثم يتم ترحيله إلى إنكلترا، ولن يسمح له بالعودة إلى ألمانيا الشرقية أبداً، ولكنه ليس بالعقوب الكبير، وكل ذلك من أجل الحصول على تقرير حصري لصحيفته".

ادرك جايلز أن كل من في الحافلة ينظرون الآن باتجاههما، بينما كانوا يحاولون معرفة ما حدث للتو، أشار جيان لوسيو إلى جايلز لكي ينضم وكارين إليه في مقدمة الحافلة.

قال لها جايلز: "اتبعيني".

جلسا على المقعددين الفارغين بجانب جيان لوسيو، وكان جايلز يشرح للوزير السابق ما حدث،

عندما جاء اثنان من الضباط، ولكن لم يكن الضابط الذي استجوب كارين واحداً منها، والذي ربما كان عليه أن يشرح للسلطة العليا سبب قيامه بسحب صحفي غربي من الحافلة، فانتقل الضابطان إلى الجزء الخلفي من الحافلة، وفحصا بسرعة جوازات السفر والتأشيرات المتبقية، فلابد أن شخصاً ما أوضح لهما أن بلادهم لا تحتاج إلى وقوع مشكلة دبلوماسية في اليوم الذي ألقى فيه القائد الأعلى خطابه.

واصل جايزل الدردشة مع جيان لوسيو كما لو كانا صديقين قد يملا each other's silence بينما قام أحد الضباط بإحصاء عدد الركاب، ثم وقف متتصباً وألقى التحية، ونزل هو وزملاؤه من الحافلة، وعندما أغلق الباب خلفهما، بدأ الركاب بالتصفيق بعفوية لأول مرة في ذلك اليوم، ثم مشت الحافلة بضع منات من اليازادات عبر مساحة من الأرض القاحلة التي لم تطالب أي من الدولتين بملكيتها، وبعد ذلك توقفت في القطاع الأميركي، فكانت كارين لا تزال ترتجف عندما صعد رقيب من مشاة البحرية الأمريكية إلى الحافلة.
قال كما لو أنه يعني كلماته: "مرحباً بعودتك".

قالت كارين: "هل هذا ما يعنيه السياسيون في الشرق، عندما يصفون الغرب بأنه فاسد؟".

قال جايلز وهو يسكب لكارين كأسا آخر من الشمبانيا: "فاسد؟".

"أقصد البقاء في غرفتك في الفندق حتى الساعة الحادية عشرة صباحا، وطلب الفطور في السرير".

قال جايلز: "بالتأكيد لا، إذا كانت الساعة الحادية عشرة، فلم يعد فطوزا، بلوجبة فطور وغداء في الوقت نفسه، وبالتالي فهو أمر مقبول تماماً".

ضحك كارين وهي تحتسي الشمبانيا، ثم قالت: "أنا فقط لا أصدق أنني هربت، وسيتم التنام شملي أخيرا مع والدي، متى موعد رحلتنا؟".
الثالثة والثلث".

قالت كارين، وقد سقط ثوبها على الأرض: "إذا لدينا ما يكفي من الوقت".

آخر مرة استقبل المصورون والصحفيون وكاميرات التلفزيون جايلز عند عودته إلى إنكلترا كانت عندما بدا وكأنه الزعيم القادم لحزب العمال، وبينما كان وكارين ينزلان درجات الطائرة، وضع ذراعه حول كتفيها وقادها برفق بين حشود الصحفيين.

صرخ أحد الصحفيين بينما كانت الكاميرات تومض حولهما: "كارين! كارين! ما شعورك بعد الهروب من ألمانيا الشرقية؟".

قال لها جايلز بنبرة حازمة: "لا تجيبي على أسئلتهم".

قال لها آخر: "هل تقدم السيد جايلز إلى خطبتك يا آنسة بينغلي؟".

"هل سترشح للانتخابات في المرحلة المقبلة، سيد جايلز؟".

"هل أنت حامل يا كارين؟".

بدت كارين مرتبكة، فحدقت إلى الصحفي، وقالت له: "لا، أنا لست كذلك!".

همس إليها جايلز: "هل أنت متأكدة من ذلك بعد الذي حدث الليلة الماضية؟".

ابتسمت كارين، وكانت على وشك تقبيله على خده عندما استدار نحوها فتلامست شفاههما للحظة وجيبة، وتلك كانت الصورة التي تصدرت معظم الصفحات الأولى للصحف، وقد اكتشفا ذلك في أثناء تناولهما الفطور في صباح اليوم التالي.

قالت كارين وهي تقرأ صحيفة التليغراف: "لقد كان كيث بروكس صادقاً في كلامه".

"أوافقك في الرأي، فقد كان صادقاً بشكل يثير الإعجاب، وحتى المقال الرئيسي كان رائعاً".

قالت كارين: "المقال الرئيسي؟".

"إنه عبارة عن مقال يعبر عن رأي رئيس التحرير في إحدى القضايا الرائدة".

"آه، لم يكن لدينا شيء كهذا في الجانب الذي نعيش فيه من الجدار، بل كانت جميع الصحف تنشر المقال نفسه الذي يكتبه الناطق باسم الحزب، ويطبعه المحرر الذي لا خيار لديه سوى تحريره وإلا سيخسر وظيفته".

قال جايلز بسخرية: "إن ذلك يسهل حياتكم".

ثم ظهر الخادم ماركهام وهو يحمل رغيفاً من

الخبز المحمص السخن، ووضعه على الطاولة.

سألت كارين بمجرد أن أغلق الخادم الشخصي الباب خلفه: "هل ماركهام فاسد؟".

قال جاييلز: "هو بالتأكيد كذلك، فأنا أعرف كل المعرفة أنه يصوت للمحافظين".

كان جاييلز يقرأ مقال التایمز الرئيسي عندما رأى الهاتف.

عاد ماركهام مجدداً، وقال له، وهو يعطيه الهاتف: "إن المتصل هو السيد هارولد ويلسون، سيدي".

قالت كارين: "هل سيعيدني من حيث أتيت؟".

لم يكن جاييلز واثقاً مما إذا كانت تمازحه.

"صباح الخير يا هارولد".

رد عليه صوت لا لبس في أنه من يوركشاير: "صباح الخير يا جاييلز، كنت أتساءل عما إذا كان في إمكانك إيجاد الوقت للانضمام إلى مجلس العموم اليوم، لأن لدي ما أحتاج إلى مناقشته معك".

قال جاييلز: "ما الوقت الذي يناسبك؟".

"لدي وقت فراغ عند الساعة الحادية عشرة، إذا كان ذلك يناسبك".

"أنا متأكد من أن هذا الوقت يناسبني يا هارولد، ولكن دعني أتحقق من جدول مواعيدي".

وضع جاييلز يده على سماعة الهاتف، وقال: "كارين، متى تتوقعين قدوم والدك؟".

"حوالي الساعة العاشرة، و لكن علي شراء بعض الملابس قبل ذلك".

قال جاييلز: "يمكننا التسوق بعد ظهر اليوم".

ثم رفع يده عن السماعة، وقال: "ساراك في مجلس العموم عند الحادية عشرة يا هارولد".

قالت كارين بمجرد أن أنهى جايلز المكالمة: "وماذا سأرتدي حتى ذلك الحين؟".

سعل الخادم الشخصي وكأن لديه ما يقوله.
قال جايلز: "نعم، ماركهام؟".

قال الخادم: "السيدة كليفتون تترك ملابس لها في غرفة نوم الضيوف، سيدي، للحالات الطارئة".

قال جايلز، وهو يمسك بيده كارين وهو يخرجها من الغرفة: "وهذه الحالة الطارئة بلا شك".

سألته كارين، وهمما يصعدان الدرج إلى الطابق الأول: "ألن تعترض على ذلك؟".

أجابها جايلز: "لا يمكنها الاعتراض على ما لا تعلم به".

"ربما يجب أن تحصل بها؟".

قال جايلز وهو يفتح باب غرفة نوم الضيوف: "لدي شعور بأن إيمان لديها أمور أكثر أهمية من القلق بشأن الملابس التي تركتها في خزانتي".

فتحت كارين خزانة الملابس الكبيرة فلم تجد بذلة واحدة، بل العديد من البدلات والفساتين إلى جانب رف من الأحذية التي لم تزلها مثيلاً من قبل.

قال جايلز: "انضمي إلي في الطابق السفلي ما إن تصبحي جاهزة".

أمضى جايلز الأربعين دقيقة التالية محاولاً إنهاء قراءة الجرائد الصباحية، إلا أن المكالمات الهاتفية من أشخاص يقدمون إليه التهنئة أو يحاولون ترتيب المقابلات معه كانت تقاطعه بشكل منتظم، ولكن قد تسئى له التفكير بالسبب الذي جعل هارولد ويلسون يوذ رؤيته.

قال له ماركهام، وهو يمزّر الهاتف لجايلز: "السيد كليفتون على الخط".

قال جايلز: "هاري، كيف حالك؟".

"أنا بخير، ولكن بعد قراءة الصحف الصباحية، أتصل بك لأطمئن على حالك أنت بعد هروبك من الألمان للمرة الثانية".

ضحك جايلز وأجاب: "أنا بأفضل حال".

"أفترض أن التنمم شملك مع الانسة بينغلي هو سبب سعادتك الكبيرة".

قال جايلز: "لقد حزرت السبب، فكارين بالإضافة إلى كونها جميلة، هي أكثر امرأة مبهجة وطيبة ومداعية للآخرين قابلتها على الإطلاق".

قال هاري: "أليس من المبكر إصدار مثل هذا الحكم القاطع؟".

"لا، هذه المرة كان خياري موفقاً".

"لنأمل أن تكون على حق، وما شعورك حيال وصف الصحافة لك بأنك خليط بين شخصية ريتشارد هاناي ودوغلاس بادر؟".

قال جايلز ضاحكاً: "أرى نفسي أكثر مثل هيتكليف".

"إذا، متى سيسمح لنا بمقابلة هذه الفتاة المتمالية؟".

"سنعود إلى بريستول مساء الجمعة، لذا إذا كنت أنت وإيما متفرغين لتناول الغداء يوم السبت..".

"سيزورنا سيباستيان يوم السبت، وإيما تأمل في التحدث معه حول تولي منصب رئيس مجلس الإدارة، ولكن فرحب بكم للانضمام إلينا".

"لا، أعتقد أن حضورنا لن يكون مناسباً، ولكن لم لا تأتون جميعاً إلى منزلنا لتناول الغداء معاً يوم الأحد؟".

قال هاري: "لا يشكل ذلك ضغطاً كبيراً على

كارين؟".

"عندما تعيش في ظل نظام شيوعي معظم حياتك، فلا أعتقد أنك ستتجد أن تناول الغداء مع عائلة كليفتون يشكل ضغطاً عليك".

"إن كان هذا ما تقوله، فسنراكم يوم الأحد".

قال جايلز بينما كان جرس الباب الأمامي يرن: "اتفقنا، والآن علي إنتهاء المكالمة يا هاري".

وضع الهاتف جانباً، ونظر إلى ساعة يده، وتساءل، هل يمكن أن تكون قد أصبحت الساعة العاشرة الآن؟ وكان في طريقه إلى فتح الباب، إلا أن ماركهام قد سبقه وفتحه.

"صباح الخير سيد بينغلي، السيد جايلز ينتظرك".

قال بينغلي وهو ينحني احتراماً للخادم: "صباح الخير".

قال جايلز وهو يصافحه: "تفضل بالدخول، ماركهام، هل يمكنك تحضير بعض القهوة الطازجة بينما أرافق السيد بينغلي إلى غرفة الجلوس؟".

"بالطبع، سيدي".

"ستحضر كارين بعد قليل، إنها قصة طويلة، ولكنها تحاول اختيار أي ثوب من ملابس اختي عليها أن ترتديه".

ضحك بينغلي، وقال: "تواجده النساء صعوبة كبيرة في اختيار ملابسهن الخاصة، فما بالك في اختيار الملابس التي ليست لهن".

قال جايلز: "هل واجهت صعوبة في العثور على المنزل؟".

"لا، لقد أعطيت العنوان لسائق سيارة الأجرة وهو قادني إليه، فالتجربة كانت غريبة بالنسبة إلي، ولكن المناسبة خاصة".

قال جايلز: "إنها بالتأكيد كذلك، فرصة لقاء ابنته التي كنت تعتقد أنك قد لا تراها مرة أخرى".

"سأكون ممتنًا لك إلى الأبد، سيد جايلز، وكما نشرت صحيفة التليغراف، فقد كان أمرًا بعيد المنال وشديد الصعوبة".

قال جايلز وهما يجلسان على الأريكة: "لقد بالغ بروكس في تصوير الحادث برمته، ولكن لا يمكن أن يلومه أحد بعد الذي مر به".

عاد ماركهام حاملاً صينية عليها فنجاني قهوة وصحن بسكويت، ووضعها بينهما على طاولة غرفة الجلوس.

قال بينغلي وهو ينظر إلى عنوانين صحيفة التليغراف: "لن يكون الرفيق هونيكر سعيداً لأنك صرحت الانتباه عنه بعد أن تسلط الأضواء على قصتك وكاريئن، ولكن لا يعني ذلك أنه ذكر أي شيء جديد في خطابه".

قال جايلز: "لا شيء جديد أبداً".

ثم انفتح الباب وظهرت كاريئن، فركضت نحو والدها الذي نهض من مكانه وضمها إلى صدره، بينما كان جايلز يفكّر ساخراً في أنه لم يلحظ أبداً هذا الفستان الأبيض البسيط الذي كانت ترتديه أخته. استمرّ عناق الأب وابنته طويلاً، ثم أجهش السيد بينغلي بالبكاء.

قال بينغلي: "آسف لأنني أبدو مغفلًا، ولكنني كنت أتطلع إلى هذه اللحظة منذ فترة طويلة".

قالت كاريئن: "وأنا أيضًا".

نظر جايلز إلى ساعة يده، وقال: "أعتذر إليكما، ولكن عليّ أن أترككما وحدكما، فلدي اجتماع في مجلس العموم عند الساعة الحادية عشرة، وأعرف

أن لديكم الكثير من الأحداث التي ستروي أنها
لبعضكم".

سألت كارين: "متى سترجع؟".

" حوالي الثانية عشرة، وربما قبل ذلك،
وسأصطحبكم لتناول طعام الغداء".

قالت كارين: "وبعد تناول الغداء؟".

"سذهب للتسوق، فلم أنس ذلك".

ثم قبلها جايلز برقة على شفتيها، بينما كان ينظر
بينغلي بعيداً.

قال وهو يسير نحو الخادم الذي كان يحمل
معطفه: "أراكم قرابة الثانية عشرة".

ثم قال للخادم: "أتوقع أن أعود بعد حوالي ساعة،
ماركهام، فلا تزعجهما، فهما يحتاجان إلى قضاء
الوقت مع بعضهما".

ظلّت كارين ووالدها صامتين، وهما ينتظران
إغلاق الباب الأمامي، ولم يبدأ بالتحذّث إلا بعد
إغلاق ماركهام باب المطبخ.

"هل سار كل شيء كما خططنا له؟".

قالت كارين: "كل شيء تقريباً، حتى وصلنا إلى
الحدود، حيث طرح على ضابط شاب الكبير من
الأسنلة".

قال بينغلي: "لكنني قمت شخصياً باطلاع حرس
الحدود على الأمر، حتى إنني قلت للملازم إنجل أن
يكون حازماً معك، ليقتنع بارينغتون أكثر بأنك كنت
محظوظة حقاً بالهروب من هناك".

"حسناً، لم ينجح الأمر تماماً كما خطّطت له، أيها
الرفيق، لأن صحفياناً من فليت ستريت قرر أن يحشر
أنفه، وبدأ بالتقاط الصور للضابط".

"كيث بروكس، نعم، لقد أصدرت أوامر بالافراج عنه فور عبورك الحدود".

ثم نظر إلى عناوين التليغراف التي تقول:

السيد جايلز بارينغتون

ينقذ حبيبته من وراء الجدار الحديدي.

وأضاف بينغلي: "أردت التأكد من عدم تفويت الموعد المحدد له".

قالت كارين: "لكن لا يمكننا الاسترخاء، فعلى الرغم من مظهره المتيم، فإن جايلز بارينغتون ليس بأحمق".

"مما شاهدته للتو، يبدو أنه كالخاتم في إصبعك".
"في الوقت الحالي، نعم، ولكن لا يمكننا أن نفترض أن ذلك قد يستمر طويلاً، ولن يكون من الحكمة تجاهل تاريخه المرتبط بالنساء، فهو ليس شخصاً موثوقاً به".

قال بينغلي: "لقد قضى عشر سنوات مع زوجته الأخيرة، وينبغي أن تكون تلك المدة أكثر من كافية لتحقيق ما يدور في أذهان أسيادنا".
"إذا ما خطتنا الحالية؟".

قال بينغلي: "لا توجد خطة حالية، فالمارشال كوشيفوي ينظر إلى هذه العملية على أنها عملية طويلة الأمد، لذا قومي بتقديم كل ما فشلت زوجتاه السابقتان في تقديمه إليه".

"لا ينبعي أن يكون ذلك صعباً للغاية، لأنني اعتقاد أن المسكين يحبني بالفعل، فهل تصدق أن الليلة الماضية كانت المرة الأولى التي يمارس فيها الجنس الفموي؟".

"وأنا متأكد من أن هناك المزيد من التجارب الأخرى التي يمكنك إطلاعه عليها، كما يجب أن

تفعلي كل ما في وسعك للحفاظ على هذه العلاقة، لأن مثل هذه الفرصة لن تتكسر، ولن تسمح لنا الظروف مرة أخرى بالدخول عبر بوابة نظام الحكم البريطاني".

قالت كارين: "لن أكون راضية بالدخول عبر هذه البوابة فقط، بل أنوي تحطيمها أيضاً".

"حسناً، ولكن في الوقت الحالي، دعينا نركز على مسؤولياتك الأخرى، فيجب أن نستخدم نظاماً بسيطاً لتمرير الرسائل إلى وكلائنا في الميدان".

قالت كارين: "اعتقدت أنني سأتواصل معك بشكل مباشر فقط".

"قد لا يكون هذا ممكناً دائماً، لأنني سأبقى في كورنوال لوقت طويل حتى لا يرتاب بارينغتون من تواصلنا المستمر".

"وما عليَّ أن أفعله إذا احتجت إلى التواصل معك في حالات الطوارئ؟".

"لقد قمت بتنصيب خط هاتف ثان لخدمتي بشكل حصري، ولكنه مخصص لحالات الطوارئ فقط، أما إن أردت الاتصال بـ "والدك"، فاستخدمي الرقم المعلن، وتحدى باللغة الإنجليزية فقط، وإذا كنت بحاجة إلى الاتصال بالخط الخاص - وأنا أوكد، في حالات الطوارئ فقط - فسأتحدث إليك باللغة الروسية ويجب أن تردي باللغة الألمانية، لذلك هناك رقمان فقط ستحتاجين إلى تذكيرهما".

فتح الباب الأمامي، وبعد لحظة سمعا صوت جايلز في الردهة.

"هل ما زالا في غرفة الجلوس؟".
"نعم سيدي".

كان بینغلی يقول: "ولن أسماح نفسي أبداً، لأنني

لم أكن إلى جانب والدتك عندما...".
ثم دخل جايلز الغرفة.

وقال لها: "أردت أن تكوني أول من يعرف، يا حبيبي، لقد عرض علي هارولد ويلسون مكاناً في مجلس اللوردات".
وبدا أن كليهما سعيدان.

الليدي فيرجينيا فينويك

1971

12

كتب إيرل فينويك إلى ابنته ليستدعيها إلى اسكتلندا، فكانت الدعوة تشبه أمرًا ملكيًّا.

خافت فيرجينيا من مواجهة والدها العجوز الذي لا يبدو أنه يهتم كثيرًا بما تنوی ابنته أن تقوم به في لندن طالما أنها تبعد نفسها عن القيل والقال وتبقى ضمن حدود الميزانية المخصصة لها، ومع ذلك فقد نشرت الكثير من الأخبار في الصحيفة الاسكتلندية عن دعوى التشهير التي رفعتها في المحكمة العليا ضد إيماء كليفتون شقيقة طليقها، وهي الصحيفة الوحيدة التي قرأها الإيرل النبيل.

لم تصل فيرجينيا إلى قصر فينويك إلا بعد العشاء، وقد خلدت على الفور إلى النوم على أمل أن يكون والدها في حالة مزاجية أفضل بعد أن يستيقظ في الصباح، ولكنه لم يكن كذلك، في الواقع، بالكاد نطق بكلمة واحدة خلال تناولهما وجبة الفطور بخلاف قوله: "ساراك في مكتبي عند الساعة العاشرة"، وبدت كما لو كانت تلميذة قلقة من العقاب، وهي تقف خارج مكتب أبيها قبل خمس دقائق من موعدهما، ولكنها لم تطرق الباب حتى صارت الساعة العاشرة تمامًا، لأنها تدرك أن والدها يفضل الدقة في المواعيد، ولا يستقبل من يكون مبكراً أو متأخرًا.

عندما طرقت الباب، تكرم عليها وقال لها: "ادخلي".

فتحت الباب، ودخلت الغرفة التي لم تكن تدخلها

إلا عندما تقع في ورطة، وبقيت واقفة في الجانب الآخر من المكتب منتظره الأمر بالجلوس من دون أن تتفوه بكلمة.

"ينبغي توجيه الأطفال فقط من دون سماع أقوالهم"، كان ذلك أحد أقوال والدها المفضل، وربما كان السبب في أنها عاشا غريبين عن بعضهما تقربياً، وبينما كانت فيرجينيا تنتظره إلى أن يبدأ بكلامه، ألقى نظرة فاحصة على الرجل العجوز الذي كان يجلس خلف مكتبه محاولاً إشعال غليونه، وقد تقدم في السن بشكل كبير منذ أن رأته آخر مرة، فالتجاعيد على وجهه أصبحت محفورة بعمق أكبر، ولكن على الرغم من بلوغه السبعينات، إلا أن شعره الأشيب لا يزال كثيفاً، أما شارباه الناعمان فيدلان بوضوح على أنه ينحدر إلى جيل سابق.

لقد تلقى الإيرل تعليمه في مدرسة لوريتو في إدنبرة، ثم تخرج وانتقل إلى سانت أندروز، والتحق بنادي الغولف لا الجامعية، وفي الانتخابات العامة، كان من مؤيدي حزب المحافظين، ولكنه لم يؤيده عن قناعة، وإنما لأنه اعتبره أهون الشررين، ونظرًا إلى أنه كان ينتخب السيد أليك دوغلاس هوم ليمثله في مجلس النواب، فكان له تأثير كبير، وكان يزور مجلس اللوردات في مناسبات متعددة، وبعد ذلك أصبح يزوره فقط عندما كان عليه التصويت على تشريع ما يؤثر على حياته.

وما إن أشعل غليونه، ونفخ نفخات متتالية، حتى حول انتباهه إلى ابنته الوحيدة التي اعتبرها من أسوأ إخفاقاته القليلة في الحياة، وقد ألقى الإيرل باللوم على زوجته الراحلة لتدعيلها في مرحلة طفولتها.

قال الإيرل: "اسمح لي بأن أبداً بسؤالك، يا

فيرجينيا، إذا كنت قد سدّدت جميع الفواتير التي نجمت عن محاكمة التشهير المتهورة التي رفعتها ضد إيمان؟".

"نعم، لقد قمت بذلك يا أبي، ولكن كان عليَّ بيع جميع أسلمي في بارينغتون من أجل القيام بذلك". علق الإيرل قبل أن ينفث دخان غليونه مرة أخرى: "هذا ليس أكثر من كونه عدالة اجتماعية، فما كان عليك السماح للقضية بالوصول إلى المحكمة، ولا سيما بعد أن نصح السيد إدوارد بالعدول عن قرارك لأن فرص كسب القضية لم تكن أكثر من 50 في المئة".

"لكنها كانت قضية محسومة لو لم يكتب فيشر تلك الرسالة التي جعلتني أخسرها".

قال الإيرل: "وهذا مثال آخر على افتقارك إلى الحكمة، فلطالما عرقل فيشر تقدُّمك، وما كان عليك التورط معه أبداً".

"لكنه كان رائداً في الجيش".

"وهي رتبة يصل إليها الضابط بعد أن تقرر إدارة الجيش أن الوقت قد حان للتقاعد".

قالت فيرجينيا: "وكان عضواً في البرلمان".

أجاب الإيرل: "وهذا يؤكد أنه شخص لا يمكن الوثوق به".

اختارت فيرجينيا الصمت بدلاً من خوض معركة أدركت أنها لا تستطيع الفوز فيها.

"أرجوك، يا فيرجينيا، هل يمكنك أن تؤكدي أنك لم تتورط في مشاكل أخرى مع حمقي آخرين؟".

فكَّرت فيرجينيا في ديزموند ميلور وأدريان سلون وجيم نولز الذين كانت تعرف تماماً أن والدها لم يكن ليسمح لهم في المبيت بمنزله لليلة واحدة، ثم

قالت: "لا، بابا، لقد تعلمت الدرس، ولن أتسبب لك في المزيد من المتاعب".
"أنا سعيد لسماع ذلك".

"لكن يجب أن أعترف بأنه من الصعب جدا العيش في لندن مقابل ألفي جنيه إسترليني في الشهر".
"إذا عودي للإقامة في كينروس، حيث يمكن للفرد أن يعيش بمستوى معيشي لائق بألفي جنيه خلال العام".

كانت فيرجينيا تعلم جيدا أن هذا هو آخر ما يريده والدها، لذلك قررت المجازفة، وقالت: "كنت أتمئن، يا بابا، لو أنه تستطيع رفع مخصصاتي إلى ثلاثة آلاف في الشهر".

جاء الرد الفوري: "لا تفكري في ذلك مطلقا، في الواقع بعد الذي قمت به، كنت أفكّر في خفض مخصصاتك إلى النصف".

"ولكن كيف يمكن أن أعيش إذا فعلت ذلك يا أبي؟".

كانت تفكّر في ما إذا كانت تلك اللحظة المناسبة لتجهش فيها بالبكاء.

قال لها: "يمكنك أن تكوني مثلنا، فتتعلمي العيش ضمن حدود إمكانياتك".

"لكن أصدقائي يتوقعون مني...".

"إذا فقد أسرت اختيار الأصدقاء، وربما حان الوقت لكي تعيش في العالم الحقيقي".

قالت له: "ماذا تقصد يا أبي؟".

قال لها: "يمكنك البدء بالاستغناء عن كبير الخدم ومديرة المنزل، لأن راتبيهما بحسب رأيي يعتبران نفقات غير ضرورية، والانتقال إلى شقة أصغر حجما".

بدت فيرجينيا مصدومة.

ثم قال: "كما يمكنك البحث عن وظيفة للاعتماد على نفسك في توفير احتياجاتك". حينها أجهشت فيرجينيا بالبكاء.

أكمل كلامه قائلًا: "على الرغم من أن ذلك سيكون بلا فائدة، لأنك لست مؤهلة لفعل أي شيء بخلاف إنفاق أموال الآخرين".

قالت فيرجينيا وهي تمسح دموعها: "لكن يا بابا، إذا زدت مخصصاتي ألفًا فقط في الشهر فستحل كل مشاكلني".

قال الإيرل: "لكن ذلك لن يحل مشاكلني، لذا يمكنك البدء بالتعود على نظامك الجديد، عبر ركوب الحافلة إلى المحطة والعودة إلى لندن في مقصورة الدرجة الثانية".

لم تدخل فيرجينيا قط مقصورة الدرجة الثانية، وعلى الرغم من توبیخ والدها لها، فلم يكن لديها النية على القيام بذلك، وخلال رحلة العودة إلى كینفجز كروس، فكرت مليًا في مازقها الحالي، والخيارات التي ثركت مفتوحة أمامها إذا لم تكن تريد أن تستنفذ صبر الرجل العجوز كله، فقد افترضت بالفعل مبالغ صغيرة من العديد من الأصدقاء والمعارف، وببدأ بعضهم يضغطون عليها من أجل سداد ديونها، في حين أن بعضهم الآخر بدوا مستسلمين لحقيقة أنها لم تعتبر المال قرضاً بل هدية قدموها إليها، وربما يمكنها أن تتكيّف مع العيش من دون كبير الخدم والطباخ، وزيارة متاجر بيتر جونز بدلاً من هارودز، وركوب الحافلة من حين إلى آخر بدلاً من أن تركب سيارة أجرة، إلا أن الشيء الوحيد الذي لن تقدر على فعله قط

هو السفر في القطار، فهي لم تكن تتقبل استخدام قطار الأنفاق إلا إذا أرادت أن تزور أنابيل، كما كانت زيارتها الأسبوعية إلى صالون تصفييف الشعر لا يمكنها التخلص منها، وكان شرب النبيذ الأبيض بدلاً من الشمبانيا أمراً لا يمكنها تقبّله، كما رفضت التفكير في التخلص عن مكانها في قاعة البرت هول الموسيقية، أو مقاعدها في وييمبلدون.

ومع ذلك فقد لاحظت مؤخراً أنها كانت تتلقى المزيد من المغلفات البنية الفغلفة عبر صندوق البريد، ولكنها تركتها من دون أن تفتحها على أمل أن تختفي من تلقاء نفسها، ولكن الحقيقة أن غالباً ما كان سيتبعها رسالة من محامي يحذّرها من صدور حكم قضائي وشيك ما لم تدفع ديون موكله خلال أربعة عشر يوماً، كما لو أن ذلك لم يكن كافياً، فقد فتحت في ذلك الصباح رسالة من مدير مصرفها يطلب منها مقابلته في أقرب وقت ممكن، فلم تلتقي فيرجينيا أبداً بمدير بنك، وبالتالي كان الوقت غير مناسب لذلك اللقاء، ولكن عندما عادت إلى حدائق كادوغان وفتحت بابها الأمامي، اكتشفت أن عدد المغلفات البنية على الطاولة يفوق بات عدد المغلفات البيضاء، فأخذت الرسائل إلى غرفة الجلوس و وزعتها إلى مجموعتين، وبعد أن رمثت في سلة المهملات رسالة ثانية من مدير البنك يطلب فيها عقد اجتماع عاجل، حولت انتباها إلى المغلفات البيضاء، فكانت عبارة عن دعوات عديدة من أصدقائها لقضاء عطلة نهاية الأسبوع في القرية، ولكنها قد باعت مؤخراً سيارتها الصغيرة، ولم يعد لديها أي وسيلة نقل، كما كانت من بينها دعوات إلى حفلات راقصة لا يمكنها أن تظهر فيها وهي ترتدي الفستان نفسه مرتين، في أسكوت و وييمبلدون، وبالتالي حفلة الحديقة في قصر باكنغهام، ولكن

كانت رسالة الدعوة المزخرفة التي تلقتها من بوفى بريديجوتز أكثر ما أثار اهتمامها، فقد كان بوفى، بحسب رأي والدها، شخصاً لا قيمة له، ومع ذلك فقد كان يتمتع بميزة كونه الابن الأصغر لأحد النبلاء، وهذا سمح له بالاختلاط مع طبقة الأغنياء، والذين كان يسعدتهم دفع تكاليف الاحتفالات في أي مناسبة، وقد قرأت فيرجينيا خطاب بوفى المرفق، فتساءلت إن كانت ترغب في الانضمام إليه لتناول طعام الغداء في حانة هاري (مما يعني أنه لن يدفع الفاتورة بشكل أكيد) ومقابلة صديق أمريكي قديم (ربما التقى مؤخراً) اسمه سايروس تي غرانت الثالث، كان يزور لندن للمرة الأولى ويرغب في اكتشاف المدينة التي لا يعرفها جيداً.

قالت فيرجينيا: "سايروس تي غرانت الثالث".

أين سمعت بهذا الاسم من قبل؟ آه، نعم، في الصحيفة، فامسكت صحيفة дилиلي اكسبريس التي صدرت البارحة، وانتقلت إلى قسم المشاهير كما ينتقل المقامر إلى صفحة نتائج السباق، وعرفت أن سايروس تي غرانت الثالث سيزور لندن هذا الصيف للاستمتاع بالموسم، وعلى وجه الخصوص، لمشاهدة حصانه الذي يشارك في مسابقة الملك جورج السادس والملكة إليزابيث في أسكوت، وسوف يسافر إلى لندن على متن طائرته الخاصة، وسيقيم في جناح نيلسون في فندق الريتز، وأدرجت مجلة فوربس اسم سايروس تي غرانت في المرتبة 28 في قائمة أغنى رجال أميركا، إنه مليونير كبير - لقد أحببت فيرجينيا ذلك - وقد جمع ثروته من خلال صناعات التعليب، ولكنها لم تهتم بكلمة "صناعات"، كما أن مجلة فوغ وصفته بأنه أحد أكثر العزاب المؤهلين للزواج على هذا

تمتّمت فيرجينيا وهي تدرس صورة رجل الأعمال الموجود أسفل المقال: "ولكن كم عمرك يا ترى؟". خمّنت أن عمره يبلغ خمسة وأربعين عاماً، وكانت تأمل في أن يكون في الخمسين، وعلى الرغم من أنه لم يكن وسيقاً، أو حتى حسن المظهر، فإن المرتبة 28 رسخت في ذهنها، فأرسلت فيرجينيا إلى بوفيه رسالة مكتوبة بخط اليد قبلت فيها دعوته الكريمة، وأضافت أنها تتطلع إلى مقابلة سايروس تي غرانت الثالث، وربما تستطيع الجلوس بجانبه.

قال الخادم: "هل قمت باستدعائي يا سيدتي؟".
نعم، مورتون، يؤسفني القول إنه لم يكن لدى خيار سوى فصلك من عملك في نهاية الشهر".
لم يكن مورتون متفاجئاً لأنّه لم يتراقص أجزاء طيلة الأشهر الثلاثة الماضية.

"بالطبع، سأكتب لك رسالة توصية مثالية، لذلك لن تجد صعوبة في العثور على وظيفة أخرى".

قال الخادم: "شكراً لك سيدتي، مع إنني أعتذر بأن هذه الفترة ليست بسهلة بالنسبة إلي".
"لا أفهم إلام تشير يا مورتون".

"السيدة مورتون حامل من جديد".

"لكنك أخبرتني في العام الماضي بأنك تظن أن ثلاثة أطفال أكثر من كاف".

قال: "وما زلت متمسكاً برأيي، سيدتي، ولكن يمكننا أن نقول أن ذلك لم يكن مخططاً له".

"يجب على المرء أن ينظم حياته بعناية أكبر يا مورتون، وأن يتعلم كيف يعيش ضمن إمكانياته".

"نعم يا سيدتي".

لم تعد فيرجينيا قادرة على تأجيل زيارة مدير مصرفها بعد أن قدم إليها مصحف الشعر في مايفير شيئاً من دون رصيد، وهو يشعر بالإحراج، فأكدت له فيرجينيا أنه مجرد "خطأ في الطباعة" وكتبت شيئاً آخر على الفور، ولكن ما إن غادرت الصالون، حتى ركبت سيارة أجرة، وطلبت من السائق أن يأخذها إلى بنك كوتس في ستراند.

نهض السيد فيربروذر من كرسيه عندما دخلت الليدي فيرجينيا إلى مكتبه من دون سابق إنذار. قالت وهي تضع الشيك على مكتب المدير: "لا شك في أن لديك تفسيراً بسيطاً لذلك؟".

قال فيربروذر من دون أن يعلق على أنها حضرت من دون أن تطلب موعداً: "أخشى، سيدتي، أنك تجاوزت حد السحب على المكشوف المتفق عليه".

قالت له: "لقد كتبت إليك عدة مرات لأطلب اجتماعاً من أجل مناقشة الوضع الحالي، ولكن بدا واضحـاً أنك كنت مشغولاً للغاية، وأفترضت أنه نظراً إلى أن عائلتي تعاملت مع بنك كوتـس لأكثر من مئتي عام، فإـنني سأحصل على المزيد من الحرية".

قال فيربروذر: "لقد كنا متـسهـلين قدر المستطاع، وفقـاً لـإمكانـاتـنا، ولكن نظـراً إلى وجود العـدـيدـ منـ المعـاملـاتـ الأـخـرىـ المـعـلـقةـ، أـخـشـ أنـكـ لمـ تـترـكـيـ لـنـاـ أيـ خـيـارـ آخرـ".

"إذا كان هذا هو الحال، فـأـنتـ أـيـضاـ لمـ تـترـكـ ليـ أيـ خـيـارـ سـوـيـ اـتـخـازـ التـرـتـيـبـاتـ الـلـازـمـةـ لـنـقـلـ حـسـابـيـ إـلـىـ مـؤـسـسـةـ أـكـثـرـ تـحـضـرـاـ".

"كـماـ تـرـيـدينـ، سـيـدـتـيـ، وـعـنـدـمـاـ تـصـبـحـينـ مـسـتـعـدـةـ،

يمكنك إخباري باسم البنك الذي يجب أن تقوم بتحويل السحب على المكتشوف عبره، وأخشى أننا لن نكون قادرين على الوفاء بأي من الشيكات الحالية المستحقة حتى نتسلم الدفعة الشهرية من والدك".

قالت فيرجينيا: "هذا من حسن حظي، فقد زرت والدي مؤخراً في إنجلترا، ووافقت على رفع مخصصاتي إلى ثلاثة آلاف جنيه إسترليني شهرياً. "هذا بالفعل خبر سار، سيدتي، وسيساعد بلا شك في التخفيف من مشاكلك الحالية، ولكن لا بد من أن أشير إلى أنه بعد ذلك الاجتماع بوالدك، كتب لنا سيادته ليبلغ البنك أنه لم يعد مستعداً إلى ضمان السحب على المكتشوف الخاص بك، كما لم يشر إلى أي زيادة في مخصصاتك الشهرية".

أمضت فيرجينيا الصباح عند مصحف شعر جديد، فقامت بتقليل أظافرها، وأحضرت ملابس شانيل المفضلة لديها من المصبغة قبل العودة إلى حدائق كادوغان، وعندما كانت تتحقق إلى نفسها في المرأة، شعرت بأنها لا تبدو سيئة للغاية بالنسبة إلى كونها تبلغ اثنين وأربعين عاماً، حستاً، ثلاثة وأربعين، حستاً...

استقلت سيارة أجرة إلى حانة هاري قبل الساعة الواحدة ظهراً، وعندما ذكرت اسم سايروس تي غرانت الثالث أمام الباب، اصطحبها على الفور إلى غرفة الطعام الخاصة في الطابق الثاني.

قال بوфи عندما رأها تدخل الغرفة: "مرحبا بك عزيزتي".

وسرعان ما أخذها جانباً، وهمس إليها: "إن سايروس يتوق إلى مقابلتك، لقد أخبرته بأنك عضو من أعضاء العائلة الملكية".

"أنا ابنة أخت بعيدة للملكة الأم، وقد التقى بها في المناسبات الرسمية فقط، على الرغم من أن والدي يلعب الورق معها أحياناً عندما تكون في قلعة غلاميس".

قال لها: "وأخبرته بأنك تناولت الشاي مع الملكة الأسبوع الماضي".

سألته فيرجينيا التي أثارت إعجابها الكذبة: "في قلعة باك هاووس أم وندسور؟".

قال بوфи وهو يتناول كأساً أخرى من الشمبانيا من نادل عابر: "بالمورال، فهو أكثر حرية".

تظاهرة فيرجينيا بعدم ملاحظة ضيف الشرف الذي كان محاطاً بالمعجبين، وتساءلت عما إذا كانوا

سيحترمونه لو لم يحتل المرتبة الثامنة والعشرين في قائمة الرجال الأكثر ثراء في أميركا، ولا يمكن أن يكون طول سايروس يزيد عن خمسة أقدام وخمس بوصات، وللأسف لم يكن لديه مظهر غاري كوبير للتعويض عن عيوبه، وكان يرتدي سترة ملونة بالأحمر والأبيض وبنطلون جينز أزرق وقميصا حريريأياً أزرق باهثاً وربطة عنق من الجلد، وجعله حذاء ذو الكعب بطول فيرجينيا تقريباً.

أرادت أن تضحك، ولكنها تمكنت بطريقة ما من الحفاظ على هدوئها.

"سايروس، هل لي أن أقدم صديقتي العزيزة، الليدي فيرجينيا فينيويك؟".

قال سايروس: "تشرفت بلقائك، سيدتي".

"من فضلك نادني فيرجينيا، بكل أصدقائي يفعلون ذلك".

قال لها: "حسناً يا جيني، ويمكنك مناداتي سايروس، فالجميع يفعلون ذلك".

لم تعلق فيرجينيا على كلامه.

صفق بوافي بيديه، وبمجرد أن جذب انتباه الجميع، قال: "أنا متأكد من أن الجميع مستعد تماماً إلى تناول الغداء".

قال سايروس: "أنا مستعد من دون شك".

شعرت فيرجينيا بالسرور عندما وجدت نفسها جالسة إلى الجانب الأيمن من الضيف الكريم.

غامرت فيرجينيا، وسألته: "كم من الوقت تخطط للبقاء في إنكلترا؟".

أجابها قائلًا: "سابقى لبضعة أسابيع فقط، فأنا هنا من أجلقضاء ما تسماونه أنتم بالموسم، لذلك سأذهب إلى ويمبلدون وهينلي، والأهم من ذلك

سازور رویال اسکوت، فکما ترین لدی حصان يشارک في مسابقة الملك جورج السادس والملكة إليزابیث".

قالت فيرجينيا: "حصان من نوع النوبل كونکویست".

قال سایروس: "أنا مندهش للغاية، وهذا مثير للإعجاب يا جيني".

قالت: "لم الدهشة؟ فأنا لا أفوّت سباقات أسكوت أبداً، كما أن الناس كلهم يتحدّثون عن حصانك".

قال سایروس: "كنت سأدعوك لتكوني ضيفتي، ولكنني أعتقد أنك ستكونين جالسة في المقصورة الملكية".

قالت فيرجينيا: "لا، لا أجلس فيها كل يوم".

قال سایروس بينما كان يوضع طبق من سمك السلمون المدخن أمامه: "أتسائل حول إن كان في إمكانك الجلوس بجانبي اليوم، لأن لدی مشكلة وأشعر بأنك الشخص المناسب لحلها".

قالت له: "سأفعل بالتأكيد كل ما في وسعي للمساعدة".

قال سایروس: "لا أحسن انتقاء ملابسي يا جيني".
بدت فيرجينيا مندهشة، فأضاف قائلًا: "وقيل لي إنه يجب ارتداء ملابس خاصة للتمكن من دخول القسم الملكي".

قالت فيرجينيا: "اعتمر قبعة وارتد ثياباً رسمية فقط، وإن كنت محظوظاً وفاز حصانك في السباق، فستقدم لك صاحبة الجلالة الكأس".

"سيكون ذلك أعظم شرف في حياتي، وهل يمكنني مناداتها ليز؟".

قالت فيرجينيا بنبرة حازمة: "بالتأكيد لا، حتى

عائلتها تناديها بجلالتك".

قال: "ألا يجب أن أنحن احتراماً لها؟".

قالت فيرجينيا: "الأهم ألا تستحق أولاً إلى زيارة متجر جيفز وهوكس للألبسة الرجالية في سافيل رو، وهو شارع الخياطة، وهناك سيكونون قادرين على تجهيزك".
"تجهizi؟".

قالت له: "أي أن يضمنوا أنك سترتدي الملابس المناسبة".

ظهر نادل إلى جانب سايروس وأعاد ملء كأسه، بينما عرض نادل آخر على فيرجينيا كأساً من الشمبانيا.

قال سايروس بعد أن شرب كأسه: "إنه لأمر مخزي لا يكون لديهم علامتي التجارية المفضلة".
"ما علامتك التجارية المفضلة؟".

وبينما كان النادل يميل إلى الأمام ليشعل له السيجارة، قال لها: "شراب ال威isky من ميكر مارك، فلم أتمكن من العثور على فندق أو مطعم في هذه المدينة لديه هذا الشراب".

نفخ سايروس سحابة من الدخان، ثم قال: "أتمنى لا تمانعي إذا دخنت يا جيني".

قالت فيرجينيا بينما كان نادل آخر يرفع الأطباق الفارغة: "لا على الإطلاق".

ثم أضافت: "هل تسافر زوجتك برفقتك؟".
أجابها: "أنا لست متزوجاً يا جيني".

فابتسمت فيرجينيا ابتسامة ماكراً.

ثم أضاف قائلًا: "لكنني أخطط للزواج فور عودتي إلى لوبيزيانا".

فتوجههم وجه فيرجينيا في الحال.

قال لها: "لقد تعرّفت إلى إيلي ماي في المدرسة الثانوية، ولكن اللعنة، قد كنث بطريقاً جذاً في طلبها للزواج في تلك الفترة، وقد سبّقني واين هاليداي وتزوج منها، وقد انفصلما العام الماضي، لذلك لن أتركها تفلت من بين يدي هذه المرة".

أخرج سايروس محفظته ليريها صورة إيلي ماي، والتي لم تكن خارقة الجمال، ولكن ربما كان لديها صفات أخرى تجعله يحبها.

قالت فيرجينيا: "إنها جميلة جداً".

قال لها: "وأنا أراها كذلك".

كانت فيرجينيا بحاجة إلى إعادة النظر في استراتيجيتها.

قال: "ولدي عمل آخر يجب أن أنجزه في أثناء وجودي في لندن، جيني، وهو أن أشتري خاتم خطوبة مميّزاً، فكما ترين، لا يمكنني المجازفة بشراء خاتم في باتون روج، لأنني إذا فعلت ذلك، فإن نصف المقاطعة ستعرف بالخبر بعد ساعة واحدة، وهكذا لن أتمكن من مفاجأة إيلي ماي".

ارتشفت فيرجينيا رشفة من الشمبانيا بينما كانت تفكّر في هذه المعلومة الجديدة.

التقط سايروس السكين والشوكة ونظر إلى شريحة اللحم أمامه قبل التهامها.

قال لها: "يجب أن يكون الأمر مميّزاً بعض الشيء، جيني، لأن عائلة إيلي ماي قد جاءت على متن سفينة ماي فلاور، ويمكنها تتبع أسلافها لتسعة أجيال، وهي نوعاً ما تشبهك".

قالت فيرجينيا: "كان أول عضو في عائلة فينويك يمارس الزراعة في بيرثشاير عام 1243، ولكنني

اعترف بأننا لم نكن قادرين على تتبع أي شخص على وجه اليقين قبل ذلك التاريخ".

ضحك سايروس وقال: "لقد ثلت مني بهذه الإجابة، أما أنا فأعرف من كان جدي، لأنه أسس الشركة، ولا أعرف أحداً قبله".

قالت فيرجينيا وهي تلامس يده: "كل سلالة عظيمة يجب أن تبدأ من مكان ما".

قال سايروس: "هذا لطف منك أن تقولي ذلك، واعترف بأنني كنت متوتراً بشأن الجلوس إلى جانب أحد أفراد العائلة الملكية".

ثم وضع السكين والشوكة على الطاولة، ليلتقط سيجاره ويرتشف رشفة من شرابه.

عندما سأله بوفي سايروس سؤالاً، التفت فيرجينيا إلى يمينها، على أمل معرفة المزيد عن سايروس تي غرانت الثالث.

تبين أن السيد لينوكس هو مدرب سايروس، وقد استغرق اكتشاف فيرجينيا أن السيد لينوكس يقوم بتدريب الخيول سايروس، وليس سايروس نفسه بضع لحظات، ثم تحدثت إلى لينوكس للحصول على معلومات عنه، وسرعان ما علمت أن الخيول الأصيلة كانت الحب الحقيقي لسايروس، وبعد وفاة جده واصل والده سايروس تي غرانت الثاني، تطوير شركة العائلة، وعندما توفي والده قدم أحدهم عرضاً مغرياً لسايروس تي غرانت الثالث فتخلّى عن تجارة التعليب وركز اهتمامه على مزرعة الخيول خاصة، وقد فاز بسباق كنداكي ديريبي، وهو يطمع الان بفوز حصانه في سباق الملك جورج السادس والملكة إليزابيث.

وبمجرد أن حصلت فيرجينيا على جميع المعلومات التي تحتاج إليها، حولت انتباها مرة

أخرى إلى سايروس، الذي لم يعجبه ويسكي سكوتشر كثيراً، ولكن بدا سعيداً جداً بتناول رشفة بعد كل لقمة من شرائح اللحم.

بدأت الفكرة تتشكل في ذهن فيرجينيا، ثم قالت: "إذا لم يكن لديك ما تقوم به هذا المساء، سايروس، فلماذا لا أخذك إلى شارع بوند، ونرى ما إذا كان في إمكاننا العثور على شيء مميز لإيلي ماي؟".

قال لها: "يا لها من فكرة رائعة! هل أنت متأكدة من أنك تملحين وقتاً لذلك؟".

قالت: "سأضطر فقط إلى إعادة ترتيب جدول أعمالي، أليس كذلك يا سايروس؟".

قال: "آه يا جيني، لا أعلم كيف أن الناس في أميركا يظئون أن الإنكليز شعب حاد الطباع وغير ودود، ولكن سيكون لدى رأي مختلف تماماً لأخبرهم به عندما أعود إلى باتون روج".

عندما التفت سايروس إلى يساره ليتحدث إلى بوفي مرة أخرى، نهضت فيرجينيا من مقعدها، وأتجهت نحو كبير الخدم.

وقالت له: "هل ستكون لطيفاً بما يكفي لإرسال أحد الثدل إلى متجر فورتنام لشراء زجاجتين من شراب ويسكي ميكر مارك؟ وبعد ذلك يمكنك أن تضعهما في حقيبة وتسليمها إليَّ عندما أغادر".

قال كبير الخدم: "طبعاً يا سيدتي".

قالت: "وأضاف سعرهما إلى الفاتورة".

قال لها: "كما تأمررين، سيدتي".

ثم أعطث النادل ورقة نقدية بقيمة جنيه إسترليني واحد، وهي تدرك أنه ربما كان أكثر ثراء منها.

قال لها: "شكراً لك سيدتي".

عادت فيرجينيا إلى مكانها، وسرعان ما بدأت بالحديث مع سايروس في موضوعه المفضل، وهو الحديث عن نفسه، وقد سمحت له بالحديث عن نفسه لمدة عشرين دقيقة متتالية، واكتفت بمقاطعته من خلال طرحها أسئلة مدرosaة بعناية.

في أثناء تناول القهوة، اتجهت فيرجينيا إلى بوфи، وقالت له: "سارافق سايروس للتسوق بعد ظهر اليوم".

سألها: "وأين ستتسوّقان؟".

"متاجر أسبري وكاريبيه وربما تشيليني".

قال بوфи: "تشيليني؟ ولكن، لا يزال متجرًا مبتدئاً قليلاً؟".

قالت فيرجينيا: "أنت على حق يا بوфи، ولكن قيل لي إن لديه أفحى مجموعة خواتم خطوبة".

قال سايروس بعدها نهض من مكانه، من دون أن يتتبّه إلى أن عدد كبير من الضيوف لم يشربوا القهوة بعد: "فلنبدأ من هناك".

وفي أثناء مساعدة كبير الخدم سايروس في ارتداء معطفه الواقي من المطر، سلم الليدي فيرجينيا حقيبة من متجر فورتنام كما طلبت منه سابقاً.

وبمجرد أن قبلت فيرجينيا بوфи على خديه، لفت ذراعها حول ذراع سايروس، وقادته إلى الطريق المؤدي إلى شارع بوند ستريت، فنظرًا إلى واجهات متجر كاريبيه وأسبري، ولكنهما لم يدخلاهما، إذ بدا سايروس مصمّماً على دخول متجر تشيليني، وعندما وصلا إلى الباب الزجاجي السميك الذي يحمل علامة "سي" ذهبية اللون وضخمة الحجم، قرعت فيرجينيا الجرس، وبعد لحظة ظهر رجل

يرتدى معطفاً وبنطالاً مخططاً.

عندما رأى فيرجينيا، فتح الباب على الفور، ووقف جانبها للسماح لهما بالدخول.

همست فيرجينيا إلى المساعد: "أنا وسايروس تي غرانت نبحث عن خاتم خطوبة".

قال المساعد: "تهانينا يا سيدتي، اسمح لي بعرض أحدث مجموعة لدينا".

قالت فيرجينيا: "شكراً لك".

ثم جلسا على كرسieين جلديين مريحين بجوار المنضدة، وبعد أن اختفى المساعد في إحدى الغرف الخلفية للمتجر، بدأ سايروس الذي من الواضح أنه لا يحب الانتظار، يشعر بالملل، ولكنه استعاد حماسته في اللحظة التي عاد فيها المساعد حاملاً صينية عليها مجموعة كبيرة من خواتم الألماس الرائعة.

قال: "واو! هذا ما أسميه تشيكيلة عظيمة، ولا أعرف من أين أبدأ".

قالت فيرجينيا: "جميعها تبهر الأنظار".

ثم قالت وهي تختار كلماتها بعناية: "لكنني سأتركك تقزز، يا حبيبي".

حدق سايروس إلى الأحجار البراقة لبعض الوقت ثم اختار أحدها.

قال المساعد: "اختيار موفق، إذا جاز لي القول، فكل امرأة قد تعجب به بالتأكيد".

قال سايروس: "وسيسعرن جميعهن بالغيرة الشديدة بالتأكيد".

وافقته فيرجينيا في الرأي.

قال المساعد: "هل نجزبه في إصبع الليدي، حتى تتمكن من رؤية شكله بوضوح في إصبعها؟".

قال سايروس: "فكرة جيدة".

ثم وضع المساعد الخاتم في الإصبع الثالث من يد فيرجينيا اليسرى.

فسألت فيرجينيا وهي تنظر عن كتب إلى حجم الألماسة الضخم: "ما منشأها؟".

"الحجر من جنوب أفريقيا، سيدتي، من ترانسفال 6.3 قيراط وهو حجر أصفر نادر ولا تشوبه شائبة".

سأله سايروس: "وكم سعره؟".

تفحص المساعد قائمة الأسعار التي لديه، وقال: "أربعة عشر ألف جنيه إسترليني يا سيدتي"، كما لو كان سعراً زهيداً بالنسبة إلى زبائن متجر تشيليني. فأطلق سايروس صفيضاً من بين أسنانه.

قالت فيرجينيا وهي تتمتع بتأمل جمال الخاتم في إصبعها: "أوافقك في الرأي، كنت أتوقع أن يكون السعر أكثر من ذلك بكثير، ومن المؤكد أنه سيكون السعر أعلى لو ذهبنا إلى كارتبيه أو أسبري، كم كنت ذكينا، سايروس، في اختيارك تشيليني".

بدا سايروس مترددًا، فتابعت فيرجينيا كلامها قائلة، وهي تمسك بيده: "إذا أراد شخص ما طلب الزواج مني، فهذا هو بالضبط الخاتم الذي أريده أن يقدمه إلي".

قال سايروس وهو يخرج دفتر الشيكات: "اللعنة يا جيني، أنت على حق، وضبه لو سمحت".

كتب سايروس شيئاً، ووضعه على المنضدة، ثم قال له: "هل لديكم دوره مياه للرجال؟".

أجاب المساعد: "نعم سيدتي، أسفل الدرج إلى اليمين، ولا يمكن أن تتوه عنها".

عندما نهض سايروس ببطء من كرسيه، اعتقدت فيرجينيا أنه سيتوه عن دوره المياه من دون شك.

حدقت بابعجاب إلى الخاتم قبل نزعه من إصبعها ووضعه في صندوقه الجلدي الآتيق والمزخرف بحرف "سي" الذهبي اللون أيضاً.

قالت بشكل عرضي: "إذا كنت أرغب في تغيير رأيي...".

قال لها المساعد: "عندما ما عليك سوى العودة إلينا في الوقت الذي يناسبك، سيدتي، وسنكون سعداء بخدمتك".

كانت فيرجينيا تسحب قفازيها الجلديين عندما عاد سايروس.

قالت له: "أعتقد أنه من الأفضل أن نعيده إلى فندقك، يا عزيزي، ومن حظك أنه قريب جداً".

قال سايروس وهو يمسك بذراعها: "فكرة جيدة يا جيني".

سلمها المساعد حقيبة تحتوي على علبة جلدية صغيرة الحجم، ثم رافقهما إلى الباب، وعندما خرجا من المحل إلى الشارع، تفقدت فيرجينيا مواعيد العمل المعلقة على النافذة.

قالت فيرجينيا في أثناء سيرهما ببطء في شارع أولد بوند باتجاه فندق ريتز: "ستكون إيلي ماي متحمسة للغاية عندما ترى الخاتم".

قال سايروس، متشبثًا بها بقوة، بينما كانت تقوده عبر بيكانيللي: "والفضل يعود إليك".

قالت فيرجينيا: "استمتع دائمًا باحتساء الشاي في فندق ريتز بعد الظهر، ولكن لا أظن أنك قادر على استقبالي".

قال سايروس وهو يدخل الفندق: "بالطبع أنا قادر على ذلك".

قالت فيرجينيا في أثناء مرورهما بصالات الطعام:

"ربما أول ما يجب عليك فعله هو وضع خاتم إيلي
ماي في الخزنة في غرفتك".

"أنت تفكرين في كل شيء، جيني، دعيني أحضر
مفتاحي".

وعندما رأت فيرجينيا حجم الجناح الذي يقيم
فيه، اقترحت أن يتناولا الشاي في غرفة الجلوس
الكبيرة بدلاً من العودة إلى الطابق السفلي إلى قاعة
بالم كورت المزدحمة.

قال سايروس: "هذا يناسبني، اطلب الشاي بينما
أذهب إلى دورة المياه".

التقطت فيرجينيا الهاتف، وطلبت الشاي والكعك
بالزبدة لشخصين، ثم أخرجت إحدى زجاجات
ويسكي ميكر مارك من الحقيبة ووضعتها وسط
الطاولة، وعندما عاد سايروس إلى غرفة الجلوس،
كانت زجاجة ويسكي ميكر متترك أول ما رأه.
فقال لها: "من أين حصلت عليها؟".

قالت له: "لم أخبرك بأنه المفضل لدى أيضاً".

قال سايروس: "إذا دعينا نشرب قليلاً احتفالاً
بلقائي بك".

وبعد قليل سمعا طرقة خفيفا على الباب، فدفعت
نادلة ترتدي ملابس أنيقة عربة ذات عجلات إلى
الغرفة، وقد أحضرت لها الشاي لشخصين، ثم
وضعت الإبريق على الطاولة بجانب الأريكة،
فسكبت فيرجينيا كوبين، وسايروس يجلس إلى
جانبها، فشربت الشاي أما سايروس فصب لنفسه
كأسا أخرى من الويسكي، ومن الواضح أنه لم يكن
مهتما بالشاي.

اقتربت فيرجينيا منه قليلاً، وتركت تنورتها ترتفع
فوق ركبتيها، فحمدق سايروس إلى ساقيها، ولكنه

لم يتحرك من مكانه، ثم اقتربت منه أكثر ووضعت يدها على فخذه، فشرب سايروس شرابه، وأعاد ملا كاسه من جديد، ما أتاح لها وقتاً كافياً لفك بعض أزرار بلوزتها الحريرية، ووضع يدها الأخرى على ساقه، فلم يمانع وهي تفك حزام خصره وأزرار قميصه.

تمتم سايروس: "ولكن ماذا بشأن إيلي ماي؟".
همست إليه فيرجينيا: "لن نخبرها بشيء".

فكلّت حزامه، فارتشف سايروس جرعة أخرى من ال威سكي مباشرةً من الزجاجة ثم اندفع نحوها، فواصلت فيرجينيا التركيز على ما تقوم به، وبعد أن ساعده في خلع حذائه وجوربيه، نزعت عنه ببراعة بقية ملابسه فأصبح عارياً. نظرت إليه وابتسمت، فارتشف جرعة أخرى، ثم انزلق عن الأريكة إلى الأرض، وكاد رأسه يرتطم بالطاولة، فجئت فيرجينيا على السجادة بجانبه، وكانت على وشك أن تضنه فوقها عندما أغماه عليه، فدحرجته برفق، وجعلته يتمدد على السجادة.

ثم نهضت من مكانها، واتجهت إلى الباب، وفتحته بضع بوصات، وعلقت عبارة "يرجى عدم الإزعاج" على مقبض الباب الخارجي، ثم عادت إلى جانب سايروس وجمعت كل قوتها، وهي تضع ذراعيها تحت كتفيه، وتجهزه إلى غرفة النوم، ثم تركته على الأرض، بينما كانت تسحب الملاءات والبطانية عن السرير الكبير، فجئت بجانبه، وبجهد خارق رفعته إلى السرير، ومن حسن حظها أنه لم يكن ضخماً كفاية، وكان يسخر بسلام، وهي تفطئيه برفق بالملاءة، ثم ملأ كوبًا آخر من ويسكي ميكر مارك ووضعته على الطاولة الصغيرة بجانب السرير، وبعدها أغلقت باب غرفة النوم، وأسدلت الستائر

الثقيلة، ثم أطفأت جميع الأضواء الواحد تلو الأخرى حتى خيم ظلام دامس في الغرفة، وعندما استلقت أخيها في السرير إلى جانبه، لم تكن ترتدي سوى قطعة واحدة فقط.

قضت فيرجينيا معظم الليل مستيقظة تستمع إلى غطيط سايروس المدوى، وهو يتقلب إلى جانبها، وقد استيقظ ليلاً للحظات قليلة، وبعدها عاد إلى الغطيط مرة أخرى، فلم تصدق أن إيلي ماي قد نامت مع هذا الرجل، فاستلقت إلى جانبه في السرير لساعات بدت طويلة، مع أنها كانت تدرك أن ليلتها ستكون شاقة ومرهقة، إذ لم يكن سايروس مخموزاً فحسب، بل كان يعاني من تعب السفر أيضاً، وقد أمضت وقتها في إعداد خطة ستوضع موضع التنفيذ لحظة استيقاظه، حتى إنها تدربت على الكلمات التي ستقولها لدرجة أنها أتقنت دورها الذي سيكون مثالياً، وما إن استيقظ سايروس بعد السادسة من صباح اليوم التالي مباشرة، مزء بعض الوقت قبل أن يدرك ما الذي يجري في العالم الذي حوله بشكل دقيق، فقبل السابعة بدقيقتين قليلة، مذ سايروس يده لكي يتمكن من تشغيل المصباح بجانب سريره، وكان ذلك بمثابة إشارة لفيرجينيا إلى أن تغمض عينيها وتتقلب وهي تتنهد، وعندما نظر سايروس حوله ورأها مستلقية بجانبه، سمعت صوته يقول: "ماذا يجري بحق الجحيم؟".

تناءبت فيرجينيا ومذ ذراعيها، متظاهرة بالاستيقاظ ببطء، وعندما فتحت عينيها، رأث مظهراً مخيفاً أمامها، كان وجهه غير حليق، وفم مفتوح على مصراعيه، ويتصبب العرق منه، فاختلطت رائحة عرقه برائحة الويسيكي، فبدا شكله أشبه بشخصية 'بوتوم' من رواية حلم ليلة منتصف الصيف، وقد احتاج إلى إذني حمار لاكمال الصورة.

قالت فيرجينيا: "صباح الخير يا حبيبي".

ثم انحنث وقبلته، ما جعلها تشمئز من رائحة

أنفاسه الصباحية، ولكنها لم تتراجع، بل ابتسمت ولفت ذراعيها حول جسده المتعرق.

قالت له: "لقد كنت رائعاً الليلة الماضية، يا فطيرتي الصفيرة، بل كنت أسدًا حقيقياً".

سألها سايروس وهو يحاول تغطية جسده العاري: "ماذا حدث الليلة الماضية؟".

أجابته: "لم يكن من الممكن إيقافك، ولا أعرف عدد المرات التي مارستنا فيها الحب، وكان الأمر رومانسيًا جدًا عندما أخبرتني بأنك لم تقابل أبدًا أي امرأة مثلني، وأنه يجب أن نمضي بقية حياتنا معاً".
"أنا قلت ذلك؟".

قالت فيرجينيا: "ولكن ماذا بشأن إيلي ماي؟ هذا ما كنت أقوله لك".

ولكنك قلت لي: "كيف لي أن أفكر في إيلي ماي وقد قابلت امرأة فاتنة متكلّم، وسأجعلك ملكة لوبيزيانا، ثم تنهض من السرير، وجثوّت على ركبة واحدة وطلبت مني أن أكون زوجتك".
"أنا فعلت ذلك؟".

قالت فيرجينيا: "لقد طلبت يدي للزواج، وأعترف بأن فكرة قضاء بقية حياتي معك في باتون روج بدت مخيفة في البداية، ثم وضفت الخاتم على إصبعي فعجزت عن رفض طلبك".

رفعت يدها اليسرى لكي تريه الخاتم في إصبعها.
قال: "أنا فعلت كل ذلك؟".

قالت فيرجينيا: "نعم لقد فعلت كل ذلك، والآن يجب أن ندع العالم يشاركتنا في سعادتنا".
ظل سايروس فاغرًا فمه من الصدمة.

تابعت فيرجينيا كلامها وهي تنهض من السرير وتفتح الستائر لتسمح بدخول الشمس: "سأخبرك

بما سأفعله، يا حبيبي، بمجرد أن أرتدي ملابسي، سأذهب إلى المنزل لأبدلها، فأنا الان خطيبتك، ولا أريد أن يراني أي شخص وأنا أرتدي الملابس نفسها التي كنت أرتديها الليلة الماضية، أليس كذلك، يا فطيرتي الصغيرة؟".

ظل سايروس فاغزا فمه، وهو يحدق إلى جسدها العاري.

ثم ضحكت وهي تثكّن عليه، وتقبله قبلة على فمه، وبعدها رفعت سماعة الهاتف الموضوع إلى جانبه، وقالت: "أحضر الفطور لشخص واحد لو سمحـت، الشـاي والـخبـز المـحمـص وـمربـى أوـكسـفـورـد، وـربـما كـوكـتـيل فيـرجـن مـارـي، لأنـ خـطـيـبـي يـعـانـي من صـداع ماـ بـعـد الشـرب، وـشكـرا لكـ، نـعـمـ، فيـ أـقـرـب وقت مـمـكـنـ".

ثم أغلقت سماعة الهاتف، وقالت له: "سأعود قرابة الساعة العاشرة، يا فطيرتي، وبعد ذلك يمكنـنا الذهـاب للـتسـوق، وأـعـتـقـدـ أنـنا يـجـبـ أنـ نـبـداـ بـزيـارة محلـاتـ الـبـذـلاتـ الرـسـميـةـ، فـسـتـحـتـاجـ إـلـىـ قـبـعةـ وـبـذـلةـ منـ أـجـلـ حـضـورـ السـبـاقـ، وـربـماـ رـبـطةـ عنـقـ منـ الـحرـيرـ الرـمـاديـ، لأنـ النـاسـ سـيـرـاقـبـونـكـ، وـأـنـتـ فيـ المـقـصـورـةـ الـمـلـكـيـةـ، وـبـعـدـ ذـلـكـ يـمـكـنـكـ الـانـضـامـ إـلـىـ بـيـنـماـ أـقـضـيـ بـعـضـ الـوقـتـ فـيـ الـبـحـثـ بـيـنـ مـجـمـوعـةـ رـبـيعـ هـارـتنـيـلـ، وـسـأـحـتـاجـ إـلـىـ الـعـتـورـ عـلـىـ شـيـءـ يـلـيقـ بـالـفـائـزـينـ فـيـ مـسـابـقـةـ الـمـلـكـ جـورـجـ السـادـسـ وـالـمـلـكةـ إـلـيزـابـيثـ".

كان أحدهم يطرق على الباب، فغادرت فيرجينيا غرفة النوم بعد أن ارتدت ملابسها، وفتحت الباب للسماح للنادل بدفع العربة إلى الداخل.

قالت له: "خطيبـي لاـ يـزالـ فـيـ السـرـيرـ، تـفـضـلـ بـالـدـخـولـ".

ثم قالت وهي تلحق بالنادل إلى غرفة النوم: "لقد وصل فطورك يا عزيزي".

وأضافت بينما وضعت الصينية على السرير: "احرص على شرب فيرجن ماري، لأن يومنا سيكون حافلاً".

مرة أخرى، انحنت وقبلت سايروس، الذي كان جالساً في وضع مستقيم ويحذق إليها من دون أن يقوم بأي حركة.

قالت له: "يجب أن أفكّر أيضاً في صياغة إعلان خطوبتنا الذي يجب أن يكون بسيطاً ولائقاً، ويتيح للعالم معرفة أهمية اجتماع عائلتين معاً، وبالطبع يتوقع الجميع حفل زفاف في سانت مارغريت أو وستمنسر، على الرغم من أنني أفضل الحصول على علاقة غرامية هادئة، وإقامة الحفل في باتون روج".

قدم النادل الفاتورة.

قالت فيرجينيا: "سأوقعها".

وأضافت 20 في المئة بقشيش للنادل، لتتأكد من أنه لن ينسى ما شاهده للتو.

ثم أعطت سايروس قبلةأخيرة وقالت له: "أراك بعد بضع ساعات، يا فطيرتي الصغيرة".

كانت قد غادرت الغرفة قبل أن يتمكن من الرد. سارت فيرجينيا بسرعة عبر الممر الطويل، وكانت تسرع الخطى، فاستقلت المصعد إلى الطابق الأرضي، وفي أثناء مرورها بمكتب الاستقبال، لم ينظر إليها أي من الحمالين، لأنهم كانوا معتادين على خروج السيدات من الفندق في الصباح الباكر. ففتح لها حمال مفعم بالحيوية الباب الأمامي، وسألها عما إذا كانت بحاجة إلى سيارة أجرة، فأجابته قائلة: "نعم، رجاءً".

رفع يده، وأطلق صافرة سحرية، ثم ظهرت سيارة أجرة بأعجوبة بعد لحظة، وقامت فيرجينيا بما أخبرت سايروس بأنها ستقوم به، فعادت إلى المنزل حيث أمضت وقتا طويلا في الحمام الدافئ قبل أن تغسل شعرها وتبذل ملابسها، ثم اختارت الذي المناسب للعودة إلى فندق ريتز، وخلال الفطور أخذت وقتها في قراءة الصحف الصباحية، وبعد كل شيء كان المتجر الذي تنوی زيارته لن يفتح قبل العاشرة، فغادرت شقتها في حدائق كادوغان بعد التاسعة والأربعين مباشرة، واستقلت سيارة أجرة أخرى، وهذه المرة توجهت إلى شارع بوند الذي بدا وكأنه صحراء في ذلك الوقت المبكر من الصباح، فأوصلتها سيارة الأجرة إلى خارج متجر تشيليني. ضغطت فيرجينيا على الجرس، وأخرجت منديلها، وكانت سعيدة لرؤيه المساعد نفسه يتقدم إلى فتح الباب، فاحت رأسها وذرفت دمعة مزيفة عندما رأته.

سألها بقلق: "هل كل شيء على ما يرام، سيدتي؟". قالت بصوت مرتعش: "لا، أخشى أن الأمور ليست على ما يرام".

ثم أضافت وهي تنزع الخاتم من إصبعها: "غير حبيبي رأيه، وطلب مني إعادة هذا الخاتم". "أنا آسف جدا يا سيدتي".

قالت وهي تضع الخاتم على المنضدة: "أنا آسفة أيضا، وسألني إذا كان في إمكانك إعادة الشيك الخاص به".

"لن يكون ذلك ممكنا، سيدتي، لقد قمنا بإيداعه في البنك على الفور".

قالت: "حسنا، سأحتاج إلى شيك بكمال المبلغ

كتعويض عن خسارتي، فبعد كل شيء، قد شاهدته وهو يقدم إلى الخاتم، وقد اتفقت مع محامييه على عدم ملاحقة هذه المسألة أكثر من ذلك، ومن السينى جداً أن تعرف الصحافة كل ما جرى، إلا تعتقد ذلك؟".

فارتسمت ملامح القلق على وجه المساعد. أضافت فيرجينيا: "لا أحد بحاجة إلى هذا النوع من الدعاية، أليس كذلك؟ وبالطبع، قد يغير حبيبى رأيه مرة أخرى، وفي هذه الحالة سأعود لحضور الخاتم نفسه، لذلك ربما يمكنك وضعه جانبنا لبضعة أيام".

تردد المساعد قبل أن يقول: "باسم من سأمنح الشيك، سيدتي؟"

قالت بابتسامة دافئة: "الليدي فيرجينيا فينيويك". اختفى المساعد في المكتب الخلفي وتأخر كثيراً حتى بدا الأمر لفيرجينيا وكأنه امتد إلى الأبد، ثم عاد أخيراً وسلمها شيئاً بمبلغ أربعة عشر ألف جنيه إسترليني.

عندما وضعت فيرجينيا الشيك في حقيبة يدها، نهض المساعد من خلف المنضدة، وفتح لها الباب الأمامي وقال: "يوم سعيد، سيدتي، نأمل في رؤيتكم مرة أخرى قريباً".

قالت فيرجينيا وهي تسير على الرصيف: "دعنا نأمل ذلك".

أشارت إلى سيارة أجرة وطلبت من سائقها أن يوصلها إلى بنك كوتيس في ستراوند، وعند وصولها إلى البنك، طلبت من السائق الانتظار لأنها ستعود خلال بعض دقائق فقط.

ترجلت من السيارة، ودخلت كوتيس، وتوجهت

مباشرة إلى مكتب المدير، وعندما اقتحمت المكان،
وجدتة يملأ رسالة على سكريترته.

قال السيد فيربروذر: "يمكنك تركنا وحدنا سيدة باول".

كان على وشك إخبار سيادتها بأنه لم يكن على استعداد إلى رؤيتها مرة أخرى ما لم تحدد موعداً، ولكن فيرجينيا وضعت الشيك على الطاولة أمامه، فحدق إلى الرقم 14 ألف جنيه إسترليني، وهو في حالة من الذهول.

قالت فيرجينيا: "تأكد من تسديد كل شيكاتي المستحقة من دون تأخير، ومن فضلك لا تزعجني مرة أخرى في المستقبل".

و قبل أن يتمكن من الرد، كانت فيرجينيا قد غادرت المكتب وأغلقت الباب خلفها.

قالت لسائق سيارة الأجرة الذي كان ينتظرها: "إلى فندق الريتز".

توجهت سيارة الأجرة إلى بيکاديللي.

وصل إلى الفندق بعد عشر دقائق.

سلمت فيرجينيا آخر ما تبقى معها من النقود للسائق وصعدت الدرج وهي تشق طريقها إلى مكتب الاستقبال.

" صباح الخير سيدتي، كيف لي أن أساعدك؟".

" هل يمكنك الاتصال بالسيد سايروس تي غرانت في جناح نيلسون، وإخباره بأن الليدي فيرجينيا فينيويك تنتظره في مكتب الاستقبال".

بدأ الموظف متربذاً، وهو يقول لها: " لكن السيد غرانت غادر منذ أكثر من ساعة، سيدتي، وقد طلب سيارة ليموزين لنقله إلى مطار هيترو".

سيbastian كليفتون

1971

15

قال جايلز وهو ينضم إلى ابن أخته في المقعد الأمامي: "لقد تحدثني والدتك أنني لا أستطيع أن أجعلك تأخذ إجازة يوماً ما".

فقال سيباستيان وهو يغلق باب السيارة: "خاصة من أجل مشاهدة لعبة الكريكيت".

قال له جايلز: "هذه ليست مجرد لعبة كريكيت قديمة، إنها مباراة ضد الهند، إحدى أقدم منافسينا، ولا يزال يصعب علي أن أشرح لرئيسي من هو سكوتشر، ولمالك البنك التركي الأصل، والذي يرفض الاعتقاد أن أي لقاء رياضي يمكن أن يستمر لمدة خمسة أيام، ثم يتنتهي من دون نتيجة بحسب رأيه، ولكنه لا يدرك أن التعادل هو نتيجة بحد ذاته".

قال له سيب: "حاولت أن أشرح ذلك لحكيم بشارة ولكن من دون جدو، إلا أنه عندما أخبرته بأنني سأكون ضيفك، كان حريضاً على أن أقبل دعوتك".
سأله جايلز: "لماذا؟".

أجابه سيب: "حكيم وروس باكنان كلاهما معجبان بأدائه السياسي، وقد طلب مني روس التأكد من احتمال أن تفكّر في أن تصبح مديراً لفارذنفر".

"ولماذا قد يقترح عليك ذلك، وأنا أعلم عن المصارف بقدر ما يعلم عن لعبة الكريكيت؟".

"لا أعتقد أن براعتك في لعبة الكريكيت هي السبب وراء رغبتهما في انضمامك إلى مجلس الإدارة، وإنما ما تملكه من مهارات يمكن أن تكون

مفيدة من أجل تطوير البنك".

سأله جاييلز: "ما المهارات التي يظنّان أنني أملكها ويمكن أن تفيد البنك؟"، أمثل أن يبتعدا عن هايد بارك ليتوجها إلى بارك لين؟

أجابه سيب: "لقد كنت وزيرا في الحكومة السابقة، وأنت حالياً عضو في حكومة الظل، فكر فقط في الاتصالات السياسية التي أجريتها على مدار السنوات، وإذا كنا سننضم إلى السوق الأوروبية المشتركة، فسيكون في إمكانك فتح الباب على مصراعيه أمامنا، في الوقت الذي ستغلقه في وجه منافسينا".

قال له جاييلز: "إنني أشعر بالإطراء، ولكنني سياسي في الصميم، وإذا فاز حزب العمال في الانتخابات القادمة، وأنا مقتنع بأننا سنفوز بأغلبية ساحقة، فسأسعى إلى أن أكون وزيراً مرة أخرى، وبالتالي سأضطر إلى التخلّي عن أي منصب إداري".

قال له سيب: "ولكن ذلك لن يحصل قبل ثلاث أو أربع سنوات على الأقل، وخلال هذه الفترة يمكننا الاستفادة من معرفتك الواسعة واتصالاتك الكثيرة وخبراتك الكبيرة لتوسيع نشاطاتنا في أوروبا".

سأله جاييلز: "ماذا ستكون مسؤولياتي بالضبط؟".
أجابه سيب: "يجب أن تحضر اجتماع مجلس الإدارة كل ثلاثة أشهر، وأن تكون على تواصل مستمر مع حكيم أو روس عبر المكالمات الهاتفية، إذا احتاج أيٌ منها إلى أن تسدي إليه نصيحتك، وهي وظيفة سهلة، لذا أمل في أن تفكّر في الأمر على الأقل".

قال له جاييلز: "سياسي من حزب العمل، يحتل منصباً في مجلس إدارة أحد البنوك".

قال له سيب: "قد تكون هذه الميزة التي ستتميزك

عن غيرك، وفي مطلق الأحوال لا تبدو أنك تنبذ أي نوع من الأعمال".

قال جايلز: "أول ما سأحتاج إلى القيام به هو معرفة رد فعل زملاني في حكومة الظل".

سأله سيب: "كيف تستمتع مع هؤلاء اللوردات، وهم لا يكفون عن التجول في ماربل أرك؟".
"إن هذا المجلس ليس مجلس العموم".
"ماذا يعني ذلك؟".

أجابه جايلز قائلًا: "القوة الحقيقية تكون دائمًا في مجلس النواب، حيث توضع مشاريع القوانين، بينما يقوم مجلسنا بمراجعتها فقط، والتي ينبغي أن تكون مناسبة، كما أننا ننتمي إلى مجلس غير منتخب، وقد أخطأ فرانكلي في عدم الترشح للانتخابات الفرعية، ولكنني لا أشتكي، لأن ذلك يعني أنني سأقضي مزيدًا من الوقت برفقة كاربن، لذا بطريقة ما انتهى بي المطاف إلى قضاء وقت أطول برفقة أفضل من في العالمين، وماذا عنك يا سيب؟".

أجابه قائلًا: "أمضى وقتاً يعذّب أسوأ ما في العالمين، فالمرأة التي أحبها تعيش في الضفة الأخرى من الأطلسي، وطالما أن زوجها على قيد الحياة، لا يمكنني أن أمل في أن يلتئم شملنا من جديد".

سأله جايلز: "هل أخبرت والديك عن جيسيكا؟".

أجاب سيب: "لا، ولكنني أشعر بأن أبي يعرف الحقيقة، فقد جاء إلى مكتبي قبل أسبوع قليلة، لاصطحابي لتناول طعام الغداء معاً، ورأى اللوحة المعلقة على الحائط، والتي تحمل توقيع جيسيكا وعنوانها أمي".

سأله جايلز: "وهل ربط بين العنوان وسامانتا؟".

أجابه سيب: "لم يكن الأمر صعبا، لأن كلمة أمي لم تعن سوى ساماننا".

قال له جاييلز: "ولكن حقيقة أن لديك ابنة يعذ أمرا رائغا من جهة، إلا أنه مخيف من جهة أخرى، لأن سام لن تفكّر أبدا في الانفصال عن زوجها مايكل، بينما يرقد في المستشفى في حالة غيبة، وربما حان الوقت لتمضي قدماً وتبني حياة جديدة".

قال سيب: "هذا ما تدفعني إليه الحالة غريس باستمرار، ولكن بناء حياة جديدة بعيداً عن ابنتي وسام ليس بهذه السهولة".

قال جاييلز: "بعد أن تخظّيت أزمة زواجين فاشلين، بالكاد أستطيع أن أدعى أنني مثالى، ولكنني كنت محظوظاً للغاية في المرة الثالثة، لذلك لا يزال لديك الأمل في تحقيق السعادة".

قال له سيب: "إن أفراد العائلة كلهم مسرورون من أجلك، وبالخصوص أمي التي تحبّ كارين".

سأل جاييلز وهو يقود سيارته في طريق سانت جون وود: "وماذا عن أبيك؟".

أجابه سيب: "إنه حذر بطبعته، لذلك قد يستغرق وقتاً أطول للتكيف مع وضعك الجديد، لأنه يريد لك الأفضل دائمًا".

قال جاييلز: "لا يمكنني لومه، فهو قد تزوج من أمك منذ أكثر من خمسة وعشرين عاماً، ولا تزال علاقتها قوية وصلبة".

قال سيب متعمداً تغيير الموضوع: "أخبرني المزيد عن لعبة الكريكيت".

"بالنسبة إلى الهنود لعبة الكريكيت ليست مجرد لعبة، بل هي بمثابة طقوس دينية مقدسة".

"ونحن ضيوف رئيس أم سي سي".

قال جايلز بينما كان يركن سيارته: "نعم، لقد لعبت أنا وفريدي براون في فريق أم سي سي، وكنت كابتن فريق إنكلترا، كما أنك على وشك أن تجد أن لعبة الكريكيت أكثر لعبه تبرز روعة قيمة المساواة، ومن المؤكد أنه سيحضر إلى صندوق الرئيس مزيج مثير للاهتمام من الضيوف الذين قد تجمعهم صفة واحدة مشتركة، وهي الإعجاب باللعبة".

قال سيب: "حسنا، وسأكون الشخص الغريب بينهم".

"مكتب مجلس الوزراء"
هاري كليفتون، هل يمكنني التحدث إلى مدير مكتب رئيس مجلس الوزراء؟".
أجابه السكرتير: "انتظر من فضلك يا سيدي، لأرى إن كان يمكنه أن يتحدث إليك".

بعد لحظات قال له مدير مكتب رئيس مجلس الوزراء: "يا لها من مفاجأة سارة! لقد سالت جايلز منذ فترة، إن حصل أي تقدم في قضية إطلاق سراح أناتولي باباكوف".

أجابه هاري: "للأسف، لا، يا سيد آلان، ولكنني لم أثصل بك من أجل هذه القضية، فأنا أحتج إلى مقابلتك بشكل عاجل، لأنك على موضوع هام، ولم أكن لازعجك لو أنني لا اعتبره بالغ الأهمية".

قال السيد آلان: "إذا كان مهما إلى هذه الدرجة يا سيد كليفتون، فسأراك متى كان ذلك مناسبا، وأنا لا أقول ذلك غالبا لوزراء المجلس".

قال هاري: "أنا في لندن اليوم لزيارة ناشر كتبى، وإذا كان لديك مثسع من الوقت، أرجو أن تخصص لي خمس عشرة دقيقة من بعد ظهر هذا اليوم".

أجاب السيد آلان: "دعني أتفقد جدول مواعيدي،
آه، سأقابل رئيس الوزراء في لوردنز، حيث سيعقد
اجتماعاً غير رسمي مع إنديرا غاندي، فهل يناسبك
في الرابعة والربع؟".

قال جايلز: "صباح الخير يا فريدي، لقد كان لطفاً
منك أن تدعونا".

أجابه فريدي: "يسعدني دعوتك يا جايلز، فمن
الحكمة أن نكون في الجانب نفسه من أجل فرض
التغيير".

ضحك جايلز، وقال: "أعرفك بابن اختي،
سيباستيان كليفتون، وهو يعمل في المدينة".

قال سيباستيان وهو يصافح رئيس أم سي سي:
"صباح الخير يا سيد براون".

قال فريدي: "إنكلترا قد فازت في القرعة،
وستكون لها الضربة في بداية اللعبة"، ثم أردف
 قائلاً: "هل هذه زيارتك الأولى، يا سيباستيان؟".

قال له جايلز: "إنها بداية مشجعة على الفوز في
اللعبة".

بينما أجابه سيب: "لا يا سيدتي، إنها زيارتي الثانية،
فقد حضرت عندما كنت تلميذاً، وشاهدت خالي وهو
يسجل هدفاً من أجل أكسفورد على هذه الأرض".

قال الرئيس بينما كان قد دخل اثنان من ضيوفه
إلى الصندوق، وانضم إليهم: "لم يتحقق الكثير
من الناس مثل هذه الإنجازات العظيمة. أعرف كما
بصديقي القديم سوخي غومان، وهو ليس أسوأ
لاعب كرة في عصره، وهذه ابنته بريا".

ابتسم سيباستيان الذي لم يعد ينظر إلى قائد
إنكلترا السابق.

قال جايلز: "صباح الخير، يا سيد غومان".

سأل سيب الشابة التي حاول الا يحدق إليها كثيراً: "هل تستمتعين بلعبة الكريكيت، يا بريا؟".

أجابت بريا قائلة: "هذا السؤال لا يمكن أن تطرحه على امرأة هندية، يا سيد كليفتون، لأننا قد لا نجد ما نتحدث عنه مع رجالنا، إذا لم نتابع لعبة الكريكيت، وماذا عنك؟".

قال لها سيب: "خالي جايلز لعب في أم سي سي، ولكنني عندما أرى اللاعبين، لا أتوقع أن أستمتع باللعبة".

ابتسمت بريا، وقالت له: "سمعت خالك يقول إنك تعمل في المدينة".

قال لها سيب: "نعم، أنا أعمل في بنك فارذنفر، وهل أنت تمضين عطلتك في إنكلترا؟".

أجابت بريا بشقة: "لا، فأنا مثلك تماماً، أعمل في المدينة".

سألها سيباستيان، بعد أن شعر بالإحراج الشديد: "ما طبيعة عملك؟".

أجابته قائلة: "أنا مدير المحتلين في هامبروز".

فقال لها سيب: "إن عملك يتغير الاهتمام".

قال مدير مكتب مجلس الوزراء، وهو يصافح هاري: "تسعدني رؤيتك مرة أخرى، يا سيد كليفتون".

سأله هاري: "ما كانت النتيجة في وقت الشاي؟".

أجاب مدير مكتب مجلس رئيس الوزراء: "حصلت إنكلترا على 71 مقابل خمسة".

علق هاري مازحاً: "أتمنى أن يهزمونا هذه المرة".

قال له السيد آلان: "لا يمكن اعتبار كلامك أقل من خيانة عظمى، ولكنني سأتظاهر بأنني لم أسمع ما قلته، وبالمناسبة تهانينا على النجاح العالمي الذي حققه كتاب أناتولي باباكوف".

قال له هاري، وهو يشعر بالامتنان له: "لولا جهودك الكبيرة، لما كان تحقق هذا النجاح".

أجابه السيد آلان قائلاً: "كان دوري ثانويًا في هذا النجاح، فبعد كل شيء، لا يفترض أن يظهر وزراء الحكومة على خشبة المسرح، بل عليهم أن يرضوا ياقناع الآخرين داخل الأجنحة من أجل المصلحة العامة، هل أطلب لك شيئاً أو قهوة؟".

قال هاري: "لا، شكرًا لك، وبما أنني لا أريد أن أهدر المزيد من وقتك، فسوف أنتقل مباشرة إلى الموضوع الذي يشغل بالي، فمنذ عدة سنوات طلبت مني السفر إلى موسكو نيابة عن حكومة صاحبة الجلالة، للقيام بمهمة خاصة".

عاد السير آلان إلى كرسيه، وقال له: "وقد أنجزت المهمة على أكمل وجه".

أضاف هاري قائلاً: "لعلك تتدذكر أنك طلبت مني حفظ أسماء مجموعة من العلماء الروس الذين يعملون في هذه الدولة، وأن أوصل هذه الأسماء إليك".

قال مدير مكتب رئيس مجلس الوزراء: "وكان من بين الأسماء في تلك القائمة عميل يدعى بينغلي، وكانت أتمئن أن يكون اسمه مجرد مصادفة".

Sad الصمت المطبق للحظات، ثم قال هاري: "كم كنت غبياً! فقد شدلت بالفعل على أهمية هذا الاسم بالذات".

قال السيد آلان: "أهنتك على قوة ذاكرتك".

طرح هاري عليه سؤالاً آخر كان لا يزال بلا إجابة: "هل تم إبلاغ جايلز بهوية هذا العميل؟ وهل إخفاء الحقيقة عنه يعد منصفاً بحقه، سيدي ألان؟".

أجاب السيد ألان: "ربما لا، ولكن التجسس عمل قدر يا سيد كليفتون، ولا يمكن أن يتبادل المرء بطاقات اتصال مع العدو".

قال له هاري: "لكن جايلز مغرم بابنة بينغلي، وهو ينوي الزواج منها".

أجابه السيد ألان: "إنها ليست ابنة بينغلي، بل هي متدربة تدربتنا عاليًا في وكالة ستاسي، ومنذ البداية كانت العملية مدبرة، ونحن نراقبها عن كثب منذ وقت طويل".

قال له هاري: "ولكن لا بد أن يكتشف جايلز الحقيقة في الوقت المناسب، وبعد ذلك ستنتفتح أبواب الجحيم".

أجاب السيد ألان: "قد تكون على حق، ولكن حتى ذلك الحين يتبعَن على زملاني النظر إلى القضية من منظار أعمق".

قال له هاري: "تماماً كما حصل مع ابني سيباستيان، منذ بضع سنوات".

أجابه السيد ألان: "سوف أندم على ذاك القرار لبقية حياتي، سيد كليفتون".

قال له هاري: "وأظن أنك ستندم على اتخاذ هذا القرار أيضاً، يا سيدي ألان".

أجابه السيد ألان: لا أعتقد ذلك، لأنني إذا أخبرت اللورد بارينغتون بحقيقة كارين براندت، فستتعزز حياة بعض عملائنا للخطر".

سأله هاري: "ما الذي يمنعك من إخباره؟".

قال له السيد ألان: "قانون الأسرار الرسمية".

سأله هاري: "هل أنت واثق من أنني لن أطعنك في ظهرك؟".

أجابه السيد آلان: "سيد كليفتون، إذا كنت أعرف صفة واحدة من صفاتك، فهي أنك لن تخون بلدك أبداً".

فقال له هاري: "أنت رجل داهية".

أجابه السيد آلان: "هذه سمة من سمات وظيفتي التي لا تُعَد ولا تحصى".

كان هاري يزور والدته في أغلب الأوقات في قصرها الريفي خلال استراحة الكتابة من الرابعة إلى السادسة مساء، فيستمتعان بما وصفته مايسى بجلسه الشاي المكونة من شطائر الجبن والطماطم والكعكات بالعسل وإكلير وشاي إيرل غراني، وهما يناقشان كل ما يرتبط بشؤون العائلة - اهتمامها الأكبر - أما السياسة في ذلك الوقت فلم تتر اهتمامها، كما أنها لم تهتم كثيراً بجيم كالاهان أو تيد هيست، ولمرة واحدة فقط صوتت بشكل عشوائي لأشخاص لا يمثون إلى الليبراليين بصلة.

قال لها هاري: "إنه تصويت ضائع، ولم يتوقف جايلز عن تذكيرك بذلك".

أجابته باصرار شديد: "عندما لا تصوت يكون التصويت ضائعاً، وقد أخبرته بذلك مرات عديدة". لم يستطع هاري إلا أن يلاحظ أنه منذ وفاة زوجها، أضفت قواها، فهي لم تعد ترغب في أن تتبنّأه مع الكلب كل مساء، ومؤخراً أذاعت أنها لم تعد تهتم بقراءة الصحف الصباحية من دون الاعتراف بضعف بصرها.

قال لها هاري: "يجب أن أعود إلى جلسة الكتابة

الممتدة من السادسة إلى الثامنة".

عندما نهض عن كرسيه بجانب النار، سلمته رسالة، وقالت له بهدوء: "لا تقرأها إلا بعد موتي".

جلس من جديد بجانبها وقبل جبتهما، وقال لها على الرغم من عدم تقبل كلامها: "لن يحصل ذلك قبل مرور بعض سنوات، يا أمي".

سأل جايلز سياستيان في أثناء عودتها إلى المنزل: "إذا هل تشعر بالسعادة لأنك أخذت إجازة هذا اليوم؟".

أجابه سيب: "نعم، فقد كنت بحاجة ماسة إليها، شكراً لك".

قال جايلز: "يا لها من شراكة عظيمة بين نوت وإلينجورث! قد ينقدان إنكلترا من خلال شراكتهما".

أجابه سيب: "أنا أتفق في الرأي".

سأله جايلز: "هل أتيحت لك الفرصة للدردشة مع ميك جاغر؟".

أجابه سيب: "لا، لم أتحذث إليه مطلقاً".

قال له جايلز: "ماذا عن دون برادمان؟".

أجابه سيب: "لقد صافحته فقط".

أضاف جايلز قائلاً: "ماذا عن بيتر أوتول؟".

أجابه سيب: "لم أستطع أن أفهم أي كلمة تفوه بها".

سأله جايلز: "وبول غيتي؟".

أجابه قائلاً: "لقد تبادلنا بطاقتينا".

سأله جايلز: "ماذا عن رئيس الوزراء؟".

أجاب سيب: "لم أكن أدرك أنه كان حاضراً".

قال له جايلز ممازحاً: من خلال هذا الحوار

البناء، هل أستنتج أن الشابة أثارت إعجابك، يا سيباستيان؟".

أجابه سيب: "نعم، لقد أعجبتني للغاية".

سأله جايلز: "وهل تتمئن أن تلتقي بها مرة أخرى؟".

أجابه سيب: "ربما".

سأله جايلز: "هل استمعت إلى أي كلمة تفوهت بها؟".

أجابه سيب من دون تردد: "بالطبع، لا".

يلتقي الرجال الثلاثة مرة واحدة في الأسبوع، لمناقشة الأمور المتعلقة بميلور ترافل، بينما كان جميع أعضاء مجلس إدارتها يجلسون صامتين في أثناء اجتماعاتهم، ولكن نظراً إلى أنهم لم يرغبو أحياناً في أن يعرف زملاؤهم المدراء ما يخططون له، كانوا يعقدون اجتماعاً أسبوعياً غير رسمي.

يتكون الثالث غير المقدس، كما أشار إليهم سيباستيان، من ديزموند ميلور وأدريان سلون وجيم نولز، وكان لديهم شيء واحد مشترك، وهو كراهية كل من يحمل كنية كليفتون أو بارينغتون.

بعد أن أجبر ميلور على الاستقالة من مجلس إدارة بارينغتون، وغزل سلون من منصب رئاسة مجلس إدارة بنك فارذنفرز، وغادر نولز الشركة من دون الشعور بالأسف لرحيله، أصبحوا مرتبطين معاً بهدف مشترك، وهو السيطرة على بنك فارذنفرز، ثم الاستحواذ على شركة بارينغتون شيبينغ.

قال ميلور لهم يجلسون بهدوء في زاوية أحد أندية لندن القليلة التي من شأنها أن تسمح لهم بأن يكونوا أعضاء فيها: "أنا قادر على تأكيد أن الليدي

فيرجينيا قد باعوني على مضض حصتها البالغة سبعة ونصف في المئة في شركة بارينغتون شبينج، والتي ستسمح لأحدنا بأن يكون عضواً في مجلس الإدارة".

قال نولز: "إنها أخبار رائعة، وأنا سعيد جداً لأنك مستعد إلى تسلم هذه الوظيفة".

قال ميلور: "لا داعي لأن تكون على عجلة من أمرك، فأعتقد أنني سأضغط على زملائنا السابقين، وأجعلهم يفكرون بقلق في هوية من سيقع الاختيار عليه، في كل مرة ينفتح باب غرفة الاجتماعات، حتى إن السيدة كليفتون ستتساءل حول من هنا يوشك أن يظهر أمامها".

قال له سلون: "هذه الوظيفة ستكون ممتعة، إذا كلفتني بها أيضاً".

تابع ميلور كلامه قائلاً: "لا تتحمس كثيراً، لأن ما لا يعرفه أي منكما هو أن لدى بالفعل من يمثلني في المجلس، فأحد مدراء بارينغتون الذي أمضى أطول فترة في الخدمة، يعاني من بعض الصعوبات المالية، وقد اتصل بي مؤخراً للحصول على قرض صغير، وأنا متأكد من أنه لن يقدر على سداده، لذا من الآن فصاعداً، لن أحصل على كل محضر اجتماع مجلس الإدارة فحسب، بل سأحصل أيضاً على أي معلومات داخلية تمنع السيدة كليفتون تسجيلها، والآن أصبحتم تعرفون ما الذي كنت أفعله خلال الشهر الماضي، وأنتما ماذا في حوزتكما؟".

أجابه نولز: "لا بأس بما لديك من معلومات، أما أنا فقد سمعت مؤخراً أن سول كوفمان أحيل على التقاعد عن رئاسة مجلس إدارة الشركة، لأنه مصاب بمرض الزهايمر، وقد استلم ابنه فيكتور مكانه مؤقتاً، إلى أن يعثر على رئيس جديد".

سأله ميلور: "لا يجب أن تكون هذه الفرصة الأمثل لكي نخطو خطوة إلى الأمام؟".

أجابه نولز: "كنت أتمنى لو كان الأمر بهذه السهولة، ولكن للأسف، بدأ كوفمان الصغير بالتفاوض للاندماج في فارذنفرز، فهو وسيباستيان كليفتون صديقان منذ أيام المدرسة، لذا يتتفوق علينا في هذا السباق".

قال سلون: "حسناً، دعونا نتأكد من أنه سيتعثر، عندما يقترب من المنعطف الأخير".

تابع نولز قائلاً: "لقد حصلت على معلومة أخرى مفيدة، وهي أن روس باكنان ينوي التنحي عن منصب رئاسة مجلس إدارة فارذنفرز في وقت ما في العام الجديد، وسيحل حكيم بشارة مكانه، كما سيحتل كليفتون منصب الرئيس التنفيذي لبنك فارذنفرز- كوفمان اللذين سيدفعهما حديثاً".

سأله ميلور: "هل سيوافق بنك إنكلترا على مثل هذا الإجراء الهش؟".

أجابه نولز: "سوف يغضون النظر، خاصة أن بشارة قد كسب مكانة مرموقة وسمعة حسنة في المدينة، وقد تدبر أمر قبوله بصفته جزءاً من هذه المؤسسة".

قاطعه ميلور قائلاً: "ولكن، لا يطلب التشريع الحكومي الجديد التدقيق في سلامة الاندماج المصرفي المقترح من قبل منظمي المدينة؟ لذلك لا يوجد ما يمكن تقديمها عرضاً مضاداً لإثارة الارتباط".

قال له نولز: "ما الهدف من تقديم ذلك العرض، ونحن لم نتمكن من تحدي جيوب بشارة العميقه سابقاً؟ كل ما يمكننا فعله هو تعليق العملية، إلا أن ثمن ذلك لن يكون رخيصاً، فقد تلحق بنا الخسائر التي قد تكلفنا الكثير كما في المرة الماضية".

سأل ميلور: هل هناك ما يمكننا القيام به لمنع الاندماج؟".

قال سلون: "يمكن أن نشوه سمعة بشاره أمام بنك إنكلترا، وبذلك لن يسمح أعضاؤه بأن يتولى إدارة إحدى المؤسسات المالية الأكبر في المدينة".

ذكره ميلور قائلًا: "لقد جربنا ذلك من قبل، وفشلنا في تحقيق غايتنا".

أجابه سلون: "لأن خطتنا لم تكن مضمونة نتائجها، ولكن هذه المرة وضعنا خطة محكمة ستجعل الفشل مستحيلاً، وستدفع المنظمين إلى إلا يسمحوا للاندماج بالمضي قدماً، كما سيتعين على بشاره الاستقالة من رئاسة بنك فارذنفرز".

قال له ميلور: "لأنه لا يسمح للمجرمين الفدائين إدارة مجلس إدارة أحد البنوك".

قال سيب: "هل أنا قبيح الشكل وغبي؟".

سأله كلايف بينهما بينما كان جالسا إلى البار، ويحتسي الجمعة: "وهل يحتاج مظهرك إلى طرح مثل هذا السؤال؟".

أجابه فيكتور كوفمان: "من دون شك".

قال سيب: "هذا يفسر الأمر".

سأل كلايف: "يفسر ماذا؟".

أجاب سيب: "لقد اصطحبني خالي يوم الخميس الماضي إلى لورد".

أضاف فيكتور قائلًا: "لمشاهدة إنكلترا تسحق الهند".

أجاب سيب: "صحيح، ولكنني قابلت فتاة...".

قال له فيكتور: "آه، لقد أصبح الضباب كثيفاً".

قال له كلايف: "وقد أثارت إعجابك".

قال سيب: "بل أكثر من ذلك، أعتقد أنها أحبتني بالفعل".

قال فيكتور: "لا بد أن تكون غبية".

قال لها سيب: "ولكنها رفضت أن تتحدث إلي عندما اتصلت بها في اليوم التالي".

سأل فيكتور: "وما زالت ترفض أن تتلقى مكالماتك؟".

أجاب سيب: "إنها خارجة عن السيطرة، فقد دعوتها لتناول الغداء، ثم دعوتها لتناول العشاء، كما عرضت عليها مشاهدة مسرحية تاجر البندقية".

سأله فيكتور: "ورفضت دعواتك كلها؟".

أجاب سيب: "هذا صحيح، لذلك سأسألك مجددًا، هل أنا قبيح إلى هذه الدرجة؟".

أجابه كلايف: "لا شك في ذلك، والآن من هنا سيرافقك لحضور مسرحية تاجر البندقية؟".

أجابه سيب: "لا أحد سيرافقني لحضورها، لأنني لن أستسلم".

سألتها زميلتها في الشقة جيني: "اعتقدت أنك أخبرتني بأنك أحببت سيباستيان؟".

أجبت بريا قائلة: "لقد أحببته بالفعل، وكانت رفقته رائعة".

سألتها جيني: "ولماذا رفضت دعوته؟".

أجبتها بريا: "لأنه من سوء حظي، قد وجه دعواهات الثلاث إلى في أوقات غير مناسبة".

سألتها جيني: "أما كان في إمكانك إعادة ترتيب مواعيده؟".

أجبتها بريا: "لا، لأنه قد دعاني والدي إلى حضور حفلة باليه مساء الأربعاء، مارغوت فونتين في بحيرة البحيرة".

سألتها جيني: "حسناً، سأقبل عذرك، وما كان لديك في الدعوة الثانية؟".

أجبتها بريا: "في يوم الخميس طلب مني مديرى حضور مأدبة غداء أقامها لعميل مهم كان مسافراً إلى نيودلهي".

قالت جيني: "عذر عادل بما يكفي".

تابعت بريا كلامها قائلة: "وفي يوم الجمعة، كان لدى موعد مع مصحف الشعر".

قال جيني: "إنه عذر يثير الشفقة".

قال بريا: "أنا أعلم ذلك، ولكن في الوقت الذي رفضت دعوات سيباستيان لم يعد المصحف متوفراً".

كزرت جيني قائلة: "إنه عذر يثير الشفقة".

تابعت بريا كلامها قائلة: "والأسوأ من ذلك، أن أبي اتصل في اليوم التالي ليقول إنه قد طرأ عليه عمل، وأن عليه أن يسافر إلى بومباي، وبالتالي لم يعد في إمكاني مشاهدة مارغوت فونتين في بحيرة البعع، فهل يمكنني إغراوك بمرافقتي لمشاهدتها معا، يا جيني؟".

أجبتها جيني: "أنت تراهنين على موافقتي، ولكنني لن أرافقك، لأنك ستقومين بالاتصال بسيباستيان، لإخباره بأن موعدك مع والدك قد ألغى، وسؤاله عما إذا كان يرغب في الانضمام إليك".

قالت لها بريا: "لا يمكنني فعل ذلك، فلن أستطيع الاتصال به، ودعوته إلى الحفلة".

قالت لها جيني: "بريا، إننا في العام 1971، ولم يعد أمراً مستهجننا أن تطلب امرأة من الرجل الذي يثير إعجابها أن يرافقها لحضور حفلة باليه".

قالت لها بريا: "ولكنه يعد كذلك في الهند".

قالت لها جيني: "لكننا لسنا في الهند، كما أنك تهاتفين الرجال طوال الوقت من دون أن تشعرني بأي حرج".

قالت لها بريا: "لا، أنا لا أقوم بذلك".

قالت لها جيني: "بل أنت تقومين به، وذلك يعد جزءاً من وظيفتك، وأنت تحبذينه".

قالت لها بريا: "هذا مختلف تماماً، فالاتصال بسيباستيان لمناقشة انخفاض أسعار الفائدة سيكون أسهل بكثير، من دعوته إلى حفلة باليه، وقد يحصل بي مرة أخرى".

أجبتها جيني: "وربما لن يحصل".

سألتها بريا: "هل أنت متأكدة من أنك لا تريدين

مشاهدة مارغوت فونتين؟".

أجابتها جيني: "بالطبع أريد حضورها، وإذا أعطيتني التذكريتين، فسأحصل بسيباستيان واسأله عما إذا كان يود أن يرافقني".

قال السكرتير: "جيني بارتون تنتظر على الخط الأول، سيد كليفتون".

قال سيب: "جيني بارتون، جيني بارتون.. وكأنني سمعت بهذا الاسم من قبل، هل قالت في أي شركة تعمل؟".

أجابه السكرتير: "لا، قالت إنها مسألة شخصية".

قال له سيب: "لا يمكنني أن أقابلها، ولكن يمكنك أن تصلكي بها".

قالت جيني: "صباح الخير يا سيد كليفتون، أنت لا تعرفني، فأنا شريكة بريا غومان في السكن، وقد علمت أنك اتصلت ببريا مساء أمس، ودعوتها إلى تناول العشاء".

كادت أن تفلت سفاعة الهاتف من يد سيب، وهو يقول: "كما دعوتها إلى تناول الغداء، وحضور مسرحية، وقد رفضت دعواتي الثلاث".

تابعت جيني كلامها قائلة: "إنها نادمة على رفضها دعواتك الان، وإذا اتصلت بها من جديد، فأعتقد أنها ستكون حرة يوم الأربعاء".

سألها سيب: "شكرا لك آنسة بارتون، ولكن لماذا لم تتصل بنفسها؟".

"يحق لك أن تطرح هذا السؤال، وبعد الذي قالته عنك، لم أكن لأرفض دعواتك بالتأكيد".
ثم أنهت الاتصال.

قالت والدة سيب: "لم يكن لدى أدنى فكرة أنك تهتم بحضور حفلات الباليه يا سيسيستيان، ظننت أنك من عشاق المسرح حصراً".

قال لها سيب: "أنت محققة يا أمي، ففي الواقع ستكون هذه زيارتي الأولى إلى دار الأوبرا الملكية".

قالت له والدته: "إذا كن حذرا، ولا تكثر من تناول طعام الغداء".

سألها سيب قائلاً: "لماذا؟".

قالت له: "كل شيء يبدو حضارياً ومنظماً للغاية في كوفنت غاردن، كما يستمر تقديم طعام العشاء طوال المساء، فالطبق الأول يقدم قبل أن ترفع الستارة، والطبق الرئيسي يقدم خلال الاستراحة الطويلة، أما القهوة والجبن والبسكويت فتقدم بعد إسدال الستارة، ولكن من دعوت إلى حضور تلك الحفلة؟".

قال سيب: "لست أنا الداعي بل المدعو".

سألته: "هل من دعاك يكون شخصاً أعرفه؟".

أجاب سيب: "كفي عن التحقيق معني يا أمي".

قالت له بريا: "بصفتك مصرفينا، فأنت توافق على مدى إجادة إدارة هذا المكان، فمعظم الدورات بسيطة وسهلة التحضير، لذلك عندما تعود إلى طاولتك بعد نهاية كل مشهد، يكون العامل مستعداً لخدمتك بسرعة".

قال لها سيب: "يمكنني أن أرى سبب كونك محللة ناجحة".

قالت له بريا: "وأنت تترأس قسم الممتلكات في فارذنفرز، وهي مسؤولية كبيرة بالنسبة إلى أي شخص في مثل...".

قاطعها سيب قائلاً: "في مثل سني؟ كما تعلمين

جيـداً، فـالأعـمال المـصرـفـية هي لـعـبة الشـبابـ، وـمـعـظم زـملـانـي قد يـنهـكـهـم الـعـمل في سنـ الـأـرـبـعـينـ، وـبعـضـهـم الـأـخـرـ قد يـنهـكـهـم فيـ التـلـاثـيـنـ".

قالـتـ لهـ بـريـاـ: "فيـ الـوقـتـ الـذـي لاـ يـزالـ يـصـعبـ عـلـىـ الـمرـأـةـ أـنـ تـحرـزـ أـيـ تـقـدـمـ فيـ الـمـديـنـةـ".

قالـ سـيـبـ: "عـدـ قـلـيلـ مـنـ الـبـنـوـكـ يـقـتـرـبـ بـبـطـءـ مـنـ قـبـولـ إـمـكـانـ أـنـ تـكـونـ الـمـرـأـةـ فـعـالـةـ مـثـلـ الرـجـلـ تـمـاماـ، وـمـعـ ذـلـكـ فـابـنـ مـعـظـمـ الـمـؤـسـسـاتـ الـقـدـيمـةـ لـاـ تـزالـ تـعـيـشـ فـيـ الـعـصـورـ الـمـظـلـمـةـ، فـتـهـمـ بـالـمـدـرـسـةـ الـتـيـ التـحـقـتـ بـهـاـ، أـوـ بـنـسـبـ وـالـدـكـ أـوـ بـمـكـانـتـهـ الـاجـتمـاعـيـةـ، وـغـالـبـاـ مـاـ تـتـفـوـقـ هـذـهـ الـشـروـطـ عـلـىـ الـقـدـراتـ الـكـبـيرـةـ وـالـمـؤـهـلـاتـ الـعـالـيـةـ".

لـقـدـ رـأـيـتـ ثـلـاثـةـ أـجـرـاسـ، فـسـأـلـ سـيـبـ: "هـلـ يـعـنيـ ذـلـكـ أـنـ الـمـمـثـلـيـنـ عـلـىـ وـشـكـ اـعـتـلـاءـ خـشـبـةـ الـمـسـرـحـ؟ـ".

أـجـابـتـهـ بـريـاـ: "نـظـرـاـ إـلـىـ أـنـكـ مـنـ روـادـ الـمـسـرـحـ العـادـيـيـنـ، فـسـتـعـرـفـ أـنـ هـذـاـ جـرـسـ يـسـتـغـرـقـ رـنـيـنـهـ ثـلـاثـ دـقـائقـ".

تـبـعـهاـ سـيـبـ إـلـىـ خـارـجـ الـمـطـعـمـ، وـدـخـلـاـ الـقـاعـةـ، فـبـدـتـ بـريـاـ تـعـرـفـ تـمـاماـ الـمـكـانـ الـذـيـ تـتـوـجـهـ إـلـيـهـ، وـلـمـ يـتـفـاجـأـ عـنـدـمـاـ جـلـساـ عـلـىـ الـمـقـاعـدـ الـوـثـيـرـةـ فـيـ الـمـسـرـحـ، وـمـنـذـ الـلـحـظـةـ الـتـيـ اـرـتـفـعـتـ فـيـهاـ الـسـتـارـةـ اـنـتـقـلـ سـيـبـ إـلـىـ عـالـمـ أـخـرـ، فـأـسـرـتـهـ مـهـارـاتـ الـراـقـصـيـنـ وـرـقـيـ فـنـهـمـ، وـعـنـدـمـاـ اـعـتـقـدـ أـنـهـ لـاـ يـمـكـنـ أـنـ يـرـىـ فـئـاـ أـرـقـىـ، دـخـلـتـ رـاقـصـةـ الـبـالـيـهـ، فـأـدـرـكـ أـنـهـ سـيـعـودـ مـرـازـاـ وـتـكـرـازـاـ إـلـىـ هـذـاـ الـمـكـانـ السـاحـرـ، وـعـنـدـمـاـ أـسـدـلـتـ الـسـتـارـةـ فـيـ نـهـاـيـةـ الـفـصـلـ الثـانـيـ وـتـلـاشـيـ التـصـفـيقـ، قـادـتـهـ بـريـاـ إـلـىـ الـمـطـعـمـ لـلـمـرـةـ الثـانـيـةـ، وـسـأـلـتـهـ بـيـنـمـاـ كـانـاـ يـجـلـسـانـ: "حـسـنـاـ، مـاـ رـأـيـكـ بـمـاـ شـاهـدـتـهـ حـتـىـ الـآنـ؟ـ".

أجاب سيب وهو ينظر إليها مباشرة: "كنت مذهولة، وقد استمتعت بأداء مارغوت فونتين".

ضحك بريا وقالت: "عندما كنت في السابعة من عمري أصطحبني والدي لحضور حفلة باليه للمرة الأولى، ومثل كل الفتيات الصغيرات، غادرت المسرح وأنا أرغب في أن أكون واحدة من أفراح الإوزة الأربع، ومنذ ذلك الوقت نشأت علاقة حب عميقة بيني وبين الباليه".

قال سيب عندما وضعت قطعة لحم الضأن أمامه: "كان لدى الشعور نفسه عندما رافقت والدي إلى ستراتفورد لرؤية بول روبسون في عظيل".

قالت بريا وقد ارتسمت على وجه سيب الحيرة: "كم أنت محظوظ! فستتمكن الآن من رؤية جميع عروض الباليه الرائعة للمرة الأولى، ولكن ضع في اعتبارك أن البدء بمارغوت فونتين لن يجعل الأمر سهلاً على من يتابعها".

قال لها سيب: "قال لي والدي ذات مرة، أنه ما كان يقرأ أي كلمة لشكسبير قبل يتمكن من مشاهدة جميع مسرحياته السبع والثلاثين من دون معرفة النهايات".

قالت له بريا: "أدرك الآن ما يقصده بالضبط، إلا أنني لا أذهب إلى المسرح بما فيه الكفاية".

قال لها سيب: "لقد دعوتك إلى مسرحية تاجر البنديبة، ولكنك...".

قالت بريا: "كان لدى ارتباط تلك الليلة، ولكنني أصبحت في حل منه، وأنا أرغب في الذهاب معك، إن لم تقدم التذكرة إلى شخص آخر".

قال سيب: "أنا أسف، ولكن اثنين من أصدقائي كانوا متلهفين لرؤية أوليفر، لذلك...".

قاطعته بريما، بعد أن خاب أملها: "أتفهم ذلك".

قال لها سيب: "ولكنني رفضت أن يرافقني أي واحد منها".

سألته بريما: "لماذا؟".

أجاب سيب: "لأن كليهما لديهما أرجل مشعرة".

انفجرت بريما ضاحكة، وقالت له: "أنا لا أعرفك مطلقاً، فمن أنت؟ إبدأ بالتعريف بنفسك أنت أولاً".

قال لها سيب: "لدي الكثير من الأسئلة التي أريد أن أطرحها عليك أولاً".

قالت له بريما: "وأنا أيضاً".

سأله سيب: "أعلم أنك ذهبت إلى سانت بول ثم إلى غيرتون، ولكن لماذا اخترت الخدمات المصرفية؟".

أجبته بريما: "لقد كنت دائمًا مفتونة بالأرقام والأنماط التي تخلقها، وخاصة عندما يتبعين عليك توضيح أهميتها للرجال الذين غالباً ما يهتمون بالمكاسب القصيرة الأمد".

سأله سيب: "أتعني الرجال أمثالى؟".

أمل ألا تكون ساماً، التي تتحدث، ولكنه لن يرتكب الخطأ نفسه مرة ثانية، ثم أردف قائلاً: "منذ متى وأنت تعملين في هامبروز؟".

أجبته قائلة: "منذ ثلاث سنوات ونيف".

سأله سيب: "الآن يجب أن تفكري في خطوتك التالية؟".

أجبته بريما: "أتعني مثل الرجال، لا، فأنا سعيدة جداً في مكان إقامتي، على الرغم من أنني أشعر بالاكتئاب عندما يتم ترقية الرجال غير المناسبين إلى وظائف تتخطى قدرتهم الفعلية، وكانت أتمنى أن تكون إدارة البنوك مثل رقص الباليه، ولو كان

يمكن أن يتحقق ذلك، فستكون مارغوت فونتين حاكمة بنك إنكلترا".

قال سيب وقد رئ الجرس لمدة ثلاثة دقائق: "لا تعتقد أن السير ليزلي أوبراين سيصنع بجعة سوداء مثالية"، وسرعان ما فرغ كأسه من النبيذ، وعادا إلى مكانهما.

كانت بريا على حق، لأن سيب لم يستطع أن يرفع عينيه عن البجعة السوداء، التي فتنت الجمهور بأكماله بتألقها الذي يسلب الألباب ويهدر الأنظار، وعندما أسدل الستار في نهاية الفصل الثالث، كان متلهفاً لمعرفة ما سيحدث في الفصل الأخير، ولكنه قال لبريا عندما عادا إلى طاولتهما: "لا تقولي لي، لا تقولي لي".

قالت له بريا: "لن أفعل ذلك، كي تتمكن من أن تستمتع باللحظة، لأنك للأسف لا يمكنك الحصول على هذه التجربة الفريدة إلا مرة واحدة في حياتك".

قال لها سيب: "ربما ستتمتعين بالتجربة نفسها عندما نذهب معاً لحضور مسرحية تاجر البنديقة، حيث سيسحرك جمال ضوء القمر الذي يستلقي في كبد السماء! بينما نجلس صامتين، ونحن نسمع أصوات الموسيقى العذبة التي تتسلل برقة إلى أذاننا، وسكون الليل يخيم في المكان، ولمسات الأنغام الرقيقة تداعب المشاعر بخفة ولطف، اجلس يا سامانثا، انظري كيف...".
احنى سيباستيان رأسه.

قالت له بريا: "أسفه جداً، ولكن ماذا قلت؟".

أجابها سيب: "لا شيء، لا شيء، لقد ذكرتني بشيء ما".

سألته بريما: "الأصح أنني ذكرت بشخص ما".

أنقذت المذيعة سيب، وهي تقول: "سيدة اتي وسادتي، أرجو أن تشغلو مقاعدكم، لأن الجزء الأخير على وشك أن يبدأ".

كان الجزء الأخير مؤثراً للغاية، وكانت فونتين آسراً للقلوب، لدرجة أن سيب عندما استدار ليり ما إذا كان المشهد له التأثير نفسه على بريما، اعتقاد أنه رأى دمعة تناسب على خدها، فأمسك بيدها برفق شديد.

همست إليه بريما: "آسفة، فأنا أخدع نفسي، فلا يمكن أن يكون ذلك ممكناً".

عندما أسللت الستارة أخيراً، شارك سيب الحاضرين في التصفيق الحار الذي دام عشر دقائق، وقد تلقت مارغوت فونتين العديد من المكالمات الهاتفية وباقات الورود التي كان عددها كبيراً إلى درجة أنها تمكّنها من أن تفتح محلًا لبيع الزهور، وعندما غادرا القاعة، أمسك سيب بيدي بريما وهما في طريقهما إلى المطعم، فشعر بتوترها، ولكنه لم يتحدث إليها، وفور تقديم القهوة، قالت له بريما: "شكراً لك على هذه الأمسية الرائعة، فقد كانت رفاقتكم تشبه مشاهدة بحيرة البحيرة للمرة الأولى، فلم أستمتع بمشاهدة هذا الأداء الرائع منذ وقت طويل".

قال لها سيب: "هناك ما يشير قلقك".

قالت بريما: "أنا هندوسية".

انفجر سيب ضاحكاً وقال لها: "وأنا من يوكيل سومرست، ولكن ذلك لم يقلقني أبداً".

ولكن بريما لم تضحك، وقالت له: "لا أعتقد أنني أستطيع مرافقتك إلى المسرح يا سيب".

سألها سيب: "ولم لا؟".

أجابت بريا: "أنا خائفة مما قد يحدث إذا رأينا بعضنا مرة أخرى".

قال لها سيب: "أنا لا أفهمك".

قالت له بريا: "لقد أخبرتك بأن والدي عاد إلى الهند".

قال لها سيب: "نعم، وأفترض أن عاد لإنجاز بعض الأعمال".

قالت له: "لقد أمضت والدتي الأشهر القليلة الماضية وهي تبحث عن الرجل المناسب الذي يمكن أن أتزوج منه، وأعتقد أنها حسمت خيارها النهائي".

قال سيب: "لا، لا يمكن أن يكون ذلك ممكناً".

قالت بريا: "ولم يبق لإتمام الاتفاق الآن سوى موافقة والدي على هذا الزواج".

سألها سيب: "الا يحق لك الاختيار؟ الا رأي لك في الزواج؟".

أجابته بريا: "لا، عليك أن تدرك، يا سيب، أن هذا النوع من الزواج يعذ جزءاً من تقاليدنا وعاداتنا ومعتقداتنا الدينية".

سألها سيب: "ولكن ماذا لو وقعت في حب شخص آخر؟".

أجابته: "سيتعين على احترام رغبات والدي في مطلق الأحوال".

مد سيباستيان يده عبر الطاولة للإمساك بيدها، ولكنها سحبتها بسرعة، وقالت له: "أنا لن أنسى أبداً الليلة التي شاهدت فيها بحيرة البحرين برفقتك، سيب، وستبقى هذه الذكرى محفورة في قلبي طوال حياتي".

غض طرفه وهو يقول لها: "وأنا كذلك، ولكن

بالتأكيد....".

ولكنه عندما رفع رأسه إلى الأعلى، كانت قد اختفت مثل البعثة السوداء.

سألتها جيني وهي تضع بيضتين في قدر من الماء المغلي: "كيف كانت الليلة الماضية؟".

قالت لها بريما بأسى: "ما كان يمكن أن تكون أسوأ من ذلك، فلم تكن كما خطّطت لها على الإطلاق".

استدارت جيني فرأت صديقتها على وشك البكاء، فهرعت إليها، وجلست إلى جانبها، ووضعت ذراعها حولها كتفيها وسألتها: "أكانت سيئة إلى هذا الحد؟".

أجابتها بريما متألقة: "بل أسوأ بكثير، فقد أحببته أكثر مما كنت أتوقع، وأنا ألومك على كل ما أشعر به من ألم".

سألتها جيني: "علام تلوميني؟".

أجابتها قائلة: "لو أنك وافقت على مرافقتني لحضور حفلة الباليه، ما كان ذلك ليحدث".

قالت جيني: "لكن الوقوع في الحب شعور جميل".

قالت لها بريما: "لا، إنه مروع، وفي نهاية الحفلة غادرت وحدي، بعد أن أخبرته بأنني لا أرغب في رؤيته مرة أخرى".

سألتها جيني: "ماذا فعل ليغضبك بشدة؟".

أجابتها بريما: "لقد جعلني أقع في حبه، وهذا الشعور لم أسع إليه أبداً".

قالت لها جيني: "لكنه شعور رائع، إذا كان يبادلك هذا الحب".

قالت لها بريما: "ولكن هذا الحب يمكن أن يستهوي بكارثة، عندما يكون أهلاً ...".

قاطعتها جيني قائلة: "أنا متأكدة من أن والدي سيب سيرخبان بك في الأسرة، فكل ما قرأته عنهما

يوجي بأنهما متحضران للغاية".

قالت لها بريا: "ليسا والديه من أقلق بشأنهما، بل والذى، فهما لن يعتبرا سيباستيان مناسبا...".

قاطعتها جيني قائلة: "نحن نعيش في العالم الحديث يا بريا، وقد أصبح الزواج المختلط بين المجموعات العرقية المختلفة شائعا، كما عليك أن تأخذى والديك لمشاهدة فيلم خمن من أنتى من أجل العشاء".

قالت لها بريا: "صدقيني إن قصة رجل أسود يريد الزواج من امرأة بيضاء في أميركا في الستينات، لا تقارن بقصة هندوسية وقعت في غرام مسيحي، جيني، ألم تلاحظي أن هذا الفيلم لم يناقش مسألة الديانة أبدا، بل اكتفى بمعالجة مسألة اختلاف لون البشرة؟".

أجبتها جيني قائلة: "أنا أدرك تماماً أن زواج الهندود الذين يعتنقون الديانة الهندوسية من الذين يعتنقون ديانة مختلفة ليس شائعا في الهند، خاصة الديانة المسيحية، ولكن هذا التفكير بات متخلقاً ولم يعد مقبولاً أن يفكر الهنودسي بتعصب في عصرنا الحديث".

قالت بريا: "ليتنى لم أرافق والدي إلى مباراة الكريكيت ذلك اليوم".

قالت لها جيني: "لكنك فعلت، لذا عليك مواجهة الواقع، واتخاذ القرار المناسب، فهل تفضلين بناء حياة سعيدة برفقة سيباستيان، أو إرضاء والديك من خلال زواجك من رجل لم تقابليه من قبل؟".

أجبتها بريا: "أتمنى لو كان يمكنني اختيار الحياة التي أود أن أعيشها بهذه البساطة، فقد حاولت أن أشرح لسيbastian معنى أن ينشأ الأبناء في منزل أهلهم على التقاليد والعادات الهندوسية التي

يعتبرونها واجباً مقدساً لا يمكن التخلص عنه".

سألتها جيني: "ماذا عن الحب؟".

أجبتها بريما: "يمكن أن يأتي الحب بعد الزواج، فهذا ما حصل مع والدي".

قالت جيني: "لكن والدك تعرف إلى سيباستيان، وبالتأكيد سيتفهم حبك له".

قالت لها بريما: "احتمال زواج ابنته من مسيحي لن يخطر على باله أبداً".

قالت لها جيني: "إنه رجل أعمال ذائع الصيت في العالم، وقد أرسل إلى سانت بول، وكان فخوزاً بك عندما فزت في مقعد في كامبريدج".

قالت لها بريما: "نعم، فهو قد سمح لي بتحقيق طموحاتي من دون أي قيد أو شرط، ولكن عندما يتعلق الأمر باختيار من سأتزوج منه، فسيكون قراره ثابتاً، وسينتظر مني أن أطيعه، فقد قبلت ذلك دافعاً، كما أن أخي قد وافق على أن يتزوج من فتاة لم يقابلها من قبل، وكذلك شقيقتي الصغرى مستعدة للامتثال لأوامر والدي، وكانت أستطيع تحديهما لو شعرت بأنهما قد يخضعان لقراري، ولكنني أعلم أنهما لن يقبلان بذلك الزواج أبداً".

قالت لها جيني: "ولكن عليهما أن يقبلان به، فهناك نظام عالمي جديد، وقد تغيرت الأوضاع بما كانت عليه في الماضي".

أجبتها بريما: "لم تتغير الأوضاع للأفضل، فلم تمل والدتي من تكرار قول ذلك مراراً وتكراراً".

ركضت جيني نحو الموقد بينما كانت المياه تغمر حافة القدر، وأخرجت البيضتين المسلوقتين بعد أن تشقت قشرتيهما، فضحكتا لروية هذا المشهد، ثم سالت جيني: "ماذا ستفعلين حيال ذلك؟".

أجابت بريما وقد تجهم وجهها من جديد: "لا يوجد ما يمكنني القيام به، قلت له إننا لا نستطيع رؤية بعضنا مرة أخرى، وأنا أعني ما قلته".

انبعث صوت طرق قوي على الباب الأمامي، فقالت جيني: "أراهن أن سبب من يطرق الباب".

قالت لها بريما: "إذا عليك أن تفتحي له الباب!".

قالت لها جيني: "آسفه، فقد وضعت بيضة أخرى، وأنا أراقبها وهي تغلي، لأنني لا أستطيع تحمل ارتكاب الخطأ مرتين".

سمعتا نقزا على الباب، وقد بدا أكثر حزما، فقالت جيني وهي جالسة بجوار الموقد: "استمر بقرع الباب".

أعدت بريما خطابا قصيرا، وهي تسير ببطء في القاعة باتجاه الباب، وما إن فتحته حتى قالت له: "أنا آسفه، لكن...".

فتفاجأت عندما رأت أمام الباب الأمامي شابا يحمل وردة حمراء، فسألها الشاب: "هل أنت الآنسة بريما غومان؟".

أجابته: "نعم".

قال لها: "لقد طلب مني شاب اسمه سيباستيان أن أعطيك هذه الوردة".

شكرته بريما، وأغلقت الباب خلفه، وعادت إلى المطبخ، فسألتها جيني: "هل كان سيباستيان؟".

قالت لها وهي تمسك بيدها الوردة: "لا، لكنه أرسل لي هذه الوردة".

قالت لها جيني: "يجب أن أبدأ بحضور المزيد من مباريات الكريكيت".

سأله كلايف: "أعلى مدار الساعة، وكل ساعة؟".

قال له سيب: "هذا صحيح".

سأله فيكتور: "إلى متى تنوي الاستمرار بإرسال وردة لها على مدار الساعة وكل ساعة؟".

أجابه سيب: "المدة التي يستغرقها التراجع عن قرار الابتعاد عني".

قال له فيكتور: "يجب أن يكون في مكان ما بائع زهور سعيد للغاية".

سأله سيب: "أخبرني يا فيك، هل يفكّر الآباء اليهود بالطريقة نفسها تجاه زواج بناتهم من أشخاص يعتنقون ديانة مختلفة عن دينهم؟".

قال له فيك: "يجب أن أعترف بأنني عندما تلقيت دعوة والدي روث لتناول العشاء خلال أيام الجمعة لثلاثة أسابيع متتالية، أدركت أن نوع الطعام الذي سيسمح لي باختياره كان الخضروات".

سأله فيك: "يمكننا أن نفهم الضغط الكبير الذي ستواجهه برياً".

قال كلايف: "أناأشعر بمعاناتها".

قال فيكتور: "ولكن هل يعني ذلك، يا سيب، أنك لن تصطحبها إلى حضور مسرحية تاجر البندقية في ذا ناشيونال، هذه الليلة؟".

أجابه سيب: "يبدو هذا الاحتمال مستحيلاً، لذلك يمكنكم الحصول على تذكرة أيضاً، وأتمنى أن تستمتعوا كلّيكم بمشاهدتها".

أخرج محفظته وسلم البطاقتين لكلايف، فقال فيكتور: "يمكننا رمي قطعة نقود، لنقرر من منا سيرافقك لحضور المسرحية".

قال له سيب: "لا، لدى خطط أخرى لهذه الليلة".

قال له السكرتير: "إنها الانسة جيني بارتون على

الخط الثالث، يا سيد كليفتون".

قال له سيب: "صلني بها".

قالت له جيني: "مرحبا يا سيب، اتصل لأدعوك إلى أن تصمد ولا تيأس من المحاولة، فيريا ترعبها فكرة خسارتك".

قال لها سيب: "لكنها لم ترد على أي رسالة من رسائي، كما أنها لم تجب على مكالماتي الهاتفية، وهي لا تستجيب...".

قاطعته جيني قائلة: "ربما يجب أن تكتف بمحاولاتك، وتلتقي بها لإقناعها بضرورة التراجع عن موقفها".

قال لها سيب: "إنني أراقبها كل يوم، فأنا أنتظر قدومها إلى العمل خارج هامبروز في الصباح الباكر، وأنظر إليها من بعيد عندما تستقل الحافلة في المساء، وما إن تصلك إلى شقتها في الليل، أكون في انتظارها في زاوية الشارع، وإذا حاولت أن أضعف جهودي أكثر، فقد اعتقل بتهمة المطاردة".

قالت له جيني: "سأزور والدي في نورفولك في نهاية هذا الأسبوع، ولن أعود حتى صباح الاثنين، وستكون الفرصة مؤاتية لحثها على التراجع عن موقفها، فاستمر بمحاولاتك ولا تستسلم".

كانت تمطر عندما غادرت برييا البنك مساء الجمعة، فحملت مظلتها، وأاحت رأسها لتجئ برك الماء، وهي تشق طريقها إلى محطة الحافلات، وكالعادة كان ينتظر الشاب قدومها، وكما فعل كل ليلة خلال ذلك الأسبوع، قدم إليها وردة وهو يقول لها: "مساء الخير أنسة غومان".

أجابته قبل أن تنضم إلى من ينتظرون قدوم

استقلت برينا الحافلة، وجلست في الطابق العلوي، ونظرت من النافذة وهي شاردة الذهن، فلمحت سيب مختبئاً تحت سقف أحد المتاجر، وعندما وصلت الحافلة إلى فولهام رود ترجلت منها، فكان ينتظر وصولها شاب يحمل وردة، فقدمها إليها وشكرته، ثم ركضت باتجاه الشقة، وقد ازداد انهمار المطر غزارة مع مرور الوقت، وما إن وضعت المفتاح في قفل الباب حتى شعرت بشدة ببرودة الأبواب الأمامية، وكانت قد قررت تناول عشاء خفيفاً تلك الليلة، وأخذ حمام دافن، والخلود باكراً إلى النوم لتحصل على قسط من الراحة، وبينما كانت تتناول الحليب من التلاجة دق جرس الباب، فابتسمت وهي تتفحص ساعتها، فكان موعد الوردة الأخيرة قد حان، والتي ستتنضم إلى الورود الأخرى في المزهرية الموضوعة على الطاولة في الصالة، ولكن إلى متى سيستمر سيب بإرسال الورود إليها؟ اتجهت بسرعة نحو الباب، فهي لا تريد أن ينتظر الشاب طويلاً، وما إن فتحته حتى رأت سيب واقفاً أمامها وهو يحمل مظلته في يد الوردة في اليد الأخرى، فأغلقت الباب في وجهه، وانهارت على الأرض وهي تجهش بالبكاء، كيف يمكنها أن تستمر بأساءة معاملته، وهي التي كانت مسؤولة عن سوء الحالة التي وصلا إليها؟ جلست في الردهة وقد أحنت ظهرها، وانكمشت على نفسها قرب الحائط، فمرة ببعض الوقت قبل أن تبدأ بالتقاط أنفاسها، ثم عادت إلى المطبخ، فكان ضوء القمر قد بدأ يتلاشى، فسارت نحو النافذة، وأسدلت الستائر، وهو لا يزال في الشارع، وقد لمحته وهو يجلس على الرصيف بعيداً عن الطريق، والأمطار تتتساقط على مظلته والأرض، فحدقت إليه من خلال شق الستارة

المسدلة الضيق من دون أن يستطيع رؤيتها، إلا أن عليها أن تطلب منه الذهاب إلى المنزل قبل أن يصاب بالتهاب رئوي، فركضت نحو الباب، وفتحته وهي تصيح به: "سيباستيان، من فضلك عد إلى البيت".

حذق إليها، ثم نهض من مكانه، فأرادت أن تغلق الباب على الفور، بينما كان يمشي ببطء، ويتجاوز الشارع متوجهًا نحوها، فتوقع أن تغلق الباب في وجهه مرة أخرى، ولكنها لم تغلقه، فاقترب منها، وضفها إلى صدره، وقال لها: "لا يمكنني الاستمرار بالعيش، إذا لم أتمكن من أن أكون إلى جانبك".

قالت له بريما: "وأنا أيضًا، ولكن يجب أن تدرك أن علاقتنا لا مستقبل لها".

قال لها سيب: "سأقابل والدك ما إن يرجع من الهند، ولا أظن أنه لن يتفهم علاقتنا".

قالت: "لن يحدث لقاوك به أي فرق".

قال لها: "إذا سيعين علينا القيام بشيء ما حيال ذلك قبل عودته".

قالت له بريما: "أول ما يتعين علينا القيام به هو نزع هذه البذلة عنك قبل أن تصاب بالمرض، فأنت مبلل تماماً".

عندما نزعت عنه سترته، انحنى إلى الأمام، وبدأ يفك أزرار بلوزتها.

قالت له: "ولكنني لست مبللة".

همس إليها: "أعرف ذلك".

استمر كل منهما بخلع ملابس الآخر، ثم ضفها إلى صدره وقبلها للمرة الأولى، وبعد ذلك بدأ يتخطيطان كالراهقين، وهما يكتشفان جسدي بعضهما ببطء شديد ورقة متناهية، وعندما مارسا الحب في

النهاية، بدا وكأن سيباستيان قد أقام فعل ذلك للمرة الأولى، إلا أنها كانت المرة الأولى لبريا بالفعل.

طيلة عطلة نهاية الأسبوع، لم يتربكا بعضهما للحظة، فركضا معا في الحديقة كل صباح، وبيغ بينما كانت تطهو الطعام كان سيب يحضر المائدة، كما ذهبا إلى السينما معا، ولكنهما عجزا عن مشاهدة معظم مشاهد الفيلم، وضحكا وبكيا معا، ولم يتمكنا من إحصاء عدد المرات التي مارسا فيها الحب، فكانت أسعد عطلة نهاية أسبوع يقضيانها في حياتهما، وفي صباح يوم الاثنين قالت له: "دعني أخبرك بخطتي للأيام المقبلة".

قال لها ممازحا، وهمما يتناولان الإفطار: "هل تقتربين أن نبدأ بممارسة الحب في الممر؟".
أجابته: "لا، ولكن يمكننا أن نقوم بذلك كل ليلة جمعة".

قال لها: "وسأنتظرك تحت المطر".

قالت له: "وسأطلب منك العودة إلى المنزل".

قال لها: "العودة إلى المنزل ذكرتني بخطتي،
في نهاية الأسبوع المقبل، أريد أن أصطحبك إلى
ويست كونترى لمقابلة والدي".

قالت له: "أشعر بالقلق من احتمال ألا يتقبلاني،
فهل تعتقد أنني سأليق بك بما يكفي كي أكون
شريكة حياتك؟ على الرغم من أنني سأتقبل رأيهما
مهما كان قاسيًا، لأنني أثق في أنهما سيكونان على
حق".

أجابها سيب: "أعتقد أن المشكلة الحقيقية ستكون
في إقناع والدك بأنني أليق بك بما فيه الكفاية،
وفي كل الأحوال سأقابله فور عودته إلى إنكلترا".

سألته: "ماذا ستقول له؟".

أجابها قائلًا: "لقد وقعت في حب ابنتك، وأريد
قضاء بقية حياتي إلى جانبها".

قالت له: "لكنك لم تقترب مني الزواج حتى الان".

قال لها سيب: "كنت سأطلبك منه للزواج في لورد،
ولكنني قلقت من أن يسخر مني في ذاك الوقت".

قالت له بهدوء: "لن يسخر منك، بل سيطرح عليك
سؤالاً واحداً".

سأله: "وما هذا السؤال، يا حبيبي؟".

كانت كلماتها بالكاد مسموعة وهي تهمس إليه:
"هل أقمت علاقة مع ابنتي؟".

أجابها: "إذا طرح هذا السؤال، فسأخبره
بالحقيقة".

قالت له: "عندما سيقتلنكي أو يقتلنا معاً".
ضفها سيب إلى صدره، وقال لها: "سوف يقنعني
بحبنا عندما يرى مدى تعلقنا ببعضنا".

قالت له: "لا يمكن أن يقنعني إذا كانت أمي قد
اختارت بالفعل رجلاً مناسباً للزواج مني، فمتنى
ائتفقت العائلتان، سيصعب أن يتراجع عن قراره، كما
أن والدي قبل أن يسافر إلى الهند، طرح علي سؤالاً
يؤكد أنه سيحدد موعد زواجي، فكانت إجابتي عن
سؤاله أنني لا أزال عذراء".

خلال ذاك الأسبوع، أبلغ سيب والديه بعلاقته
ببريا، فلم يسرّهما هذا الارتباط، ولكنهما ترقباً بلهفة
مقابلة زوجة ابنهما المستقبلية، وقد شعرت بريا
بالارتياح عندما أبلغها سيب برؤ فعهما، ولكنها لم
 تستطع إخفاء مدى قلقها من رد فعل والدها الذي
اتصل بها يوم الخميس، ليخبرها بأنه في طريق

العودة إلى إنكلترا، وأن لديه بعض الأخبار المثيرة التي سيطلعها عليها فور وصوله.

قال سيب محاولاً طمانتها: "وأنا لدي بعض الأخبار المثيرة التي سأتشاركها معك".

في مساء الجمعة، غادر سيب البنك مبكراً، ولم يتوقف إلا لشراء باقة من الورود، ثم سلك طرقات المدينة باتجاه فولهام لاصطحاب بريا إلى الغرب، ولم يكن يطيق الانتظار لتقديمها إلى والديه، ولكن عليه أولاً أن يشكر جيني على كل ما فعلته من أجلهما، لجعل ارتباطهما ممكناً، وهذه المرة سيقدم إليها الورود، فتوقف خارج الشقة، وترجل من سيارته، ثم رن جرس الباب، فمر بعض الوقت قبل أن تفتح له جيني الباب، وما إن رأها تقف أمامه وهي ترتجف من شدة خوفها، وقد توَّرم خدتها حتى انهارت قواه، وشعر بضعف ساقيه اللتين لم تعودا تقويان على حمله، فسألها: "ماذا حدث؟".

أجبت جيني: "لقد أخذها بعيداً".

سألاها: "ماذا تعنين؟".

أجابته قائلة: "حضر والدها وشقيقها منذ ساعة تقريرنا، وقد تшاجرت معها شجاعاً عنيقاً، وعندما حاولت المساعدة، تلقيت لكمه على وجهي، ثم أخرجتها من الشقة عنوة، وألقيتها في مؤخرة السيارة وانطلقاً".

قال جايلز: "إننا نقدر الوقت الثمين الذي منحتنا إياه، في صباح يوم عطلتك، يا فارون".

قال له المفوض السامي: "هذا يسعدني، يا جايلز، فبلادي ستكون دائناً ممتنة للدور الذي أديته عندما زارت السيدة غاندي المملكة المتحدة، ولكن كيف يمكنني مساعدتك أيها اللورد بارينغتون؟ فقد أخبرتني عبر الهاتف بأن المسألة عاجلة".

قال له جايلز: "ابن اختي، سيباستيان كليفتون، لديه مشكلة شخصية ويرغب في أن تسدي إليه نصيحتك".

قال المفوض السامي الذي التفت إلى الشاب: "إذا كان في إمكاني تقديم المساعدة بأي شكل من الأشكال، فسأكون سعيداً للقيام بذلك بكل تأكيد".

قال له سيب: "أواجه مشكلة مستعصية، يا سيدي، ولا أعرف كيف أتغلب عليها، فقد وقعت في حب فتاة هندية، وأريد الزواج منها".

هز السيد شارما برأسه، وقال له: "تهانينا".

قال له سيب: "ولكنها هندوسية".

قال له السيد شارما: "إن ثمانين في المائة من أبناء وطني يعتنقون الديانة الهندوسية، يا سيد كليفتون، وأنا منهم، لذلك أفترض أن المشكلة ليست في موقف الفتاة، ولكن المشكلة تكمن في موافقة والديها".

أجا به سيب: "نعم، سيدي، فعلى الرغم من أن بريانا ت يريد الزواج مني، فقد اختار والداها شخصاً آخر ليكون زوجاً لها، وهو شخص غريب عنها ولم تقابلها يوماً".

قال له السيد شارما: "إن موقفهما ليس غريباً عن

بلدي، يا سيد كليفتون، فانا لم أقابل زوجتي إلا بعد أن اختارتها لي والدتي، ولكن إذا كان لقائي بوالدها قد يساعدك، فيسرني أن أقابل والد بريا، من أجل الدفاع عن قضيتك".

قال له سيب: "هذا لطف منك يا سيد، وسأكون في غاية الامتنان لك".

قال له السيد شارما: "ومع ذلك، يجب أن أحذرك من أنه في حال عقدت الأسرة الاتفاق مع عائلة الزوج، فمهما كانت كلماتي مؤثرة، فلن تلقى آذاناً مصغية، لكن من فضلك...، تابع المفوض السامي كلامه وهو يتناول مفكرة من طاولة إلى جانبه:

"قل لي كل ما تعرفه عن بريا، كي أتمكن من اختيار الوسيلة المناسبة لمعالجة المشكلة".

قال لها سيب: "مساء أمس، خططت وبريا للذهاب إلى ويست كونترى لمقابلة والدي، وعندما وصلت إلى شقتها لاصطحابها، عرفت أن والدها وشقيقها قد خطفاها".

سأله السيد شارما: "هل يمكنني أن أعرف اسميهما؟".

أجابه سيب: "سوخي وسيمران غومان".

تململ المفوض السامي في كرسيه، وقال: "السيد غومان هو أحد الصناعيين البارزين في الهند، ولديه علاقات تجارية وسياسية قوية للغاية، وينبغي أن أضيف أنه يتمتع أيضاً بسمعة طيبة، وأنا أختار كلماتي بدقة، يا سيد كليفتون، ولكن إذا كانت بريا لا تزال في إنكلترا، فبالتأكيد يمكننا منعهما من إعادتها إلى الهند رغمما عن إرادتها، فرغم كل شيء، عمرها ستة وعشرون عاماً، ولكنني أشك في أنها لا تزال في هذا البلد، يا سيد كليفتون، لأنني أعرف أن السيد غومان لديه طائرة خاصة، ولكن حتى لو

تمكنا من إثبات أن الأب يحتجز ابنته رغما عنها، فسيتطلب ذلك إجراءات قانونية طويلة الأمد، وقد عالجت سبع حالات من هذا القبيل منذ أن توليت هذا المنصب، وعلى الرغم من أنني كنت مقتنعاً بأن الشابات السبع كن يرغبن في البقاء في هذا البلد، فإن أربع منهن عدن إلى الهند قبل أن يتم استجوابهن، وأعلنت الفتيا الثالثة الأخريات عند إجراء المقابلة، بانهن لم يعدن يردن طلب اللجوء، ولكن إذا كنت ترغب في أن أتابع القضية، فيمكنني الاتصال بكبير المفتشين في سكوتلانديار المسؤول عن مثل هذه الحالات، على الرغم من أنني يجب أن أحذر من أن السيد غومان ستكون له دراية كبيرة بحقوقه القانونية، ولن تكون المرة الأولى التي يتحكم بها بالأنظمة والقوانين التي غالباً ما تكون طوع بناته".

سأله سيب: "هل تقول إنه لا يمكنني أن أقوم بأي عمل من أجل تخلصها من تسلط عائلتها؟".

اعترف المفوض السامي قائلاً: "لا يمكنك فعل الكثير، وأتمنى فقط أن أستطيع تقديم المساعدة لكما".

قال جايلز، وهو ينهض من مكانه: "أشكرك على منحنا الكثير من وقتك، يا فارون".

قال له المفوض السامي، وهو يصافحه: "يسعدني تقديم العون لك، يا جايلز، ولا تتردد في الاتصال بي إذا شعرت بأنه يمكنك تقديم أي مساعدة ممكنة".

عندما غادر جايلز وسيب مكتب فارون شارما، وتوجهها إلى ستراند، قال جايلز: "أنا أسف جداً يا سيب، أعرف بالضبط ما تمز به من ضيق، ولكنني لست واثقاً من أنه يمكنك العثور على أي وسيلة لتخلص برياً بعد الان".

قال له سيب: "عد إلى المنزل، وحاول أن تمضي قدما في حياتك، وأشكرك على كل ما فعلته من أجلني، يا خالي جايلز، فلم يكن في وسعك فعل المزيد".

شاهد جايلز ابن أخيه وهو يسير في اتجاه المدينة، وتساءل عما يخطط لفعله، لأن منزله كان في الاتجاه المعاكس.

وما إن غاب سيب عن الأنظار، حتى صعد جايلز الدرج متوجها إلى مكتب المفوض السامي.

قال سيب: "راشيل، أحتاج إلى تحويل خمسة جنيه إلى روبيات وتنذكرة ذهاب مفتوحة إلى بومباي وتأشيره دخول إلى الهند، وإذا طلبت خدمة من سكرتيرة السيد شارما في المفوضية العليا، فأنا متأكد من أنها ستتمكن من تسريع الحصول على التأشيرة، أوه، وسأحتاج إلى مقابلة الرئيس لخمس عشرة دقيقة قبل أن أغادر".

قالت له راشيل: "لكن لديك الكثير من المواعيد المهمة في الأسبوع المقبل، بما في ذلك...".

قاطعها سيب قائلاً: "الغريب كل مواعيدي المقررة في الأيام القليلة المقبلة، وسأتصل بك كل صباح، حتى تبقيني على إطلاع بكل ما يجري من تطورات بشكل موجز".

قالت له راشيل: "لا بد أنك تسعى إلى إتمام إحدى الصفقات الكبرى".

قال لها سيب: "إنها أهم صفقة في حياتي".

استمع المفوض السامي بعناية إلى ما قالته سكرتيرته، وقال بعد إنهاء المكالمة: "لقد اتصل ابن

اختك للتو، وتقدم بطلب للحصول على تأشيرة دخول إلى الهند، هل أقوم بتسريعها أو إبطانها؟".

قال له جايلز: "أرجو أن تسرع حصوله على التأشيرة، على الرغم من أنني أعترف بأنني قلق بشأنه، فهو رومانسي وميؤوس منه، مثلـي تماماً، ويفكر في قلبه وليس بعقله".

قال له فارون: "لا تقلق يا جايلز، سأعين شخصاً يراقبه في أثناء وجوده في الهند، لحمايته إن وقع في المشاكل، خاصة وأن التورط مع سوخي غومان خطير، ولا يمكن أن يفكر أي إنسان عاقل في أن يجعل هذا الرجل عدوه".

قال له جايلز: "ولكنني عندما قابلته في مطعم لورد، بدا متحضرًا للغاية".

قال له السيد شارما: "إن الفضل في نجاحه يعود إلى ادعائه التحلّي بهذه الصفة".

في وقت لاحق من ذلك المساء، عندما ربط سيب حزام الأمان الخاص به، وأقلعت الطائرة، أدرك أنه لم تكن لديه خطة، وكل ما كان يعرفه على وجه اليقين أنه لم يستطع قضاء بقية حياته وهو يتتسائل عما إذا كانت هذه الرحلة ستحدث فرقاً، وكانت المعلومات المفيدة التي حصل عليها من رئيس المضيفات في أثناء الرحلة هي اسم أفضل فندق في بومباي، وعندما أعلن القبطان أنهم على وشك البدء بالهبوط في مطار بومباي كانت سيب قد استيقظ من نومه، فنظر عبر نافذة الكابينة لرؤية كتلة شاسعة متراصمة الأطراف مكتظة بالمنازل الصغيرة والأكواخ والمباني السكنية، وهي تغطي كل شبر من مساحة الأرض، فتساءل إن كان لدى بومباي قانون تخطيط المدن وتنظيمها.

عندما غادر الطائرة ونزل على الدرج، شعر على الفور ببرطوبة الجو العالية، سرعان ما اكتشف الوتيرة المحلية لكل ما في الهند، وهي بطينة أو متوقفة في مكانتها.

بعد تفحص جواز سفره، رأى أطول صف انتظار على الإطلاق، وكاد أن يغفو وهو ينتظر حتى يتم تفريغ أمتعته من العنبر، والتي حجزها موظفو الجمارك، رغم أنه لم يحضر معه سوى حقيبة واحدة، ثم حاول العثور على سيارة أجرة، ولكن يبدو أن من لا رتبة رسمية له، لا يمكنه الحصول على سيارة أجرة بسهولة، فهي تمر من أمامه وتذهب، من دون أن تتوقف.

وعندما توجه سيب إلى المدينة، اكتشف سبب عدم حجز أي شخص على الإطلاق بسبب تجاوز السرعة في بومباي، وهو أن السيارة نادراً ما تتخذه السرعة الأولى، وعندما سأل السائق عن مكيف الهواء، فتح له نافذته، فحدق سيب عبرها إلى المحلات التجارية القليلة التي لا أسقف ولا أبواب لها، وقد عرضت كل أنواع البضائع المتناثرة وحتى المانجو، وكان المواطنون في بومباي يذهبون إلى أعمالهم، وهم يرتدون بذلات أنيقة فضفاضة، وربطات عنق لا يمكن العثور عليها سوى في سكوير مايل، كما ارتدى آخرون مازر نظيفة، تذكرنا بصورة قاندهاي أحد أبطال والده.

وفور وصولهما إلى ضواحي المدينة، علقا في الازدحام، فهو قد واجه ازدحام مروري خانق في لندن ونيويورك وطوكيو، ولكنه كان بمثابة سباق الفورمولا وان مقارنة ببومباي، وقد توقفت في الممر السريع عربات الريكسا المزدحمة وفي الممر الداخلي أيضاً، وكانت الأبقار المقدسة تتجدد بعيداً

في الممر الأوسط، بينما النساء المسنات يعبرن الطريق وكأنهن غير مدركـات سبب شفـها في الأصل. وقف صبي صغير في منتصف الطريق حاملاً مجموعة من الكتب ذات الغلاف الورقي، ومشـ نحو السيارة ونقر على النافذـة، فابتسم سـيباستيان، وهو يقول: "هارولد روبيـنـز، وروبرـت لودـلوم وهـاري كـلـيفـتون".

قال وهو يبتسم ابتسامة مشرقة: "كل تلك الكتب بنصف السـعـرـاـ".

أعطـاه سـيبـاستـيان ورقة نـقـدية من فـئة عـشـر روبيـات، وقال له: "أـريدـ كتاب هـاري كـلـيفـتون".

قدم الصـبـيـ إـلـيـهـ أـحـدـثـ كتابـ لـوالـدـهـ، وـقـالـ لهـ قـبـلـ الـانتـقـالـ إـلـىـ السـيـارـةـ التـالـيـةـ: "كـلـنـاـ نـحـبـ وـيـلـيـامـ وـوـرـويـكـ".

هل سيصدقـهـ والـدـهـ؟ استـغـرقـ وـصـولـهـ ساعـةـ أـخـرىـ إـلـىـ خـارـجـ فـنـدقـ تـاجـ مـحلـ، وـفـيـ ذـلـكـ الـوقـتـ كانـ سـيـبـ منـهـ القـوىـ وـيـتـصـبـ عـرـقاـ.

ومـاـ إنـ وـصـلـ إـلـىـ الفـنـدقـ، حتـىـ شـعـرـ بـأـنـهـ اـنـتـقـلـ بـسـرـعـةـ إـلـىـ عـالـمـهـ الـحـقـيقـيـ الذـيـ يـعـيـشـهـ فـيـ العـصـرـ الحـالـيـ، فـسـأـلـهـ أـتـالـ، وـهـوـ رـجـلـ أـنـيـقـ يـرـتـديـ معـطـفـاـ أـزـرـقـ طـوـيلـ، وـهـوـ يـوـقـعـ اـسـتـمـارـةـ التـسـجـيلـ:

"إـلـىـ مـتـىـ سـتـقـيمـ فـيـ فـنـدقـنـاـ، ياـ سـيـديـ؟ـ".

أـجـابـهـ سـيـبـ: "لـسـتـ مـتـأـكـذاـ، وـلـكـ عـلـىـ الـأـقـلـ مـدـةـ يـوـمـيـنـ أوـ ثـلـاثـةـ أـيـامـ".

قالـ لـهـ موـظـفـ الـاسـتـقبـالـ: "إـذـاـ سـأـتـرـكـ الـحـجزـ مـفـتوـخـاـ، هـلـ هـنـاكـ ماـ يـمـكـنـنـيـ أـسـاعـدـكـ فـيـهـ، ياـ سـيـديـ؟ـ".

سـأـلـهـ سـيـبـ: "هـلـ يـمـكـنـكـ تـرـشـيـحـ اـسـمـ شـرـكـةـ تـأـجـيرـ سـيـارـاتـ يـمـكـنـ الـوـثـقـ بـهـ؟ـ".

أجابه: "إذا كنت تحتاج إلى سيارة، يا سيدى، فان الفندق سيسرء أن يخصص لك سيارة مع سائق".

سأله سيب: "هل سيكون من الممكن الاحتفاظ بالسائق نفسه طوال فترة إقامتي؟".

أجابه: "بالطبع يا سيدى".

قال له سيب: "أريده أن يتحدى الإنكليزية".

أجابه موظف الاستقبال: "في هذا الفندق، يا سيدى، حتى عمال النظافة يتحدّثون الإنكليزية".

قال سيب: "أنا اعتذر منك، ولكنني أريد أن أطلب منك طلبا آخر، هل يمكن أن يكون هندوسي؟".

أجابه: "ليست بمشكلة، يا سيدى، وأعتقد أن لدى الشخص المثالى الذى يتواافق مع جميع طلباتك، ويمكننى أن أوصي به بشدة، لأنه أخي، متى تريده أن يبدأ؟".

ضحك سيب، وأجابه: "في الثامنة من صباح الغد".

أجابه موظف الاستقبال: "اسم أخي هو فيجاي، وسيقلّك من خارج المدخل الرئيسي عند الساعة الثامنة".

رفع موظف الاستقبال يده، ورن الجرس، وهو يقول: "أوصل السيد كليفتون إلى الغرفة 808".

عندما غادر سيباستيان الفندق عند الساعة الثامنة من صباح اليوم التالي، رأى شاباً يقف بجانب سيارة بيضاء، وفي اللحظة التي رأى فيها سيب يتجه نحوه، فتح له الباب الخلفي، فقال له سيب: "سأجلس في المقعد الأمامي إلى جانبك".

قال له فيجاي: "بالطبع يا سيدي".

بمجرد أن جلس خلف المقود، سأله: "إلى أين تريد أن تذهب، يا سيدي؟".

سلمه سيب عنواناً، وسأله: "كم سيستغرق الوصول إلى هذا العنوان؟".

أجابه فيجاي: "هذا يعتمد على عدد إشارات المرور التي تعمل هذا الصباح، وعدد الأبقار التي تتناول وجبة الفطور".

تبين أن الإجابة كانت أكثر من ساعة بقليل، على الرغم من أن الأميال تشير إلى أنهما لم يجتازا سوى ثلاثة أميال. قال له فيجاي: "إن المنزل يقع على اليمين يا سيدي، هل تريد مني أن أقود السيارة إلى الباب الأمامي؟".

أجابه سيب وهما يجتازان بوابة منزل كبير جداً لدرجة أنه قد يكون مخطئاً، لأنه كان أشبه بنادي ريفي: "لا".

لقد ازداد إعجابه ببرايا لأنها لم تشر إلى ثروة والدها الضخمة، ثم توقف فيجاي في طريق جانبي منعزل، حيث يمكنه رؤية أي شخص يدخل أو يخرج عبر البوابة من دون أن يلاحظ وجودهما، سأله فيجاي بعد ساعة: "هل أنت مهم جداً، يا سيدي؟".

أجابه سيب: "لا، لماذا تسأل؟".

أجابه فيجاي: "لأن هناك سيارة شرطة متوقفة على بعد مسافة منا، ولم تتحرك منذ وصولنا".

شعر سيب بالحيرة، ولكنه حاول تجاهل الأمر، على الرغم من أن سيدريك هاردنكاسل قال له منذ سنوات عديدة: "احذر دائمًا من الصدف"، وظلا جالسين في السيارة معظم اليوم، وخلال هذه الفترة مررت عدة سيارات وشاحنة صغيرة عبر هذه البوابة، ولم يظهر ما يشير إلى وجود بريا في داخل المنزل، كما مررت سيارة مرسيدس فخمة عبر البوابة في بداية اليوم، وقد كان فيها السيد غومان يجلس في الخلف، وهو يتحدث إلى شاب يجلس إلى جانبه، يفترض أن يكون ابنه.

كان على وشك أن يناديها عندما جاء رجلان، أحدهما كان يحمل كاميرا والأخر حقيبة، وقد تجولا أمام المنزل، ثم توقفا خارج البوابة الرئيسية، وكانا يرتديان ملابس أنيقة، ولكنها غير رسمية، فبدأ أحهما محترفان، وبعد ذلك استقلتا سيارة أجرة، فقال سيب: "اتبع تلك السيارة ولا تفقد أثراها".

قال فيجاي بينما كانا يتقدمان ببطء نحو مركز المدينة: "من الصعب جداً أن تفقد أثراً أي شخص في مدينة تغص بالسيارات، في الوقت الذي يمكن أن تقلك فيه الدراجات إلى أي مكان بسرعة قصوى"، وصلت سيارة الأجرة أخيراً إلى خارج المبنى فيكتوري كبير، كتب فوق بابه الأمامي ذا تايمز أوف إنديا.

قال له سيباستيان: "انتظر هنا"، فترجل من السيارة وانتظر دخول الرجلان المبنى قبل أن يتبعهما، فلوح أحدهما لفتاة تجلس إلى مكتب الاستقبال، وبينما كانا متوجهين نحو المصعد، شق سيباستيان طريقه نحوها، وابتسم وهو ينظر إلى

الأرض، وقال:

"كم هذا محرج! لا أستطيع تذكر اسم الصحفي الذي صعد للتو في المصعد".

نظرت الفتاة حولها، وعندما انغلق باب المصعد، قالت له، وهي تلتفت إلى زميلتها: "إنه سامار خان، وهو يكتب عمود المجتمع في صحيفة الأحد، ولكنني لست متأكدة من أنني أعرف من يرافقه، فهو مستقل، وي العمل مع برايمير فوتوز، على ما أعتقد، ولا أعرف اسمه".

قال لها سيباستيان قبل أن يعود إلى السيارة: "شكرا لك".

سأله فيجاي: "إلى أين تريد الذهاب الآن؟".
أجابه سيب: "عد إلى الفندق".

قال له فيجاي، وهو يبتسم ابتسامة عريضة، ويسير خلف صف طويل من السيارات وسط حركة المرور الخانقة: "لا تزال سيارة الشرطة تلحق بنا، لذا فأنت إما أنك رجل مهم جداً، أو أنمك رجل خطير جداً".

قال له سيب: "لست أي واحد منهم".

شعر بالحيرة مثل فيجاي تماماً، وتساءل، هل امتد تأثير الحال جايلز إلى هذا المكان؟

وما إن عاد سيب إلى غرفته حتى طلب من عاملة الاستقبال الاتصال ببرaimer فوتوز، وكان قد أعد قصة مقنعة خلال الوقت الذي انتظر فيه عامل الهاتف أن يوصله بالمصور الذي كان يفظي قصة سوخى غومان.

سأله الموظف: "هل تقصد الزفاف؟".

قال له سيباستيان وهو يكره النطق بهذه الكلمة: "نعم، الزفاف".

قال له الموظف: "إنه روهيت سينغ، وسوف أصلك به في الحال".

قال سيب: "روهيت سينغ، مرحبا، اسمي كليفتون، وأنا صحفي مستقل من لندن، وقد كلفت بتغطية حفل زفاف بريا غومان".

قال له روهيت: "ولكنه لن يحصل قبل ستة أسابيع".

أجابه سيب: "أعلم ذلك، ولكنني أحتاج إلى بعض المعلومات والصور، وتساءلت عما إذا كنت ستتمكن من توفير بعض الصور المناسبة للموضوع الذي سأنشره في المجلة التي أعمل فيها".

قال له روهيت: "يجب أن نجتمع، ونناقش الأمر، أين تقيم؟".

أجابه سيب: "في تاج محل".

سأله روهيت: "هل يناسبك أن نلتقي في الثامنة من صباح الغد؟".

أجابه سيب: "أتطلع إلى رؤيتك في الموعد المحدد".

ما إن أنهى اتصاله حتى رن الهاتف مرة أخرى، فقال له الموظف: "بينما كنت تتحدث عبر الهاتف يا سيدي، اتصلت سكريترتك، وسألت إذا كان في إمكانك الاتصال بمكتب السيد بشارة في البنك، وقد أعطتني الرقم، هل أحاول الاتصال به وتحويله إليك الآن؟".

قال له سيب: "نعم من فضلك".

ثم أنهى المكالمة وانتظر، وهو ينظر إلى ساعة يده، فتمنى ألا يكون حكيم قد خرج لتناول طعام الغداء بالفعل، فرن الهاتف وما إن رفع السماعة حتى قال له حكيم: "شكرا لمعاودة الاتصال يا

سيب، وأدرك تماماً أن لديك الكثير من المشاكل تدور في ذهنك في الوقت الحالي، ولكن لدى بعض الأخبار المؤسفة، فقد مات سول كوفمان، واعتقدت أن عليك أن تعرف على الفور، لا بسبب صفة الاستحواذ التي نوشك على إتمامها فحسب، بل لأنني أعرف أن فيكتور كان أحد أصدقائك القدامى".

قال له سيب: "شكراً لك يا حكيم، هذا الخبر محزن جداً، فقد أتعجبت كثيراً بهذا الرجل العجوز، وستكون مكالمتي التالية مع فيكتور".

قال له حكيم: "لقد انخفضت أسهم كوفمان بشكل حاد، وهو أمر يصعب تفسيره، على الرغم من أن سول لم يعمل في المكتب منذ عام".

قال له سيب: "أنا وأنت نعرف ذلك تماماً، ولكن العامة لا يعرفونه، ولا تنس أن سول قد أسس البنك ولا يزال اسمه يرد في أعلى مستنداته، لذا فإن المستثمرين سيظئون أن البنك قائم عليه وحده، مع الأخذ بعين الاعتبار الميزانية العمومية الضخمة للبنك، وأصوله القوية، وأنا أرى أن أسهم كوفمان كان سعرها أقل بكثير من قيمة السوق حتى قبل وفاة سول".

سأله حكيم: "هل تعتقد أنها قد تهبط أكثر من ذلك؟".

أجابه سيب: "لا أحد يمكن أن يدخل إلى الأسفل ويخرج من القمة، وإذا انخفضت دون ثلاثة جنيهات، بعد أن كان يبلغ سعر السهم 3.26 جنيه إسترليني عندما غادرت، فسنشتري، ولكن تذكر أن فارزنجز لديه بالفعل ستة في المئة من أسهم كوفمان، وإذا تجاوزنا العشرة في المئة، فإن بنك إنكلترا سيطلب منا تقديم عرض استحواذ كامل،

ونحن لسنا مستعدين لذلك".

قال له حكيم: "أعتقد أن هناك منافسا آخر سيكون في السوق".

قال له سيب: "سيكون ديزموند ميلور، ولكنه مجرد مفسد، ولا يملك الأموال الكافية ليحدث تأثيرا حقيقيا، صدقني سوف تتلاشى قوته سريعا".

قال له حكيم: "ما لم يكن إلى جانبه شخص آخر يدعمه".

قال له سيب: "لن يفكّر أي شخص في المدينة في دعم ميلور، وقد اكتشف أدريان سلون وجيم نولز ذلك بالفعل".

قال حكيم: "شكرا على النصيحة التي أسديتها إلى يا سيب، وسأشتري المزيد من أسهم كوفمان إذا تدّنى سعرها عن ثلاثة جنيهات، وبمجرد عودتك يمكننا النظر إلى الصورة بعمق أكبر، وبالمناسبة كيف تجري أمورك في الهند؟".

أجابه سيب: "لن أشتري أي أسهم في كليفتون إنتر إكسبريس".

كان سيب يتكيّف تدريجيا مع الحرارة الشديدة والازدحام المروري الخانق، ولكنه لم يستطع التعامل مع حقيقة أنه لم يستطع فهم طريقة تفكير الهنود، بينما كان يمشي ذهابا وإيابا في بهو تاج محل منذ الساعة 7.55 منتظرا روهيت سينغ الذي لم يأت حتى التاسعة إلا بضع دقائق، وقد اكتفى بالقول، كما لو أنه لم يقد سيارته في بومباي من قبل: "لقد أخرني ازدحام حركة المرور".

لم يعلق سيباستيان، فهو يحتاج إلى سينغ في صفه، فسأله سينغ حين جلسا على مقعدين وثمين

في الصالة:

"لصالح من تعمل؟".

أجابه سيباستيان: "تاتلر الذي قرر إصدار المجلة بين عشية وضحاها، ونريد نشر صفحة كاملة عن حفل الزفاف، ولدينا الكثير من المعلومات عن بريا غومان، لأنها تعيش في لندن منذ ثلاث سنوات، ولكننا لا نعرف شيئاً عن هوية الرجل الذي ستتزوج منه".

قال له سينغ: "اكتشفت اسمه بالأمس فقط، ولكن لم يتفاجأ أحد لدى معرفة أنه كان سوريش شوبرا".
سأله سيب: "لماذا؟".

أجابه سينغ: "إن والده هو رئيس مجلس إدارة بومباي بيلدينغ، وكما يبدو أن الزواج يتعلق بارتباط شركتين أكثر من ارتباط شخصين، ولدي صورة له إذا كنت ترغب في رؤيتها".

فتح سينغ حقيبته وأخرج الصورة، فحدق سيباستيان إلى صورة رجل بدا في الخمسين من عمره، ولكن ربما يكون أصغر منه، كما كان وزنه يزيد عن وزنه بحوالي خمسين رطلاً، وسأله: "هل هو وبريا صديقان قديمان؟".

أجابه سينغ: "والداهما صديقان، ولكنني لست متأكداً إن سبق لهما أن التقى، كما قيل لي إن المقدمات الرسمية ستجري بعد أسبوع، وهي حفلة بحد ذاتها، ولكن لن تتم دعوتنا إليها".

سأل سينغ متعمداً أن يغير الموضوع: "هل يمكنني أن أسأل عن المبلغ الذي ستدفعه مقابل ما سأقدمه إليك من معلومات؟".

أجابه سيب: "بالتأكيد ستدفع لك الوكالة أجراً بالكامل، شرط أن تظل المعلومات التي ستقدمها

إلي سرية، وسأعطيك دفعة مسبقة للتأكد من عدم
مشاركة صورك أي شخص آخر في إنكلترا".

ثم مَرَرَ مبلغًا يتجاوز خمسمئة روبية، وسألَهُ: هل
اتفقنا؟".

أوَمَا إِلَيْهِ سَيْنَعْ موافقًا، ووضع المال في جيبه
بخفة تشير إعجاب كل رجل داهية ومراوغ، وسألَهُ:
"متى تريدينِي أن أبدأ بالعمل؟".

سأله سيب: "هل ستقوم بتصوير أي فرد من أفراد
العائلة في القريب العاجل؟".

أجاَبهُ: "بعد غد، فلدي بريداً جلسة لقياس ثوبها في
دار عرائس بومباي في شارع التامونت عند الساعة
الحادية عشرة، وقد طلبت مني والدتها التقاط
بعض الصور من أجل ألبوم العائلة الذي تعوده".

قال له سيب: "سأكون هناك، ولكنني سأحافظ على
مسافة بعيدة بيننا، وأكاد أجزم أن سوخى غومان لا
يهتم كثيراً بأبناء لندن".

قال له سينغ: "إنه لا يهتم بنا أيضاً، إلا إذا كان ذلك
يُناسب غرضه، ولكن كن حذراً، فالسيدة غومان
بالتأكيد ستراقق ابنتها، وهذا يعني وجود حارسيين
مسلحين على الأقل، لم تهتم العائلة بتعيين الحراس
في الماضي، وربما يريد السيد غومان التأكيد أمام
الجميع على قوَّة سلطته".

ليس الجميع بحسب اعتقاد سيب.

اتجه سيباستيان نحو مكتب الاستقبال، فقال له الموظف: "صباح الخير سيد كليفتون، أتمنى أن تكون مستمتعًا بإقامتك في الهند".
قال له سيب: "نعم، شكرًا لك".

سأله الموظف: "هل ينال أخي رضاك؟".
أجابه سيب: "لا يمكن أن يكون أداؤه أفضل من ذلك".

قال الموظف: "عظيم، وكيف يمكنني مساعدتك اليوم؟".

أجابه سيب: "أولاً، أود أن تستبدل السيارة بدراجة نارية".

قال له موظف الاستقبال، من دون أن يبدو مندهشاً من طلبه: "بالطبع يا سيدي، هل تريد أي شيء آخر؟".

أجاب سيب: "أنا بحاجة إلى بائع زهور".

قال له موظف الاستقبال: "ستجد بائعة زهور في الطابق السفلي في الممر، فقد تم تسليم الزهور منذ ساعة".

قال له سيب: "شكراً لك".

نزل على الدرج واتجه نحو الممر، فرأى امرأة شابة ترثب مجموعة من أزهار الأقحوان البرتقالي في إناء كبير، فنظرت إليه وهو يقترب منها، وقال لها: "أود شراء وردة واحدة".

قالت له وهي تشير إلى مجموعة من الورود ذات الألوان المختلفة: "بالطبع يا سيدي، هل ترغب في اختيار واحدة بنفسك؟".

استغرق اختيار لون الوردة وقتاً طويلاً إل أن

استقر رأيه على وردة حمراء كانت قد تفتحت حديثا، وسألها: "هل يمكنك توصيلها؟".

أجابته: "نعم سيدي، وهل تريد كتابة رسالة؟".

تناول سيب البطاقة وقلبها، ثم كتب عليها:

"إلى بريا غومان، أقدم إليك أحذ التهاني لاقتراض موعد زواجك، كما يتمتع لك كل المعجبين بك في فندق تاج محل السعادة".

أعطى بائعة الزهور عنوان بريا، وقال لها: "من فضلك أضيفي الحساب إلى الغرفة 808، ومتى سيتتم تسليمها؟".

نظرت إلى العنوان، وقالت له: "بين العاشرة والحادية عشر بحسب حركة المرور".

سأله: "هل ستبقين في عملك طوال الصباح؟".

قالت له، وقد أثار سؤاله حيرتها: "نعم يا سيدي".

قال لها سيب: "إذا اتصل أي شخص وسأل عن اسم مرسل الوردة، أخبريه بأنه يقيم في الغرفة 808".

قالت له بائعة الزهور، وهو يسلمها ورقة نقدية من فئة الخمسين روبيه: "بالتأكيد يا سيدي".

عاد سيب إلى الطابق العلوي، وقد أدرك أنه لم يكن لديه متسع من الوقت سوى ثلاط ساعات على أبعد تقدير، وعندما خرج من الفندق أعرب عن سروره عندما اكتشف أن موظف الاستقبال قد نفذ تعليماته، واستبدل السيارة بدراجة نارية، فسأله فيجاي الذي ابتسم ابتسامة عريضة لا يمكن إخفاؤها: "صباح الخير سيدي، إلى أين تريد أن تذهب اليوم؟".

أجابه سيب وقد شدد على اسم المكان، وهو يركب الجزء الخلفي من الدراجة: "مطار سانتا كروز، إلى المحطة المحلية، ولست على عجلة من أمري".

راقب بعناية الطريق الذي سلكه فيجاي، مشيرًا إلى علامات المطار العرضية الزرقاء والبيضاء المنتشرة على امتداد الطريق، وبعد 42 دقيقة، توقف فيجاي خارج المحطة المحلية، فترجل سيب، وهو يقول: "سأعود بعد بعض دقائق فقط".

تجول في الداخل، وتفحص لوحة المغادرة، فكان ركاب الرحلة المحددة سيملئون عبر البوابة 14b، وكانت كلمة "الصعود" تومض بجوار كلمة "نيودلهي".

تتبع اللافتات، ولكنه عندما وصل إلى البوابة، لم ينضم إلى طابور الركاب الذين ينتظرون صعود الطائرة، ونظر إلى ساعة يده، فوجد أن وصوله استغرق تسعة وأربعين دقيقة منذ اللحظة التي غادر فيها الفندق وحتى وصوله إلى البوابة، ثم عاد أدراجها فوجد فيجاي ينتظره بصبر، قال له سيب، وهو يمسك بالمقود: "أنا من سيقود في طريق العودة".

قال له فيجاي: "لكنك لا تحمل رخصة قيادة في الهند، يا سيدي".

قال له سيب: "لا أعتقد أن أي أحد قد يلاحظ ذلك".

شغل سيب المحرك، وانتظر فيجاي حتى يركب خلفه، وانضم إلى حركة المرور المتوجهة إلى بومباي، وكان خارج الفندق بعد 41 دقيقة، ثم نظر إلى ساعته، فأدرك أن تسليم الوردة سيتم في أي لحظة من الان.

قال سيب قبل أن يسير بسرعة ويصعد الدرج ويدخل إلى الفندق: "سأعود يا فيجاي، ولكنني لست متأكدًا كم ساحتاج من الوقت".

استقل المصعد إلى الطابق الثامن، وتوجه مباشرة

إلى غرفته، وسكب لنفسه جعة محلية باردة، وجلس بجوار الهاتف، فدارت في عقله الكثير من الأفكار المتضاربة، هل تم تسليم الوردة؟ وإذا تم تسليمها، هل ستقبل بريما أن تلتقيه من جديد؟ وإذا رأت الوردة، هل ستكتشف من أرسلها؟ على الأقل شعر بالثقة حيال ذلك، فهي سوف تتعرف إلى خط يده، ومن خلال مكالمه واحدة لبانعة الزهور، ستكتشف الغرفة التي يقيم فيها، فكان من الواضح أن عائلتها لم تسمح لها بالخروج من المنزل من دون مرافقة، وربما لا يكون بعيداً عن أنظارهم، وظل يتفقد ساعته كل بضع دقائق، وهو يسير ذهاباً وإياباً في الغرفة، ويتوقف أحياناً لتناول رشفة من الجمعة، وقد ألقى نظرة سريعة على الصفحة الأولى من صحيفة تايمز أوف إنديا، ولكنه لم يتجاوز العناوين الرئيسية، ففكَّر في الاتصال بخاله جاييلز، واطلاعه على آخر المستجدات، ولكن لا يمكنه المخاطرة في أن يشغل الخط في الوقت الذي قد تحصل فيه بريما. عندما أبعث صوت رنين الهاتف عاليًا، رفعه بسرعة، وقال: "مرحباً؟".

همست إليه بريما: "هل هذا أنت يا سيب؟".
أجابها: "نعم، أيتها الجمعة السوداء، هل تستطيعين التحدث بحرية؟".

أجابته: "يمكنني أن أتحدث لحقيقة واحدة، ماذا تفعل في بومباي؟".

أجابها سيب: "لقد جئت لأخذك إلى إنكلترا، إذا أردت الذهاب معي".

قالت له بريما: "بالطبع هذا ما أريده، ولكن قل لي كيف يمكننا الهرب".

شرح سيب باختصار ما خطط له بالضبط، وعلى الرغم من أنها ظلت صامتة، إلا أنه كان على ثقة في

أنها كانت تستمع إليه باهتمام، وفجأة تغيرت نبرة صوتها، وقالت: "شكراً لك، نعم، يمكنك أن تتوقع قدومي أنا وأمي في الحادية عشرة تقريباً، وأنا أيضاً أطلع إلى قياس الثوب".

قالت سيب قبل أن تنهي الاتصال: "لا تنسي إحضار جواز سفرك".

سألت والدة بريا: "من كان المتصل؟".

أجبتها بريا بحذر محاولة إخفاء شعورها بالإثارة، لأنها لا تريد أن تشكي والدتها في تصرفاتها: "إنه المسؤول في دار عرائس بومباي، وقد أكد موعد يوم غد، كما اقترح أن أرتدي ثياباً غير رسمية، لأنني سأجرب عدة أنواع".

لم يقم سيب بأي محاولة لإخفاء مدى سعادته عبر الكلمات في الهواء والصراخ كما لو أنه سجل هدفاً للتو، وفاز بالكأس في نهاية المباراة: "هاللويا!".

وما إن هدأ حتى جلس وفكَّر في ما يجب القيام به بعد ذلك، وبعد لحظات غادر غرفته، واتجه إلى مكتب الاستقبال في الطابق السفلي، وسأل الموظف: "هل وجدت ما كنت تبحث عنه لدى بائعة الزهور يا سيد كليفتون؟".

أجاب سيب: "لم يكن من الممكن أن تكون أكثر فائدة، شكراً لك، الان أوَّد حجز تذكرةين في الدرجة الأولى على الرحلة المتجهة إلى نيودلهي عند الساعة الثانية".

قال له موظف الاستقبال: "طبعاً سيدِي، وسأطلب من مكتب السفر إرسال التذكرةين إلى غرفتك ما إن يتم تأكيد الحجز".

جلس سيب بمفرده في مطعم الفندق، وتناول طعامه بسرعة، بينما كان يراجع خطته مراضاً

وتكراراً، محاولاً تجنب أي مشاكل محتملة، وبعد الغداء غادر الفندق، فوجد فيجاي لا يزال جالساً على الدراجة، وقد استحق بجدارة أن يعطي دروساً في الولاء.

سأل فيجاي: "إلى أين سنذهب الان؟".

قال له سيب بينما كان يمسك بمقود الدراجة وهو يركب في المقعد الأمامي: "اركب في الخلف".

سأله فيجاي: "هل تطلب مني ذلك، يا سيدي؟".

أجاب سيب: "نعم بالتأكيد، أحتاج إلى شخص يجلس خلفي".

وصل سيب قبل ثلات دقائق من الوقت السابق الذي تطلبه الوصول إلى المطار، ومرة أخرى مشى عبر البوابة 14 b، وتحقق من لوحة المغادرة، وفي أثناء رحلة العودة إلى الفندق، تمكّن من الوصول قبل دقيقة من الوقت المحدد، ولكنه كان قد تجاوز الحد الأقصى للسرعة أكثر من أي وقت مضى.

قال سيب على الرغم من أنه كان متاكذاً من أنه لا حاجة إلى تذكير فيجاي بموعده: "أراك في العاشرة من صباح الغد يا فيجاي".

ألقى فيجاي تحية وهمية عندما دخل سيباستيان إلى الفندق، وعاد إلى غرفته، ثم طلب عشاء خفيفاً وحاول الاسترخاء من خلال مشاهدة الأمواج التي تظهر على شاشة التلفاز، وأخيّزا استلقي في السرير بعد الحادية عشرة بقليل، ولكنه لم يستطع أن يغفو.

في صباح اليوم التالي، وعلى الرغم من قضاء سيباستيان ليلة شاقة من دون أن يغمض له جفن، لم يكن متعباً، وقد فتح الستائر وترك أشعة الشمس تتسلل إلى غرفته، فهو يعرف الآن ما يشعر به الرياضي في الصباح الباكر قبل موعد المباراة النهائية الأولمبية.

أمضى وقتاً طويلاً وهو يستحم بمياه باردة، ثم ارتدى بنطال جينز وقميصاً، وانتعل حذاء رياضياً، وطلب الفطور إلى غرفته، لقتل الوقت الذي يمر ببطء شديد، وكان سيحصل بحاله جايلز ليطلعه على آخر المستجدات، لو لم يكن الوقت قد تجاوز منتصف الليل في لندن.

توجه إلى مكتب الاستقبال بعد العاشرة، وطلب حسابه، فقال الموظف: "أتمنى أن تكون قد استمتعت يا قامتك في الفندق، يا سيد كليفتون، وأنك ستعود قريباً".

قال له سيب، وهو يسلمه بطاقته الائتمانية: "أتمنى ذلك أيضاً".

على الرغم من أنه لم يتخيّل الظروف التي ستدفعه إلى العودة إلى الهند، وعندما أعاد إليه موظف الاستقبال بطاقته الائتمانية، سأله: "هل أرسل شخصاً لحضار أمتعتك يا سيد كليفتون؟".
ارتبك سيب قليلاً، وقال متلعثماً: "لا، سأستلمها لاحقاً".

قال له موظف الاستقبال: "كما تشاء، يا سيد".
عندما خرج سيب من الفندق، أسعده رؤية فيجاي مشكناً على الدراجة النارية، فسأله فيجاي: "إلى أين تريد الذهاب في هذا الوقت، يا سيد؟".

أجابه سيب: "114 شارع التامونت".

سأله فيجاي: "إنها منطقة التسوق الفاخرة، هل ستشتري هدية لصديقتك؟".

أجابه سيب: "لا، على أن أنجز عملاً ما".

وصل إلى دار عرائس بومباي عند الساعة العاشرة وعشرين دقيقة، فلا يمكن أن تتأخر بريا عن هذا الموعد أبداً، ولم يعلق فيجاي عندما طلب منه سيب إيقاف دراجته بعيداً عن الانظار، ولكنه فوجئ بتعليماته التالية: "أريدك أن تستقل الحافلة إلى المطار، وتنتظرني خارج مدخل مبنى الركاب المحلي".

أخرج سيب 500 روبية من محفظته، وسلمها إلى فيجاي، فقال له قبل أن يبتعد، وقد بدا مرتبكاً: "شكراً لك يا سيدي".

أبقى سيب المحرك يعمل، وظل مختبئاً خلف شاحنة قديمة متداعية، لم يستطع أن يميز ما إذا كانت معطلة أو أنها متوقفة منذ مدة طويلة، وبعد إحدى عشرة دقيقة، ظهرت سيارة مرسيدس سوداء فخمة، وركنت أمام دار عرائس بومباي، ثم فتح السائق الباب الخلفي للسماح للسيدة غومان وابنته بالترجل من السيارة، فكانت بريا ترتدي جينزاً وقميصاً، وتنتعل حذاء مسطحاً كما أوصتها سيب، إنها تبدو مذهلة دائمًا بغض النظر عما ترتديه.

رافقهما أحد الحراسين إلى داخل دار العرائس، بينما بقي الآخر في المقعد الأمامي في السيارة، وقد افترض سيب أنه ما إن يوصل السائق بريا والدتها، حتى يغادر المكان، ويعود لاحقاً ليعيدهما إلى المنزل، ولكن السائق ركن السيارة في منطقة يحظر فيها ركن السيارات، ومن الواضح أنه لن يتحرك حتى تعودا، فارتکب سيب الخطأ الأول،

كما اعتقاد أيضاً أن كلا الحارسين سيرافقان السيدة غومان إلى داخل المحل، وهو خطوه الثاني، فأوقف عمل محرك الدراجة، لأنه لم يرغب في لفت الانتباه إليه.

وتساءل كم قد يمضي من الوقت قبل ظهور بريا، وهل ستكون بمفردها أو برفقة الحارس، وبعد بضع دقائق رأى روحيت سينغ عبر مرأة دراجته، وكان المصور يتتجول بلا مبالاة على امتداد الرصيف، والكاميرا تتدلى من إحدى كتفيه، ومن الواضح أن لا يواكب التطور، وأنه لا يزال يستخدم آلة قديمة الطراز، وكان سيب ينظر باستمرار إلى ساعته، وقد شعر أن الدقائق العشرين التالية وكأنها ساعة، وظل ينظر باستمرار إلى ساعته وهو يتصرف عرقاً، مرت ثلاثون دقيقة، فهل فقدت بريا أعصابها؟ مرت أربعون دقيقة، هل يعقل أنها غيرت رأيها؟ مرت خمسون دقيقة، وإذا تأخرت أكثر فسوف تفوتها الطائرة، وفجأة، ومن دون سابق إنذار، كانت تجري على الرصيف وحدها، فتوقفت قليلاً، قبل أن تنظر بقلق إلى يمين الطريق ويسارها، فشغل سيب المحرك، ولكنه كان لا يزال إلى جانب الشاحنة، وعندما ترجل الحارس الثاني من سيارة المرسيدس، واتجه نحو بريا، كان السائق يوشك أن يفتح الباب، عندما توقف سيب بجانب السيارة، وأشار لبريا إلى ركوب الدراجة بسرعة، فركضت نحو الشارع، وقفزت إلى مؤخرة الدراجة وتشبثت بسيب بقوة، فأدرك الحارس الموقف على الفور وركض باتجاههما، وكان سيب يحاول الابتعاد، عندما اندفع نحوهما، كاد أن يمسك بهما، مما تسبب في انحراف الدراجة، وتمايل بريا خلفه بقوة، وبالنحود استطاع الحارس تجنب سيارة أجرة كادت أن تصدمه، فسقط ممدداً على الطريق.

استعاد سيب بسرعة توازنه، وناور بالدراجة منتقلًا إلى الممر الأوسط، بينما تشبت به بريا بإحكام، فنهض الحارس وحاول أن يطاردهما، لكن السباق لم يكن متكافئاً، وفور رؤيته الاتجاه الذي انعطفت منه الدراجة في نهاية الشارع، وهو الخطأ الرابع الذي ارتكبه سيب، غير الحارس اتجاهه فوزاً وركض نحو الدار، وعندما أخبر السيدة غومان بما جرى، صرخت طالبة المساعدة داخل الدار، ثم تجمدت في مكانها للحظات من هول الصدمة، وهي تقول: "أين أقرب هاتف؟"، وقبل أن يتمكن أحدهم من الرد عليها، سمعت المديرة صوتها الغاضب، فخرجت من مكتبها، وقادت السيدة غومان إليه، ثم أغلقت الباب خلفها، وتركتها تجري اتصالها بهدوء، فشرعت تطلب رققاً لا تتصل به عادةً، وبعد عدة ثوان قال الموظف: "شركة غومان".

"أنا السيدة غومان، صلنبي بزوجي فوزاً".

"إنه يرأس اجتماع مجلس الإدارة، سيدة غومان...".

"قاطعه على الفور، فهذه حالة طارئة، هل تسمعني؟".

سألها غومان: "من المتصل؟".

"أنا سونيتا، لدينا مشكلة كبيرة، فقد هربت بريا مع كليفتون".

"كيف حصل ذلك؟".

"كان ينتظرها على دراجة نارية خارج الدار، وكل ما يمكنني قوله هو أنهما انعطفاً يسازاً في نهاية شارع التامونت، ولا بد أنهما يتجهان إلى المطار، اطلب من سائقك أن يذهب برفقة حارسين إلى مبنى الركاب الدولي، وأن ينتظروا تعليماتك".

"صفق سماعة الهاتف بقوة، وغادر الغرفة بسرعة، تاركاً اثنين عشر مدحّزاً يجلسون حول طاولة مجلس الإدارة، وبينما كان يتتجول في مكتبه، صرخ في سكرتيرته قائلًا: "أسألي عن موعد الرحلة التالية إلى لندن، وبسرعة!".

التقطت سكرتيرة غومان الهاتف من مكتبها، واتصلت بمكتب الخدمات الخاصة في المطار، وبعد لحظات قليلة، ضغفت على زر الاتصال الداخلي واتصلت بمكتب الرئيس، وقالت له: "هناك رحلتان من بومباي اليوم، وكلتاها للخطوط الجوية الهندية"، وألقت نظرة خاطفة على شاشة حاسوبها، وقالت له: "الرحلة الأولى تنطلق عند الساعة الثانية عشرة وواحد وخمسين دقيقة، لذلك لا يمكن أن تصل إلى المطار في الوقت المناسب، وقد قال أحدهم...".

قاطعها غومان قائلة: "ولكن يمكن لرجل يقود دراجة نارية أن يصل في الوقت المحدد، أتصلي بالمراقب المنابب في المطار"، تجول غومان في أرجاء الغرفة منتظرًا المكالمة، فرفع سماعة الهاتف في اللحظة التي رأى فيها: "أنا باتيل، من قسم المحاسبة، سيدني، طلبت مني...".

"ليس الآن"، ثم التقط السماعة، وكان على وشك رفعها لسؤال سكرتيرته عن سبب تبديد كل هذا الوقت، عندما رأى الهاتف مرةً أخرى.
"من معك؟".

"اسمي طارق شاه، سيد غومان، وأنا كبير المراقبين في طيران الهند في مطار سانتا كروز، كيف...".

قاطعه قائلًا: "لدي سبب كي أعتقد أن هناك حرجًا باسم السيد سيباستيان كليفتون وابنتي بريا، على

متن رحلة الساعة 12:50 المتجهة إلى لندن، تحقق من البيانات على الفور، وأخبرني إن استقلال الطائرة بالفعل".

"هل يمكنني معاودة الاتصال بك؟".
"لا، سأنتظرك".

"سأحتاج إلى دققيتين، سيد".

تحولت الدقيقتان إلى ثلث دقائق، وبينما كان غومان ينتظر الرد، لم يعد في إمكانه السير في مكتبه في أثناء الانتظار أمام الهاتف، فتناول أداة فتح الرسائل الحادة من مكتبه، وبدأ بتمزيق وسادة الحبر بغضب، أخيراً قال الموظف: "لا السيد كليفتون ولا ابنته سافرا في تلك الرحلة سيد غومان، بالإضافة إلى أن منصة الركوب قد أغلقت بالفعل، هل تريدينني أن أتحقق من رحلة السادسة وخمسين دقيقة؟".

قال غومان: "لا، لن يكونا في تلك الرحلة، يا لك من شاب ذكي، سيد كليفتون!".

قال شاه: "استميحك عذراً".

"استمع جيداً يا شاه، أريدك أن تتحقق من كل رحلة أخرى تغادر الهند متوجهة إلى لندن الليلة، في كل المطارات، ثم اتصل بي مباشرة لاطلاعي على ما ستحصل عليه من معلومات.

توقف سيب وبريا خارج المحطة المحلية قبل الساعة الواحدة، ليجدا فيجاي ينتظرهما على الرصيف، وهو يبحث عنهم.

قال له سيب: "ارجع بالدراجة إلى المرآب، فيجاي، ثم عد إلى المنزل، وابق في مكانك طيلة اليوم، ولا تدع إلى العمل قبل صباح الغد، هل هذا واضح؟".

أجابه فيجاي: "واضح تماماً"، ثم سلمه سيب مفاتيح الدراجة و500 روبيه أخرى.

"لكنك أعطيني ما يكفي من المال، يا سيدي".

قال له سيب: "لا لم أعطك ما تستحقه"، أمسك بيد بريا، وقادها بسرعة إلى المحطة، وسلكا مباشرة الطريق المؤدية إلى البوابة 14 b، وقد بدأ بعض الركاب بالصعود إلى الطائرة، فشعر بالسعادة، ولكن ذلك لم يمنعه من النظر حوله باستمرار للتحقق مما إذا كان أي شخص يتبعهما، ومع قليل من الحظ، سيكون رجال غومان في طريقهم إلى المحطة الدولية.

انضم سيب وبريا إلى الركاب الذين صعدوا إلى رحلة نيودلهي، ولكنه لم يشعر بالأمان عندما كانت المضيفة تطلب من الجميع ربط أحزمة المقاعد، ولم يتنفس الصعداء إلا بعد أن ارتفعت عجلات الطائرة عن الأرض، فقالت له بريا التي كانت ترتجف: "لكننا لن نكون بأمان حتى عندما نعود إلى لندن، لأن أبي لن يستسلم طالما يعتقد أن هناك أدنى فرصة لدفعي إلى التراجع عن موقفي".

"سيكون ذلك صعباً جداً، إذا كنا متزوجين بالفعل".

"لكننا نعلم أن ذلك لن يكون ممكناً لبعض الوقت".

قال لها سيب من دون أن يفلت يدها: "هل سمعت عن غريتنا غرين من قبل؟ إنها مثل فيجاس، ولكن من دون مقامرة، فهي مثل هذا الوقت غداً ستصبحين السيدة كليفتون، وهذا هو سبب استقلالنا طائرة إلى غلاسكو هذا المساء وليس إلى لندن".

"ولكن وإن نجحنا في تحقيق ذلك، فإن والدي سينتقم منا انتقاماً من نوع آخر".

لا أعتقد ذلك لأنه عندما يعود إلى لندن، سيزوره كل من السيد فارون شارما، المفوض السامي الهندي، وكبير المفتشين من سكوتلاند يارد".

"كيف تمكنت من حثهما على القيام بذلك؟".

"لم أفعل ذلك، ولكنك عندما ترين خالي جايلز، يمكنك أن تشكريه بنفسك".

اتصل مراقب المطار بالسيد غومان بعد أربعين دقيقة من إنتهاء المكالمة السابقة، وقال:

"هناك خمس رحلات أخرى مجدولة إلى لندن هذا المساء يا سيد غومان، ثلاثة من نيودلهي، وواحدة من كلكوتا والأخيرة من بنغالور، ولم يحجز السيد كليفتون وابنته في أي رحلة منها، كما أن رحلتين عبر الخطوط البريطانية للسفر ما بين البحار إلى مانشستر وأخرى إلى غلاسكو ستغادران نيودلهي في وقت لاحق هذا المساء، ومكاتب الحجز لكليهما لا تزال مفتوحة".

"كم أنت ذكي سيد كليفتون! إنك ذكي جداً بالفعل، ولكن هناك ما أغفلته سيد شاه، أريد أن أعرف على متن أي من هاتين الرحلتين سيرجيان، وبمجرد اكتشاف ذلك، تأكد من لا يستقلَا الطائرة".

"أخشى أن ذلك لن يكون ممكناً، سيد غومان، لأنهما شركتا طيران بريطانيا، وليس لدي أي سلطة للتحقق من بياناتهما، ما لم أتمكن من إثبات أنهما ارتكبا جريمة ما".

"يمكنك إخبارهما بأن كليفتون يحاول خطف ابنتي، وأنك ستوقف الرحلة إذا سمح لهما بالصعود إلى الطائرة".

"ليس لدي السلطة للقيام بذلك يا سيد غومان".

"استمع سيد شاه، إذا لم تفعل ذلك، فستكون غداً في مثل هذا الوقت عاطلاً عن العمل، ومن دون أي سلطة على الإطلاق".

وصلت الطائرة من بومباي إلى نيوهلي بعد ساعتين، وكان على سيب وبريا أن ينتظرا ساعتين تقريباً قبل أن يتمكنا من استقلال متن الطائرة للقيام برحلتهما التالية، فلم يهدران الوقت، بل شققا طريقهما إلى المحطة الدولية، حيث انضما إلى قائمة الانتظار في مكتب الحجز.

سأل الموظف سيب: "مساء الخير سيدي، كيف يمكنني مساعدتك؟".

"أرغب في الحصول على مقعدين على متن الرحلة إلى غلاسكو".

"بالتأكيد سيدي، أتريدهما في الدرجة الأولى أم الاقتصادية؟".

رد سيب: "في الدرجة الأولى".

وقالت بريا: "كلا، في الدرجة الاقتصادية".

أقيا قطعة نقود معدنية، وفازت بريا بالرهان.

قال سيب: "هل سنستخدم هذه الطريقة لبقية حياتنا الزوجية؟".

سأله مسؤول الحجز: "هل أنتما في شهر العسل؟".

قال له سيب: "لا سنتزوج غداً".

"حسناً، يسعدني ترقيتكمما إلى الدرجة الأولى".

قالت له بريا: "شكراً لك".

"ولكن أولاً أريد أن أرى جوازي سفركمما".

سلمه سيباستيان جوازي سفرهما.

"هل لديك أي حقائب لتسجيل وصولها؟".

قال سيب: "لا لم نحضر أي حقائب معنا".
"وهل يمكنني الحصول على بطاقة ائتمانك من
فضلك؟".

سأله سيب وهو ينظر إلى بريا: "هل نرمي أيضًا
العملة المعدنية من أجل ذلك؟".

"لا، أخشى أنك على وشك الزواج من فتاة من
دون مهر".

"أنتما في المقعدين 4A و4B، ومن المقرر أن تقلع
الطائرة في الوقت المحدد، وستفتح البوابة خلال
أربعين دقيقة، وفي إمكانكما أن تستمتعوا خلال
ذلك الوقت في صالة انتظار ركاب الدرجة الأولى،
الموجودة في الجانب الآخر من القاعة".

شدا قبضات أيديهما وهما يقضمان المكسرات
بعصبية، ويحتسيان أكوابا لا حصر لها من القهوة
في صالة الدرجة الأولى، إلى أن سمعا الإعلان
المنتظر أخيراً: "النداء الأول لرحلة 009 إلى
غلاسكو، ليتوجه جميع الركاب إلى البوابة رقم
11".

قال سيب، بعد أن خرجا من الصالة: "أريد أن
نكون أول من يصعد إلى متن الطائرة"، كان يدرك
 تماماً أنها ستكون اللحظة الوحيدة التي لم يحسب
حسابها، ولكنه كان واثقاً من أنه فور استقلالهما
الطائرة، لن يتمكن حتى السيد غومان من إرغامهما
على الترجل من طائرة بريطانية، ومن بعيد لمحا
شرطيين مسلحين يقفان أمام بوابة المغادرة.

هل كانوا دائفاً هناك أم أنهما يبحثان عنهم؟ ثم
تذكرة سيارة الشرطة التي كانت متمركزة خارج
منزل السيد غومان، والتي تبعته وفيجاي باستمار،
فقد كان غومان رجلاً ذو نفوذ سياسي، وقد حذر
المفوض السامي من قوته، وخاصة في بلده.

تباطأ سيب، وهو ينظر إلى يمينه ثم إلى يساره، وبينما كان يبحث عن طريق للهروب، كان الشرطيان يحدقان إليهما الآن، وعندما أصبحا على بعد بضع ياردات من البوابة، تقدم أحدهما إلى الأمام، كما لو أنه كان ينتظرهما.

سمع سيب جلبة خلفه، وما إن التفت حتى يكتشف ما يجري، أدرك على الفور أنه اتخذ قرازا خطأها بعدم متابعة المشي، وهو خطوه الخامس، فبقي مشدوها برؤية حارسي غومان الشخصيين مندفعين باتجاههما، ولكن كيف تمكنا من الوصول إلى المطار بهذه السرعة؟ بالطبع يمكنهما القيام بذلك، فلدي السيد غومان طائرته الخاصة، وقد حذر المفوض السامي من شدة نفوذه وقدراتها الكبيرة في بلده.

فوجئ سيب بمدى هدونه، عندما أخرج أحدهما مسدسا وصوبه نحوه مباشرة.

فصاح أحد الشرطيين به قائلًا: "ألق هذا المسدس واجث على ركبتيك!" فتفرق الحشد في كل اتجاه، وبقي ستة منهم، وقد بدوا وكأنهم في أرض نعمان الخاصة بهم، وقد تقطعت أوصالها.

ادرك سيب أن الشرطة كانت دائما إلى جانبه، وأن معركة بارينغتون ضد غومان، لن تكون مجرد مبارزة يشترك فيها الفريقان.

جثا أحد حراس غومان على الفور على ركبتيه، ودفع مسدسه على الأرض باتجاه رجل الشرطة، أما السفاح الآخر، وهو الذي فشل في مطاردة بريا، بينما كانت تركب الدراجة النارية، لم يتمتنل لأوامر الشرطي، فقال سيب بحزم وهو يدفع بريا إلى الخلف: "ابتعدي أيتها البجعة السوداء، فلست أنت من يريدها".

قال أحد الشرطيين الواقف خلفهما: "ألق سلاحك على الأرض، واجث على ركبتيك، وإلا ساطلق النار عليك"، ولكن الحارس لم يلقي مسدسه، كما أنه لم يجث على ركبتيه، بل ضغط على الزناد، فشعر سيب بأن الرصاصة قد أصابته، وفقد توازنه، وبينما كان يسقط على الأرض، صرخت بريبا بأعلى صوتها: "لا!" وألقت بنفسها بين سيب والحارس الذي كان يطلق النار من مسدسه، فقتلتها الرصاصة الثانية على الفور وسقطت جثة هامدة.

الليدي فيرجينيا فينيويك

1972

22

عندما بدأ المال ينفد، تسألت فيرجينيا إن كان في مقدورها العودة إلى الحياة المقيمة مجدداً.

لقد وظفت فيرجينيا خادماً ومديرة منزل، من دون أن تخبر والدها، كما أنها عادت إلى أسلوب حياتها السابق، إذ إن مبلغ 14 ألف جنيه كان مبلغاً ضخماً يمكنها في ذلك الوقت من أن تستعيد حياتها المرفهة، إلى أن تفقدت حسابها المصرفي. فقد أمضت شهزاً في فندق إليكس سوار في تينريف برفقة شاب لا يناسبها أبداً، وأقرضت بوفي مبلغاً من المال مع أنها كان تعرف جيداً أنها لن تسترد منه أبداً، كما أنها راهنت على مجموعة من المهرور التي لم تكن مدرجة في قائمة الفائزين، بعد أن رفضت الرهان على الجواد النبيل في سباق الملك جورج السادس والملكة إليزابيث، وقد شاهدته يفوز بسهولة بنسبة ثلاثة من واحد، وكان صاحبه، سايروس تي غرانت الثالث، غائباً لسبب مجهول، لذا قدمت جلالـة الملكـة الكـأس إـلى مدربـه.

فتحت فيرجينيا رسالة أخرى من السيد فيبروثر، وهو رجل أقسمت على عدم التحدث إليه مرة أخرى، وعلى مضض اعترفت بأنها تواجه الإحراج نفسه الذي واجهته منذ ستة أشهر، وأن مصروف والدها الشهري الضئيل جعل حسابها البنكي يتدهور مجدداً، لذا قررت استثمار منه جنيه للحصول على استشارة من السير إدوارد ميكبيس، الذي لم يكن مخطئاً لأنها فقدت قضية التشهير ضد إيمـا كـلـيفـتونـ، على الرغمـ منـ أنـ ذلكـ قدـ حـصلـ بـسبـبـ

بعد أن انتهت فيرجينيا من إخبار قصتها، قال السير إدوارد: "دعيني أحاول فهم ما تقولينه لي، لقد قابلت السيد سايروس تي غرانت الثالث، رجل أعمال من لويفيانا، في حفل غداء في هاريز بار في مايفير، والذي كان ضيف ابن اللورد بريджواتر، ثم رافقت السيد غرانت إلى فندقه...", فحص السير إدوارد ملاحظاته، ثم تابع: "فندق ريتز، حيث تناولت الشاي في جناحه الخاص، وفي وقت لاحق شرب كل منكما كمية كبيرة جداً من... ولا أفترض أنكما شربتما الشاي؟".

قالت فيرجينيا: "لقد شرب ويسكي ميكرز مارك، علامته التجارية المفضلة".

"وانتهى بماكما الأمر إلى قضاء الليلة معاً".
"يمكن أن يكون سايروس مقنعاً جداً".

"وأنت تقولين إنه عرض عليك الزواج ذلك المساء، وعندما عدت إلى فندق ريتز في صباح اليوم التالي، أقتبس كلامك، "قد لاذ بالفرار"، وهذا يعني أنه دفع حسابه وغادر فندق الريتز، واستقل أول رحلة إلى أميركا".

"هذا بالضبط ما فعله".

"وأنت تريدين رأيي القانوني حول ما إذا كان لديك الحق في رفع دعوى خرق الوعد ضد السيد غرانت في المحكمة؟".

بدت فيرجينيا متفائلة.

"إذا كان الأمر كذلك، يجب أن أسألك، هل لديك أي دليل على أن السيد غرانت قد عرض عليك الزواج فعلًا؟".

"أي نوع من الأدلة؟".

"الديك شاهد مثلاً شخص أخبره بطلب الزواج منك، أو خاتم زواج على سبيل المثال وهو الدليل الأفضل".

"خططنا لشراء خاتم الخطوبة في ذلك الصباح".
"أعتذر مسبقاً عن طرح هذا السؤال غير اللائق،
لدي فيرجينيا، ولكن هل أنت حامل؟".
قالت فيرجينيا بحزم: "بالتأكيد لا".

صمتت للحظة، قبل أن تضيف: "لماذا؟ هل سيشكل ذلك فرقاً؟".

"سيشكل فرقاً كبيراً بالتأكيد، فلن يكون لدينا دليل على طلب الزواج فحسب، بل الأهم من ذلك، يمكنك تحريك ملف النفقة، عبر رفع دعوى ثلزم السيد غرانت بالقيام بدفع نفقات تربية الطفل بمستوى يتوافق مع ثروته الضخمة"، نظر إلى ملاحظاته مرة أخرى، وقال: "بصفته الرجل الثامن والعشرين في قائمة أثرياء أميركا".

أكدت فيرجينيا قائلة: "هذا ما ذكرته مجلة فوربس".

"سيكون ذلك جيداً بما يكفي لمعظم المحاكم في كلا البلدين، ولكنك لست حاملاً، ولا دليل على أنه طلب الزواج منك إلا ما تدعينه، ولا أستطيع أن أرى أي وسيلة أمامك، لذلك أود أن أنصحك بعدم رفع دعوى ضد السيد غرانت، لأن المصاريف القانونية وحدها ستشكل عبئاً كبيراً عليك، وبعد تجربتك الأخيرة لا اعتقاد أنه يجب أن تسلكي ذلك الطريق مجدداً".

وصلت ساعة الاستشارة إلى نهايتها، وقد شعرت فيرجينيا بأنها أنفقت منه جنيه على نحو متصر.

قالت فيرجينيا: "ومتن سيلولد الطفل، مورتون؟".
بعد شهرين تقريرها، سيدتي".

"هل ما زلت تخاطط لعرض الطفل للتبني؟".

"نعم سيدتي، على الرغم من أنني وجدت عملاً جديداً في منزل جديد، وأتقاضى راتباً جيداً، ولكن السيدة مورتون غير قادرة على العمل، ونحن ببساطة لا نستطيع تحمل نفقات طفل آخر".

قالت له فيرجينيا: "أنا أتعاطف معك، وسأساعدك بقدر ما أستطيع".

"هذا لطف منك، سيدتي".

ظلَّ مورتون واقفاً بينما كانت فيرجينيا تشرح له تفاصيل دقيقة، تتعلق باقتراح اقتراحته عليه، وكانت تأمل في أن يحل مشكلتهما معاً، وسألته أخيراً: "هل سيكون ذلك مناسباً لك؟".

"بالتأكيد، سيدتي، وإذا جاز القول، فهو عرض بالغ الكرم من طرفك".

"ماذا تظن سيكون رد السيدة مورتون على هذا الاقتراح؟".

"أنا متأكد من أنها ستتحترم رغباتي".

"حسناً، ومع ذلك، يجب أن أؤكد أنك إذا قبلت أنت والسيدة مورتون عرضي، فلن يكون أي منكم قادراً على التواصل مع الطفل مجدداً".

"أفهم ذلك، سيدتي".

"إذا سأحصل على المستندات الالزمة من المحامي الخاص بي، وستكون جاهزة للتوقيع، واستمرر بإعلامي بانتظام بشأن صحة السيدة مورتون، ولا سيما عندما تنوِي الذهاب إلى المستشفى".

"بالطبع سيدتي، لا يسعني التعبير عن امتناني لك".

بما يكفي".

وقفت فيرجينيا وصافحت مورتون، وهو أمر لم تفعله من قبل.

حصلت فيرجينيا على أعداد من صحيفات باتون روج تايمز وقد تم إيصالها جواً من باتون روج مرة في الأسبوع، مما أتاح لها فرصة مواكبة "حفل زفاف العام"، وقد خصصت النسخة الأخيرة صفحة كاملة لزواج إيلي ماي كامبل من سايروس غرانت الثالث القريب، وقد وزّعت الدعوات بالفعل، وكان من بين الضيوف حاكم الولاية هون هايدن رانكين وزعوا مجلس الشيوخ في الولاية، والعديد من أعضاء المجلس الآخرين، بالإضافة إلى عمداء باتون روج، وشخصيات المجتمع القيادية في الولاية، وسيزوجهما المطران لأنجدون، في كنيسة القديس لوقا الأسقفي، وسيتبعه مأدبة غداء في مزرعة عائلة العروس لأربعين ضيف كان من المتوقع أن يحضروا مقسمين إلى خمسة أقسام.

قالت فيرجينيا: "لا بل أربعين وواحد"، رغم أنها لم تكن متأكدة تماماً من كيفية حصولها على دعوة، ثم انتقلت إلى الصفحة الرابعة من الجريدة، لمعرفة نتيجة قضية طلاق كانت تتبعها باهتمام كبير.

على الرغم من الإعداد المحكم، فلا تزال هناك عقبة أو أكثر يتبعين على فيرجينيا التغلب عليها قبل أن تتمكن من الانطلاق إلى العالم الجديد، وقد زودها بوفي الذي كانت اتصالاته دائمة بكل من مجلس الشيوخ والطبقات الدنيا، باسمي طبيب مشبوه، ومحامي وقف أكثر من مرة أمام اللجنة الأخلاقية في مجلس نقابة المحامين، وقد نظمت

شركة ميلور ترافيل رحلتها من وإلى باتون روج، كما حجزت لها في فندق كومونويث لمدة ثلاثة ليال، ولكن الفندق لم تكن لديه أجنحة فخمة، بعد أن حجزت الأجنحة كلها من أجل الضيوف الذين سيحضرون حفل الزفاف، ومع ذلك لم تتذمر، لأنها لم تكن تريد أن تكون مركز الاهتمام في تلك المرحلة، بل قد تكون تبرّمت لبعض دقائق فقط.

في الشهر التالي، عادت وتفحصت كل تفاصيل خطتها مرة أخرى، وتدرّبت على كل ما يجب القيام به خلال أيامها الثلاثة في باتون روج، وكانت خطتها أن تحظى ياعجاب الجنرال أيزنهاور، على الرغم من أنها كانت بحاجة فقط إلى هزيمة سايروس. وقبل أسبوع من موعد سفرها إلى لويسiana، زارت فيرجينيا فرع مذكورة في شارع أكسفورد، واشترت ثلاثة أزياء لم تكن تتوافق مع ارتداءها إلا مرة واحدة، ودفعت ثمنها نقداً.

أقلت الليدي فيرجينيا فينيويك سيارة خاصة فخمة من شقتها في حدائق كادوغان إلى مطار هيثرو بحسب أوامر ميلور ترافيل.

وعندما سجلت الوصول في مكتب شركة الطيران البريطانية، قيل لها إن رحلتها إلى نيويورك ستتأخر بضع دقائق، ولكن سيظل لديها الوقت الكافي للحاق برحلتها إلى باتون روج، وكانت تأمل في الاشتراك في أكثر عن موعدها، لأنه كان عليها أن تنجز عملاً في أثناء وجودها في مطار جون كنيدي.

صعدت المرأة النحيفة والأنيقة، والتي تبلغ الأربعينات من العمر إلى الطائرة المتجهة إلى نيويورك، وعندما انطلقت الرحلة المتجهة إلى باتون روج بدت في مراحل متقدمة من الحمل.

لدى وصولها إلى عاصمة لويزيانا، ركبت المرأة الحامل سيارة أجرة، أوصلتها إلى فندق الكومونولث، وعندما خرجت من الجزء الخلفي من الكابينة الصفراء، هرع اثنان من الحمالين إلى مساعدتها، وفي أثناء الحجز لم يكن من الصعب معرفة أن الفندق كان يغض بالضيوف الذين يتربّون بهذه المناسبة الخاصة.

غرض على فرجينيا غرفة في الطابق الثالث، وبما أنه لم يكن لديها ما يمكنها القيام به في تلك الليلة، انهارت قواها من شدة الإرهاق، وغطّت في نوم عميق.

عندما استيقظت في الساعة الرابعة من بعد منتصف الليل، والعشرة صباحاً بحسب توقيت حدائق كادوغان، فكرت في الاجتماع الذي رتبته لاحقاً في ذلك الصباح مع السيد تريند، الرجل الذي سيقرر ما إذا كانت خطتها قابلة للتنفيذ أو لا، كانت قد اتصلت به هاتفياً قبل أسبوع لتحديد موعد اللقاء، وقد اتصل بها مساعدته بعد فترة وجيزة لتأكيد الموعد.

كانت تأمل في أن يحالفها الحظ مع المحامي الجديد أكثر مما حالفها مع السيد إدوارد، في ذلك الصباح تناولت فطورها مبكراً في غرفتها، وقرأت صحيفة ستيت تايمز.

تصدر حفل الزفاف الصفحة الأولى منها، ومع ذلك لم تعلم شيئاً جديداً لم يسبق لها أن عرفته عبر أكثر من صحيفة خلال الشهر المنصرم، باستثناء أن الأمن في كل من الكنيسة ومزرعة عائلة العروس سيكون مشدداً، كما أكد قائد الشرطة المحلية لمراسل الصحيفة أن أي شخص يحاول اقتحام الحفل سينطرد منه، وسينتهي به الأمر إلى قضاء

الليلة في سجن المدينة، كذلك عرضت الصحيفة صور وصيفات الشرف ونسخة من قائمة الغداء في وسط الصفحة، ولكن هل ستتمكن فيرجينيا من أن تحضر الحفل؟ بعد أن قرأت المقال مرتين، صبت لنفسها كوبًا ثالثًا من القهوة، وقد اعتبرتها قلق شديد، على الرغم من أنها لا تزال الساعة السابعة وعشرين دقيقة فقط.

بعد تناول الفطور اختارت زي المرأة الحامل الذي جعلها تبدو حاملاً في الشهر السابع تقريباً، وغادرت الفندق في الساعة التاسعة وأربعين دقيقة صباحاً، ثم استقلت سيارة أجرة إلى شارع لافاييت، حيث دخلت بناء بابه من الحديد الصلب، وبعد أن تفحصت قائمة العناوين المعلقة على الحائط، استقلت المصعد إلى الطابق الحادي والعشرين، وأبلغت موظفة مكتب الاستقبال بأنها الليدي فيرجينيا فينيويك، وأن لديها موعداً مع السيد تريند، فكانت اللهجة الجنوبية الثقيلة التي تحدثت بها الموظفة الشابة تبدو وكأنها لغة أجنبية غريبة بالنسبة إليها، لكن صوتها ابعت من خلفها أنقذها من هذا المأزق.

"مرحبا بك في باتون روج، سيدتي، أعتقد أنني من تبحثين عنه".

استدارت فيرجينيا لترى رجلاً اعتقاداً بوضوح أن ارتداءه سترة ذات نقوش مربعة الشكل، وجينزاً وربطة عنق كان كفيلاً بالإيحاء إلى زبائنه بالثقة.

تصافحاً وقال لها: "تفضلي إلى مكتبي".

تبعته فيرجينيا عبر صف من المكاتب التي بدا أنها تكبر أكثر فأكثر مع كل خطوة تخطوها إلى الأمام، وأخيراً فتح باباً في نهاية الممر وأدخلها إلى مكتبه.

قال لها وهو يأخذ مكانه خلف مكتب كبير من

خشب الماهوجني: "تفضلي بالجلوس".

كانت الجدران مغطاة بصور السيد تريند والوكلاء الذين حقق لها النصر، وهم يقفون إلى جانبه، مع أنهم بدوا بشكل جليًّا مذنبين.

قال تريند وهو يتکن على المكتب: "الآن يمكنك أن تخيلي إلى أي مدى كنت متحمساً لتلقي مكالمة من سيدة إنكليزية تريدني أن أرمي إليها نصيحتي، إلا أنني أريد أن أعرف كيف حصلت على اسمي في المقام الأول".

"إنها قصة طويلة يا سيد تريند"، شرعت في الحديث عنها، كما شرحت لمحاميها المحتمل كيف التقت بسايروس تي غرانت الثالث في زيارته القصيرة إلى لندن، من دون أن تذكر الخاتم، ولكنها أكدت له أن وضعها الحالي كان نتيجة هذا اللقاء.

لعق المحامي شفتيه، وقال وهو يميل على كرسيه: "سأطرح عليك بعض الأسئلة، لو سمحت، سيدة فيرجينيا، ولكن الأهم، متى موعد ولادة الطفل؟".
مرة أخرى تذكرت فيرجينيا كلام مورتون: "خلال شهرين".

"لذلك أفترض أن هذا اللقاء حدث في فندق ريتز في لندن قبل حوالي سبعة أشهر".
"تقريباً".

قال وهو لا ينتظر ردّها: "وهل يمكن أن أسألك سؤالاً دقيقاً؟ لا يمكن أن يكون الأب شخصاً آخر؟"
"بما أنني لم أعاشر أي شخص لأكثر من عام قبل سايروس، يبدو ذلك الأمر غير مرجح".

"أنا أسف إذا كنت قد أساءت إليك، سيدتي، ولكن هذا هو السؤال الأول الذي سيسأله محامي السيد غرانت".

"وقد أصبح لديك إجابتني".

"في هذه الحالة، يبدو أن لدينا دعوى أبوة ضد السيد غرانت، ولكن على أن أسألك سؤالاً آخر حساساً، هل تريدين نشر هذا الخبر؟ لأنه إذا فعلت ذلك، فمن المؤكد أنك ستتحتلين الصفحات الأولى في الوقت الحالي، بالنظر إلى مكانة المتورطين في القضية، أم تفضلين أن أحاول الوصول إلى تسوية خاصة؟".

"أفضل تسوية خاصة، فلا أريد أن يعرف أصدقائي في لندن بهذه القضية برمتها".

"هذا أفضل بالنسبة إلي، في الواقع قد نتمكن من الحصول على أفضل الاحتمالين".

"لست متأكدة من أنني فهمت ما تقصده، سيد تريند".

"حسناً، إذا كنت ستحضررين حفل الزفاف..."

"لكن بالتأكيد لن تكون متفاجئاً إن قلت لك إنني لم أتلّق دعوة، وأنني اكتشفت هذا الصباح فقط أن الإجراءات الأمنية ستكون مشددة للغاية".

"ليس إذا كان لديك دعوة".

"هل هذا يعني أنك ذاهب؟".

"لا، فأنا كنت محامي زوج إيلي ماي الأول، لذلك لن ترغب في أن تراني في حفل زفافها".

"وهذا هو سبب اختياري لك يا سيد تريند".

"أنا أشعر بالإطراء، ولكن قبل أن أوفق على تولي قضيتك، هناك مسألة أخرى مهمة تحتاج إلى مناقشتها، وهي كيف تنوين دفع أتعابي، فأنا أتقاضى منه دولار في الساعة، بالإضافة إلى مصاريف الخدمات المختلفة، وأتوقع مبلغاً إضافياً يبلغ عشرة آلاف دولار عند تعيين موعد الجلسة".

ادركت فيرجينيا أن اجتماعهما القصير كان على وشك أن يفشل.

تابع تريند قائلاً: "إلا أنه لديك خيار ثان، على الرغم من أنني أتوقع أن يكون مستهجنًا بالنسبة إليك، ولكنني سأعرضه عليك، وهو يطلق عليه خيار الرسوم المشروطة".

"وكيف يجري ذلك؟".

"أوافق على تولي قضيتك، وإذا فزت، فسأحصل على 25 في المئة من التسوية النهائية".
"وإذا خسرت؟".

"لأحصل على أتعابي، ولا تدفعين مقابل الخدمات التي قدمتها".
"تعجبني هذه الفكرة".

"اتفقنا، والآن مشكلتي الفورية هي التأكد من حصولك على دعوة لحضور الزفاف، وأعتقد أنني أعرف بالضبط بمن سأتصل، أين يمكنني الاتصال بك إن احتجت إلى التواصل معك؟".

"أقيم في فندق الكومونولث، سيد تريند".
"انتظري اتصالي بك".

"السيدة كاثي فرامبتون".

سألته فيرجينيا: "من تكون؟".

أجابها تريند: "إنها إحدى قريبات إيلي ماي كامبل".

"من المؤكد أن أي شخص قد يعرفها في حفل الزفاف".

"لا يرجح حدوث ذلك بعد أن عادت دعوتها من سياطل من دون أن يفتحها أحد، وقد ختم غلاف الدعوة بعبارة العناوان مجهول".

"لكن من المؤكد أن أي شخص يعمل مع منظمي حفلات الزفاف سيعرف أن السيدة فرامبتون لم تؤكّد تلبية الدعوة".

"نعم، وهذا الشخص هو المسؤول عن قائمة الضيوف، وكذلك إعدادات أماكن تناول الغداء في المزرعة، ويمكنني أن أعدك، بأنها لن تخبر أحداً".

سألته فيرجينيا، وقد بدت غير مقتنعة: "كيف يمكنك أن تكون متأكداً من ذلك؟".

"لنقل فقط إنها مسرورة بتسوية الطلاق التي حصلت عليها من أجلها".

ابتسمت فيرجينيا ابتسامة عريضة، وقالت: "إذا كيف يمكنك الحصول على دعوة السيدة فرامبتون؟".

"لقد تركتها تحت باب غرفتك منذ ساعة، فلم أرغب في أن أزعجك".

تركت فيرجينيا الهاتف، ونهضت من السرير، وركضت نحو الباب، والتقطت مغلقاً كبيزا قشدي اللون، وما إن مرأقته حتى عثرت على دعوة من السيد والسيدة لاري كامبل لحضور حفل زفاف

ابنتهما الوحيدة، إيلي ماي كامبل وسايروس تي الثالث.

التقطت فيرجينيا الهاتف مجدداً، وقالت: "لقد وصلتني الدعوة".

قال لها تريند: "تأكد من جعلها مناسبة لا يمكن أن ينساها سايروس، وأنطلع إلى سماع كل ما ينتج عن ذهابك إلى الحفل، عندما نلتقي مرة أخرى صباح الغد".

"إيلي ماي، هل تقبلين هذا الرجل زوجاً لك...".

كانت فيرجينيا تجلس في الصف الثامن المخصص لعائلة كامبل، وقد تمتعت بروية واضحة لحفل الزفاف، إلا أنها اضطررت إلى منح إيلي ماي بعض الفضل، لأن سايروس بدا مقبولاً قريباً وهو يرتدي البدلة الرسمية، فلا بد أنه خسر بضعة أرطال من وزنه، ومن النظرة التي ارتسمت على وجهه، يظهر أنه معجب بالتي ستصبح السيدة غرانات، وعلى الرغم من أنها ستتجدد صعوبة في إقناع أكثر الأمهات رقة وحناناً في العالم بأن العروس كانت أكثر من عادية، ما جعلها تشعر ببعض الرضا. كانت فيرجينيا قد شغلت مقعداً قريباً من الممر قدر الإمكان، على أمل أن يلتقي بها سايروس عندما يغادر الكنيسة برفقة عروسه، ولكن في اللحظة الأخيرة، دفعها أحد أفراد أسرة مكونة من ثلاثة أشخاص نحو وسط المقعد، وعلى الرغم من تحديقها بثبات إلى العريس، إلا أنه بدا وهو يسير بسعادة إلى جانب عروسه غافلاً عن أي شخص غيرها، وهكذا سار السيد والسيدة سايروس تي غرانات جنباً إلى جنب في الممر من دون أن يلحظا أحذا من حولهما.

بعد أن غادرت فيرجينيا الكنيسة، راجعت التعليمات المطبوعة بدقة على ظهر بطاقة الدعوة الخاصة بها، فاستقلت الحافلة التي كان إلى جانب سبع حافلات أخرى، وسيارات ليموزين لا حصر لها، بالإضافة إلى سيارة غريبة الشكل كانت ستقل المدعوين، وقد اختارت مقعدها في الخلف.

كانت تجلس إلى جانبها سيدة عجوز أنيقة، شعرها أبيض، قالت لها: "مرحباً"، ومدّت يدها المتقدمة إلى فيرجينيا لتصافحها.

واردفت قائلة: "أنا وينفرييد غرانت سايروس، والعريس ابن أخي".

قالت لها فيرجينيا: "كاثي فرامبتون، وأنا ابنة عم إيلي ماي".

قالت وينفرييد عندما غادرت الحافلة: "لا أعتقد أنه سبق أن قابلتك".

"لا، أنا من إنجلترا، ولا أتردد إلى الولايات المتحدة كثيراً".

"أرى أنك تنتظرين طفلاً".

"نعم، خلال شهرين".

"هل تأملين في أن يكون المولود فتاة أم فتى؟". لم تفكّر فيرجينيا في أن يطرح عليها أسئلة حول الحمل، فقالت: "كل ما يقرره الله يكون خيراً".

"يا له من كلام جميل! يا عزيزتي".

قالت فيرجينيا محاولة تغيير الموضوع: "اعتقد أن الحفل كان مميضاً".

"أوافقك في الرأي، لكنني تمكّنت لو أن سايروس تزوج من إيلي ماي قبل عشرين عاماً، فلطالما كانت رغبة العائلتين في تزويجهما".
"ولماذا لم يتزوجا؟".

"لأن سايروس كان خجولاً دوماً، ولم يتجرأ على أن يدعو إيلي ماي لمراقبته إلى حفل المدرسة، لذلك خسر أمام واين هاليداي، الذي كان نجم المدرسة، وبصراحة كان يستطيع أن يظفر بأي فتاة يريدها، وربما فعل ذلك لأنها سمحت له بأن ينجذب إليها، وإن تحدثنا بصراحة فلا يمكن أن يكون مظهرها الذي ما جذبه إليها".

"أين وين الان؟".

"لا أعرف، ولكن بعد التسوية انتهت بهما الأمر إلى الانفصال النهائي، ومن المحتمل أنه يتسّع على جزيرة في بحر الجنوب، ويشرب بينيا كولاً، محاطاً بالعذاري اللواتي يرتدن ملابس بخسة".

"لم تكن فيرجينيا بحاجة إلى أن تسأل من كان محامي واين هاليداي لأنها تابعت القضية في صحيفة ستيت تايمز بلهفة كبيرة، وأعجبت بحجم التسوية التي أنجزها السيد ترينيد نيابة عن موكله. انحرفت الحافلة عن الطريق وسارت عبر مجموعة من بوابات واسعة مصنوعة من الحديد المطاوع قبل أن تتجه نحو الأسفل على طول المنعطف الذي اصطدمت على جانبيه أشجار الصنوبر العالية التي تقود إلى قصر ضخم محاط بمئات الفدانات من المروج المشذبة".

سألت فيرجينيا: "كيف تبدو مزرعة سايروس؟".

قالت وينفريد: "بالحجم نفسه تقريباً".

أضافت فيرجينيا وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة ماكراً: "اعتقد أنه لهذا السبب لم يكن عليه أن يكلف نفسه عناء التوقيع على اتفاق ما قبل الزواج، فهو زواج لم يصنع في الجنة، بل في بورصة نيويورك للأوراق المالية".

توقفت الحافلة خارج القصر الشاسع، فنهضت

فيرجينيا، وانضمت إلى صف الضيوف الطويل، وقد دخلوا تباعاً بعد تفحص دعواتهم بعناية، وعندما وصلت إلى مقدمة الطابور، سلمت مغلقاً أبيض صغيراً إلى امرأة بدت وكأنها تعرف بالضبط هويتها. همست إليها: "يمكنك الجلوس إلى الطاولة السادسة، ولا يوجد ما يجعلك تقلقين بشأنه"، أومأت فيرجينيا إليها برأسها، وتبعض الضيوف الآخرين الذين يتوجهون إلى طاولاتهم.

كان الندل يرتدون سترات بيضاء، ويحملون صواني عليها كؤوس الشمبانيا، وقد وقفوا على امتداد القاعة، وحول حلبة الرقص كانت موائد الغداء مجهزة لأربعين ضيف، بينما ينتظر الندل اكتمال الأعداد لتقديم أشهى الوجبات، فدرست فيرجينيا تحيط القاعة، فلاحظت وجود طاولة طويلة، ومن الواضح أنها مخصصة للعائلة وضيوفها الأكثر أهمية، وهي تحتل إحدى واجهات القاعة، وأمامها حلبة الرقص مباشرة، كما كان هناك أربعون طاولة دائرة تملأ بقية الغرفة، وبينما كانت فيرجينيا تحاول استيعاب كل ما يحدث، دوى صوت جرس، وقال خبير في رفع الأنخاب يرتدى سترة حمراء: "من فضلكم خذوا أماكنكم حتى نتمكن جميعاً من الترحيب بالعروسين وعائلتيهما وضيوفهما الكرام".

بحثت فيرجينيا عن الطاولة السادسة، التي وجدتها إلى جانب حلبة الرقص، مقابل الطاولة الطويلة تماماً، فقدمت نفسها إلى رجلين في منتصف العمر، وجلست بينهما، فاتضح أنهما مثلاً تماماً أبناء عمومة، ولكنهما ينحدران من عائلة غرانات، فمن الواضح أن السيد تريند لم يخاطر أبداً بكشف هويتها.

لم يكدر يجلس الجميع حتى نهضوا على أقدامهم مرة أخرى ليصطفوا للعروس والعريس، اللذين يرافقهما أهلها وإخوانها وأخواتها ووصيفات العروس ومجموعة ضيوف مميزين، فقال الرجل الذي يجلس إلى يمين فيرجينيا، هايدن رانكين: إن محافظتنا رجل عظيم، وهو معجب كثيراً بأهل لوبيزيانا".

لكن فيرجينيا كانت أكثر اهتماماً بالجلوس إلى الطاولة الأطول، على الرغم من أنها ترى سايروس بوضوح، إلا أنها تشكي في أنه سيلاحظها وهي في الجانب الآخر من حلبة الرقص، كيف ستتجذب انتباهه من دون أن تثير الريبة؟

بعد أن جلست أخيراً رديت قائلة: "أنا ابنة عم إيلي ماي، وأنت؟".

"اسمي ناثان غرانت، وأنا ابن عم سايروس، لذا أعتقد أننا الآن أصبحنا قريبين".

لم تستطع فيرجينيا التفكير في أي إجابة. سألتها ناثان بلباقة: "هل زوجك برفقتك؟".

لقد طرح عليها سؤالاً آخر لم تتوقعه، ولكنها أجابت: "لا، فهو يحضر مؤتمراً مهماً ولم يتمكن من الهرب منه، لذا جئت برفقة العممة وينفريد"، ثم لوحت إلى وينفريد، التي لوحت لها بدورها، وقد بدت فيرجينيا في حالة ضياء.

"في أي مجال يعمل زوجك؟"
"إنه وسيط تأمين".
"وما تخصصه؟".

قالت فيرجينيا وهي تنظر من النافذة: "الخيول".
"كم يبدو ذلك ممتفعاً أود مقابلته، ربما في إمكاننا أن نعقد صفقة بدلاً من تلك التي أعقدها مع رجل

يسرقني حالياً".

لم تستجب فيرجينيا، ولكنها التفتت إلى الرجل الجالس إلى يسارها، وقد استمرت بتحويل انتباها من واحد إلى آخر بشكل منتظم لتجنب الاضطرار إلى الإجابة عن العديد من الأسئلة المحرجة، وكانت تتلقى تلویحات بين الحين والآخر من العمة وينفريد، ولكن سايروس لم ينظر إليها أبداً، كيف ستعلمها بوجودها؟ لقد وصلت الإجابة إليها بالفعل.

حدثت ناثان عن طفلها الأول، الذي منحته اسم روفوس، والبالغ من العمر ثمانية سنوات، وأخبرته باسم المدرسة التي يرتادها، وهو سمرفيلدز. ثم لمحت امرأة شابة جذابة تتوجه في الصالة، كما لاحظت أن عيون الذكور تتبعها، وما إن وصلت إلى الجانب الآخر من حلبة الرقص، حتى توصلت فيرجينيا إلى طريقة تضمن أن يلاحظها سايروس، إلا أنه يجب أن يكون توقيتها مثالياً، لأنها لم ترد أي منافسين على المنصة في الوقت الذي ستنفذ خططها، خاصة تلك التي تصغرها سناً ولها سيقان أطول من سيقانها.

بعد انتهاء الطبق الثالث، نقر الرجل بالمطرقة، فсад الصمت مرة أخرى: "السيدات والسادة، السيد لاري كامبل، والد العروس".

نهض السيد كامبل من مكانه وسط الطاولة العلوية، وبدأ بالترحيب بضيوفه نيابة عن زوجته، فتوقعـت فيرجينيا أن يستمر خطاب كامبل عشر دقائق، فكانت بحاجة إلى اختيار اللحظة المناسبة لتنفيذ خططها، لأنها عرفـت أنها ستحصل على فرصة واحدة فقط، إلا أن والد العروس كان يستقبلـ الحاكم رانكين وعضوـ مجلس الشيوخ الأمريكي، فبدا واضحـاً أنها لم تكن تلك اللحظة المناسبة

لظهورها، فانتظرت حتى بدأت السيدة كامبل بسرد حكاية طويلة عن بعض الحوادث الصغيرة التي جرت مع ابنتها، وكانت من بينها حادثة وزّطت إيليا مای في مشكلة في المدرسة، وكانت ردة فعل الجمهور الضحك المتواصل والتصفيق بحرارة أكثر مما تستحقه القصة، فاستغلت فيرجينيا لحظات الصمت التي تخللت الكلام الفارغ، ونهضت ممسكة بيدها، وسارت ببطء حول حافة حلبة الرقص، ونظرت إلى السيد كامبل نظرة اعتذار وأسى، وللحظة فقط حذقت مباشرة إلى عيني سايروس الذي شحب وجهه وتحول لونه إلى الأبيض الطباشيري، قبل أن تدير ظهرها له، وتشق طريقها نحو إشارة الخروج إلى الجانب الآخر من القاعة.

أوحت تعابير سايروس بأن شبح بانكو نفسه لن يستطيع إحداث التأثير الذي ارتسם على ملامح وجهه أبداً، وأدركت أن عودتها يجب أن تكون بالقوة نفسها.

انتظرت بصبر في الداخل حتى ينتهي خطاب أعظم رجل، وقبل أن يستدعي مسؤول الصالة العريض سايروس غرانت الثالث، للرد على الضيف. عندما نهض سايروس، صفق له الجميع، فكانت تلك اللحظة التي اختارت بها فيرجينيا للعودة إلى القاعة، ومشت بسرعة باتجاه حلبة الرقص، وعادت إلى مقعدها، محاولة عكس انطباع أنها لم تكن ترغب في مقاطعة خطاب العريض، ولكن لم يكن سايروس متخدلاً موهوباً بشكل فطري في أحسن الأحوال، كما لم يكن موفقاً هذه المرة، فتعثر في قراءة نصه، مكرزاً عدة سطور، وعندما جلس أخيراً، تلقى تصفيقاً صامتاً فقط، إلى جانب ابتسامة ماكراً من ضيف لم يكن مدعواً.

استدار سايروس، وبدأ يتحذّث بانفعال مع حارس أمن كان متمركزاً خلف الطاولة العلوية، أوّما العملاق ذو الكتفين العريضتين برأسه وأشار إلى اثنين من زملائه.

أدركت فيرجينيا فجأة أنها لم تفكّر في استراتيجية الخروج، وعندما عاودت الفرقة العزف، نهض ناثان غرانت بشجاعة من مكانه وكان على وشك أن يطلب من كاثي أن تشاركه الرقصة الأولى، فاكتشف أنها كانت تنسج طريقها برشاقة بين الطاولات متوجهة نحو المدخل، وعندما وصلت فيرجينيا إلى الجانب الآخر من القاعة، التفتت حولها لترى أحد حراس الأمن يشير إليها، وما إن غادرت القاعة، حتى تحولت مشيتها إلى جري سريع، فانطلقت تعدو في الممر باتجاه الباب الأمامي، وعبرت الشرفة بسرعة لا يمكن أن تعبّرها امرأة في أشهر الحمل الأخيرة.

سألها شاب يقف أمام الباب الأمامي، وقد ارتسم القلق على ملامح وجهه: "هل يمكنني مساعدتك يا سيدتي؟".

قالت له فيرجينيا وهي تمسك بيطنها: "اعتقد أن الطفل يوشك أن يولد".

"اتبعيني، سيدتي"، وركض أمامها وسرعان ما فتح الباب الخلفي لسيارة ليموزين، فصعدت فيرجينيا إلى الداخل وانهارت على المقعد، ثم ظهر اثنان من حراس الأمن أمام الباب الأمامي، بينما كان الشاب يقول للسانق: "المركز الطبيعي، بأسرع ما يمكن!"، وما إن انطلقت السيارة حتى استدارت فيرجينيا، ونظرت من النافذة الخلفية، فشاهدت الحارسين اللذين كانا يطاردانها، فلُوحت لهما كما لو كانت من أفراد العائلة المالكة، بعد أن تأكّدت من أن سايروس

تي غرانت الثالث أصبح يعرف أنها في المدينة.

قال تريند حتى قبل أن تجلس فيرجينيا: "لابد أنك تركت انطباغاً جيذاً، لأنني عندما اتصلت بمحامي سايروس غرانت هذا الصباح، لم يفاجأ باتصالني، واتفقنا على الاجتماع في مكتبه غداً عند الساعة العاشرة".

"لكنني سأعود إلى لندن بعد ظهر اليوم".

"هذا أفضل لك، لأن قضية بهذه الأهمية لن تجري تسويتها على عجل، ولا تنسى أن سايروس في شهر العسل، ولا نريد إفساد سعادته، أليس كذلك؟ على الرغم من شعوري بأنه سيحصل بمحاميه من وقت إلى آخر".

"ماذا تريدني أن أفعل؟".

"اذهي إلى المنزل، واستعدِي لولادة طفلك، وانتظرني اتصالاً مني، ولكن احذري جيني فمن المؤكد أنهم وظفوا محققاً في لندن ليراقبك".

"ما الذي يجعلك متأكداً من ذلك؟".

"لأن ذلك ما كنت سأفعله بالضبط".

انطلقت رحلة فيرجينيا من باتون روج إلى نيويورك في تمام الساعة الرابعة وأربعين دقيقة، وهبطت الطائرة في مطار كيندي بعد الساعة العاشرة مساءً.

شقّت طريقها إلى البوابة 42، وقد أرادت أن تتوقف لتحصل على نسخة من مجلة فوغ، ولكنها تخطّت بارنز آند نوبل ما إن رأت واجهة المتجر ممتلئة بأكdas من الكتابين الأكتر مبيعاً وصفاً طويلاً ينتظر دوره للحصول على نسختيه، فلم يكن

لديها وقت طويل قبل نداء الركاب للصعود على متن الطائرة المتجهة إلى لندن.

انتظرها سائق في مطار هيترو أرسلته شركة ميلور ترافل، وقد أوصلها إلى هيدلي هول في هامبشاير، موطن بوسي بريجواتر.

كان بوسي هناك لاستقبالها عندما ترجلت من السيارة قائلة: "هل نجحت يا عزيزتي؟"

"لا أعرف بعد، إلا أن شيئاً واحداً مؤكداً هو أنني عندما أعود إلى لندن، سأكون مضطورة إلى الولادة".

اتصل تريند بفيرجينيا في اليوم التالي، وأخبرها بأن اثنين من محققين بينكرتون كانوا في طريقهما إلى إنكلترا ليراقبا كل خطوة تقوم بها، وإبلاغ محامي غرانت بها، وقد حذرها من ارتكاب أي خطأ، وإن تكون هناك أي تسوية.

هل يمكن أن يكون تريند قد اشتبه بأنها ليست حامل؟ إذا كانت فيرجينيا ستقنع التحريين بأنها كانت على وشك أن تلد، فستحتاج إلى مساعدة شخص ماكر وداهية وفاسد، وباختصار تحتاج إلى رجل كان خداع المحققين وانتهاك القانون جزءاً أساسياً من حياته اليومية، وهي لم تقابل إلا شخصاً واحداً تليق به هذه الصفات، وعلى الرغم من أنها احتقرت هذا الرجل، إلا أنه لم يكن لديها الكثير من الخيارات إن أرادت أن تمضي الأسابيع التمانية القادمة كما خططت لها، كما كانت تعلم جيداً أن ذلك الشخص لن يطلب في المقابل المال، لأنه كان يملك بالفعل ما يكفيهما كليهما، ولكن ما لم يملكه ديزموند ميلور، وأراده بشدة، كان التقدير.

بعد تحديد نقاط ضعفه كل ما كان على فيرجينيا أن تقنعه بأنها بصفتها ابنة إيرل فينيويك وترتبطها بالملكة الأم صلة قرابة بعيدة، في إمكانها تحقيق طموحه في أن تربت صاحبة الجلالة على كتفه، وتقول له: "قم يا سيد ديزموند".

تحذّث فيرجينيا إليه مرتين في اليوم نفسه، على الرغم من أنهما لم يلتقيا بشكل مباشر من قبل، وبمجرد أن تأكّد أن المحققين وصلا إلى لندن، وكانوا يعكفان على مراقبة شقتها ليلاً ونهاراً، قال لها: "يجب أن تكوني على يقين من أنهما يرثيان بالضبط

ما يتوقعان رؤيتها، وهو أن تتصرف في مثل أي أم طبيعية لم يتبق سوى أسبوع قليلة على ولادتها". فواصلت فيرجينيا رؤية بوفى وأصدقائها بانتظام، وكانت تتناول طعام الغداء والعشاء برفقتهم، وقد مضفت أعواد الخيار وشربت أكواب عصير الجزر متجنبة الشمبانيا للمرة الأولى في حياتها، وعندما كان يتم الضغط عليها لمعرفة هوية والد طفلها، لم تكن تلمح ولو تلميحا إلى هويته، واستقرت أعمدة القيل والقال على أنطون ديلوث، الشاب الفرنسي الذي لم يناسبها، وكان قد رافقها إلى تينيرييفي، ولم تزه بعد ذلك، واستمرت صحيفة إكسبريس في إعادة طباعة الصورة غير الواضحة التي كانت في حوزتها لفيرجينيا ديلوث وهما يستلقيان على الشاطئ معاً. وقد مارست فيرجينيا روتينها اليومي بلا هوادة، بعد إضافة لمسات ديزموند ميلور العقيرية التي قدمها إليها.

كانت تقللها سيارة يقودها سائق على مهل، مرة واحدة أسبوعياً من حدائق كادوغان إلى 41 شارع هارلي، ولم تكن تتخطى الإشارة الحمراء أبداً، ولا تسلك أي طريقاً سريعاً، كونها كانت حاملاً في أسبوعها الأخيرة، والأهم من ذلك أنها لم ترد أن تغيب عن نظر المحققين أبداً، وعند الوصول إلى 41A، وهو منزل كبير مؤلف من خمسة طوابق على الطراز الجورجي، كانت هناك سبع لوحات اسمية من النحاس الأصفر معلقة إلى جانب البوابة، فأبلغت فيرجينيا مكتب الاستقبال عن موعدها الأسبوعي مع الدكتور كيث نوري، ففحصها الطبيب كيث برفقة مساعدته لأكثر من ساعة قبل أن تعود إلى السيارة ويعيدها إلى المنزل، وقد أكد لها ديزموند أن الطبيب موثوق به، وسيجري عملية الولادة في عيادته شخصياً، فقالت له: "كم كان عليك أن تدفع

له ليقى صامثا؟".

أجابها ديزموند: "لم أدفع له بنسا واحدا، في الواقع هو الذي يأمل أن أبقى فمي مغلقاً".

لقد تركها تترقب تفسيراً، ثم أضاف قائلاً: "عندما حملت الممرضة الشابة الجذابة في عيادة الدكتور نوريس، لم يكن يريد بالتأكيد أن تكتشف السيدة نوريس سبب اختيار ميلور ترافل لتنظيم رحلتها إلى عيادة في السويد"، فأدركت فيرجينيا مرة أخرى أن عليها ألا تجعل هذا الرجل عدواً لها أبداً.

قال لها ميلور: "هناك شخصان آخران يجب إبلاغهما بالولادة الوشيكة، إذا أردت أن يقنعوا الجميع بأنك حامل".

سالت فيرجينيا بربية: "من هما؟"
"والدك وبريسيلا بينغهام".

قالت فيرجينيا بتحذق: "مستحيل".

اتضح لاحقاً أن الكلمة مستحيل هذه تعني: سأقوم بإبلاغ بريسيلا بعد أسبوع، وعندما اتصلت فيرجينيا ببريسيلا بينغهام، صديقتها القديمة في لينكولنshire، كانت متحفظة وجافة في حديثها إلى حد ما، لأنهما قد افترقتا بظروف سيئة بعد أن تسببت فيرجينيا في تفكك زواجها، إلا أنها بعد أن أجهشت بالبكاء وهي تقول لها: "أنا حامل"، لانت قليلاً وتعاطفت معها، وكان بوب بينغهام، زوج بريسيلا السابق، فضولياً مثل أي شخص آخر، فأراد معرفة من قد يكون الأب، ولكن بريسيلا لم تستطع معرفة هويته من فيرجينيا، حتى في أثناء تناولهما طعام الغداء الذي امتد إلى وقت طويل في ميرابيل.

استغرقت فيرجينيا وقتاً أطول قليلاً قبل أن تمثل لأمر ديزموند الثاني، وعندما وصل القطار إلى إدنبرة ويفرلي كانت تفكّر في العودة إلى محطة كينغ كروس من دون مغادرة القطار، خوفاً من أن تفشل في تحقيق غايتها، لأنها إذا أخبرت والدها بأنها حامل، من المحتمل أن يقطع عنها مصروفها، ومن ناحية أخرى إذا فشل تريند في الحصول على التسوية، واكتشف والدها أنها لم تكن حاملاً، فسوف يتخلّى عنها بلا شك. عندما دخلت فيرجينيا إلى مكتب والدها عند الساعة العاشرة من ذلك الصباح، وبدا واضحاً أنها حامل في شهرها الثامن، ضدّمت من رد فعله، فقد كان إيرل واثقاً من أن صحيفة ديلي إكسبريس معلوماتها صحيحة، وأن أنطون ديلوث هو الأب، وأنه هرب وهجرها، فضاعف على الفور مصروفها إلى 4000 جنيه إسترليني في الشهر، ولم يطلب منها سوى شيء واحد في المقابل، وهو أن تفكّر في زيارة قصر فينيويك أكثر من قبل بعد ولادة الطفل، وكانت الكلمات التي ظلّ يرددتها: "أخيراً سأحصل على حفيد".

للمرة الأولى، لم تلعن فيرجينيا حقيقة أن أشقاءها الثلاثة أنجبوا بناثاً فقط.

بناءً على نصيحة بريسيلا، وضعت فيرجينيا إعلاناً لتعيين مربية في صحيفة ذا ليدي، وتفاجأت بعدد الردود التي تلقّتها، فكانت تبحث عن شخص يتّحمل المسؤولية الكاملة في تربية الطفل، فيكون الأم والمربية والمرشدة والرفيق، إذ لم تكن لديها النية على القيام بأي من هذه الالتزامات، وقد ساعدتها بريسيلا في تقليل عدد المتقدمين وحصرهم في قائمة مكونة من ستة أسماء، واقتصر ديزموند

ميلور على أن تجري المقابلات معهن خلال فترات منفصلة، ليكون لدى المحققين شيء جديد لإبلاغ محامي غرانت في باتون روج عنه.

بعد أن أجرت فيرجينيا وبريسيلا مقابلة مع الخمس مربيات - إحداهن لم تحضر - اتفقنا على أن واحدة فقط من بين المرشحات هي التي توافرت فيها المواصفات المطلوبة، فكانت السيدة كروفورد أرملة وابنة رجل دين، وقد قُتل زوجها وهو يقاتل من أجل الدفاع عن الملكة والبلد بصفته نقيبا في الحرس الإسكتلندي في مصر، كما تبين أن السيدة كروفورد هي الأخت الأكبر بين ستة أولاد، وقد أمضت سنوات شبابها في تربية الأطفال الخمسة الآخرين، والأهم أنه لم يكن لديها أطفال.

وقد وافق إيرل على اختيار ابنته.

خطر لفيرجينيا أنها إذا كانت ستؤدي هذه التمثيلية حتى نهايتها، فإنها بحاجة إلى البحث عن منزل من شأنه أن يستوعب ليس الخادم ومدبرة المنزل فحسب، بل السيدة كروفورد أيضا، إلى جانب طفلها حديث الولادة، وبعد مشاهدة العديد من المساكن المناسبة في كنسينغتون وتشيلسي، كان يراقبها المحققان عن كثب، فاستقرت على منزل ريفي في أونسلو غاردن كان مؤلفا من طابق علوي، وقد أكدت لها السيدة كروفورد أنه سيصلاح ليكون مناسبا بما يكفي لتوفير بيئة صحية للطفل، فنظرت فيرجينيا من نافذة غرفة الجلوس، ولاحظت أن أحد المحققين كان يلتقط صورة للمنزل، فابتسمت وقالت للوكيل العقاري أن يسحب العقار من السوق، ولكن المشكلة الوحيدة التي واجهتها أنه على الرغم من زيادة والدها

مخصصاتها بسخاء، إلا أنها بالتأكيد لم يكن لديها ما يكفي من المال في حسابها المصرفي لدفع راتب المربية، والخادم ومديرة المنزل، ولا سيما إيجار منزل في حدائق أونسلو. وقد اتصل بها خادمها السابق، مورتون، هاتفياً في وقت سابق من الأسبوع - ولم يسمح له بزيارة المركز - ليخبرها بأن الدكتور نوريس حجز مؤقتاً للسيدة مورتون في العيادة خلال أسبوعين.

في تلك الليلة استلقت فيرجينيا في السرير، وقررت الاتصال بمحاميها في الصباح الباكر، وبينما كانت تغفو في نوم عميق، رن الهاتف.

شخص واحد فقط قد يفكر في الاتصال بها في ذلك الوقت المتأخر من الليل، وهو يظل يعمل طوال الوقت في مكتبه، فرفعت فيرجينيا سماعة الهاتف، وكانت مسرورة لسماع الصوت الجنوبي العميق عبر الهاتف، قال باك تريند: "أعتقد أنك ستسعدين لمعرفة أننا قد اتفقنا أخيراً على التسوية مع محامي غرانت، ولكن بشروط".
"أي شروط؟".

"كل الاتفاقيات الكبرى التي تعقد بين المتنازعين يتخللها شروط محددة".
أحببت فيرجينيا كلمة "كبرى".

"ولكن ربما لا تزال لدينا مشكلة أو أكثر".
لم تعد تهتم كثيراً بالشروط وكذرت كلامه قائلة:
"مشكلة أو أكثر؟".

"اتفقنا على تسوية قيمتها مليون دولار، إلى جانب نفقة شهرية قيمتها عشرة آلاف من أجل تربية الطفل وتعليمه".

شهقت فيرجينيا من هول الصدمة، فهي لم تخيل

أن تحصل على ذلك المبلغ ولا حتى في أحلامها، سألته: "كيف يمكن أن يشكل ذلك مشكلة؟".

"يجب أن تواافقني على عدم الكشف عن هوية الأب لأي شخص، وأشدد ولا أي شخص".
"أوافق على ذلك بكل تأكيد".

لن يسمح لك ولطفلك أبداً أن تطأ بأقدامكما لويزيانا، وإذا قرر أي منكما السفر إلى الولايات المتحدة، يجب إبلاغ محامي غرانت قبل شهر على الأقل".

قالت فيرجينيا: "زرت الولايات مرة واحدة فقط في حياتي، وليس لدي أي خطط للعودة إليها".
تابع تريند كلامه قائلاً: "يجب أن يكون لقب الطفل هو فينيويك، كما يجب على السيد غرانت الموافقة على الأسماء المسيحية التي ستختارينها".
"ما الذي يقلقه؟".

"إنه يريد التأكد من أنه إذا كان صبياً لا تسفيه سايروس تي غرانت الرابع".

ضحكـت فيرجينيا وقالـت لهـ: "لقد اخـترت بالـ فعل الـ اسم إذا كان صـبيـاً".

"وإذا أخلـلت بأـيـ منـ هذهـ الشـروـطـ فيـ أيـ وقتـ، فـسوفـ تـتوـقـفـ المـدـفـوعـاتـ كلـهاـ عـلـىـ الفـورـ".

قالـتـ فيـرجـينـياـ: "هـذـاـ حـافـزـ كـبـيرـ لـالـلتـزـامـ بـالـاتـفاـقـيـةـ".

"ستـتوقفـ جـمـيعـ المـدـفـوعـاتـ تـلـقـائـيـاـ فيـ عـامـ 1995ـ،ـ وـهـوـ التـارـيخـ الذـيـ يـكـونـ فـيـهـ الطـفـلـ قدـ أـتـمـ تـعـلـيمـهـ أوـ أـتـقـتـ تـعـلـيمـهاـ إـذـاـ كـانـ الـمـولـودـ بـنـشـاـ".

"سـأـكـونـ قـدـ تـجاـوزـتـ السـبعـيـنـ فـيـ ذـلـكـ الـوقـتـ".
"وـأـخـيـراـ سـيـرـسـلـ مـحـامـوـ السـيـدـ غـرـانتـ طـبـيـباـ وـمـرـضـةـ إـلـىـ إنـكـلـترـاـ لـيـشـهـدـواـ الـولـادـةـ".

كانت فيرجينيا محظوظة لأن تريند لم يتمكن من رؤية ملامح وجهها، وما إن أنهت المكالمة حتى اتصلت على الفور بديز蒙德 ميلور لتسأله كيف يمكنهما التغلب على هذه المشكلة التي يبدو حلها مستعصيًّا.

في صباح اليوم التالي رئ الهاتف عند السابعة وخمس وأربعين دقيقة، فأخبرها ديزموند بأنه قد توصل إلى الحل.

سألته فيرجينيا: "لكن ألم يعترض الدكتور نوريس؟".

"ليس إن كان هناك احتمال أن يضطر إلى أن يشرح لزوجته وأطفاله سبب حذف اسمه من السجل الطبي".

انتظرت فيرجينيا حتى سمعت صفارقة الإنذار قبل أن تتصل بمحاميها في باتون روج.

صرخت عبر الهاتف: "سيولد الطفل قبل الأوان، أنا في طريقي إلى المستشفى الآن!".
"سأبلغ محامي غرانت على الفور".

بعد بضع دقائق، سمعت صوت طرقات مدوية على الباب، ففتح الخادم الشخصي الباب، وأحضر أحد المسعفين حقيبة فيرجينيا الليلية، بينما أمسكها الآخر برفق بذراعها وأرشدها إلى سيارة الإسعاف المنتظرة في الخارج.

نظرت حولها فرأت شخصين يركبان سيارة، وعندما وصلت سيارة الإسعاف إلى 41A شارع هارلي، فتح المسعفان الباب الخلفي وقد ارietenها ببطء إلى العيادة الخاصة، وبعد أن بحثا عن الدكتور نوريس والممرضة، وجدا أنهما كانوا في

كانت تعليمات نوريس تقتضي بضرورة إبلاغه على الفور، وعندما وصل الطبيب الأمريكي ومساعده، احتاج فقط إلى خمس عشرة دقيقة، ليتمكن من جعل الزوجين الذليلين أن يتسللا من الباب الخلفي للعيادة وأن يستقلَا سيارة أجرة لأول مرة في حياتهما من دون أن ينتبه أحد إليهما. ولكن لم يعد يتسلَّم أَلْ مورتون ألف جنيه نقداً في كل يوم.

خلعت فيرجينيا ملابسها بسرعة وارتدى ثوب النوم، بعد أن استلقت على السرير، ووضعت الممرضة بعض الحمرة على خديها ورشت القليل من رذاذ الماء على جبينها، واستلقت وهي تحاول أن تبدو مرهقة، وبعد اثنتين وعشرين دقيقة عادت الممرضة إلى الغرفة، وقالت: "وصل الدكتور لانغلي ومساعده للتو، وهما يتساءلان عما إذا كان في إمكانهما مشاهدة الولادة".

قال الدكتور نوريس الذي ترك مريضته ليُرحب بزميليه الأميركيين: "ولكن قد فات الأوان لذلك".

قال الدكتور لانغلي: "سمعنا أنها كانت حالة طوارئ، هل الطفل بخير؟".

قال نوريس وقد ارتسمت ملامح القلق على وجهه: "لا يمكنني التأكد بعد، فقد اضطررت إلى إجراء عملية قيصرية طارئة، ووضعت الطفل في الحاضنة الداخلية، وأعطيت الليدي فيرجينيا مهدئاً لمساعدتها على النوم".

قادهما الدكتور نوريس إلى غرفة يمكنهما عبرها مراقبة المولود الجديد وهو في الحاضنة، فبدأ لهما أنه يناضل من أجل الحياة.

وقد تم توصيل أنبوب بلاستيكي ضيق أدخل في أحدى فتحتي أنفه بجهاز التنفس الصناعي، وصوت

الصغير المستقر لجهاز تخطيط القلب أظهر أن الطفل كان لا يزال على قيد الحياة.

"أنا أطعمن الطفل الصغير من خلال أنبوب معدني، وعليها فقط أن ندعوه أن يتقبله جسده الهش".

فحصل الدكتور لانغلي الطفل عن كتب لبعض الوقت قبل أن يسأل عما إذا كان يمكنه رؤية الأم، فقال له نوريس: "نعم بالطبع"، وقاد الأميركيين إلى الغرفة التي كانت مستلقية فيها فيرجينيا على السرير، وما إن فتح الباب أغمضت عينيها، واستلقت بلا حراك محاولة التنفس بشكل مستقر.

"أخشى أن المحنـة التي واجهتها السيدة المسكينة قد أرهقتها، ولكنـي على ثقة من أنها ستتعافى بسرعة، كما أتمنـى أن أقول الشيء نفسه عن طفلـها"، فشعرت فيرجينيا بالارتياح لأنـهم مكتـوا بـضع دقائق فقط، ولم تفتح عينـيها حتى سمعـت صـوت إغلاق الـباب خـلفـهم.

"إذا كنت ترغـب في البقاء للـغـد فقط، فـلـديـنا غـرـفة ضـيـوفـ، ولكنـ إذا عـدـت غـداً صـباـخـاـ، فـسـأـكـون قادرـاـ على إـعـطـائـكـ تـقـرـيرـيـ المـكتـوبـ".

ألـقـيـ الأميركيـانـ نـظـرةـ أـخـرىـ عـلـىـ الطـفـلـ قـبـلـ المـغـادـرـةـ، وـفـيـ وقتـ لـاحـقـ منـ ذـلـكـ المـسـاءـ، أـبـلـغـ الدـكـتـورـ لـانـغـلـيـ محـامـيـ غـرـانتـ أنهـ يـشكـ فيـ أنـ يـنجـوـ الطـفـلـ، وـلـكـنـ لمـ يـكـنـ لـدـيـهـ أيـ وـسـيـلـةـ لـمـعـرـفـةـ أنـ الطـفـلـ لمـ يـكـنـ بـحـاجـةـ أـبـدـاـ إـلـىـ العـنـاـيـةـ المـرـكـزةـ فـيـ المـقـامـ الـأـوـلـ.

فيـ صـبـاحـ الـيـوـمـ التـالـيـ عـادـ الدـكـتـورـ لـانـغـلـيـ وـمـسـاعـدـتـهـ إـلـىـ 41A شـارـعـ هـارـلـيـ، عـنـدـمـاـ أـبـلـغـهـماـ نـوريـسـ بـتـحـسـنـ حـالـةـ الطـفـلـ تـحـسـنـاـ طـفـيفـاـ، وـبـيـنـماـ كـانـتـ وـالـدـتـهـ تـسـمـتـعـ بـتـنـاـولـ وـجـةـ الـفـطـورـ فـيـ

سريرها، بدت حزينة وشاحبة عندما زاراها.

حضر زوار آخرون خلال الأسبوع، ومن ضمنهم والد فيرجينيا وإخوتها الثلاثة، بالإضافة إلى بوفيه بريجواتر، وديزموند ميلور وبريسيلا بينغهام، وقد كانوا جميعاً مسرورين بتحسن الطفل.

فوجئت فيرجينيا بقول الناس أشياء مثل: "لديه عيناك"، وأضاف بوفيه: "وأذناك".

وقال إيرل فينيويك: " وأنف أسلاف فينيويك أيضاً". في اليوم السابع، سمح للأم والطفل بالعودة إلى المنزل، حيث تولت المربية مسؤولية الاهتمام بالطفل، ومع ذلك كان على فيرجينيا أن تنتظر ثلاثة أسابيع أخرى قبل أن تسترخي، وذلك بعد أن قيل لها إن الدكتور لانغلي ومساعدته استقلّا طائرة متوجهة إلى نيويورك، برفقة أحد المحققين.

بدا ميلور متفاجئاً وهو يقول: "لماذا لم يعد الآخر معهم؟".

"لا أعرف بعد، ولكنني ساكتشف ذلك."

وصلت حواله مصرفية بقيمة 750 ألف دولار إلى كوتيس بعد ثلاثة أيام، وأدخلت في حساب الليدي فيرجينيا فينيويك.

اتصل السيد فيربروثر وسألها عما إذا كانت سيادتها تريد تحويل الدولارات إلى جنيهات.

سألته فيرجينيا: "ما السعر الفوري؟"

قال السيد فيربروثر متفاجئاً: "السعر اثنان فاصلة ستون جنيهها، سيدتي".

"إذا ما المبلغ الذي سيضاف إلى حسابي بالجنيه الإسترليني؟".

"285171 جنيه إسترليني، سيدتي".

"حسناً يا سيد فيربروثر، أرسل لي تأكيداً فور إتمام المعاملة".

ابتسم ديزموند ميلور وقال لها: "حديث متالي".

انتقلت فيرجينيا برفقة صبي صغير يتمتع بصحة جيدة إلى عقار رقم تسعه في أونسلو غاردن بعد ستة عشر يوماً، جنباً إلى جنب المربية كروفورد، والخادم ومديرة المنزل.

تفحصت فيرجينيا غرفة الطفل بشكل سريع، ثم سلمته إلى مربيته الجديدة، قبل أن تختفي في الطابق السفلي.

أقيمت عمادة الطفل في ساحة القديس بطرس، إيتون سكوير، وحضرها إيرل فينيويك، خلال إحدى زياراته النادرة إلى لندن، وبريسيلا بينغهام، التي وافقت على مضض أن تكون العرابة، أما بوفي بريدجواتر، فكان سعيّداً لتوليّه دور الأب الروحي، بينما أبقى ديزموند ميلور عيّناً حذرة على شخصية منعزلة جالسة في الجزء الخلفي من الكنيسة.

حمل القس الطفل وغمس إصبعه في الماء المقدس، قبل أن يرسم الصليب على جبينه، وقال: "المسيح يدعوك لنفسه، فريدريك أرشيبالد إيان بروس فينيويك، وقد تلقى علامه صليبيه".

نظر ميلور حوله ليرى أن المحقق المنعزل قد اختفى، بعد أن أدى دوره في الصفقة، ويتوّقع الان أن تفعل فيرجينيا المثل.

مايسى كليفتون

1972

25

كان ويليام وورويك على وشك إلقاء القبض على الشخص الخطأ عندما سمع نقرًا خفيفًا على الباب، على الرغم من أن القاعدة كانت مقدسة في منزل كليفتون، ويجب أن يكون الأمر جدياً، بل خطيراً، قبل أن يفكّر أي عضو من أفراد الأسرة في مقاطعة هاري في أثناء كتابته.

في الواقع، يمكنه أن يتذكّر ثلاث مناسبات تَقْتَلُ مقاطعته خلال الخمسة وعشرين عاماً الماضية، كانت المرة الأولى عندما فازت ابنته المحبوبة جيسيكا بمنحة دراسية في مدرسة سليد للفنون الجميلة في بلومنسبرغ، فاقتحمت الغرفة من دون أن تطرق الباب، وهي تلوح برسالة القبول، فترك هاري قلمه وفتح زجاجة شمبانيا للاحتفال، والمرة الثانية كانت عندما فازت إيمى في التصويت على الرائد أليكس فيشر، فأصبحت رئيسة مجلس إدارة شركة بارينغتون شيبينغ، وأول امرأة ترأس شركة عامة، وفتح زجاجة أخرى من الشمبانيا، وفي المرة الثالثة عندما دخل جايلز ليعلن أن هارولد ويلسون قد عرض عليه الحصول على لقب لورد بارينغتون في بريستول دولاندز، ومازال يعتبر ذلك الحدث هامشياً حتى الان. وضع هاري قلمه على مكتبه وأدار كرسيه ليواجه من قاطعه، فدخلت إيمى ورأسها منحن، والدموع تترقرق في عينيها من دون رادع، فلم يكن هاري بحاجة إلى أن يقال له إن والدته قد ماتت.

أمضى هاري ساعات طويلة وهو يعذ تأبين جنازة والدته، فكانت أطول مما قضاه وهو يعذ محاضرة أو خطاباً القاها في الماضي، فكانت مسودته الأخيرة، الرابعة عشرة، والتي شعر من خلالها بأنه أسر روحها التي لا تقهـر، وقد استمرت اثنتـا عشرة دقيقة، زار كنيسة القديس لوقا في الصباح السابق للقداس حتى يتمكن من رؤية المكان الذي سيجلس فيه ومدى بعده عن المنبر، ثم اختبر الصوتـيات للتأكد من وضوح صوته، فأخبره الكاهن المسؤول أنه إذا حضر عدد كبير، فقد تكون كلماته غير مفهومـة بعض الشيء، ففكـر هاري في أن هذا التحذير مفيد، لأن الكنيسة إذا أصبحـت مكتظـة لدرجة أنه إذا لم يكن لدى الأسرة مقاعد محجوزـة لهم، فسيكونـ عليهم الوقوف في الخلف، وهذا تمكـن من معالجة المشكلة على الفور.

وقد اختارت مايسـي بنفسـها ترتيب خدمة الدفن، لذلك لم يفاجـأ أحد بأنـها كانت إنـكليزـية تقليـدية وجذـابة، فـكانت التـرانـيم تـشـبهـ شخصـيتها: "صـخـرة الـدـهـرـ"، "ابـقـ مـعـيـ"، "أنـ تكونـ رـاهـبـاـ" وبالـطـبع "الـقـدـسـ"، لتـضـمـنـ أنـ المصـلـينـ سـيـغـفـونـ بالـقـلـبـ والـصـوـتـ، كما اختارت سـيـبـاستـيـانـ لـقـراءـةـ الفـصلـ الأولـ.

خلال المقطع الأخير من "ابـقـ مـعـيـ"، سـارـ بـبطـءـ إلىـ المـنـصـةـ، منـ دونـ يـحاـولـ إـخفـاءـ عـرـجـهـ الـذـيـ استـغـرـقـ فـتـرـةـ طـوـيـلةـ لـلـتـعـافـيـ فـكـانتـ أـطـولـ مـاـ توـقـعـهـ الجـراحـ الـهـنـدـيـ، ولـكـنـ لاـ أحـدـ يـسـتـطـعـ أنـ يتـوـقـعـ الـوقـتـ الـذـيـ سـيـسـتـغـرـقـهـ تـعـافـيـهـ مـنـ الـأـلـمـ الـذـيـ عـانـىـ مـنـهـ بـعـدـ جـنـازـةـ الـأـخـيـرـةـ الـتـيـ حـضـرـهـ، وـبـدـأـ يـقـرـأـ إـصـحـاحـ مـنـ الرـسـالـةـ الـأـوـلـىـ إـلـىـ أـهـلـ كـورـنـوسـ: "عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ أـنـيـ أـتـحدـتـ بـالـسـنـةـ

الناس والملائكة، ولكن ليس لدى صدقة"، ثم ألقى جايلز القراءة الثانية، من قصيدة كيبلينغ: "إذا كنت تستطيع أن تحافظ على هدوئك عندما يكون كل شيء عنك ...، بينما غئت الجوقة: "أفروا...".

وما إن ترك هاري مكانه في المقدمة وشق طريقه إلى المنبر خلال الفصل الأخير، ساد شعور بالترقب وهو يتوجه نحو المنبر، فوضع نصه على المسند النحاسي الصغير، وتحقق من الجملة الافتتاحية، رغم أنه كان يحفظ النص بالكامل عن ظهر قلب، ونظر إلى الأمام مرة واحدة، فاستكان الجمع على الفور، وقال: "كم كانت والدتي لتفخر بروية العديد منكم هنا اليوم، وبعضكم أتى من بعيد ليكرّم تلك السيدة الرائعة، كانت تقول: "لا يمكنك ملء الكنائس في الوقت الحاضر"، ولكنني لم أستطع أن أفهم، فعندما كنت طفلاً كانت الخطب تدوم لأكثر من ساعة".

تابع هاري وهو ينظر إلى الأعلى: "أمي العزيزة، أعدك لا تطول خطبتي أكثر من ساعة، وبالمناسبة الكنيسة مكتظة"، اهتزت الكنيسة بموجة من الضحك، مما سمح لهاري بالاسترخاء بعض الشيء قبل أن يكمل قائلاً: "ولدت مايسى عام 1901، في عهد الملكة فيكتوريا، وتوفيت عن عمر يناهز 71 عاماً، في عهد الملكة إليزابيث الثانية.

البداية والنهاية، هكذا كانت تصف الملكتين، فقد بدأت حياتها في منزل 27 ستيل هاووس لайн في الشوارع الخلفية لبريزستول دوكلاندز، وعاش والدي، أرثر كليفتون، عامل المينا، المولود عام 1898، في المنزل رقم 37، ولم يكن هناك من داع لأن تتقاطع طريقهما ليصطدمما ببعضهما.

مات أبي عندما كنت أبلغ عاماً فقط، لذلك لم

أعرفه أبداً، فوقيت مسؤولية تربيتي على عاتق
والدتي.

لم تكن مايسى طموحة في البداية، ولكن هذا لم يمنعها من قضاء تلك السنوات الأولى في النضال من أجل إنقاذ فارذنفرز نعم، لقد خاضت معارك كثيرة لتضمن الأرجواع أبداً، وبالطبع لم يكن لدى أدنى فكرة عن التضحيات التي قدّمتها من أجل تسجيلي في مدرسة سانت بيد بصفتي باحثاً، وبعد ذلك التحقت بمدرسة بريستول للقواعد، قبل أن يعرض عليّ مركزاً في أكسفورد، المدينة التي زارتها مرة واحدة فقط".

"لو أن مايسى ولدت اليوم، لرحت بها المدينة بأذرع مفتوحة، وكيف أكون متأكداً من ذلك؟ لأنها في سن الثانية والستين، بينما كان الناس يستعدون إلى التقاعد، التحقت بجامعة بريستول، وبعد ثلاث سنوات تخرجت مع مرتبة الشرف الأولى لحصولها على تقدير ممتاز، وهي لا تزال حتى يومنا هذا العضو الوحيد في عائلة كليفتون الذي تمكّن من التفوق على هذا النحو، فتخيلوا ما كان يمكن أن تنجزه لو أنها ولدت في جبيل لاحق".

"كانت والدتي ترتاد الكنيسة بانتظام حتى اليوم الذي توفيت فيه، وقد سألتها ذات مرة عما إذا كانت تعتقد أنها ستذهب إلى الجنة، فقالت لي: "أمل ذلك بالتأكيد، لأنني بحاجة إلى التحدث إلى القديس بطرس والقديس بولس ويسوع"، لن يفاجئكم سؤالي عما تنوّي أن تقوله لهم، وقد أجابته قائلة: "يجب أن أوضح للقديس بيتر أنه لم تقدم أي من النساء المقربات من يسوع على إنكاره ولو لمرة واحدة، بينما أنكرته ثلاث مرات، يا له من تصرف نمودجي يقوم به الرجل!".

هذه المرة استمرَ الضحك وقتاً أطول، فشعر هاري بالسيطرة على جمهوره، ولم يتبع كلامه حتى ساد الصمت التام.

"أما بشأن القديس بولس، فسألته عن سبب استغراق تلقي هذه الرسالة وقتاً طويلاً." ثم سألتها: "ماذا عن يسوع؟".

"هل يمكن أن تشير أن العالم سيكون أفضل بكثير لو كانت هناك ديانة واحدة فقط، لأنه بعد ذلك يمكننا أن نغطي جميعاً من ورقة الترنيمة نفسها"، لم يشهد هاري هذا القدر من الاستحسان في الكنيسة من قبل، وكان يعلم أن ذلك كان سيسعد والدته.

"عندما يموت شخص قريب منك، تتذكر كل ما كنت تتمىء أن تقوله له، وفجأة تتحول إلى أداة لقولها، وأنا أتمى لو قدرت التضحيات التي قدمتها والدتي، والتي سمحـت لي بعيش هذه الحياة المتميزة، تضحيات أخشى أنني اعتبرتها في بعض الأحيان أمراً مفروغاً منه. عندما ذهبت للمرة الأولى إلى مدرسة بيد، مرتدية زي البحريـة الأنثـيق، السترة والبنطال الرمادي الطـويل، ركـبـنا الترام من شارع تـشـابـلـ، ولم أفهم أبداً سبـبـ نـزـولـنـا قبلـ مـنـةـ يـارـدةـ منـ المـدـرـسـةـ، وأدركت لاحـقاً أنـ والـدـتـيـ لمـ تـكـنـ تـرـيدـ أنـ يـرـاهـاـ الـأـوـلـادـ الـآخـرـونـ، كـيـ لاـ تـحـرجـنـيـ أـمـاـهـمـ".

قال هاري بصوت متهدج: "كم أشعر بالخزي! كان يجب أن أتباهي بهذه السيدة العظيمة، لأن أخفيها عن عيون الآخرين، وعندما ذهبت إلى مدرسة بريستول للقواعد، واصلت العمل بدؤام كامل بصفتها نادلة في فندق روـيـالـ في أـنـاءـ النـهـارـ، ومضـيـفةـ فيـ نـادـيـ إـيـديـ كلـ مـسـاءـ، وـلمـ أـكـنـ أـدـرـكـ أـنـ السـبـبـ الـأسـاسـيـ لـعـمـلـهـاـ كانـ تـأـمـيـنـ الرـسـومـ المـدـرـسـيـةـ، وـلـكـنـ، مـثـلـ القـدـيـسـ بـطـرـسـ، فـيـ كـلـ

مرة سألني فيها أحد أصدقاء المدرسة عما إذا كان
صحيحاً أن والدتي تعمل في ملهى ليلي، كنت أنكر
وجودها.

أطرق هاري رأسه، وترقرقت الدموع في عينيه،
فنظرت إليها إليه بقلق.

"كم من المتاعب تحملت من دون أن تشعرني
باللامها ولو لمرة واحدة، كي لا تنقل كاهلي بهمومها"
وأطرق هاري رأسه مجدداً.

"والآن، قد فات الأوان لكي أقول لها، إنني ..."
جاهذ هاري لاستعادة رباطة جأشه وهو يتمسك
بحافة المنبر.

قلب الصفحة بعنف، وقال: "لم أكن أدرك... لم أدرك
أبداً..."، ثم طوى صفحة أخرى، واستطرد قانلا:
"كلما أقدم أصدقاء المدرسة على سؤالي...".

نهض جايلز من مكانه في الصف الأمامي، ومشى
على مهل نحو المنبر وصعد الدرجات بهدوء، ثم
وضع ذراعه حول كتفي صديقه، وأعاده إلى مكانه
في المقعد الأمامي، فأمسك هاري بيدها، وهمس
إليها: "لقد خذلتها عندما كانت في أمس الحاجة
إليّ".

لم يهمس جايلز إليه عندما أجاب: "لقد رثيتها
بكلام مؤثر، والآن هي تقول للقديس بطرس، هذا
هو ابني هاري الذي أفتربه".

بعد خدمة القدس، وقف هاري وإيمابجانب بباب
الكنيسة، ليصافحا طابوزا طويلاً من المعزين.

لن تتغافل جروح هاري بالكامل بسرعة، ولكن
سرعان ما بدا واضحاً أن المعزين يتواافقون مع ما
قاله جايلز، وبعدما عادت العائلة والأصدقاء إلى
مانور هاوس، احتسوا الشراب، وهم يتداولون

قصص المرأة الرائعة التي أثرت على حياة كل من
كان على اتصال دائم بها.

أخيراً عندما غادر الضيف الأخير، بقي هاري
وسيباستيان وإيما بمفردهم.

قال هاري: "دعونا نشرب نخب ذكري أمي، وأعتقد
أنه حان الوقت لفتح زجاجة 57 ميرلوت التي
قال هارولد غوينزبورغ إنه يجب حفظها لمناسبة
خاصة، ولكن قبل أن نقوم بذلك، يجب أن أخبركما
بأن والدتي قد أعطتني خطاباً قبل بضعة أسابيع،
وأوصتني بالآفتشه إلا بعد انتهاء الجنازة".

أخرج مغلقاً مزخرفاً من جيبيه الداخلي، وفتحه
وسحب عدة صفحات مكتوبة بخط يد مايسى
الأنيق الذي لا لبس فيه أبداً، وجلست إيمى، وهي
تشعر ببعض القلق، بينما جلس سيب على حافة
مقعده وكأنه تلميذ لا يزال في المدرسة، ثم بدأ
هاري بالقراءة:

"عزيزي هاري، إن ما كتبته ليس أكثر من خواطر
امرأة عجوز يفترض أنها حكيمة، لذلك أتمنى أن
تأخذها بعين الاعتبار كما كنت تفعل دائمًا.

اسمح لي بأن أبدأ بحفيدي العزيز الشاب
سيسباستيان، لا أزال أفكّر فيه على أنه شاب يافع،
على الرغم من أنه قد حقّق خلال فترة قصيرة من
الزمن، إنجازات عديدة نتيجة التزامه وعمله الجاد،
وأنا متأكدة من أنه سيحقق هدفه في أن يصبح
مليونيراً في سن الأربعين، وهذا جدير بالثناء، ولكن
سيسباستيان، ما إن تصبح في سني، ستكون قد
تعلمت أن جمع ثروة ضخمة لا يوفر لك السعادة، إذا
لم يكن إلى جانبك من تشاركه ثروتك".

كانت ساماً نتاً من أرقى وأكرم الناس الذين عرفتهم
على الإطلاق، وكان التخلّي عنها تصرف أحمق،

فمثل هذه الجوهرة الثمينة كان ينبغي صونها، وكان ذلك لم يكن كافياً، فقد شعرت بحزن شديد لأنني لم أتمكن من أن أقابل حفيدة ابني جيسيكا، لأنها لو كانت تشبه اختك، أعلم أنني كنت سأعشقها".

قال سيب: "كيف يمكن أن تكون قد علمت بوجود جيسيكا؟".

اعترف هاري قائلاً: "أنا أخبرتها".

كنت أود أن أتعرف إلى بريا، التي كانت، بكل المقاييس، شابة مميزة جداً، وقد أحببتك كثيراً، لدرجة أنها ضحت بحياتها من أجلك، ويا لها من تصرف راقٍ وحضاري عندما أبلغت والديك بأن لون بشرتها لم يشكل عائقاً يحول دون ارتباطك بها، لأنك كنت تحبها بصدق، لذلك كان عرقها ودينه غير مهمين بالنسبة إليك، وهو ما لم يكن ممكناً بالنسبة إلى شخص من جيلي، وقد فقدت بريا حياتها بسبب تحيز وعنصرية والديها، وتأكد من فقد سام وجيسيكا بسبب كبرياتك الذي يمنعك من أخذ المبادرة الأولى"، أطرق سيباستيان رأسه، لأنه كان يعلم أنها كانت على حق. "والآن أتوجه إليك عزيزتي إيمان، بصراحة لا يجب أن يستمع الناس أبداً إلى كلام حمواتهم، لأن وراء كل رجل ناجح حماة متفاجئة.

يدين هاري لدعمك ومحبتك بنجاحه الكبير، بصفتك زوجة وأما، ولكن، وأنت تعلمين أنه سيكون هناك دافعاً "لكن"، لم تتمكنين من إطلاق إمكاناتك الكاملة بعد، قال بروست: "نحن جميعاً ينتهي بنا الأمر إلى فعل الشيء الذي نحتل المرتبة الثانية فيه" فليس من شك في أنك كنت رئيسة متميزة لشركة بارينغتون شيبينغ، كما يقر المدراء والمساهمون ومدينة لندن بأكملها، ولا ينبغي أن

يكون ذلك كافياً و خاصةً بالنسبة إلى شخص لديه مواهبك الرائعة، وأعتقد أنه حان الوقت لاستثمار قدراتك و طاقتك لخدمة الصالح العام، فهناك الكثير من القضايا التي يمكن أن تزدهر بفضل قيادتك، وببساطة التصدق بالمال هو الطريقة الأسهل لتقديم المساعدة، أما تقديم الجهد فهو أكثر قيمة، لذا ليكن هدفك ألا يتذكرك الناس بعد موتك بصفتك رئيسة مجلس إدارة باريونغتون فقط.

قالت إيماء: "لماذا لم تخبرني بذلك وهي على قيد الحياة؟".

"ربما وجدت مشغولة جداً يا حبيبتي".

"لا أطيق الانتظار لسماع ما ستقوله لك يا أبي".

"وأخيراً، إلى ابني الحبيب هاري، أن تقول الأم إنها فخورة بابنها فهو موقف إنساني طبيعي، ومع ذلك، لم يكن في إمكاني أبداً أن أحلم بالشعور بهذا القدر من السعادة التي تعود إلى نجاحك، بصفتك روائياً وناشطاً ومناضلاً من أجل تحرير أولئك الذين لا يعرفون طعم الحرية، وعلى الرغم من أنني أؤمن، كما أعلم أنك تؤمن بأن نضالك الشجاع من أجل أناطولي باباكوف هو أفضل إنجازاتك، وأنك لن تكتفى عن النضال حتى يصبح رجلاً حزاً ويمكنه الالتحاق بزوجته في أميركا، هل أخبرت إيماء بأنك رفضت لقب فارس، وهو شرف ما كنت لتفكر في قبوله بينما كان باباكوف مازال في السجن؟ أنا فخورة بك من أجل ذلك، على الرغم من أنني كنت سأفرح بسماع لقب ابني، "سير هاري".

قالت إيماء: "لم تخبرني بذلك أبداً".

قال هاري: "لم أخبر أحداً، ولا بد أن جايلز اكتشف ذلك بطريقة ما"، ثم تابع قراءة الرسالة:

"والآن إلى ويليام وورويك، الذي رفه عن الناس

طوال سنوات طويلة، ربما حان الوقت ليتقاعد، يا هاري، حتى تتمكن أخيراً من توسيع أفقك للوصول إلى مستويات أكثر رقياً، فقد أخبرتني منذ سنوات عديدة بالخطوط العريضة لرواية لطالما رغبت في كتابتها، ولكنك لم تحظ بالوقت المناسب لكتابتها، لأن هارولد غوينزبورغ، ذلك الناشر الشرير، ظل يغريك بمزايا أكبر وأكبر، ولكن ربما حان الوقت الان لكتابة كتاب يجلب السعادة للأجيال القادمة، وتبقى ذكراه حية في قائمة الكتب الأكثر مبيعاً، وحينها ستتمكن من الانضمام إلى تلك المجموعة القليلة من المؤلفين الذين لن تتلاشى أسماؤهم أبداً، لقد انتهى التشدق، وكل ما تبقى لا قوله أشكرك على جعل سنواتي الأخيرة هادئة ومريحة وممتعة، وعندما يحين الوقت لأي منكم لكتابة رسالة مماثلة، يسعدني ألا تكون مثل رسالتي، فتشعركم بأنه كان في مقدوركم أن تفعلوا أشياء أكثر في حياتكم.

والدتك المحبة مايسى

سكب هاري ثلات كؤوس من ميرلو 57 وقدم اثنتين منها إلى إيمى وسيب، ثم رفع كأسه، وقال: "نخب مايسى العجوز البالغة الذكاء".
قال سيب وإيمى معاً، وهما يرفعان كأسيهما: "نخب مايسى".

قال هاري وهو يقرأ ما ورد في الصفحة الخلفية للخطاب:

"آه، كدت أنسى، لقد ورد في الحاشية: "ملاحظة من فضلك أبلغ رسالتي لصديقك العزيز جايلز، الذي يمكن أن يعتبر نفسه محظوظاً لأنني لم أكتب عنه، ولو فعلت ذلك، كانت الرسالة أطول بكثير".

إيما كليفتون

1972-1975

26

"صباح الخير سيدة كليفتون، اسمي إيدي ليستر، وقد التقينا لفترة وجيزة في جنازة حماتك، ولكن لا سبب يدعوك لتذكري".

كان على حق، فلم تستطع إيما أن تتنذكره، فسألته: "كيف عرفت مايسى، سيد ليستر؟".

"أنا رئيس مجلس إدارة المركز الطبي الملكي في بريستول، ومايسى كانت إحدى المتطوعات في المركز، وللأسف سوف يفتقدا المرضى والموظفو على حد سواء".

قالت إيما: "لم يكن لدى أي فكرة عن ذلك، ما كان دورها؟".

"كانت مسؤولة عن مكتبة الإعارة وتنظيم الرحلات اليومية لعربة الكتب وتنقلها حول الأجنحة، وبفضلها أصبح عدد الأشخاص الذين يقرأون الكتب في المركز الطبي الملكي في بريستول يفوق عددهم تقريباً العدد في أي مستشفى آخر في البلاد".

قالت إيما: "لا يفاجئني ذلك، وهل تبحث عن شخص يحل محلها، لأنك إذا كنت تبحث فعلاً، فمن المؤكد أنني سأكون سعيدة بالتطوع".

"لا، شكرًا لك، سيدة كليفتون، فلم أزرك لهذا السبب".

"لكنني على ثقة من أنني أستطيع تنظيم المكتبة، فعائلتي كانت على ارتباط وثيق بالمستشفى لسنوات طويلة، فجدي السير والتر بارينغتون، كان

رئيساً للمحافظين، وقد تولى المركز الطبي الملكي رعاية زوجي حتى استعاد صحته بعد إصابته بلغم أرضي ألماني في عام 1945، ووالدتي أمضت الأشهر الأخيرة من حياتها تحت رعاية الدكتور رايبرون، بالإضافة إلى كل ذلك فقد ولدث في المستوصف الملكي".

"هذا مؤثر حقاً سيدة كليفتون، ولكنني ما زلت أعتقد أنك الشخص غير المناسب لتنظيم عربة الكتب".

"هل يمكنني أن أعرف السبب الذي يجعلك لا تفكّر في الأمر حتى؟".

"لأنني أود أن توافقني على أن تصبحي رئيسة المستشفى".

صمتت إيمان للحظات، ثم قالت: "لست متأكدة من أنني أمتلك الخبرة الكافية لاحتلال منصب رئيس المستشفى".

"كل مستشفى رئيسي يتبع منظمة الصحة الوطنية، ومستشفى هي إحدى أكبر المستشفيات في البلاد، ولديها مجلس عمداء مختار عبر استفتاء اجتماعي".
"وما ستكون مسؤولياتي؟".

"نعقد اجتماعاً كل ثلاثة أشهر، كما ندعو أيضاً كل عدمة للاهتمام بقسم معين في المستشفى، واعتقدت أن التمريض قد يروق لك، فرنيسة فريقينا مימה بوديكومب، تمثل ألفي ممرضة، يعملن بدوام كامل أو جزئي في المركز الطبي الملكي في بريستول، ويجب أن أوضح لك أنك إذا وافقت على أن تصبحي رئيسة المستشفى، فلن تحصل على أجر لقاء عملك، وأنا أدرك أنك امرأة مشغولة، سيدة كليفتون، وتقع على عاتقك الكثير من المسؤوليات،

ولكنني أمل في أن تفكري في طلبي بعض الوقت...".

"فَكَرْتُ فِي الْأَمْرِ".

تنهد السيد ليستر، وقال: "نعم، كنت أخشى أن تكوني مشغولة للغاية، ولديك التزاماتك الأخرى التي تمنعك من الموافقة، وبالطبع أنا أتفهم تماماً..." "يسعدني أن أصبح رئيسة المستشفى، حضرة رئيس مجلس الإدارة، متى أبدأ العمل؟".

"الماريشال كوشيفوفي غاضب إلى حد ما، ويعتقد أيتها الرفيقة براندت أن الوقت قد حان لتبتكري أساليب جديدة فعالة أكثر، فأنت تعيشين مع بارينغتون منذ العام الماضي وكل ما أنتجته حتى الآن هو دقائق معدودة من الجلسات الأسبوعية لحزب العمال في مجلس اللوردات، وبالكاد يمكن الاستفادة منها".

قالت كارين وهما يسيران متشابكي الذراعين في إحدى الطرقات الريفية الهدامة: "يجب أن أكون حذرة، أيها الرفيق المسؤول، فإذا شكل بارينغتون في تصرفاتي وكشف حقيقتي، فإن كل استعداداتنا المضنية ستذهب هباء، وبما أنه في المعارضة، وليس عضواً في الحكومة، فإنه ليس مطلقاً على ما يجري في وايتهول، ولكن إذا فاز حزب العمال في الانتخابات المقبلة، وبارينغتون يتحقق في أنهم سيفوزون، فقد يتغير ذلك بين عشية وضحاها، أتذكر ما قلت له بالضبط عندما توليت هذه المهمة: لسنا في عجلة من أمرنا، فنحن هنا من أجل البقاء حتى النهاية".

"لا يزال الأمر كذلك، أيتها الرفيقة، ومع ذلك فقد أصبحت قلقاً من أن تستمتعي كونك عشيقة

بارينغتون، أو أن تسلبك الحياة البورجوازية عقلك أكثر من اللازم، وتجعلك تنسين أين يكمن ولاوك الحقيقي".

"لقد انضممت إلى الحزب عندما كنت لا أزال تلميذة في المدرسة، أيها الرفيق المسؤول، و كنت مخلصة لقضيتنا على الدوام، وليس لديك أي سبب للتشكيك في ولائي".

انبعثت أصوات نقر على الأرض، فصمتا عندما رأيا رجلاً عجوزاً يقترب منهمما، وهو يتذكر على عكاذه. قال بينغلي: "مساء الخير أيها الكولونييل".

قال الرجل العجوز وهو يرفع قبعته: "طاب مساواك، جون يسرني أن أرى ابنتك مجدداً".

قال بينغلي: "شكراً لك أيها الكولونييل، لقد أنهت عملها اليوم باكراً، ورأينا أن استنشاق الهواء الريفي لن يضرنا أبداً".

قال الكولونييل: "الهواء الريفي مفيد بالفعل، فأنا نادراً ما أفوّت نزهتي اليومية للحفاظ على صحتي، على الأقل أخرج من المنزل بحاجتها، حسناً لا بد أن أذهب الآن قبل أن تفتقدني السيدة".

"بالطبع، سيدي"، لم ينطق بينغلي بأي كلمة، حتى تلاشى صوت النقر الذي تصدره عكاذه الكولونييل.

فسألها محاولاً أن يأخذها على حين غرة: "هل طلب منك بارينغتون الزواج؟".

"كلا أيها الرفيق المسؤول لم يفعل، وبعد تجربتي زواج فاشلتين، لا أعتقد أنه سوف يغامر ويتزوج مرة ثالثة".

قال بينغلي وهما يغادران مكانهما، ويتخاذن مسازاً جديداً نحو منجم القصدير المهجور: "ربما إن أصبحت حاملاً سيعرض عليك الزواج".

"ما الفائدة التي ستعود على الحزب إذا اضطررت إلى قضاء كل وقتني في تربية طفل؟ أنا متدربة، ولست جليسة أطفال".

"إذا برهني على ذلك عبر تقديم الأدلة، أيتها العميلة براندت، لأنني لا أستطيع أن أستمر بإخبار أسيادي في موسكو ربما غداً نصل إلى معلومات مهمة، بـث أكـرـر هذه العبارة مثل الببغاء".

"سيحضر بارينغتون اجتماعاً مهماً في بروكسل يوم الاثنين المقبل، وسيشهد توقيع المعاهدة التي من شأنها جعل بريطانيا عضواً في السوق الأوروبية المشتركة، وقد طلب مني أن أرافقه، وقد أكون قادرة على التقاط معلومات مفيدة، حيث سيكون هناك الكثير من المندوبين الأجانب في الأرجاء".

"حسناً، إن وجود عدد كبير من السياسيين الطموحين الذين يحاولون جميـعاً إثبات مدى أهميتهم قد يكون مفيداً، وتأكدـي دومـاً من إبقاء أذنيك مصغـيتـين، خاصة في حفلات العشاء والاجتماعات غير الرسمية، فليس لديـهم فكرة عن عدد اللغات التي تتقـنـينـها، كما عليكـ أن تظـلـي متـيقـظـةـ عندما يـسـتـرـخـواـ بعدـ أنـ يـشـرـبـواـ، إذـ يـزـدـادـ احـتمـالـ أنـ يـقـولـواـ مـعـلـومـاتـ قدـ يـنـدـمـونـ عـلـيـهـ لـاحـقاـ، خاصةـ لـامـرأـةـ جـمـيلـةـ مـثـلـكـ".

نظرت كارين إلى ساعة يدها، ثم قالت: "من الأفضل أن نعود، لأنـمـكـ منـ الـوصـولـ إلىـ بـريـسـتـولـ فيـ الـوقـتـ المناسبـ لـتناولـ العـشاءـ معـ جـايـلـزـ وأـسـرـتـهـ".

قال بـينـغـليـ: "لا أـرـيدـكـ أنـ تـفـوتـيـ هـذـاـ الـاجـتمـاعـ، وـتـذـكـرـيـ أنـ تـتـمـنـيـ لـجـايـلـزـ مـيـلـادـاـ مـجـيـداـ بـالـنـيـابـةـ عـنـيـ".

في أثناء رحلة العودة من تورو إلى بريستول، لم تستطع كارين التوقف عن التفكير في المعضلة التي تواجهها الان، بعد أن وقعت في حب جايلز العام الماضي، فلم يسبق لها أن شعرت بمثل هذه السعادة من قبل، ولكنها كانت محاصرة وتؤدي دوزا لم تعد تؤمن به، إلا أنها لم تجد المخرج الذي ينقذها من المتابهة، فإذا توقفت فجأة عن توفير المعلومات للوكالة الأمنية، فسيستدعيها أسيادها إلى برلين، أو يمكن أن يحصل لها ما هو أسوأ، وإذا فقدت جايلز، فستخسر حبها الذي تعيش من أجله، وفي الوقت الذي اجتازت فيه أبواب مانور هاوس، لم تستطع حل المعضلة، ولن تستطع حلها إلا إذا...

سالت إيماء جايلز بينما كانت تسكب له الشراب:
"هل ستتنضمَّ كارين إلينا لتناول العشاء؟".

"نعم، فقد ذهبت لزيارة والدها، وهي في طريقها إلى بريستول، وقد تصل متأخرة قليلاً".

قالت إيماء: "إنها مشرقة وتضج بالحياة، ولا أستطيع أن أتخيل ما الذي تراه فيك".

"أوافقك في الرأي، ويبدو أنها تشعر بما أكتئه لها، لأنني طلبت منها أن تتزوجني مرات عديدة لا يمكنني إحصاؤها".

سأله هاري: "لماذا تعتقد أنها تستمرة برفضك؟".

"بسبب ماضيِّ، ومن يستطيع أن يلومها؟ ولكنني أعتقد أنها ستلين مع مرور الوقت".

سأله هاري محاولاً تغيير الموضوع: "هذه أخبار جيدة، ويسعدني جداً أن تنضمَّ إلينا في عيد الميلاد، وكيف تمضي وقتك في مجلس اللوردات هذه الأيام؟".

"على نحو رائع في ظل وجود جيفرى ريبون، الذي كان مسؤولاً عن طلبنا الانضمام إلى السوق الأوروبية، في الواقع أنا ذاهب إلى بروكسل الأسبوع المقبل لأشهد توقيع المعاهدة".

قال هاري: "قرأت خطابك في هانسارد، وأشاطرك الآراء نفسها، دعني أر إن كنت أتذكر كلماتك بالضبط: "بعضهم يتحدث عن الاقتصاد، وبعضهم الآخر يتحدث عن العلاقات التجارية، ولكنني سأصوت لهذا القانون إذا لم يكن هناك سبب آخر غير التأكد من أن شباب بلدنا سيقرأون فقط عن حربين عالميتين، ولن يضطروا إلى تجربة حرب ثالثة".

"أنا أشعر بالإطراء حقاً".

سألته إيماء، وهي تملأ كأسه: "وماذا يحمل العام الجديد لك يا جايبلز؟".

"سبق وأدخلت إلى فريق الانتخابات العامة وأجري تعيين المسؤول عن حملة المقاعد الهامشية، حتى إن جريف هاسكينز وافق على التخلّي عن التقاعد وقيادة فريق عملي".

سألته إيماء: "حسناً، سنتجولان في جميع أنحاء البلاد، ولكن ماذا ستفعلان بالضبط؟".

"نзор مناطق المقاعد الهامشية، والتي يبلغ عددها اثنين وستين، وهي التي ستحدد نتيجة الانتخابات المقبلة، وإذا فزنا بها كلها وأشك في حصول ذلك، فإننا سنفوز بأغلبية حوالي ثلاثين".
"وإذا خسرتموها كلها؟".

"سيبقى المحافظون في السلطة، وسينتهي أمري، وأظن أن صديقتك مارغريت تاتشر ستصبح رئيسة الوزراء".

قالت إيماء: "لا أستطيع تحمل الانتظار".
"هل قبلت عرضها للقاء مرة أخرى؟".

"لقد دعتني لتناول المشروب برفقتها في مجلس العموم بعد أسبوعين".

قال هاري: "الم تدغك إلى الغداء حتى؟".

قال جايلز: "إنها لا تتناول طعام الغداء".

ضحكـت إيمـاء وقـالت: "أرجـو لا تـعتبر كـل ما تـقوله لي أمـرا خـاصـا، لأنـي وضـعـت قـدمـي بـقوـة في معـسـكـر العـدو".

قال جـاـيلـز: "أـخـتي، تـتأـمـر ضـدي".

"من الأفضل أن تـصـدق ذـلـك".

قال هـارـي: "لا دـاعـي لـالـقـلـقـ، فـقـدـ غـيـنـتـ إـيمـاءـ رـئـيـسـةـ لـلـمـرـكـزـ الطـبـيـ الـمـلـكـيـ فـيـ بـرـيـسـتـولـ، وـلـنـ يـتـبـقـىـ لـدـيـهـ مـشـعـ منـ الـوقـتـ لـتـتـابـعـ السـيـاسـةـ".

"مبـرـوكـ ياـ أـخـتيـ، إنـ إـيـديـ لـيـسـتـ رـئـيـسـ مـجـلـسـ إـادـارـةـ مـنـ الـدـرـجـةـ الـأـوـلـىـ، وـسـتـسـتـمـتـعـيـنـ بـالـعـمـلـ تـحـتـ إـشـرافـهـ، لـكـنـ ماـ الـذـيـ جـعـلـكـ تـوـافـقـيـنـ عـلـىـ مـثـلـ هـذـاـ الـالـتـزـامـ؟ـ".

"ماـيـسـيـ، فـقـدـ اـتـضـحـ أـنـهـ كـانـتـ مـتـطـوـعـةـ فـيـ المـسـتـشـفـيـ، وـمـسـؤـولـةـ عـنـ المـكـتـبـةـ، مـنـ دـوـنـ أـعـرـفـ ذـلـكـ".

"حسـنـاـ، عـلـيـكـ التـأـكـدـ مـنـ خـتـمـ كـلـ كـتـابـ بـشـكـلـ صـحـيـحـ، وـإـعادـتـهـ فـيـ الـوقـتـ المـحـدـدـ إـذـاـ كـنـتـ لـاـ تـرـيـدـيـنـ أـنـ تـدـفـعـ غـرـامـةـ".

"سيـكونـ مـنـ الصـعـبـ أـتـبعـ خـطاـهاـ، كـمـاـ يـذـكـرـنـيـ الجـمـيعـ باـسـتمـارـ، وـقـدـ اـكـتـشـفـتـ بـالـفـعـلـ أـنـ المـسـتـشـفـيـ رـانـعـ وـهـوـ يـعـمـلـ عـلـىـ مـدارـ السـاعـةـ، وـأـهـمـ مـنـ بـارـيـنـفـتـونـ شـيـبـيـنـغـ بـمـرـاتـ".

"ماـ الـقـسـمـ الـذـيـ طـلـبـ مـنـكـ إـيـديـ أـنـ تـرـأـسـيـهـ؟ـ".

"قسم التمريض، فأنا والمسؤولة الكبرى نجتمع مرة واحدة في الأسبوع، يختلف مستشفى المنظمة الصحية الوطنية كثيراً عن المستشفى العام لأن لا أحد يفكر في الأرباح، والأولوية هي المرضى".

قال جايبلز: "سينتهي الأمر بك إلى أن تصبحي اشتراكية".

"ليس هناك أمل في ذلك، وخلاصة القول هي أن الناس يلقون مسؤولية فشل أي منظمة على الموظف الذي خلف موظفاً سابقاً، لذلك طلبت من سيباستيان أن يحاول ولوح الحسابات السنوية للمستشفى لمعرفة إذا كان في إمكانه اكتشاف أي وسيلة لخفض التكاليف أو إجراء عروض للتوفير على المرضى".

سأل جايبلز: "كيف حال سيباستيان، هل ما زال يعاني من المحننة التي مر بها؟".

"تعافي جسدياً بشكل أو بآخر، ولكن تعافيّه نفسيّاً سيستغرق وقتاً أطول بكثير".

قال جايبلز "هذا طبيعي، فقد خسر سام ثم برياً، ولا يمكننا أن نفهم كيف يمكنه أن يتأقلم مع حياته؟".

قالت إيماء: "لقد أغرق نفسه في العمل".

"منذ أن أصبح الرئيس التنفيذي للبنك، بات يعمل ساعات لا حصر لها، في الواقع لا يبدو أنه يهتم ب حياته الشخصية".

سأل جايبلز: "هل أثار أي منكم موضوع ساماناً الحساس؟".

قال هاري: "مرة أو مرتين، ولكن الرد دائمًا نفسه، لن يفكّر في الاتصال بها طالما ما يكل لا يزال حياً".

"هل هذا ينطبق أيضاً على جيسيكا؟".

"أخشى ذلك، على الرغم من أنني لم أذكر قط

حفيتنا ما لم يفعل ذلك".

قالت إيماء: "لكن والدتك كانت على حق، فقد مرت السنوات، وإذا استمرّ الأمر على هذا المنوال، فستكون جيسيكا شابة قبل أن يتسلّى لأيّ منا مقابلتها".

قال هاري: "للأسف قد يكون هذا هو الحال، ولكن علينا أن نتذكر أن حياة سيب هي التي تمرّ بمرحلة اضطراب، وليس حياتنا".

قالت إيماء وهي تتجه نحو شقيقها: "بالحديث عن الأشخاص الذين تعزّزت حياتهم للاضطراب، غالباً ما أتساءل كيف تتعامل طليقتك مع مرحلة الأمومة".

قال جاييلز: "ليست على ما يرام، كما أظنّ".
"وهل اكتشف أي شخص هوية الأب؟".

"لا، إنه مجهول وسيبقى لغزاً، ولكن أياً كان، لا يبدو أن فريدي الصغير يملك تأثيراً على أسلوب حياة فيرجينيا، فهي قد عادت إلى الحلبة، وتفرط في المشروبات كالعادة".

قال هاري: "حسناً، لا بد أن الأب رجل ثري للغاية".
وافقه جاييلز في رأيه: "إنه كذلك، ثري بما يكفي ليشتري لها منزلاً في حدائق أونسلو، ويوظف لها مربية، ويمكنك رؤيتها تجراً العربية، وفي داخلها فريديريك أرشيبالد إيان بروس فينيويك كل صباح".
سألته إيماء: "كيف تعرف ذلك؟".

"نحن الاشتراكيون لا نعتمد على صحفة التايمز والتليغراف لمعرفة آخر الأخبار، وما هو أكثر...".

قاطعه طرق على الباب الأمامي، قال وهو ينهض من كرسيه، ويفادر الغرفة: "لا بد أنها كارين، فقد وصلت من كورنوال".

سألت إيمى على الفور بعد أن غاب جايلز: "لماذا لا تحب كارين؟".

سألها هاري: "ما الذي يجعلك تقولين ذلك؟".
"أنتوَّقُ أني لا أعرف ما الذي تفكَّر فيه، بعد أكثر من أربعين عاماً؟ إن جايلز يعشقاها، ويضايقها أنك لا تتقبَّلها".

"هل شعوري يبدو واضحاً؟".
"أخشى ذلك".

سار جايلز وكارين إلى الغرفة وهما يتجادلان أطراف الحديث متشابكي اليدين، فوقف هاري لتحيتها.

فكَّر هاري في أنها إن لم تكن تحب جايلز فعلاً، فهي حقاً ممثلة بارعة.

لم تدخل إيماء قصر وستمنسر منذ أن قررت المحكمة أنها حرة في الزواج من الرجل الذي أحبته. دعاها جايلز للانضمام إليه لتناول الغداء عدة مرات، ولكنها لم تستطع مواجهة الأمر، وأعربت عن أملها في أن زيارة مجلس العموم ستطرد أخيراً أشباح الماضي، وعلى أي حال، كانت تتطلع إلى لقاء السيدة تاتشر مرة أخرى.

وقد وجدت طريقها إلى غرفة الشاي بمساعدة شرطي، حيث كانت تقف مارغريت تاتشر عند الباب في انتظارها.

قالت وهي تدعو ضيفتها للدخول: "تعالي وانضمي إلي، فقد طلبت الشاي بالفعل، لأنني كنتأشعر بأنك لست من النوع الذي يتأخر".

بينما أصرّت مارغريت على اتصال إيماء بها، أمطرتها وابلًا من الأسئلة عن أفكارها حول التعليم ومنظمة الصحة الوطنية وحتى عن جاك ديلور.

عندما سالت إيماء مارغريت عما إذا كانت تفكّر في ترؤس الحزب إذا خسر تيد هييت الانتخابات القادمة وأُجبر على الاستقالة، لم تتردد في إبداء رأيها، فقالت بثقة كبيرة: "لا يمكن لامرأة أن تأمل في أن تكون رئيسة وزراء هذا البلد، على الأقل ليس في حياتي".

"ربما سي Mehed لنا الأميركيون الطريق لتحقيق ذلك أولاً".

قالت تاتشر: "سيستغرق الأميركيون وقتاً أطول لانتخاب رئيس امرأة، فهم لا يزالون في الصميم مجتمعها محدوداً، فهناك خمس عشرة امرأة فقط في الكونغرس، ولا توجد حتى واحدة في مجلس

الشيوخ".

قالت إيماء: "ماذا عن حزب العمال؟ بعض الناس يقترحون أن شيرلي وييليامز...".

"ليس لديها أمل والنقابات لا تقف في صفها، فلن يسمحوا أبداً لامرأة أن تكون رئيساتهم، فقد انتخبنا أول وزير يهودي، والأعزب الأول، ولذلك سنتخبو أول امرأة، ولكن لن يحصل ذلك في حياتي".

"لكن البلدان الأخرى اختارت بالفعل نساء شغلن منصب رئيس الوزراء".

قالت تاتشر: "إنهن ثلاثة نساء فقط".

"وإذا لم تتمكنين من أن تكوني الرابعة، ولم نفز في الانتخابات التالية، فما الوظيفة التي تأملين في الحصول عليها؟".

"إنها ليست مسألة ما أتمنى الحصول عليه، بل ما سيقدمه لي تيد على مضض وتدكري، إيماء، في السياسة ليست من الحكم أبداً السماح لأي شخص بمعرفة ما تريدينه، فهذه ستكون أسرع طريقة لكسب الأعداء والمنتقدين، فقط عليك أن تنظرني بدهشة إلى كل ما يقدمه إليك أي شخص في مختلف الأوقات".

ابتسمت لها إيماء.

"لذا أخبريني، ما الذي سيفعله أخوك جايلز؟".

"لقد غيّر مسؤولًا عن حملة المقاعد الهامشية، لذلك يقضي معظم وقته في التجول في أرجاء البلاد محاولاً التأكد من عودة هارولد ويلسون إلى 10 داونينغ ستريت".

"اختيار رائع، فقد حارب وتغلب على الصعاب مرازاً وتكرازاً وفاز في بريستول دوكلاندز، وهناك الكثير في صفنا من الذين يفضلون رؤيته يعود إلى منصبه

بدلاً من ذلك المرشح الثانوي، أليكس فيشر، وإذا فاز حزب العمال، فقد يصبح جايلز زعيم اللوردات، الأمر الذي سيعيده مرة أخرى إلى مجلس الوزراء، على أي حال، يكفي الحديث عن السياسة، أخبريني بما يحدث في العالم الحقيقي، أرى أن لدى شركة بارينغتون شبيئن مشروعًا جديداً".

"نعم، ولكنني بدأت أشعر بأنني أكرر نفسي، وقد لا يمر وقت طويل قبل أن أسلم الإدارة إلى ابني".

"وماذا ستفعلين بعد ذلك؟ فانت لا تبدين من النوع الذي ينخرط في دروس الحياة".

ضحك إيماء، وقالت: "لا، ولكنني أصبحت مؤخراً رئيسة المركز الطبي الملكي في بريستول".

"إنه منصب رفيع حقاً، ولكنني متأكدة من أنك اكتشفت بالفعل، على عكس زملائي الاشتراكيين، أنه لا يوجد ما يكفي من المال لمنح كل مركز طبي ما يحتاج إليه، حتى ما يحتاج إليه من أجل تطوير العديد من العقاقير الجديدة، فال المشكلة الكبرى التي تواجهها الخدمات الصحية هي أنها لم نعد نموت بسهولة في سن السبعين، فالكثير من الناس أصبحوا يعيشون حتى الثمانين والتسعين والمنة عام، وكل من سيفوز في الانتخابات القادمة يجب أن يجد حلّاً لتلك المشكلة مباشرة، إذ لا يجب أن يتقلّلوا الأجيال القادمة بحمل من الديون لن يكونوا قادرين على سدادها، وربما يمكنك تقديم المساعدة، إيماء".

"كيف يمكنني فعل ذلك؟".

أخفقت تاتشر صوتها: "ربما سمعت بالشائعات القائلة إنه إذا فزنا في الانتخابات، فسوف يعرضون على وزارة الصحة، وسيكون من المفيد أن يكون لدى صديق يعمل في الميدان، ولا يستمر بحضور

اجتماعات لا نهاية لها مع الخبراء الذين لديهم ثلات شهادات على الأقل ولا يملكون خبرة عملية".

قالت إيماء وهي سعيدة بالاقتراح: "سأكون سعيدة بتقديم المساعدة بأي طريقة ممكنة".

قالت لها مارغريت: "شكراً لك، وأنا أعلم أن الأمر يتطلب الكثير من الجهد، ولكن قد يكون من المفيد على المدى الطويل أن يكون لديك حلليف في لجنة المحافظين في منطقة غرب البلد".

دوى صوت جرس كان يرئ بشكل مستمر، وكاد يضم الأذان، ثم انفتح باب غرفة الشاي، وظهر رجل يرتدي ستراً سوداء، وقال بصوت أقرب إلى الصراخ: "إنه مقسم الهاتف".

قالت تاتشر: "أخشى أنه على العودة إلى العمل، إنها ثالث دعوة للتصويت، لذا لا يمكنني تجاهلها".
"على ماذا تصوتي؟"

"ليس لدي فكرة، ولكن أحد الأشخاص سيرشدني إلى الخط الصحيح، قيل لنا إنه لن يكون هناك المزيد من التصويت اليوم، وهذا ما يسمى كميئا، إنه تصويت على تعديل قانون اعتقادنا أنه ليس مثيراً للجدل وسيمر بسلامة، ولا أستطيع أن أشتكي، لأننا إذا كنا في المعارضة، فسنقوم بالأمر نفسه بالضبط، إنها الديمocratic، ولكن أنت تعرفين بالفعل وجهة نظري حول هذا الموضوع، وفي مطلق الأحوال دعينا نبق على اتصال دائم، إيماء، لأن على فتيات سومرفيل التعاون معاً".

وقفت مارغريت تاتشر وصاحت إيماء قبل أن تنضم إلى تدافع الأعضاء الذين هجروا غرفة الشاي للتأكد من وصولهم إلى ردهات القسم خلال

ثمانية دقائق، قبل أن تغلق الأبواب في وجوههم، فاسترخت إيماء مرة أخرى في كرسيها، وشعرت بالبهجة والإرهاق في الوقت نفسه، وتساءلت عما إذا كانت مارغريت تاتشر تملك التأثير نفسه على الجميع.

لقد كان مرورك بنا ضروريًا، جون، فلم أكن لأطلب عقد اجتماع بعد هذا الإخطار القصير الذي تسلّمته، لو لم يحصل تطور جديد.

"ليس هناك أي مشكلة، آلان، وأشكرك على المعلومات، لأنها سمحـت لي باستخراج الملف الذي له صلة بالموضوع".

"ربما يمكنك أن تبدأ يا خباري بأحدث أخبار الانسة براندت"، فتح السير جون ريني، المدير العام لجهاز MI6، الملف الموجود أمامه على الطاولة.

"ولدت الانسة براندت في دريسدن 1944، وانضمت إلى رابطة الشباب الشيوعي في سن السادسة عشرة، وعندما تركت المدرسة، ذهبت إلى ألمانيا الشرقية، وانضمت إلى مدرسة اللغات لدراسة اللغة الروسية بعد التخرج، فجندتها منظمة الأمن بصفتها مترجمة للمؤتمرات الدولية، ونحن نفترض أنها كانت مجرد واجهة للقيام بعملٍ ما، ولكن لا دليل على أنها فعلت أكثر من نقل المعلومات العادية إلى روسائها، وفي الحقيقة نحن نظن أنها لم تكن مهمة قبل قضية جايلز بارينغتون.

"القضية التي أفترض أنها كانت ملتفقة".

"نعم، ولكن من الذي لفّقها؟ لأنها بالتأكيد لم تكن مدرجة في قائمة العملاء المتخصصين في هذا النوع من المهام، ولكي تكون منصفيـن بحق بارينغتون، فهو كان يبتعد كثيـراً عن الواقع في أية

إغراءات في أثناء قيامه برحلات حكومية خلف الستار الحديدي، على الرغم من توفر العديد من الفرص".

قال أمين مجلس الوزراء: "هل من الممكن أنها وقعت في حبه حقا؟".

"لا يوجد في ملفك ما يوحي بأنك رومانسي، يا آلان، لذلك سأتعامل مع سؤالك في ظاهره، فهذا الاحتمال يفسر العديد من الحوادث التي طرأت منذ وصولها إلى المملكة المتحدة".
"مثل أي حوادث؟".

"نحن نعلم الآن أن إنقاذه جايلز بارينغتون لشخص واقع في محبته، خاصة وأن هذا الشخص ينتمي إلى الجانب الآخر من الستار الحديدي، كان مجرد عملية منظمة بشكل متقن، يشرف عليها ويدعمها الماريشال كوشيفوي".
"هل يمكن التأكد من ذلك؟".

"نعم، عندما كانت براندت تعبر الحدود برفقة بارينغتون في الحافلة، استجوبها ضابط شاب كاد أن يحبط العملية برمتها، فأرسل إلى سيبيريا بعد أسبوع، وكان هذا ما تسبب في الشك في أنهم يريدونها أن تعبر الحدود، على الرغم من أنه قد تكون نفذت خططهم، لأنها كانت تريد الهرب بالفعل".

"يا لك من ماكر، جون!".

"أنا رئيس MI6، آلان، ولست قائد كشافة".

"هل لديك دليل على ما تقوله؟".

"لا شيء ملموس، ولكن قد أبلغنا مراقبنا بأنه خلال اجتماع عقده مؤخراً براندت مع المسؤول عنها في تورو، كانت لغة جسد بینغلي تشير إلى أنه

لم يكن راضيا على الإطلاق، وهذا ليس مفاجئاً، لأن إحدى عملياتنا المزدوجات، مرت لنا مؤخراً بعض المعلومات التي كان بينغلي قد أبلغها بالتأكيد إلى أسياده في موسكو، ويمكنني أن أجزم أنه لم يقدم معلومات مفيدة، مما يعني أنها لم تنقل له كل ما تعرفه من معلومات".

"إن تلك الفتاة تلعب لعبة محفوفة بالمخاطر، ولن يستغرق الأمر وقتاً طويلاً قبل أن يكتشفوا أنها لا تلتزم بالصفقة التي أبرموها معها".

"هذا متفق عليه وبمجرد أن يكتشفوا ذلك، فستكون في أول رحلة عودة إلى برلين الشرقية، ولن نسمع عنها مرة أخرى".

اقتراح السير آلان: "ربما كانت مرشحة مناسبة للانقلاب".

"ربما، ولكن يجب أن نقنعها بأننا لسنا حمقى، وأخطط لاستخدام العامل نفسه للبوج بالمعلومات التي يتوقع بينغلي إلى سماعها، لذلك سأعرف خلال أيام قليلة إن نقلت الرسالة إليه".

"هل حان الوقت لإعلام بارينغتون بأنه ينام مع العدو؟ فإذا فاز حزب العمال في الانتخابات القادمة بالتأكيد سيعود مرة أخرى إلى مجلس الوزراء، وقد يخبر أحدهم الوزير بالحقيقة كاملة".

"دعونا نجد حلّاً لتلك العقبة عندما...".

"ماذا ستفعلين اليوم يا عزيزتي؟".

"سأتسوّق قليلاً هذا الصباح، فجواربك إما تتخللها الثقوب، وإما غير متطابقة".

قال جايلز: "هذا متير للغاية، بينما سأعارض مشروع قانون التعليم فقط".

أضافت متوجهة تعليقه: "أمل أيضاً أن أجد هدية مناسبة، من أجل عيد ميلاد اختك، هل لديك آية أفكار؟".

"يمكن أن تشتري علبة صابون، إننا بالكاد نتحدث في الوقت الحالي".

"هذا ليس خطأها، فانت تقضي معظم وقتك تهاجم السيدة تاتشر".

"لا أهاجم السيدة تاتشر، بل سياسة التعليم التافهة للحكومة، فالامر ليس شخصياً أبداً".

"لقد دعتني البارونة فوربس واتسون لتناول الشاي بعد ظهر هذا اليوم في مجلس اللوردات، ولكنني لست متأكدة تماماً من سبب دعوتها".

"إنها سيدة عجوز لطيفة، اعتادت أن تشغل منصباً في مكتب الخارجية منذ مئة عام، ولكن منذ أن توفي زوجها فقدت السيطرة على الأمور، وهي تحب دعوة زوجات الأعضاء لتناول الشاي برفقتها من وقت لآخر.

"لكنني لست زوجتك".

قال جايلز وهو يقبلها: "ولكن ذلك ليس خطئي".

"سأحاول النزول إلى غرفة الشاي بعد التصويت، قد تحتاجين إلى من ينقذك من ورطتك".

أضاف مبتسمًا بعد أن لمح العنوان في صحيفة التايمز: "يجب أن أتصل بآيما".

قال هاري، وهو يصب فنجانًا آخر من القهوة: "إنها مرشحة للانتخابات الان".

"ماذا قلت للتو؟".

"ليست أنا من قال ذلك، بل تيد هيست في صحيفة التايمز".

التقط النسخة الصباحية من صحيفة التايمز، وقال: "يفيد التقرير أنه إن كان لا بد من انتخاب امرأة لتشغل منصبها في مجلس الوزراء، فمن المحبذ أن تكون مارغريت".

عجزت إيما عن الكلام للحظة فقط، ثم تمكنت أخيراً من الحديث، فقالت: "من المؤكد أن هذا يجعله محبوباً من خمسين في المئة من الناخبين". "52 في المئة، وفقاً للتايمز".

قالت إيما عندما رأى جرس الهاتف: "أحياناً أشعر باليأس من حزب المحافظين".

ترك هاري صحفته، والتقط سماعة الهاتف.

"مرحباً، جايلز، نعم، لقد قرأت المقال حول مارغريت تاتشر في صحيفة التايمز، نعم، بالطبع".

قال هاري من دون أن يتمكن من إخفاء ابتسامة متكلفة: "إن المتصل أخوك، ويريد التحدث إليك"، طوت إيما منديلها، ووضعته في الحلقة، ثم وقفت وشققت طريقها ببطء إلى خارج الغرفة.

"قل له إنني في الخارج، أدقق في الأصوات".

بعد أن اشتريت كارين ستة أزواج من الجوارب الصوفية الرمادية اللون ذات المقاس تسعة، وحقيقة يد جلدية سوداء، رغبت إيما في الحصول عليها، استقلت الحافلة في ميدان سلون، وتوجهت إلى قصر وستمنسر.

أرسلها ساعٍ يحمل شارة إلى غرفة شاي اللوردات. "لا تخطي أي خطوة خارج السجادة الحمراء، سيدتي، ولن تتوهي عن الطريق".

عندما دخلت غرفة الشاي، لاحظت كارين على الفور سيدة عجوز ذات شعر رمادي تجلس منحنية

الظهر في الزاوية، وتبعد وكأنها الاخت الكبرى لمارغريت رذرфорد، فلُوحت لها يدها، ومشت كارين باتجاهها للانضمام إليها.

قالت السيدة العجوز: "سينثيا فوربس واتسون"، وهي تحاول النهوض من مكانها.

قالت كارين سريعاً: "لا، لا"، وهي تجلس قبالة مضيقتها.

قالت السيدة العجوز، وهي تمد أصابع يدها الطويلة، رغم أن صوتها كان قوياً: "كم جميل أن التقى بك! لقد قرأت خبر هروبك المذهل من خلف الجدار الحديدي، لا بد أنك قضيت وقتاً صعباً".

"لم يكن ذلك ممكناً من دون جايلز".

قالت ذلك بينما كان النادل يقف بجانبها: "نعم، إنه رجل جيد، وإن كان متھواً في بعض الأحيان".

"أحضر الشاي لشخصين وقطعتين من تلك الفطائر الشهية، لتكن محمصة قليلاً ولا تكن بخيلاً بالزبدة".
"بالتأكيد سيدتي".

"أرى أنك كنت تتسوقين".

"نعم، كان جايلز بحاجة إلى بعض الجوارب، كما أنه عيد ميلاد اخته أيضاً، ونسي أن يقدم لها هدية، وستنضم إلينا الليلة لتناول طعام العشاء برقة زوجها".

قالت السيدة العجوز: "ليس من السهل أبداً العثور على الهدية المناسبة لأمرأة أخرى".

وضع النادل صينية شاي وقطعتين اثنتين من الفطائر الصغيرة على الطاولة بينهما.

"سأصرف مثل الأمهات، هل تريدين حلبياً؟".

قالت كارين: "نعم، من فضلك".

"أتريدين السكر؟".

"لا، شكراً".

قالت السيدة العجوز، وهي تضع ملعقتين ممتلئتين في فنجانها: "تفكير سليم، ولكن الوقت متاخر قليلاً بالنسبة إلي لكي أقلق بشأن رشاقة قوامي".

ضحك كارين بتوتر.

"لا بد أنك تتساءلين عن سبب دعوتي لك".

"أخبرني جايلاز أنك تقيمين حفلات شاي صغيرة بانتظام".

"لم أدخل من أجل ذلك، فأنا لا أفعل ذلك باستمرار".

"لست متأكدة من أنني أفهم ما تعنيه".

وضعت السيدة العجوز فنجانها ونظرت مباشرة إلى كارين.

"أريدك أن تستمعي جيداً إلى ما سأقوله، أيتها الشابة".

على الرغم من أنها تحدثت بهدوء، ولكن كلماتها كانت واضحة: "ستكون هذه هي المرة الوحيدة التي نلتقي بها إن لم تصفي إلى تعليماتي حتى النهاية".

تساءلت كارين عما إذا كانت تمزح، لكنه كان واضحاً من لهجتها أنها كانت جادة.

"نحن البريطانيون نحب أن نعطي انطباعاً بأننا متذمرون، ولكن بعضنا لا ينخدع بسهولة، وعلى الرغم من أنك قدمت قصة مثيرة للصحافة، إلا أن رحلتك من برلين الشرقية كانت مريحة للغاية".

شعرت كارين بأنها ترتجف.

"إذا فاز حزب العمال في الانتخابات المقبلة، فستكونين في وضع مناسب لإحداث إحراج كبير،

ليس فقط للحكومة، بل للبلد كله على حد سواء.".
امسكت كارين بذراعي كرسيها وشدت عليهما
بقوة.

"عرفنا منذ بعض الوقت أن جون بينغلي ليس
والدك، وأنه يقدم تقاريره مباشرة إلى الماريشال
كوشيفوي، ولكن ما يحيرنا أنه على الرغم من أنك
تعيشين في هذا البلد منذ أكثر من عامين، إلا أنه لا
يبدو أنك كشفت أي معلومات ذات مغزى حقيقي
للحاجب الآخر".

تمت كارين أن يأتي جايلز وينقذها من الورطة
التي وقعت فيها، ولكنها كانت تعلم أن لا فرصة لها
للخلاص.

"يسريني أنك لست غبية بما يكفي كي لا تنكري
ذلك، لأن الطريقة الوحيدة لتنظيم هذه الفوضى
التي أحدثتها، أن تكوني على استعداد إلى
التعاون".

بعد أن أنهت السيدة العجوز كلامها لم تنبس كارين
بينت شفة.

"سامنحك فرصة للعمل من أجل هذا البلد،
وسأحرض شخصيا على تزويديك بانتظام
 بالمعلومات التي ستبقى الوكالة الأمنية السورية
 مقتنة بأنك ما زلت تعملين لصالحها، ولكن في
 المقابل نتوقع أن نعرف كل شيء يريده بينغلي،
 وأعني كل شيء بالفعل".

التقطت كارين فنجانها، ولكن يدها كانت ترتجف
 لدرجة أنها أعادته إلى مكانه فوراً.

تابعت المرأة العجوز قائلة: "سأكون الوسيط، وما
 أفضل غطاء يمكن أن يكون لديك من تناول الشاي
 في بعض الأحيان مع السيدة العجوز في بيت

اللوردات؟ هذه هي القصة التي ستخبرينها لجاييلز، إلا إذا كنت تريدينه أن يكتشف هويتك الحقيقية.".

تلعنت كارين وهي تقول: "لا، هذا آخر ما أريده".

"فلنحتفظ بالسر، وندع الأمر على هذا النحو، فقد رحل زوجي العزيز، ودفن في قبره، وهو يعتقد أنني كنت وكيلة في وزارة الخارجية، ومع أنني كنت كذلك بالفعل، من خلال جميع النوايا والأغراض، إلا أنه كان سينفجر من الضحك لو أخبرته بأنني كنت جاسوسة".

يجب أن أحذرك، آنسة براندت، إذا شعرت بأنك غير قادرة على مواكبة خطتنا، فستكونين على متن الرحلة التالية إلى برلين الشرقية، وأنا سأكون الشخص الذي سيتعين عليه إخبار اللورد باريونغتون بالحقيقة، وكما أرى أن لديك بعض المشاعر تجاه جاييلز".

قالت كارين من دون تردد: "أنا أعشقه".

"حسناً، كان السير جاييلز على حق، كنت تريدين حقاً الهروب من ألمانيا الشرقية لتكوني معه، عليك فقط أن تستمري في خداع معظم الناس في أغلب الأوقات، أه، أرى جاييلز يتوجه نحونا، إذا تلقيت رسالة شكر منك غداً، سأعرف أي جانب اخترت، وإذا لم أتلقي جواباً، فمن الأفضل أن تكوني أنت وبينغلي على متن رحلة إلى ألمانيا الشرقية قبل الغسق".

قال جاييلز: "سينتيا، لا يبدو أنك كبرت يوماً واحداً منذ سن الأربعين".

"ولا تزال بارغاً في المغازلة وعنيذاً، جاييلز باريونغتون".

"أشكرك على دعوة كارين لتناول الشاي".

"لقد أجرينا محادثة ممتعة للغاية".

"والآن يجب أن أسحبها بعيداً، لأننا سنصطحب اختي لتناول العشاء الليلة".

"أخبرتني كارين بأنه عيد ميلاد اختك، لذا لن أحتجزك أكثر من ذلك".

نهضت كارين متراجحة، وحملت حقيبة التسوق الخاصة بها، وقالت: "شكراً لك على الشاي".

"أمل أن تعودي مرة أخرى، كارين".
"أود ذلك".

قال جايلز وهما يسيران في الممر: "عجوز رائعة، على الرغم من أنه لا يبدو أن أحداً يتذكر ما كان عملها في الوزارة، والأهم من ذلك، هل تذكري أن تشتري لي بعض الجوارب؟".

"نعم، فعلت ذلك يا حبيبي، أخبرتني سينثيا بأنها كانت وكيلة في وزارة الخارجية".

"أنا متأكد من أنها كانت كذلك، هل عترت على هدية لإيماء؟".

كانت إيماء متاخرة عن موعدها، فلابد أن تتغلب
مهارة التوازن في حمل ثلاث كرات في وقت واحد،
وللمرة الأولى في حياتها كان لديها لحظات تساعله
فيها إن تحملت أكثر مما تستطيع تحمله.

ظللت رئاسة شركة العائلة على رأس أولوياتها،
وقد وصفتها لها رئيسي بأنها الوظيفة اليومية، وكانت
مسؤولياتها بصفتها رئيسة المركز الطبي تستغرق
وقتاً أطول بكثير مما كان متوقعاً.

رسمياً يفترض أن تحضر أربعة اجتماعات لمجلس
الإدارة سنوياً، وأن تخصص يومين في الشهر من
أجل أعمال المركز الطبي، ولكن لم يمض وقت
طويل قبل أن تجد نفسها تعمل يومين في الأسبوع،
ولم يكن هناك من تلومه سوى نفسها، لأنها تمثلت
بكل دقة أمضتها وهي تقوم بتحمل مسؤولياتها
بصفتها رئيسة مشرفة على طاقم التمريض.

لقد وظفت المستشفى أكثر من ألفي ممرضة ومنات
الأطباء، ولم تكن كبيرة الممرضات، ميما بوديكومب،
شخصية تقليدية فحسب بل تقليدية بحثة، وكان
من دواعي سرور فلورنس نايتينغيل أن تأخذها إلى
شبه جزيرة القرم.

استمتعت إيماء بالتعرف إلى المشاكل اليومية التي
واجهتها ميما.

كان هناك مستشارون عظام تخيّلوا أنهم لا
يقهرون، بينما كان الآخرون مرضى يعرفون
حقوقهم، وفي وسطهم كانت الممرضات، وكان من
المتوقع منها أن يهتممن بهن جميعاً من دون أن
تفارق الابتسامة وجوههن.

لا عجب أن ميما لم تنزوج قط، كان لديها ألف

بنت قلقة، وألف ابن منزعج، وسرعان ما أصبحت إيما منخرطة في الروتين اليومي للمركز الطبي، وقد تأثرت عندما أصبحت ميما تطلب أن تسدي إليها نصيتها، فعاملتها على قدم المساواة، وشاركتها القلق والطموحات الخاصة بالمركز الطبي الذي كرست حياتها له، لكن المجتمع الذي كانت إيما مرشحة له لم يكن له علاقة بواجباتها في المستشفى، وفي وقت سابق من صباح ذلك اليوم، زار رئيس الوزراء الملكة في قصر باكنغهام، وطلب منها الإذن بحل البرلمان، بحيث يمكن إجراء انتخابات عامة.

وفت إيما بوعدها لمارغريت تاتشر، وانضمت إلى لجنة الانتخابات التي أشرفت على إحدى وسبعين دائرة انتخابية في غرب البلاد، ومثلت بريستول التي كانت تمتلك سبعة مقاعد، اثنين منها كانا هامشيين، أحدهما كان ملعب أخيها القديم.

في الأسابيع الثلاثة المقبلة ستقف هي وجاييلز على جانبي الطريق متسللين الناخبين لدعم قضيتيهما.

كانت إيما شاكرة لأن الحملة ستنتهي خلال شهر، وستغيب عن المركز الطبي والشركة حتى يوم الاقتراع.

لم يعتد هاري على زحفها إلى الفراش بعد منتصف الليل، واختفائها قبل أن يستيقظ في صباح اليوم التالي.

معظم الرجال قد يشتبهون في هذه الحالة في أن زوجاتهم لديهن عشيق، ولكن إيما كان لديها ثلاثة.

كان الطقس شديد البرودة في فترة ما بعد الظهيرة، وقد ارتدى الاثنان معطفين سميكين،

ووضعا وشاحين، وقفازات قبل أن يخرجوا من أجل النزهة المعتادة.

تحذّثا عن الأمور غير المهمة حتى وصلا إلى منجم القصدير المهجور، حيث لن يكون في المكان لا الكولونييل أو السياح أو الأطفال المزعجون لمضايقتهم.

"هل لديك أي معلومات تستحق الإبلاغ بها، رفيقة براندت، أم أنها رحلة أخرى ضائعة؟".

"يجري الأسطول الرئيسي تدريبات قبلة جبل طارق في السابع والعشرين والثامن والعشرين من شباط، عندما ستكون الغواصة النووية الجديدة التابعة للبحرية في الخدمة للمرة الأولى".

"كيف حصلت على تلك المعلومة؟".

"ذعّيت أنا وباريونغتون لتناول العشاء مع لورد البحر الأول في دار الأدميرال، فوجدت أنه إذا بقيت صامتة بما يكفي، فستشعر وكأنك اندمجت في الخلافية، مثل ورق الحاط".

"أحسنت أيتها الرفيقة، كنت أعلم أنك ستصبحين جيدة في النهاية".

"هل يمكنني أن طلب نصيحتك بشأن مسألة أخرى، أيها الرفيق المسؤول؟".

بعد التتحقق مرة أخرى من عدم وجود أي شخص يمكنه سماع حديثهما، أومأ إليها بینغلي بالإيجاب.

"عرض على باريونغتون الزواج، كيف يريدني الحزب أن أجبيه؟".

يجب أن تقبلني عرضه بالطبع، وبمجرد أن تتزوجا، لن يتمكنوا أبداً من فضحك، لأن ذلك قد يؤدي إلى إسقاط الحكومة".

"حسناً، إن كان ذلك ما تريده أيها الرفيق

المسؤول".

عادت إيماء إلى المنزل عند الساعة العاشرة من مساء يوم الانتخابات، وجلست هي وهاري طوال الليل يتبعان إحصاءات النتائج في جميع أنحاء البلاد.

بعد إعلان أول إحصاء في بيليريكاي سرعان ما أصبح واضحًا أن النتيجة ستكون متقاربة، وعندما أُعلن عن المقعد الأخير في مقاطعة داون في أيرلندا الشمالية بعد الرابعة والنصف من بعد ظهر اليوم التالي، استحوذ حزب العمال على معظم المقاعد، من 301 إلى 297، على الرغم من فوز حزب المحافظين بالتصويت الشعبي بأكثر من مئتي ألف صوت.

رفض تيد هييت الاستقالة من منصب رئيس الوزراء، وأمضى الأيام القليلة التالية محاولًا التكتل مع الليبراليين، الذين كانوا سيمنحون المحافظين الأغلبية الإجمالية، ولكن الاتفاق انهار عندما طالب الزعيم الليبرالي جريمي ثورب بسن قانون التمثيل النسبي قبل الانتخابات القادمة مقابل الموافقة على الاتفاق، فعرف هييت أن النواب في مقاعد البدلاء لن يقبلوا بذلك، لذلك عاد إلى قصر باكنغهام وأبلغ الملكة أنه ليس قادرًا على تشكيل الحكومة.

في صباح اليوم التالي، دعت جلالة الملكة زعيم حزب العمال وطلبت منه تشكيل حكومة أقلية، فتولى هارولد ويلسون 10 داونينغ ستريت وعكف على اختيار وزرائه.

شعرت إيماء بالسعادة عندما تبعت كاميرات التلفزيون جايلز وهو يسير في داونينغ ستريت ليذهب إلى موعده مع رئيس الوزراء، وخرج بعد

عشرين دقيقة، رئيسا لمجلس اللوردات.

ائصلت بأخيها وهنأته على المنصب الرفيع.

قال لها جاييلز: "عليك تهنئتي مرتين، فكارين وافقت أخيها على الزواج مني".

كانت إيماء سعيدة للغاية، ولكنها عندما أخبرت هاري بالنبي الجديد في ذلك المساء، لم يبذر أنه يشاركها حماستها، فكادت أن تسأله عن سبب سلبيته الدائمة تجاه كارين، لو لم يقاطعها رنين الهاتف.

كانت المكالمة الهاتفية من الصحيفة المحلية، وقد أرادت سؤالها عن رغبتها في الإدلاء ببيان، لا يتضمن الأقلية الحكومية أو احتلال شقيقها منصب رئيس مجلس اللوردات، بل موت إدي ليستر المأساوي.

في المساء التالي حضرت إيماء اجتماعا طارئا لعمدات المركز الطبي.

افتتح الاجتماع بدقة صفت إحياء لذكرى الرئيس الراحل، الذي أصيب بنوبة قلبية في أثناء تسلقه جبال الألب برفقة ولديه.

فكّرت إيماء في ويندي، زوجة إدي، التي سافرت إلى سويسرا لتكون مع أولادها وتحضر جثمان زوجها.

كان البند الثاني على جدول الأعمال انتخاب رئيس مجلس إدارة جديد، وأحد المرشحين كان نيك كالديركروفت، نائب إدي الذي خدم إلى جانبه فترة طويلة، وقد انتخب ليحل مكان إدي.

تحدث بحرارة عن الرجل الذي كان له شرف الخدمة تحت قيادته، وتعهد بصون ارثه، ومواصلة

رسالته، وقال: "لكن، ستصبح هذه المهمة أسهل كثيراً إذا اخترنا الشخص المناسب ليكون نائبي، ولن يفاجأ أي منكم إن كان خياري الأول هو إيماء كليفتون".

لم تتفاجأ إيماء، بل ضدمت، لأن الفكرة لم تخطر على بالها، ومع ذلك عندما نظرت حول طاولة مجلس الإدارة، بدا أن الجميع يتذمرون مع الرئيس الجديد.

بدأت إيماء بتأليف بعض جمل في ذهنها لتعبر عن شعورها بالإطراء بسبب ثقتهم بها، ولكن للأسف لن يكون ذلك ممكناً في الوقت الحالي بسبب... لكنها ما إن نظرت إلى الأعلى حتى رأت صورة جدها يحذق إليها، كان السير والتر بارينغتون يلقي عليها نظرة خاطفة، وهي تتذكرها جيداً أيام طفولتها، عندما كان يمسك بها، وهي تقوم بأي سلوك شقي.

قالت: "شكراً سيد الرئيس، إنه لشرف عظيم لي أن أكون نائبة لكم، وسأحاول أن أثبت لكم أنني أستحق ثقتكم".

عادت إيماء إلى المنزل، وفي وقت لاحق من ذلك المساء، كان عليها أن تشرح لهاري سبب إمساكها بمجموعة كبيرة من الملفات، فلم يكن متذمراً، وقال لها: "بعد التفكير في الأمر، كنت أنت الخيار الواضح".

عندما رن جرس الهاتف، قالت إيماء لهاري بحزن: "إذا كانت الملكة، فقل شكرًا، فليس لدى الوقت لأكون رئيسة للوزراء".

قال هاري: "إنها ليست الملكة، ولكنها قد تكون رئيسة الوزراء القادمة"، وأضاف وهو يسلم إيماء سماعة الهاتف.

قالت مارغريت تاتشر: "أردت الاتصال بك لأن شكرك

على كل العمل الشاق الذي بذلته من أجل الحزب في غرب البلاد خلال الحملة، ولأذكرك بأنني متأكدة من أنه ستكون هناك انتخابات أخرى خلال بضعة أشهر، وسنحتاج إلى مساعدتك مرة أخرى".

تبين أن توقعات السيدة تاتشر كانت صحيحة، لأن حزب العمال لم يتمكن من الفوز بكل الأصوات في أثناء التصويت ليلة بعد ليلة، وغالباً ما اضطر إلى الاعتماد على دعم بعض الأحزاب الصغيرة، حتى إنه أحضر عضواً على النقالة ليدلّي بصوته.

لم يكن الأمر مفاجئاً عندما طلب هارولد ويلسون من الملكة حلّ البرلمان في سبتمبر للمرة الثانية خلال عام.

بعد ثلاثة أسابيع من النضال تحت راية "أصبحت تعلم كيف تعمل حكومة العمال"، أعيد ويلسون إلى 10 داونينغ ستريت بأغلبية ثلاثة أعضاء.

لم تكن مكالمة إيماء الأولى إلى جايلز لتهنئته على احتفاظه بمقعده في مجلس الوزراء، بل إلى مارغريت تاتشر في منزلها في شارع فلود، تشيلسي. "عليك أن تناضل من أجل قيادة الحزب يا مارغريت".

ذكرتها السيدة تاتشر بقولها: "لا توجد وظيفة شاغرة، فليس هناك ما يشير إلى أن تيد يفكر في التخلّي عن المنصب".

قالت إيماء بحزم: "اركليه إذا، ربما حان الوقت للتذكيره بأننا خسرنا ثلاثة انتخابات من أصل أربعة".

قالت تاتشر: "صحيح، ولكن المحافظين معروفون بأنهم لا يتخلّون عن قادتهم، وستكتشفين ذلك

عندما تتحدّثين إلى أعضاء الحزب في اجتماع لجنة المنطقة القادرم".

"بالمناسبة، لقد قضى تيد الأسبوع الماضي وهو يتصل برؤساء الدوائر الواحد تلو الآخر".

قالت إيماء: "ليس رؤساء الدوائر هم من سيختارون الزعيم التالي للحزب، بل زملاؤك في المجلس وحدهم لديهم هذا الحق، لذا ربما يجب أن تتكلّميهم الواحد تلو الآخر".

راقبت إيماء من بعيد، وقد أصبحت التكهنات حول قيادة الحزب تنتشر أكثر فأكثر، ولم يسبق أن قرأت الكثير من المقالات الصحفية، أو استمعت إلى الناقاشات الإذاعية أو شاهدت هذا العدد من الحوارات التلفزيونية على هذا النحو من قبل في وقت متأخر من الليل.

استمرَّ تيد هيئت كما بدا واضحًا غافلًا عما كان يدور حوله، مثل نيرون، وهو يعزف على كمانه غير عابئ بما يدور حوله، محاولاً فرض سلطته على الحزب، فدعا إلى انتخابات القيادة في 4 شباط 1975، وخلال الأيام القليلة التالية، حاولت إيماء مرازاً وتكراراً الاتصال بمارغريت تاتشر، لكن خططها كان مشغولاً باستمرار.

عندما تمكّنت في النهاية من التحدث إليها، لم تهتم بالمجاملات، بل قالت مباشرة: "لن يكون لديك أفضل من هذه الفرصة لقيادة الحزب، لأن أصدقاء هيئت في مجلس الوزراء ليسوا على استعداد للوقوف ضده".

قالت مارغريت: "قد تكونين على صواب، ولهذا السبب يحاول بعض زملائي في مجلس العموم تقييم فرصي، ويجب أن أقرّر متى أقدم على خوض

المعركة التالية".

"عليك أن تقدمي على خوضها الان".

"أعلم أنك على حق، إيماء، لكن ليس لدي سوى عدد قليل من البطاقات التي يمكنني أن ألعب بها، ويجب أن أكون حذرة بشأن البطاقة التي ساختارها ومتى أظهرها لهم، لأن ارتكاب خطأ واحد، قد يجعلني على المقاعد الخلفية لبقية حياتي السياسية، ولكن من فضلك، إيماء، ابقي على اتصال دائم بي، فأنت تعرفين مدى تقديرني رأيك بصفتك شخصاً غير متحصن في وستمنسر، ويفكر فقط في مصلحته الخاصة".

تبين أن إيماء كانت على حق لأن جميع الوحوش المفترسة في الحزب، ظلت موالية لهيث، إلى جانب صحيفتي التيليفراف وذا ميل.

ظلت صحيفة ذا سبيكتاير تضغط على السيدة تاتشر للبقاء، وما أسعده إيماء كان سماح مارغريت لاسمها بالظهور للعلن أخيراً، قابلت الدائرة الداخلية لداعمي هيث إعلان اسمها بالسخرية والازدراء، بينما الصحافة التي تورطت قد واجهت هذا التحدي بإصرار وجدية.

وقد أخبر هيث أي شخص قادر على الإصلاح بأن مارغريت ليست سوى حصان يطارده في السباق. وكل ما قالته إيماء حول هذا الموضوع: " إنه على وشك أن يكتشف أن هذا الحصان ذو أصل عريق".

في يوم التصويت، دعا جايلاز أخته للانضمام إليه لتناول طعام الغداء في مجلس اللوردات لتكون أول من يعلم بالنتيجة، فوجدت إيماء الجو في أروقة المجلس مكهرباً، وفهمت للمرة الأولى السبب الذي

يجعل الكثير من البشر العقلانيين، يعجزون عن مقاومة هدير الغابة السياسية.

رافقت جاييلز إلى الطابق الأول حتى تتمكن من مشاهدة أعضاء حزب المحافظين وهم يدخلون غرفة اللجنة رقم 7 للإدلاء بأصواتهم، فلم يكن هناك أي مؤشر يدل على وجود أي من المرشحين الخمسة، فقط أتباعهم يتجولون في القاعة، محاولين إقناع الذين يتربدون في اللحظة الأخيرة، بأن مرشحهم سيفوز بالتأكيد.

عند الساعة السادسة، أغلق باب غرفة اللجنة رقم 7 حتى يتمكن رئيس اللجنة من عد الأصوات.

بعد خمسة عشر دقيقة، وحتى قبل أن يحظى إدوارد دوكان بفرصة إعلان النتيجة، ارتفعت الهتافات من داخل غرفة اللجنة، فصمت جميع من يقف في الممر منتظرین الأخبار.

"فازت!" دوت الصرخات مثل تأثير سقوط قطع الدومينو، فتكسرت الكلمات مرازاً وتكرازاً حتى وصلت إلى حشود في الشارع خارج المجلس، فدعى إيمان لانضمام إلى الفائزة لتناول مشروب احتفالي في غرفتها.

قالت تاتشر بعد أن رفعت نخب إيري نيف زعيم المعارضة الجديد: "لم أفز فعلينا بعد، علينا لا ننسى أنها كانت الجولة الأولى فقط، ولا بد أن ينافسني شخص آخر، حينها لن نكتشف فقط إن كانت المرأة تستطيع أن ترأس حزب المحافظين، بل إن كانت تستطيع أن تصبح رئيسة مجلس الوزراء أيضاً، لنعد إلى العمل"، أنهت كأسها ولكنها ولم تسمح بملنه مجدداً.

في وقت لاحق، اتصلت إيمان بهاري لتشرح له سبب تفويتها آخر قطار متوجه إلى بريستول.

في رحلة العودة إلى الريف الغربي في صباح اليوم التالي، بدأت إيماء بالتفكير في أولوياتها وتنظيم وقتها، فقررت بجدية الاستقالة من منصب رئيس منطقة رابطة المحافظين إذا انتخب تيد هييت رئيساً مجدداً، ولكنها تراجعت عن قرارها وقررت البقاء في منصبها، وبعد أن أشادت بقضية مارغريت تاتشر، عليها الان أن تبقى في منصبها حتى بعد الانتخابات العامة المقبلة، ولكن كيف يمكنها التوفيق بين منصب رئيس مجلس إدارة بارينغتون ونائب رئيس مجلس الإدارة ومسؤولياتها تجاه الحزب، بينما هناك أربع وعشرون ساعة فقط في اليوم؟ كانت لا تزال تتصرّع كل هذه الأفكار في رأسها عندما ترجلت من القطار في تيمبل ميدز وانضمت إلى طابور سيارات الأجرة.

لم تكن قد وجدت حلاً عندما ترجلت من سيارة الأجرة خارج القصر.

وعندما فتحت الباب الأمامي، فوجئت بهاري يخرج مسرعاً من مكتبه خلال جلسة الكتابة. سأله: "ما الأمر يا عزيزي؟".

وهي تفكّر في أنه لا بد أن هنالك أخباراً سيئة. "اتصل نيك كالديركروفت ثلاث مرات، وطلب أن تتصل بي فور عودتك".

التقطت إيماء سماعة الهاتف، وطلبت الرقم الذي كتبه هاري على اللوحة المجاورة للهاتف الموضوع في القاعة.

أجاب نيك بعد رنة واحدة فقط. "مرحباً أنا إيماء".

استمعت بعناية إلى ما قاله الرئيس.

قالت له في النهاية: "أنا أسفه جداً يا نيك، بالطبع
أفهم لماذا تشعر بأنك مضطراً إلى الاستقالة".

سيباستيان كليفتون

1975

29

راشيل: "اتصلت سيدة تدعى دكتور وولف تريد التحدث إليك، وهي على الخط الأول".

على الرغم من أن سيباستيان لم يتحدث إلى السيدة وولف منذ فترة طويلة من الزمن، إلا أن اسمها ما كان من الممكن أن ينساه.

"سيد كليفتون، أتصل بك لأنني أعتقد أنك ترغب في معرفة أن جيسيكا قد رسمت العديد من اللوحات الرائعة التي ستعرض في معرض نهاية الفصل الدراسي في المدرسة، وهي تثبت أنها تستحق منحتك الدراسية بجدارة، وبالخصوص أن من بينها لوحة أعتبرها استثنائية حقاً، تسمى أبي".

"متى يقام المعرض؟".

"في نهاية هذا الأسبوع، وهو يفتح مساء الجمعة ويستمر حتى يوم الأحد، ولكنني أدرك أن السفر سيكون شاقاً وطويلاً من أجل مشاهدة نصف ذرية من اللوحات فقط، لذلك أدرجت قائمة المعروضات في المنشور".

"شكراً جزيلاً لك، هل من بين لوحات جيسيكا ما سيعرض للبيع؟".

"جميع لوحاتها معروضة للبيع، وقد قرر الأولاد هذا العام التبرع بالعائدات لمؤسسة الصليب الأحمر الأميركي".

قال لها سيباستيان: "حسناً، سأشتري اللوحات كلها".

"أخشى ألا يكون ذلك ممكناً، سيد كليفتون، فقد

يعتبر الآباء الآخرون إذا تم بيع أي من اللوحات قبل افتتاح المعرض، وهذه القاعدة لست على استعداد لمخالفتها".

"في أي وقت يفتح المعرض أبوابه؟".

"عند الساعة الخامسة من يوم الجمعة".

فتح سيب مذكرته وتفقد ما لديه من مخطوطات لعطلة نهاية الأسبوع، فكان فيكتور قد دعاه إلى ملعب وايت هارت لين لمشاهدة مباراة تجمع بين فريقي توتنهام وليفربول، كما أن الحال جايلز دعاه إلى حفلة مشروبات يقيمها في لوردن، فكان القرار صعباً، وبعد أن تردد قليلاً، حسم أمره، وقال لها: "سأتي صباح الجمعة، لكنني لا أريد أن تعرف جيسيكا أو والدتها أني سأكون في المدينة، بينما لا يزال زوجها على قيد الحياة".

ساد صمت طويلاً قبل أن تقول الدكتور وولف: "لكن السيد بريور توفي منذ أكثر من عام، سيد كليفتون، أنا آسفة جداً، اعتقدت أنك تعلم بذلك".

ضيق سيباستيان وسقط على كرسيه خائراً القوى، كما لو أنه تلقى لكمات قوية من ملاكم من الوزن الثقيل، وحاول جاهداً التقاط أنفاسه واستجماع قواه للعثور على الكلمات المناسبة.

"أعتذر، لكن..."

"لا داعي للاعتذار، دكتور وولف، ومع ذلك لا أزال أفضل ألا تعرفا بقدومي".

"كما تشاء، سيد كليفتون".

رفع سيباستيان رأسه، فرأى سكريترته تقف أمام الباب، وهي تلوح له بقوة، فقال لها: "يجب أن أنهي الاتصال، يا دكتور وولف، فقد طرأ أمرٌ ما، شكرًا لك على اتصالك، وأنا أتطلع إلى روبيتك في عطلة نهاية

الأسبوع".

ثم أغلق سماعة الهاتف.

"راسيل، أنا مسافر إلى واشنطن صباح يوم الجمعة، وربما أعود يوم الأحد، لذا سأحتاج إلى تذكرة سفر في الدرجة الأولى، و1500 دولار نقداً، وأن تحجز لي غرفة في فندق مايفلاور من فضلك، ثم صمت سيب لفترة وجيزة، وقال: "ما سبب تلك النظرة المرتبكة على وجهك، راسيل؟".

"لقد وصل السيد هاردنكاسل قبل خمس عشرة دقيقة برفقة فيكتور كوفمان، وهما في انتظارك في مكتب رئيس مجلس الإدارة حتى يتم توقيع المستندات".

"بالطبع، كيف لي أن أنسى مراسم التوقيع؟"، خرج سيب من الغرفة راكضاً، وانطلق عبر الممر، ثم اقتحم مكتب رئيس مجلس الإدارة، فوجد كلاً من حكيم بشارة وفيكتور كوفمان وأرنولد هاردنكاسل مستغرقين في قراءة وثائق الاندماج.

"أعتذر، أيها الرئيس، فقد تلقيت مكالمة غير متوقعة من الولايات المتحدة".

قال حكيم: "لا مشكلة، سيب، بالمناسبة، هل سبق أن شجنت؟".

سأل سيب وهو يبتسم ابتسامة متکلفة: "هل يتخلل طرح هذا السؤال خدعة؟".

قال أرنولد هاردنكاسل: "لا، بالتأكيد ليست خدعة". على الرغم من أنه مجرد إجراء شكلي بالنسبة إليك، إلا أنه أحد الأسلحة الأساسية التي يطرحها مصرف إنجلترا كلما تم تقديم طلب للحصول على رخصة مصرفيّة جديدة".

قال سيب: "لا، لم أسجن مطلقاً".

قال أرنولد: "حسناً، لم يبق علينا إلا أن يقوم السيد بشاره والسيد كوفمان بالتوقيع على الوثائق الثلاث، أما السيد كليفتون فسيوقع بصفته شاهداً". لقد شعر سيب بالرضا لأن أرنولد هاردنكاسل لم يفكّر أبداً في أن يسميه باسمه المسيحي في أثناء وجودهما في مكتب الرئيس، على الرغم من أنهما كانا صديقين مقربين، ويجمع بين عائلتيهما علاقة قديمة، بالإضافة إلى أن أرنولد كان المستشار القانوني للشركة بحسب ما يتذكّره سيب، ثم استرجع ذكري والده الراحل، الذي لم يطلق عليه اسم سيدري克 أبداً.

قال فيكتور: "قبل أن أتخلى عن مخاوفي، أيمكن أن يكون السيد هاردنكاسل صبوزاً بما يكفي، فيشرح لي مرة أخرى الآثار المترتبة على توقيعي هذه الوثيقة، وهو ما كان يصرّ أبي دوماً على معرفته".

قال أرنولد: "لقد كان محظياً تماماً، أما بالنسبة إلى مخاوفك فأنت تعلم بأن والدك كان يمتلك 51 في المئة من أسهم مصرف كوفمان، وعندما توفي ورثتها منه، ما جعلك مالك معظم الأسهم، لذلك اتصل بك السيد كليفتون، باسم مصرف فارزنغرز ليقترح عليك دمج المصارف، وبعد فترة طويلة من المفاوضات، تم الاتفاق على أن تصبح مساهمًا بنسبة 25 في المئة في المصرف الجديد، مصرف فارزنغرز كوفمان، وعضوًا في مجلس الإدارة، إلى جانب الاحتفاظ بمنصبك بصفتك رئيساً لقسم الصرافة للأجانب، وهو منصب شغله في مصرف كوفمان على مدى السنوات الثمانية الماضية، كما تم الاتفاق على استمرار السيد بشاره رئيساً لمجلس الإدارة، والسيد كليفتون رئيساً تنفيذياً".

سأله فيكتور: "هل هناك ما ينبغي أن أقلق بشأنه؟".

قال هاردى كاسل: "ليس على حد علمي، وما إن تقوموا أنتم الثلاثة بتوقيع وثيقة الاندماج، يتبعين عليكم انتظار موافقة مصرف إنكلترا، وقد أكد مسؤول الامتثال في البنك أنه مجرد إجراء شكلي، ويتوقع أن يتم إتمام الأوراق خلال شهر".

قال فيكتور: "لو كان والدي حيا لسره أن يرى مصرفينا يندمجان، أين أوقع؟".

وقع حكيم بشارة باسم مصرف فارذنفرز، وفيكتور كوفمان باسم مصرف كوفمان الوثائق الثلاث، كما وقع سيباستيان عليها بصفته شاهدا، وما إن جمع أرنولد جميع الوثائق الموقعة، ووضعها في حقيبته، حتى سار حكيم إلى خزانة المشروبات، وفتح ثلاثة صفيحة وأخرج منها زجاجة شمبانيا، ثم قام بنزع سداده الزجاجة وصب ثلاثة كؤوس، وقال: "نخب فارذنفرز كوفمان، فربما لن يكون أكبر مصرف، ولكنه سيكون بالتأكيد المصرف الأحدث على الإطلاق".

ضحك الثلاثة معا، ورفعوا كؤوسهم قائلين: "نخب فارذنفرز كوفمان".

الرئيس: "حسنا، لنعد إلى العمل".

"ما التالي في جدول أعمالك؟".

هاردى كاسل: "لدى كلايف بينغهام موعد للقائك بعد نصف ساعة، ومناقشة بيان صحفي يعمل عليه، وعلى الرغم من أن الجميع في سكوير مایل يعتبرون أنها صفقة منتهية، ولكنني ما زلت أود تغطية الصحافة المالية الاندماج تغطية شاملة، وقد أخبرني كلايف بأن كلًا من فاينانشال تايمز وآيكونوميست قد طلبتا إجراء تحقيق صحفي عن حياتك".

"لا يغيب عن بالي التفكير في أنه قبل أقل من عقد

من الزمن، قد رفض مصرف إنكلترا منحي رخصة مصرفية ثانوية".

قال سيب: "لقد قطعنا جميغاً شوظاً كبيزاً في تحقيق أهدافنا منذ ذلك الوقت".

حكيم: "لقد قطعناه بالفعل، والاندماج بين مصرفينا هو المرحلة التالية التي خططت لها". فيكتور: وهو يرفع كأسه للمرة الثانية: "أوافقك في الرأي تماماً".

قال رئيس مجلس الإدارة متجاهلاً رفع كأسه: "سيب، يبدو أنك مشغول بالبال قليلاً".

"لا، سيدي الرئيس، ولكن يجب أن أخبرك بأنني سأسافر إلى واشنطن صباح يوم الجمعة، وأتوقع أن أعود إلى المكتب صباح يوم الاثنين".

رفع حكيم حاجبه، وهو يسأله: "استعد صفقه ما لا أعلم بها؟".

"لا، وإنما أفكّر في شراء بعض اللوحات الفنية".

قال حكيم: "تبدو صفقه مثيره للاهتمام"، ولكن سيب تجاهل تعليقه، فأضاف حكيم قائلاً: "سأسافر غداً إلى لاغوس، من أجل لقاء وزير النفط، لأن الحكومة ت يريد بناء ميناء أكبر للتعامل مع طلب العديد من ناقلات النفط الأجنبية بعد اكتشاف عدد من حقول النفط قبالة الساحل النيجيري، وقد اختارت مصرف فارذنفرز- عذراً، فارذنفرز كوفمان، ليكون مستشاراً ماليًا لها، وأمل أن أعود إلى مكتبي يوم الاثنين على أبعد تقدير، مثلك يا سيب، وسيكون أمامنا أسبوع آخر حافل بالأعمال، لذا ستترك المصرف بين يديك فيكتور في أثناء غيابنا، وتأكد فقط من لا تحدث أي مفاجأة قبل عودتنا".

قال ديزموند ميلور ما إن قرأ البيان الصحفي: "إنها صفقة موفقة ومفاجئة، ولست متأكداً من أنه يمكننا القيام بأي عمل حيال ذلك".

جييم نولز: "ما حجم حصتنا من أسهم فارذنفرز كوفمان؟".

أدريان سلون: "نمتلك ستة في المائة من أسهم فارذنفرز، ولكن سيتم تخفيض النسبة إلى ثلاثة في المائة ما إن يتم الاندماج، وذلك لن يسمح لنا بالانضمام إلى مجلس الإدارة".

ديزموند: "على الرغم من أن ميلور ترافل قد مررت بعام آخر مزدهر، إلا أنني لا أملك النفوذ المالي لمجاراة بشاره".

نولز: "أخبرني أحد معارفي في مصرف إنكلترا، أنه يتوقع التصديق على الاندماج خلال الأسبوعين المقبلين".

سلون: "إلا إذا وجد مصرف إنكلترا سبباً يمنعه من التصديق عليه".

سأله ميلور: "ما السبب الذي قد يجعله لا يصدق عليه؟".

"إذا لم يتلزم المدير بإحدى القواعد القانونية للمصرف".

"أي قواعد تقصد يا أدريان؟".

"أنه لم يدخل السجن".

خرج سيباستيان من مطار دولس وانضم إلى طابور انتظار قصير للحصول على سيارة أجرة صفراء.

قال للسانق: "فندق مايفلاور، من فضلك".
لطالما استمتع سيب برحلته في السيارة من دولس إلى العاصمة.

إن الطريق طويل ومتعرج ويمتد بين الغابات المشجرة قبل عبور بوتوماك والمرور بأثار رخامية رائعة بناها الرؤساء السابقون، وقد بدت كما لو أنها معابد رومانية، فهيمنت على جمال المناظر الطبيعية، فلينكولن وجيفرسون وأخيراً واشنطن، وصولاً إلى الفندق.

أثارت ذاكرة الموظف إعجاب سيباستيان عندما قال له في مكتب الاستقبال: "مرحبا بك مرة أخرى، سيد كليفتون"، فقد سبق له أن أقام مرة واحدة في مايفلاور، وتابع قائلاً: "كيف يمكنني مساعدتك؟".

"كم يستغرق الوصول إلى مدرسة جيفرسون؟".
"خمس عشرة دقيقة، أو عشرين دقيقة على أبعد تقدير، هل أطلب لك سيارة أجرة؟".

تفحص سيب ساعته، فكانت قد تجاوزت الثانية من بعد الظهر بقليل، فقال له: "نعم، اطلب لي سيارة في تمام الساعة الرابعة وعشرين دقيقة؟".

"حسناً، عند الساعة الرابعة وعشرين دقيقة، يا سيدى، سأتصل بك فور وصول السيارة".

صعد سيب إلى الطابق التاسع، وعندما رأى البيت الأبيض من نافذته، أدرك أنه حصل على الغرفة نفسها التي أقام فيها سابقاً، فقام بتفریغ حقيبته الصغيرة، ثم وضع ألف دولار في خزنة الحافظ، فقد

افتفرض أنه مبلغ أكثر من كاف لشراء جميع لوحات جيسيكا، ثم خلع ملابسه واغتسل، وما إن استلقى على السرير ووضع رأسه على الوسادة حتى غفا. رن الهاتف، وما إن فتح سيب عينيه حتى حاول أن يتذكر ما كان يفعله في ذاك المكان، ثم رفع سماعة الهاتف.

"السيارة تنتظرك عند المدخل الأمامي، سيدي".

تفحص سيب ساعته، فكانت الرابعة وخمس عشرة دقيقة، ولا بد أنه استغرق في نوم عميق بعد أن أرهقته الرحلة الجوية اللعينة، قال له: "شكرا لك، سأنزل حالاً"، وارتدى بسرعة ملابس نظيفة قبل أن يتجه إلى الطابق السفلي. سأل سيب السائق: "هل يمكنك الوصول إلى المكان قبل الساعة الخامسة؟".

"يعتمد ذلك على مكان وجهتنا".

"آسف، إلى مدرسة جيفرسون".

"إذا لا داعي للقلق"، وانطلقت سيارة الأجرة وسط حركة المرور الخفيفة في ذاك الوقت من النهار قبل حلول المساء.

لقد سبق أن وضع سيب خطتين، فإذا رأى سامانثا أو جيسيكا عند وصوله إلى المدرسة، فسيتظر حتى تغادرا قبل دخوله إلى المعرض، ولكن إذا لم تكونا موجودتين فيه، فسوف يلقي نظرة سريعة على لوحات ابنته، ويختار ما يريد شراءه، ثم يعود إلى مايفلاور قبل أن تدركه أنه حضر.

توقفت سيارة الأجرة أمام مدخل المدرسة قبل الساعة الخامسة ببعض دقائق، فبقي سيب في المقعد الخلفي إلى أن شاهد والدين برفقة طفلهما، يتجهان نحو المبنى، فدفع أجرة السائق وترجل من السيارة، ثم تبعهم بحذر، وهو يتلفت يميناً ويساراً

طوال الوقت خوفاً من مصادفة أشخاص لم يشاً أن يلتقي بهم، وعندما دخل المبنى، استقبله سهم أحمر كبير يشير إلى رواق وأمامه عبارة معرض الفنون.

ظل يبحث في كل اتجاه، ولكن لم يكن هناك ما يشير إلى تواجدهما، وكان قد غرست أكثر من منه لوحة فنية، زينت الجدران بألوانها الزاهية وخطوطها الجريئة، ولكن لم يكن قد يحضر في تلك اللحظة سوى عدد قليل من الآباء الذين بدوا مهتمين بشكل واضح بجهود أبنائهم، فالالتزام سبب بالخطة الأولى، وجال بسرعة في أرجاء صالة العرض، ولم يكن من الصعب تمييز لوحات جيسيكا، واقتباساً من إحدى عبارات والده المفضلة التي تصف صديقه القديم في المدرسة، السيد ديكينز، لقد كانت من فئة مختلفة تماماً.

كان ينظر نحو الباب كل لحظة، ولكن نظراً إلى عدم وجود ما يدل على تواجدهما في المكان، بدأ يتفحص عمل ابنته بعناية أكبر، فعلى الرغم من أنها كانت في العاشرة من عمرها فقط، إلا أن لديها أسلوبًا خاصًا بها يميّزها عن غيرها، فقد كانت لمسات فرشاتها جريئة وواضحة، ولا أثر لقيامها بمحاولات ثانية لإنجازها.

ثم توقف أمام اللوحة التي تحمل عنوان والدي، فأدرك السبب الذي جعل الدكتورة وولف تجدها مميزة بشكل استثنائي، فهي تظهر رجلاً وامرأة يمسكان بيدي بعضهما - وقد أوحى له بتأثيرها بريئيه ماغريت- ولا يمكن أن تكون المرأة سوى سامانثا، ذات الابتسامة الدافئة والعينين اللتين تشغان لطفاً ورقه، والوحمة الصافية التي لن ينساها أبداً، أما الرجل فيرتدي بذلة رمادية وقميصاً أبيض ويضع ربطة عنق زرقاء، ولكن لم يتم رسم

الوجه، بل ترك فارغاً، فشعر بمزيج من المشاعر المتضاربة، من الحزن والفرح والفخر والذنب والندم، إلا أنه قد طفى الندم على مشاعره كلها.

تفقد سيباستيان الباب مرة أخرى، قبل أن يتجه نحو امرأة شابة كانت تجلس إلى مكتب، وخلفها غلقت لافتة مكتوب عليها المبيعات، فقلب صفحات الكتيب ليتفقد قائمة اللوحات المعروضة، ثم سأل عن سعر اللوحات التي تحمل الأرقام 9, 12, 18, 21, 37 و 52، فراجعت قائمتها، وقالت له:

"باستثناء اللوحة 37، تبلغ قيمة كل لوحة 100 دولار، وبطبيعة الحال، كل الأموال تعود إلى الجمعيات الخيرية".

"رجاء لا تخبريني بأن اللوحة رقم 37 قد بيعت بالفعل".

"لا يا سيدي، إنها لا تزال معروضة للبيع، ولكن سعرها يبلغ 500 دولار".

قال سيب وهو يخرج محفظته من جيبه: "سأشتري اللوحات الست كلها".

قالت المرأة، من دون أن تحاول إخفاء دهشتها: "المجموع 1000 دولار".

وما إن فتح سيب محفظته حتى أدرك على الفور أنه في أثناء إسراعه للحاق بسيارة الأجرة، ترك أمواله في خزنة الفندق، فسألها: "هل يمكنك أن تحجزيها باسمي؟ وسأضمن حصولك على المال قبل إغلاق المعرض بوقت طويل"، ولم يرد أن يشرح لها أن عدم تمكّنه من التوقيع على صك، لم يكن جزءاً من الخطة الأولى.

قالت له: "أنا أسفه، سيدي، ولكن لا يمكنني فعل ذلك"، وعندما شعر بيده تربت على كتفه تحمد في

مكانه، ثم التفت مذعوراً ليرى الدكتورة وولف
تبتسم له ابتسامة رقيقة.

وقالت بحزن: "أنسة تومكينز، لا مشكلة في ذلك".
"طبعاً، أيتها المديرة"، ثم نظرت مجدداً إلى
سيب، وقالت له: "ما الاسم الذي سأضعه على ورقة
المبيعات؟".

تدخلت الدكتورة وولف قبل أن يتمكن سيب من
الإجابة: "ضعها جميعها باسمي".

قال لها سيب: "شكراً لك"، ثم وجه كلامه إلى
الأنسة تومكينز قائلاً: "ومتنى يمكنني أخذها؟".

الأنسة تومكينز: "في أي وقت تريده من بعد ظهر
يوم الأحد، وقبل أن يغلق المعرض أبوابه في تمام
الساعة الخامسة".

قال سيب بعد أن التفت إلى الدكتورة وولف:
"شكراً لك مرة أخرى".

فقالت له: "جئت لأحدرك من قدوم سامانثا
جيسيكا، وهما الان في مرآب السيارات"، فنظر
سيب نحو الباب الذي كان السبيل الوحيد للخروج
من المكان، فقالت له الدكتورة وولف: "اتبعني،
وسوف أقودك إلى مكتبي".

قال سيب وهي تقوده إلى نهاية القاعة، وصولاً
إلى باب مكتوب عليه كلمة خاص: "شكراً جزيلاً".

ما إن أغلاقت باب مكتبها، حتى سألته: "لماذا لا
تدعني أخبر سامانثا بأنك تحفلت مشقة السفر
من أجل مشاهدة عمل جيسيكا بشكل خاص؟ فأنا
متأكدة من أنهما سيسعدان لرؤيتك كما ستشعر
جيسيكا بصدق محبتك لها ومدى اهتمامك بها".

"أخشى أن إخبارهما قد يكون مخاطرة كبيرة
لست مستعداً إلى مواجهتها في الوقت الحالي،

ولكن هل يمكنني أن أسألك عن مدى تقدم جيسيكا في المدرسة؟".

"كما ترى من خلال لوحاتها الرائعة التي اشتريتها للتو، فهي قد أثبتت أن المنحة التي قدمتها إليها تعتبر استثماراً حكيناً، وأنا على ثقة من أنها ستكون أول فتاة من جيفرسون تفوز بمنحة دراسية تقدمها الكلية الأمريكية للفنون"، فلم يستطع سيب إخفاء فخره بصفته والد جيسيكا، ثم تابعت قائلة: "من الأفضل أن أعود الآن قبل أن يبدأوا بالتساؤل عن مكاني، ويمكنك أن تتجه إلى نهاية الممر، سيد كليفتون، وستجد باباً خلفياً يؤدي إلى الفناء، لذلك لن يراك أحد وأنت تغادر، وإذا غيرت رأيك قبل يوم الأحد، فلديك رقم هاتفي، فقط اتصل بي، وسأقوم بكل ما في وسعي لتقديم المساعدة إليك".

صعد حكيم بشارة درجات الطائرة، وهو يشعر بأن رحلته إلى نيجيريا كانت مضيعة للوقت، فهو كان رجلاً صبوراً إلى أقصى حد، ولكن صبره قد نفد بعد أن جعله وزير الخارجية النيجيري ينتظر لخمس ساعات، وأخيراً عندما أعلن عن حضوره، بدا أنه ليس على علم بمشروع الميناء الجديد، فاقتصرح أن يجتمعوا مرة أخرى خلال أسبوعين، كما لو أن مكتبه في الجوار، وقد غادر بشارة بعد مرور خمس عشرة دقيقة، بعد أن تعهد الوزير بأن ينظر في الموضوع، قبل أن يعاود الاتصال به لاحقاً، ولكنه لم يكن يتربّق منه خيراً.

عاد إلى الفندق، ودفع حسابه، ثم غادر المكان، واستقلَّ سيارة أجرة إلى المطار.

عندما كان حكيم يستقلُّ الطائرة، كان يتطلع إلى أحد الأمرين، إما أن يجلس بجوار امرأة جميلة

كانت ستقضى بضعة أيام في مدينة غريبة عنها، أو بجوار رجل أعمال لا يصادفه عادةً في حياته اليومية، وقد يدفعه إلى فتح حساب لدى مصرف فارذنفر.

صحيح الاسم، فارذنفر كوفمان، وتساءل إلى متى سيستمز بنسيان الأمر.

على مر السنوات، كان قد أبرم ثلاث صفقات كبيرة مع من كان يجلس بجواره على متن الطائرة، كما التقى بعدد لا يحصى من النساء الحسنات، وقد حطمت قلبه إحداهن بعد قضاء خمسة أيام شاعرية في روما، عندما أخبرته بأنها متزوجة قبل أن تعود إلى موطنها.

شق بشارة طريقه نحو المقعد الثالث، وقد جلست في المقعد المجاور امرأة فائقة الجمال يصعب عدم تأمل جمالها، وب مجرد أن ربط حزام الأمان الخاص به، استرق النظر إليها فوجد أنها منشغلة بقراءة رواية كان هاري كليفتون قد أوصى بها، ولم يستطع تخيل كيف يمكن أن يشذ كتاب يتناول موضوع الأرانب أي قارئ.

كان حكيم يستمتع دانقاً بمحاولة معرفة جنسية الشخص وخلفيته ومهنته بمجرد النظر إليه، وهي مهارة تعلمها من والده الذي كان كلما حاول بيع سجادة باهظة الثمن لزيتون ما، يتتحقق من الأساسيةات، وهي ما يملكه من مجوهرات أو ساعة يد، وما يرتديه من ملابس، وما يتعلله من أحذية، أو من أي شيء آخر يجده غير عادي.

وقد دل الكتاب على الذكاء، كما دل خاتم الزواج أو على الأرجح خاتم الخطوبة على ثراء فاحش، وكانت تضع ساعة كلاسيكية من نوع كارتيرية تانك، ولم يعد يتم إنتاجها، أما بذلتها فكانت من إيف

سان لوران، وحذاها من هالستون، ومن الممكن أن يصفها أي مراقب لا يمتلك الخبرة بأنها امرأة مميزة، تشبه سكاي ماسترсон، بصفتها امرأة ممتنعة أنيقة. دلّ شكلها الأنثيق وشعرها الطويل الأشقر على أنها إسكندنافية.

كان يود أن يتحدث إليها، ولكن نظراً إلى أنها بدت منغمسة جداً في روایتها، إلى درجة أنها لم تنظر إليه أية نظرة تدلّ على إعانته انتباها، فضل أن يستغرق في نوم عميق بضع ساعات، على الرغم من أنه تسأله عما إذا كان سيندم على ذلك في وقت لاحق.

جالت سامانثا ببطء في أرجاء المعرض برفقة جيسيكا المتواترة على مقاربة منها.

"ما رأيك يا أمي؟ هل سيشترى أحد لوحاتي؟".
"حسناً، بداية سأشترى إحداها".

"هذا يبعث على الارتياح، فلا أريد أن أكون الفتاة الوحيدة التي لا تستطيع بيع أي لوحة".

ضحك سامانثا وقالت لها: "لا أعتقد أن هذه ستكون مشكلتك".

"هل لديك لوحة مفضلة؟".

"أجل، اللوحة رقم 37، أعتقد أنها أفضل ما أنجزته على الإطلاق"، كانت سامانثا تتأمل لوحة والدي عندما جاءت الانسة تومكينز ووضعت نقطة حمراء إلى جانبها، فقالت سامانثا وهي غير قادرة على إخفاء استيائها: "لكنني كنت أمل في شراء هذه اللوحة".

"آسفه جداً، سيدة بروير، ولكن لوحات جيسيكا بيعت كلها بعد بضع دقائق من افتتاح المعرض".

سألتها جيسيكا: "هل أنت متأكدة؟ لقد حذرت سعراً باهظاً وقدره خمسة دولارات مقابل تلك اللوحة للتأكد من أن أحداً لن يشتريها، لأنني أردت أن أقدمها إلى أمي".

قالت الانسة تومكينز: "كانت أيضاً اللوحة المفضلة بالنسبة إلى السيد، ولا يبدو أن السعر قد منعه من شرائها".

سألتها سامانثا بهدوء: "ما اسم هذا الرجل المحترم؟".

"ليس لدي أدنى فكرة، فقد جاء قبل افتتاح المعرض مباشرةً، واحتوى لوحات جيسيكا كلها"، ونظرت حول الغرفة، ثمتابعت قائلة: "يبدو أنه غادر".

قالت جيسيكا: "أتمنى لو أنني رأيته".

سألتها سامانثا: "لماذا؟".

"لأنه كان في إمكانني النظر إلى وجهه مباشرةً".

قالت إيلي ماي، وهي غير مصدقة ما سمعته: "ما قيمة المبلغ الذي حولته إليها؟".

اعترف سايروس قائلاً: " حوالي مليون ونصف دولار".

"لابد أن هذه أغلى ليلة في التاريخ، ولا أنوي أبداً أن أدع العاهرة الوضيعة أن تنجو بفعلتها".

قال سايروس: "لكنها سيدة".

"لن تكون السيدة الأولى التي تتعرف إلى مخادعة عندما ترى واحدة".

"ولكن لا يزال هناك احتمال أن يكون فريدي الصغير أبني".

قالت إيلي ماي: "لدي شعور بأن فريدي الصغير

ليس ابنها حتى".

"ماذا ستفعلين حيال ذلك؟".

"سأتأكد تماماً من أن تدرك الليدي فيرجينيا أنها لم تفلت من العقاب".

استيقظ حكيم من نومه العميق، فرمشت عيناه، وضغط على زر مسند ذراعه، فاستقام مقعده.

وبعد لحظات قدّمت إليه المضيفة قطعة قماش مبللة بمياه دافئة، ففرك بها عينيه وجبهته ومؤخرة رقبته على مهل، حتى شعر بأنه استعاد وعيه جزئياً. سأله المضيفة وهي تزيل قطعة القماش بملقط: "هل تريدين الفطور سيد بشاره؟".

"أريد عصير البرتقال وقهوة سوداء فقط، من فضلك".

نظر إلى المرأة الجالسة إلى يمينه، فاستطاع أن يرى أنه لم يعد لديها سوى بعض صفحات أخرى لإنها قرأت كتابها، لذلك قرر على مضض عدم مقاطعتها.

عندما أعلن الطيار أن الطائرة ستنهي خلال ثلاثة دقائق، اختفت المرأة على الفور في دورة المياه ولم تظهر لبعض الوقت، وقد استنتاج حكيم أنه لا بد أن يكون هناك رجل محظوظ ينتظرها في مطار هيثرو. كان حكيم يفضل دائمًا أن يكون من بين الركاب الأوائل الذين يغادرون الطائرة، خاصةً عندما كان يحمل حقيبة يد فقط، كي لا يحتجز في صالة الامتنعة، وكان سائقه ينتظره خارج مبنى المطار، وعلى الرغم من أنه كان يوم الأحد، إلا أنه ينوي الذهاب إلى المكتب والتعامل مع جبل من رسائل البريد الإلكتروني التي من المحتمل أن تكون قد

تراكمت على مكتبه من دون أن يتم الرد عليها، ومرة أخرى شتم وزير النفط النيجيري.

منذ أن أصبح مواطناً بريطانياً، لم يعد مضطراً إلى تحمل انتظار دوره في طوابير طويلة لغير المقيمين للتدقيق في الجوازات، فمشى بجوار الأمتعة التي توضع على طاولة لاستلامها قبل الخروج من المطار، ثم توجه مباشرةً إلى الممر لأنّه لم يشتري أي شيء في أثناء وجوده في لاغوس.

وما إن خطا أول خطوة في الممر حتى تقدم ضابط جمارك إلى الأمام وسد طريقه، وقال له:

"هل يمكنني تفتيش حقيبتك، يا سيد؟".

قال بشارقة وهو يضع حقيبته الصغيرة على سطح الطاولة المنخفضة: "بالطبع".

ظهر ضابط آخر ووقف وراء زميله الذي كان يفتش بشكل دقيق حقيقة حكيم، فكان كل ما وجده كيس غسيل وقميصين وبنطالين وزوجين من الجوارب، وهو كل ما يحتاج إليه المسافر في زيارة لا تدوم أكثر من يومين، وعندما فتح ضابط الجمارك جيباً جانبياً صغيراً نادراً ما يستخدمه حكيم، شاهد وهو في حالة ذهول الضابط يخرج كيساً من السلوفان المعبأ بمادة بيضاء، وعلى الرغم من أنه لم يتعاط المخدرات في حياته كلها، إلا أنه كان يعرف بالضبط ما يمكن أن يحتويه.

سأله الضابط: "هل هذا الكيس يخصك يا سيد؟"

أجاب حكيم بصدق: "لم أره في حياتي".

"يمكنك أن ترافقنا بهدوء، سيد".

ابتسم ديزموند ميلور عندما قرأ العنوان في صحيفة ديلي ميل: اعتقال مصرفي في أثناء عملية نفتيش عن الهيروين.

نظر إلى أديريان سلون بعد أن قرأ نصف المقال، وقال: "لا يمكن أن يكون هذا المقال أفضل من ذلك، أديريان، كما لو أنك كتبته بنفسك".

ألقى سلون نسخته من صحيفة ذا صن، وقال له: "أعتقد أنك ستتجد هذا المقال أفضل منه". المصرفي بشارة خلف القضايان. فضحك ميلور.

قال جيم نولز: "من المستحيل أن ينجو بعد أن تصدرت هذه العناوين صحف اليوم، حتى صحيفة الفايننشال تايمز وأقتبس كلامها: يؤكد مصرف إنكلترا أنه لم يتلق أي طلب لدمج مصرفي فارزندغز وكوفمان، ولن يصدر أية تصريحات حول هذا الأمر".

قال سلون: "بكلمات أخرى يقولون لا تزعجونا مجددا، فقد أغلقنا القضية".

قال ميلور: "يا لها من ضربة موقفة! هل لي أن أسأل كيف تمكنت من تنفيذ هذه الخطة المحكمة، أديريان؟".

"ربما من الأفضل لا تعرف التفاصيل، ديزموند، لكن ما يمكنني قوله هو أن المشاركين الرئيسيين عادوا بأمان إلى نيجيريا، بينما بشارة محتجز في سجن واندسورث، كما أنه لن يستطيع أن يستمتع بأي مكان أفضل منه خلال الأشهر القليلة المقبلة".

قال جيم نولز: "لن أكون متأكدا من ذلك، من المرجح أن يخرجه محاموه طليقا اللسان بكفالة".

قال سلون: "ليس إذا اتهم بشاره بالحيازة غير القانونية على مواد مخدرة من الدرجة الأولى بقصد الاتجار بها".

سأله نولز: "إذا وجد أنه مذنب، كم سنة يمكن أن يُسجن؟".

قال ميلور: "الحد الأدنى للعقوبة هو خمس سنوات، وفقاً لصحيفة التايمز، وأنا لست مهتماً بشأن الحد الأقصى، لأنني سأكون رئيس فارذنفرز قبل ذلك بوقت طويل".

"ماذا سيحدث لأسهم المصرفين في رأيك؟".

قال ميلور: "سوف تنهار، ولكن يجب أن نتوقف عن إطلاق النار لبضعة أيام حتى تصل إلى الحضيض، وهو الوقت الذي أنتوي فيه رفع نسبة أسهمي، قبل الانضمام إلى مجلس إدارة فارذنفرز، في أثناء إجراء المحاكمة، وسأظهر نفسي فارساً على حصان أبيض مستعد على مضمض إلى إنقاذ أصحاب الأسهم المحاصرين، وبعد إدانة بشاره، سأناول الدعم للعودة بصفتي رئيساً لفارذنفرز من أجل إنقاذ سمعة المصرف".

قال نولز: "من غير المرجح أن يجلس سيباستيان كليفتون مكتوف اليدين في أثناء كل هذه الأحداث".

قال ميلور: "سيبقى في الخارج حتى إدانة بشاره، وما أن أصبح رئيس مجلس الإدارة، سأكون أول من يتغاضف معه وأنا أقول له كم أنا أسف لأنه يتبعين عليه الاستقالة من منصبه".

كان سيباستيان جالساً على درجات نصب لنكولن التذكاري وهو يفكّر بعمق، مثل الرئيس السادس

كان سيعود إلى إنكلترا في ذلك الصباح لو سمحت له السيدة تومكينز بالحصول على لوحات جيسيكا، التي لم تكن على استعداد إلى التخلّي عنها والسامح لها بأخذها حتى ظهر يوم الأحد.

قرر العودة إلى المدرسة وإلقاء نظرة أخرى على لوحات جيسيكا، بعد أن أقنع نفسه بأنه من غير المحتمل أن تعود هي أو سامانثا بعد ظهر يوم السبت، أم أنه كان يأمل فعلاً في أن تفعل ذلك؟ في النهاية ترك لنكولن وذهب بحثاً عن جيفرسون.

استقلَّ سيارة أجرة أوصلته إلى المدرسة بحجة أن عليه سداد ثمن اللوحات في أسرع وقت ممكن، وعندما دخل قاعة المعرض، شعر بالارتياح لرؤيه عدد قليل من الآباء والأمهات، وكان يبدو واضحاً من كثرة اللوحات التي وضعـت نقاط حمراء إلى جانبها أن معظم الأهل قد حضروا افتتاح المعرض. كانت لا تزال إحدى الموظفات في مكانها خلف مكتبهـا، فمشى سيب نحو الانسـة تومكينز وسلمـها المبلغ نقداً.

قالـت له: "شكراً لك، وأنا متأكـدة من أنك ترحب في معرفـة أن العـديد من الأشـخاص أصـيبـوا بخـيبة أمل لعدـم تمـكـنـهم من الحصول على أيـ من لـوـحـات جـيـسيـكاـ، بـمـنـ فـيـهـمـ والـدـتهاـ التـيـ أـرـادـتـ شـرـاءـ لـوـحةـ اـبـيـ، وـقـدـ سـأـلـتـنـيـ عـنـ اـسـمـ اـشـتـرـاهـاـ، وـلـكـنـيـ بـالـطـبـعـ لـمـ أـسـتـطـعـ إـخـبـارـهـاـ باـسـمـكـ، لـأـنـنـيـ لـاـ أـعـرـفـهـ". اـبـتـسـمـ سـيـبـ، وـقـالـ لـهـ: "شكراً لكـ، وـإـذـ جـازـ لـيـ فـسـأـمـزـ بـعـدـ ظـهـرـ الـفـدـ لـأـسـتـلـمـهـاـ جـمـيـعـهـاـ".

أنـهىـ كـلامـهـ معـ الانـسـةـ تـومـكـينـزـ وـالـقـىـ نـظـرـةـ أـخـرىـ عـلـىـ لـوـحـاتـ جـيـسيـكاـ، وـقـدـ أـخـذـ وـقـتـهـ فـيـ درـاسـةـ الـأـعـمـالـ السـتـةـ التـيـ أـصـبـحـتـ مـلـكـهـ الـآنـ، وـبـارـتـياـحـ

تمام وتمرس أنهى تفحص اللوحات الخمس، إلى انتهى به الأمر إلى لوحة والدي التي قرر مسبقاً تعليقها فوق الموقد في شقته، وكان على وشك المغادرة عندما قال صوت رقيق خلفه: "هل تنظر إلى المرأة؟".

استدار سيباستيان ليرى ابنته التي عانقته في الحال، وهي تقول له: "لماذا تأخرت علي كل هذا الوقت؟".

كان من النادر أن يصاب سيباستيان بالذهول الذي يجعله يصمت صمتاً تاماً، ولكنه عجز عن النطق بأي كلمة، لذلك تشبت بها قبل أن تتراجع وهي تبتسم له ابتسامة عريضة، وتقول: "حسناً، يمكنك أن تقول شيئاً!".

تمكن أخيراً من القول لها: "أنت محققة، وأنا آسف جداً، فقد رأيتكم مرة واحدة خلال السنوات الماضية، ولكنني لم أتحل بالشجاعة لألقي عليك التحية، لأنني كنت أحمق".

قالت له جيسيكا: "حسناً، يمكننا على الأقل الاتفاق على ذلك، ولكن لكي تكون منصفين، فأمي تتحمل جزءاً من المسؤولية أيضاً"، أمسكت جيسيكا بيده وقادته إلى خارج القاعة، واستمرت بالدردشة كما لو أنهما صديقان قد يمان.

"في الواقع، إنها ملامة م تلك تماماً، فقد طلبت منها التواصل معك بعد وفاة زوجها".

"ألم تظئي أنه والدك؟".

"قد لا أكون بارعة في الرياضيات، ولكن يمكنني اكتشاف ذلك بسهولة، عندما أكون في السادسة من عمري، وتكون أمي قد تعرّفت إليه قبل خمس سنوات فقط".

ضحك سيب طويلاً.

"وبعد وفاة مايكل مباشرةً، أكدت لي أمي ما كنت أعرفه، ومع ذلك لم أستطع إقناعها بالتواصل معك".
تجولاً في الحديقة، وهما يمسكان بيدي بعضهما، ثم توقفا أمام متجر فاريل للمتاجر وشاركا الهوت شوكليت، وبينما كانت تتحدث عن صديقاتها ورسوماتها وخططها المستقبلية، كان يستمع إلى حديثها، وهو يتساءل بأسى، كيف يمكنه تعويضها كل السنوات الضائعة خلال ساعات قليلة.

في النهاية، قال وهو ينظر إلى ساعته: "لقد تأخر الوقت، ألن تفتقدك والدتك؟".

قالت وهي تضع يديها على وركيها: "سيbastian، أنا في العاشرة من عمرِي".

"حسناً، إذا كنت باللغة جداً، فما الذي تعتقدين أنه يجب علي فعله بعد ذلك؟".

"لقد فكرت في ذلك، سوف تدعوني أنا وأمي الليلة إلى العشاء في مطعم بيلفيدي، وقد حجزت مسبقاً لثلاثة أشخاص عند الساعة السابعة والنصف، وكل ما نحتاج إليه هو اتخاذ قرار ما إذا كنا سنعيش في لندن أو واشنطن".

"ولكن ماذا كان سيحصل لو لم أعد إلى المدرسة بعد ظهر اليوم؟".

"كنت واثقة من أنك ستعود".

"لكنني أنا نفسي لم أكن واثقاً من العودة".

"لم يكن الأمر نفسه بالنسبة إلي".

قال سيب: "يبدو أنك خططت لكل شيء".

"بالطبع، لقد كان لدى وقت طويل للتفكير في الأمر، ألا توافقني في الرأي؟".

"وهل توافقك والدتك على خططك؟".

"في الحقيقة، لم أخبرها بعد، ولكن يمكننا عرضها عليها الليلة، أليس كذلك؟".

"أخبرتني الدكتورة وولف أمس بأنه يمكنك الحصول على منحة دراسية للالتحاق بالكلية الأميركية للفنون".

"ستكون الدكتورة وولف فخورة بنفس القدر عندما أكون أول فتاة من جيفرسون تذهب إلى الكلية الملكية للفنون، على الرغم من أنني اعتقدت أنني سأذهب إلى سليد أولاً مثل عمتي جيسيكا تماماً".

"هل سيكون لي أو لأمك رأي في ذلك؟".

"لنأمل ألا يحصل ذلك، بعد أن قمتما بتخرير كل ما في حياتي حتى الان".
ضحك سيباستيان طويلاً.

قالت جيسيكا: "هل يمكنني أن أسألك إن كنت أرتفقي إلى مستوى توقعاتك"، وقد بدت غير واثقة من نفسها للمرة الأولى.

"أنت أكثر جمالاً وذكاءً مما كنت أتخيله، وماذا عن توقعاتك بالنسبة إلي؟"، سألها سيب وهو يبتسم.
قالت جيسيكا: "في الواقع أنا محبطة قليلاً، فقد اعتقدت أنك ستكون أطول وأكثر وساماً، مثل شون كونري".

انفجر سيب ضاحكاً، وقال لها: "أنت أكثر طفلة مبكرة في النضوج قابلتها على الإطلاق".

"ستكون سعيداً لسماع أن أمي توافقك في الرأي، إلا أنها تستبدل كلمة طفلة بكلمة شقية، وأنا متأكدة من أنك ستلقيبني بالشقية أيضاً بمجرد التعرف إلى بشكل أفضل، والآن يجب أن أذهب، فلدي الكثير لأخبر أمي به، وأنا أتطلع إلى ارتداء فستان جديد

الليلة، اشتريته بشكل خاص لهذه المناسبة".
"حسناً، أين سنتناول العشاء؟".

"في مطعم بيلفيديري، عند الساعة السابعة والنصف".

عانته جيسيكا واجهشت بالبكاء.
سألها: "ما الأمر؟".

"لا شيء، ولكن حاول أن تحضر في الموعد المحدد هذه المرة".

"لا تقلقي، سأكون في الموعد".
جيسيكا: "الأفضل لك أن تكون في الموعد"، ثم تركته مسرعة.

جلس المحامي السيد أرنولد هاردى كاسل قبالة حكيم بشاره في غرفة صغيرة في سجن واندسوورث، وقال له:

"سأقول شيئاً، لم يسبق لي أن قلته لموكلي من قبل، على الرغم من أن واجب المحامي تقديم أفضل دفاع عن موكله سواء أكان يعتقد أنه مذنب أو بريء، كما أريدك أن تعلم أنه ليس لدي أدنى شك ببراءتك، وأنني واثق من أن أحدهم قد أوقع بك، ومع ذلك يجب أن أحذرك من أنه بسبب المبادئ التوجيهية الجديدة للحكومة بشأن حيازة المخدرات من الدرجة الأولى، لن يكون أمام القاضي خيار سوى رفض طلب الكفالة".

"وكم سيستغرق وصول قضيتي إلى المحاكمة؟".
"على الأقل أربعة أشهر، وعلى الأكثر ستة أشهر، ولكن كن على يقين من أنني سأفعل كل ما في وسعني لتسريع البدء بالمحاكمة".

"خلال هذه الفترة سأكون محتجزاً في هذا

السجن، بينما يكون المصرف على شفير الإسلاف".
"دعنا نأمل ألا يحدث ذلك".

قال له بشاره: "هل قرأت صحف الصباح؟".
واردف قائلاً: "إن الوضع سين للغاية، وعندما يفتح السوق غداً، ستنقض النسور على الفريسة وتنهش لحمها من دون بذل أي جهد، هل هناك أي أخبار جيدة؟".

"اتصل بي روس باكتان الليلة الماضية، وأبلغني بأنه سيكون سعيداً بأن يحل محلك مؤقتاً إلى أن يصدر الحكم ببراءتك، وقد أصدر بياناً صحفياً يعلن فيه بأنه ليس لديه أدنى شك في براءتك من كل التهم المنسوبة إليك".

قال حكيم: "هذا الموقف النبيل متوقع من هذا الرجل، وأنا أقبل بعرضه".

"سنحتاج أيضاً إلى سيباستيان في مكتبه عندما يفتح السوق".

"إنه في واشنطن الآن، وقد اتصلت بالفندق الذي يقيم فيه عدة مرات، ولكنه لم يكن في غرفته، وقد تركت له رسالة، طلبت فيها الاتصال بي بشكل عاجل، هل هناك شيء آخر أستطيع فعله؟".

"نعم، أرنولد، أنا بحاجة إلى أفضل محقق خاص صادفته على الإطلاق، كي يتعقب أثر المسؤولين عن وضع الهيرويين في حقيبتي، على أن يكون شخصاً لا يعرف الخوف، ولا تعيقه عن إتمام مهمته الظروف الصعبة التي قد تواجهه".

"كبير المفتشين باري هاموند هو الاسم الذي يتبادر إلى الذهن على الفور، ولكنني فقدت الاتصال به منذ أن ترك الشرطة".
"هل تقاعد؟".

"لا، لقد استقال بعد اتهامه بتلفيق أدلة لزعيم عصابة، كاد يفلت بارتكاب جريمة قتل بكل معنى الكلمة".

"كيف التقيت به؟".

"كنت محامي الدفاع عنه في أثناء المحاكمة، وقد أثبتت براءته من تلك التهمة، ولكنه استقال من عمله في اليوم التالي".

"حسناً تعقب أثره، لأنني بحاجة إلى مقابلته في أقرب وقت ممكن".

"سأتفق أثره على الفور، هل تريد أي شيء آخر؟"
"تواصل مع سيباستيان".

سار سيب على مهل في طريق عودته إلى الفندق، وهو يفكّر في كل تلك السنوات الضائعة، وكيف يستطيع تعويض ابنته منها، مهما كانت التضحيات التي عليه أن يقدمها من أجلها، وتساءل حول احتمال أن تمنحه سامانثا فرصة ثانية، وهل ستكون جيسيكا على حق وسيكونون مستعدين إلى العيش في لندن حقاً؟ الليلة ستكون بمتابعة موعد أول، وهو يظن أن سامانثا ستكون متوفرة تماماً كما يشعر الان، وفي النهاية قد توفي زوجها مؤخراً، ولم يكن لديه أدنى فكرة حول موقفها من مقابلته من جديد.

عندما دخل سيب الفندق، توجه إلى مكتب الاستقبال، وسأل الموظف: "كم يستغرق الوصول إلى مطعم بيلفيدير؟".

"إنه قريب من الفندق، سيدي، لن يستغرق أكثر من بعض دقائق، هل حجزت مكاناً؟ لأن الأماكنة بالتأكيد محجوزة بالكامل ليلة السبت".

قال سيب بثقة تامة: "نعم، لقد حجزت مسبقاً."

"لدي رسالة عاجلة لك، يا سيد كليفتون، من السيد أرنولد هاردقاسل، وقد ترك رقمًا للاتصال به فور عودتك، فهل أجري الاتصال وأحوال المكالمة إلى غرفتك؟".

قال سيب: "نعم، من فضلك"، ثم توجه إلى أقرب مصعد، وهو يشعر بالقلق، لأن أرنولد لم يسبق أن استخدم كلمة عاجل من قبل، فما الذي يمكن أن يكون قد طرأ فجأة؟ هل فشل في التوقيع على إحدى صفحات وثيقة الاندماج؟ هل غير فيكتور رأيه في اللحظة الأخيرة؟ وبعد وصوله إلى غرفته، انتظر بعض لحظات قبل أن يرئ الهاتف.

"سيbastian كليفتون".

"سيب، الحمد لله، لقد تمكنت من الوصول إليك أخيراً".

"ما المشكلة، أرنولد؟".

"أخشى أن لدى بعض الأخبار السيئة".

استمع سيب مصعوقاً، بينما كان أرنولد يخبره بكل ما جرى مع حكيم منذ أن نزل من الطائرة في هيثرو.

قال سيب غاضباً: "إنها مكيدة بالتأكيد، الأمر بسيط وواضح".

قال أرنولد: "هذا ما قلته بالضبط، ولكنني أخشى أن القضية ليست بهذه السهولة، وهي بالتأكيد ليست بسيطة، لأن الأدلة كلها ضده".

"أين هو الان؟".

"إنه في زنزانة في واندسورث، وهو يرى أن عليك أن تعود في الحال إلى مكتبك قبل أن يفتح السوق صباح الاثنين".

"بالطبع سأعود، سأعود بأول رحلة إلى هيثرو"، أغلق سماعة الهاتف، واتصل بمكتب الاستقبال، وقال للموظف: "سأغادر الفندق خلال النصف ساعة القادمة، فأرجو منك تجهيز حسابي، وحجز تذكرة سفر في أول رحلة طيران متوجهة إلى لندن، وإن كان في إمكانك البحث عن رقم السيدة مايكيل بروير، والاتصال بها، وتحويل المكالمة إلى غرفتي". حزم سيب أمتعته بسرعة، ثم تحقق من أنه لم ينس شيئاً، وبينما كان يغلق سحاب حقيبته، رن الهاتف مرة أخرى، فقال له الموظف: "أنا آسف، يا سيدي، لكن رقم السيدة مايكيل بروير غير مدرج في الدليل".

"إذا اتصل بالدكتورة وولف مديره مدرسة جيفرسون الابتدائية، ثم حول المكالمة فوراً". كان سيب يمشي في الغرفة جيئةً وذهاباً، بانتظار المكالمة، لأنه إذا استطاع التحدث إلى الدكتورة وولف، فباتتأكيد سيكون لديها رقم سامانثا. رن الهاتف مرة أخرى.

"إنها لا تجيب عبر هاتفها، سيد كليفتون، والطائرة التي ستتسافر على متنها سوف تقلع خلال ساعتين فقط، لذلك عليك أن تسرع، لأن جميع رحلات لندن الأخرى محجوزة بالكامل".

"حسناً، سأحتاج إلى سيارة أجرة لإيصالني إلى دولس".

لم يلاحظ سيب هذه المرة الآثار العظيمة أو نهر بوتوماك سريع التدفق أو الغابات الكثيفة الأشجار، وهو في طريقه إلى المطار، لأن عقله كان منشغلًا بحكيم المسجون في الزنزانة، إلا أنه قبل فكرة أنه لم يعد هناك أي معنى من تسليم أرنولد أوراق الاندماج إلى مصرف إنكلترا، بعد أن تذكر سؤال

حكيم الذي لم يثير قلق أي واحد منهم في ذلك الوقت، هل سبق لك أن سجنت؟ وتساءل عن يمكن أن يكون قد خطط لهذه المؤامرة الدينية، فخطر في باله أدریان سلون على الفور، ولكن الاكيد أنه لم يفعل ذلك بمفرده.

تفحص سيب ساعة يده، فرأى أنها أصبحت الساعة 7:30 مساءً، وعندما تذكر موعده الذي كان يفترض أن يلتزم به، أدرك أن جيسيكا ستظطر أنه خذلها مرة أخرى، ولن تصدق أبداً أن سبب تخلفه عن الموعد يمكن أن يكون أكثر أهمية، فدفع لسائق السيارة الأجرة، وتوجه بسرعة إلى المحطة النهائية، وسجل وصوله، ثم توجه مباشرةً إلى صالة درجة رجال الأعمال، ودخل كشك الهاتف الوحيدة المتاحة له، وأدخل عملة نقدية في الثقب، واتصل بدليل الهاتف.

"هذا هو النداء الأول للركاب المسافرين إلى لندن، هيترو، على متن رحلة الخطوط الجوية البريطانية 755، توجهوا من فضلكم...".

"إنه مطعم في واشنطن يدعى بيلفيديري"، وبعد لحظات أعطته الموظفة رقم المطعم، فاتصل على الفور، ولكن الخط كان مشغولاً، فأسرع إلى إحضار تذكرته، قبل أن يحاول الاتصال مرة أخرى، وبعد بعض دقائق اتجه راكضاً إلى كشك الهاتف، واتصل بالمطعم مرة أخرى، وهو يأمل في أن يتاخر إقلاع الطائرة.

ولكن الخط لا يزال مشغولاً.

"هذا هو النداء الأخير للركاب المسافرين إلى لندن، هيترو، على متن رحلة الخطوط الجوية البريطانية 755، من فضلكم...".

أدخل العملات المعدنية مرة أخرى واتصل بالرقم،

وهو يصلّي الا يكون مشغولاً، فرحب به صوت انتوي كان مسجلاً مسبقاً، ثم تبعه رنين متواصل. فصرخ قائلًا: "هيا، ارفعوا السماعة، ارفعوا السماعة!".

"مساء الخير، هنا مطعم بيلفيديري، كيف يمكنني مساعدتك؟".

"أدعى سيباستيان كليفتون، ومن المفترض أن أتناول العشاء هذا المساء برفقة سامانثا وجيسيكا بروير".

"نعم، سيدي، لقد وصلت مدعوتاك وهما في الردهة بانتظارك".

"أريد التحدث إلى جيسيكا بروير، من فضلك أخبرها بأنه أمر طاري".

"بالتأكيد يا سيدي، سأطلب منها أن تأتي في الحال".

انتظر سيب قليلاً، لكن الصوت التالي الذي سمعه قال له: "من فضلك ضع خمسين سنتاً أخرى في الفتحة"، بحث في جيوبه عن الفكة، لكن كل ما استطاع إيجاده كان عشرة سنتات، فوضعها في الفتحة وبدأ يصلّي.

"مرحبا أبي، أنا جيسي".

"جيسي، مرحبا..." بيب، بيب، بيب.

"هل في إمكان السيد سيباستيان كليفتون المسافر إلى لندن- هيترو على متن رحلة الخطوط الجوية البريطانية 755، التوجه إلى البوابة رقم 14، لأنها على وشك الإغلاق".

عقد الأربعة اجتماعاً غير مجدول لمجلس الإدارة عند الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الاثنين، فجلسوا حول طاولة بلاستيكية مربعة الشكل في غرفة ضيقة تكون مخصصة عادة للاستشارات القانونية.

جلس روس باكنان على أحد طرفي المنضدة وإلى جانبه حزمة ملفات مكدسة على الأرض، وجلس حكيم بشارة قبالته وإلى يمينه يجلس أرنولد هاردى كاسل وإلى يساره سيباستيان.

قال له روس: "ربما ينبغي لي أن أعلمك - حتى الآن على الأقل - بأن أسهم فارذنفرز لم تفقد قيمتها بالقدر الذي كنا نخشاه".

قال حكيم: "لا شك في أن بيانك الصحفي غير المتوقع قد ساهم في الحد من تراجع قيمتها، بعد أن نشرته كل الصحف الصادرة يوم الأحد.

في الواقع إذا كان هناك ما سي Inquiry المصرف صاماً، فهو سمعتك العطرة في المدينة، يا روس".

قال سيب: "يبدو واضحاً أن هناك طرفاً ثالثاً متورطاً، وهو يشتري الأسهم المتاحة له".

حكيم: "أهو صديق أم عدو؟".

"لا أستطيع أن أكون متأكداً، ولكنني سأبلغكم بمجرد أن أكتشف هويته".

"هل تأثرت أسهم كوفمان؟".

سيب: "لقد ارتفعت قليلاً بشكل مفاجئ، على الرغم من أن فيكتور أوضح لكل من يسأل، على الأقل لمن يطرح عليه السؤال المتعلق بمصير المصرفين بشكل مباشر، أن الاندماج لا يزال قائماً، وأن والده الراحل كان معجبًا جداً بنزاهتك

واستقامتك".

قال حكيم واضعاً مرفقيه على المنضدة: "هذا كرم منه، ولكن كم عدد عملائنا الكبار الذين سحبوا حساباتهم؟".

"اتصل بعضهم معبرين عن قلقهم من الاتهامات التي وجهت إليك مشيرين إلى أنه لا يمكن لشركائهم أن تحافظ على الارتباط بتاجر مخدرات". سأله أرنولد قبل أن يتمكن حكيم من المداخلة: "وماذا أخبرتهم؟".

"أخبرتهم بأن السيد بشاره لا يدخن ولا يشرب، وهل يتصورون أنه من المحتمل أن يتاجر بالمخدرات؟".

قال حكيم: "ماذا عن عملائنا الصغار؟ هل سيسحبون أموالهم أيضاً؟".

قال سيب: "لقد نقل بعضهم حساباتهم بالفعل، لكن المثير للسخرية أن من بينهم بعض العملاء الذين كنت أحاول التخلص منهم منذ سنوات، ولكن لا شك في أنهم سيعودون جمیغاً زاحفين بمجرد إثبات براءتك".

قال حكيم وهو يضرب الطاولة بقبضته: " وسيجدون الباب مغلقاً في وجوههم"، ثم سأل أرنولد: "ماذا عن المحقق الخاص؟ هل تمكنت من تعقب أثره؟".

"أجل، سيدي الرئيس، لقد وجدته يلعب السنوكر في رومفورد، وقد قرأ عن القضية في نيوز أوف ذا وورلد وقال إن الأحاديث في الشارع تشير إلى أنها مؤامرة مدبرة، لكن لا يبدو أن أحداً يعرف من دبرها، وهو مقتنع بأنه لا يمكن أن يكون أياً من المشتبه فيهم الاعتياديين".

"متى سيأتي لمقابلتي؟".

"الساعة السادسة من مساء اليوم، ولكن كن حذرا، فباري هاموند ليس رجلا سهلا، وإذا قرر تولي المهمة، لا أود أن أكون من أوقعك بين يديه بك".

"ماذا تقصد من قولك إذا قرر أن يأتي؟ من يظن نفسه بحق الجحيم؟".

قال أرنولد بهدوء: "إنه يحتقر تجار المخدرات، حكيم، ويرى أنه يجب شنقهم جميعا في ساحة ترافالغار".

"إذا كان سيقترح إبني...، وضع سيسيستيان يده على ذراع حكيم، وقال له: "جميعنا نفهم ما تمز به، أيها الرئيس، ولكن عليك أن تبقى هادئا، وأن تدعنا أنا وروس وأرنولد نتحمّل الضغط عنك".

"أنا آسف، أنت محق، سيب، لا تظئوا للحظة إبني لست ممتنا لكم جميعا، سأتطلع إلى لقاء السيد هاموند".

قال له أرنولد: "سيقوم بطرح بعض الأسئلة المباشرة، وقد تكون مستفزة إلى حد ما، لذا عدني بأنك لن تفقد أعصابك".

"سأكون سلسا ومرئا، اطمئن".

سأله روس محاولا التخفيف من حدة مزاجه: "كيف تمضي وقتك في هذا المكان؟ فقد يكون خوض هذه التجربة ممتفا".

"قضيت ساعة في صالة الرياضة هذا الصباح، وهو ما ذكرني بأنني غير لائق بدنيا على الإطلاق، ثم قرات الفايننشال تايمز من الغلاف إلى الغلاف، وبعد ظهر يوم أمس أمضيت ساعة وأنا أطوف حول الساحة بصحبة اثنين من المصارفيين المتهمين بتلاعبهما بأسعار الأسهم، وفي المساء لعبت طاولة

الزهر مع أكثر من شريك".

سأله سيب: "هل فعلت ذلك مقابل المال؟".

"مقابل جنيه لكل مباراة، وهناك رجل متهم بعملية سطو مسلح، قد أخذ مني بعض الجنierات، وأنا أخطط لاستعادتها هذا المساء".

انفجر الزوار الثلاثة بالضحك.

سلون: "لقد حصلت على نسبة اثنين في المئة جديدة من أسهم فارذنفرز، لذلك يحق لك الان الانضمام إلى مجلس الإدارة".

ميلاور: "لقد تبيّن أن هذه الأسهم الإضافية كان ثمنها باهظاً أكثر مما توقّعت".

"هذا صحيح، ولكن الوسيط الذي أتعامل معه أخبرني بأن هناك لاعباً كبيراً يشتري الأسهم كلما أصبحت متاحة في السوق".

سأله نولز: "هل لديك أي فكرة عن هويته؟".

"ليس لدى أدنى فكرة، ولكن ذلك يفسر سبب عدم انخفاض الأسهم بالقدر الذي توقّعه، وإذا سمحت لي بتمثيلك في مجلس الإدارة، ديزموند، فسأكتشف بالضبط ما يجري، وبعد ذلك سأكون قادرًا على تزويد الصحافة بأنباء مفيدة وبانظام، وفي النهاية سوف ينعكس تأثيرها السلبي تدريجيًا على أعضاء المجلس الذين سنوقع بهم جميًعاً".

"هل ما زلت واثقًا من أنه لا يمكن أن أي شخص أن يكتشف ما نناقشه حول هذه الطاولة؟".

"أنا متأكد تماماً، فنحن الأشخاص الثلاثة الوحيدون الذين يعرفون ما يجري، وأنا الشخص الوحيد الذي يعرف مكان دفن الجثث".

بعد أن غادر سيباستيان المجتمع في سجن واندسوورث، عاد مسرغاً إلى المصرف ليجد راشيل واقفةً بجانب باب مكتبه.

"يريد اثنان وتلائون عميلاً للتحدة إليك شخصياً، وجميعهم يريدون ذلك بشكل عاجل".

"من لديه الأولوية القصوى؟".

"جيسي غولدميث".

"لكن المصرف لم يتعامل سابقاً مع السيد غولدميث".

"إنه صديق مقرب من السيد بشارة، فهما يتسكنان معاً في نادي كليرمونت".

"حسناً، سأتحدث إليه أولاً".

عادت راشيل إلى مكتبها، وبعد لحظات رنَّ هاتف سيب.

"سيد غولدميث، أنا سيباستيان كليفتون، كيف يمكنني مساعدتك؟".

"لقد سمعت أنك زرت حكيم في السجن اليوم، كيف حاله؟".

"إنه صائم".

"كما صمدت أسهمكم".

"إذا أنت اللاعب الكبير؟".

"دعنا نقل إبني أشتري الأسهم التي تنخفض بنسبة عشرة في المئة عن معدلها فقط".

"لكن لماذا تفعل ذلك يا سيد غولدميث؟ فقد يكلف ذلك ثروةً كبيرة".

"أقوم بذلك لسبعين، سيد كليفتون، أحدهما إبني عرفت بشارة منذ أيام الدراسة الجامعية، وهو مثلَي يحتقر الأشخاص الذين يتاجرون بالمخدرات".

"وما السبب الثاني؟".

"لنقل فقط إنني مدین له بالكثير".

"مع ذلك أنت تجاذف مجازفة كبيرة جداً".

"أعترف أنها مقامرة، ولكن عندما تظهر براءة حكيم، ولاأشك في أن ذلك سيحدث، فإن أسمهم البنك سترتفع، وعندما أبيعها سأجني ثروة".

"سيد غولدسميث، أتساءل عما إذا كان في إمكانك تقديم المساعدة لأجني ثروة أيضاً".

استمع غولدسميث بعناية إلى طلب سيباستيان.

سأله: "متى ستعقد اجتماع مجلس الإدارة الطارئ؟".

"صباح الثلاثاء عند الساعة العاشرة".

"سأكون في الموعد".

أمضى سيباستيان باقي اليوم وهو يحاول الرد على جميع المكالمات الهاتفية، فشعر وكأنه الصبي الهولندي الصغير الذي يضع إصبعه في السد، فهل سينفجر فجأة ويغرقهم جمیعاً؟ لقد استمع إلى الأسئلة نفسها مرازاً وتكرازاً، وحاول طمأنة كل عميل على أن حکيماً ليس بريئاً فحسب، بل إن المصرف بين أيدي أمينة أيضاً، وقد تفاجأ بمدى ارتياح عدد من الأشخاص الذين كانوا ثابتي الموقف، ويدعمون الرئيس بكل سرور، وكان قد أعد قائمتين، إحداهما بعنوان أصدقاء الطقس السيني والأخرى بعنوان أصدقاء الطقس المعتمد، وعند الساعة السابعة من مساء تلك الليلة، فاقت قائمة أصدقاء الطقس السيني قائمة أصدقاء الطقس المعتمد بأشواط.

كان سيب على وشك وصفه باليوم الحافل

بالمشقة، عندما رئ الهاتف مرة أخرى، ففَكَر في تجاهله والعودة إلى المنزل، ولكنه تراجع وتلقى المكالمة على مضمض.

راشيل: "إنه اللورد بارينغتون على الخط، هل أحوله إلى مكتبك؟".

قال لها سيب: "بالطبع".

"مرحبا، سيب، أنا أسف لزعاجك، فلا بد أنك مررت بيوم عصي للغاية، ولكنني تسألت إذا كان في إمكانك تخصيص بعض الوقت لمحادثتي".

كَزَر سيب كلامه قائلاً: "بالطبع".

"منذ فترة طويلة، عرضت علي الانضمام إلى مجلس إدارة بنك فارذنفرز، وأنا أتصلك بك لأسائلك ما إذا كان العرض لا يزال قائما".

عجز سيباستيان عن الكلام، ولم ينطق بكلمة.

"هل ما زلت على الخط، سيب؟".

لقد تمكَّن من النطق أخيراً، وقال له بِإيجاز: "نعم".

قال له جاييلز: "اعتبر أنه شرف عظيم لي أن أعمل تحت إشراف حكيم بشارة، إذا كان لا يزال يرى أنه يمكنني تقديم أي مساعدة".

وأخيراً عندما توقف الهاتف عن الرنين، قرر سيباستيان العودة إلى المنزل، على الرغم من أنه لا يزال هناك شخص يتبعين عليه الاتصال به، ولكنه رأى أنه من الأفضل التحدث إليها في مكان أكثر خصوصية، وهذا المكان في شقته.

في طريقه إلى المنزل في بيمليكو، شعر بالجوع لأنَّه لم يكن قد تناول طعام الغداء حتى الآن، إذ لم تُسْنَح له الفرصة لتناول الطعام في الخارج، وبالتالي لم يكن يشعر بالرغبة في أن يطهو بعد أن

أمضى يوماً شاقاً، لذلك توقف أمام مطعم للوجبات الجاهزة، واشترى بيتزا بطهم البيبروني كبيرة الحجم، وما إن ركز سيارته في مراقب المبنى الذي يسكن فيه، حتى تحول تفكيره إلى المشاكل التي سيواجهها في اجتماع الطوارئ غداً، بعد أن عاد أدريان سلون إلى مجلس الإدارة. دخل إلى مبنى بيمليكو، واستقل المصعد إلى شقته في الطابق التاسع، وعندما فتح الباب، سمع رنين الهاتف.

نظر حكيم بشارة عن كثب إلى الرجل الجالس إلى الطاولة أمامه مرة أخرى، وهو يلعب اللعبة التي علمه إياها والده، فكانت بذلة السيد هاموند ذات اللون الأزرق الداكن مخيطة بشكل متقن، ولكنها كانت جاهزة التصميم، وقد ارتدى قميصه الأبيض منذ أقل من ساعة، وكان الشعار على ربطة عنقه، يعود إلى نادي الركبي على الأرجح، كما يبدو أنه تم تلميع حذائه بواسطة شخص قد خدم في القوات المسلحة، وكان رأسه حليقاً، وجسده نحيفاً ورشيقاً، وعلى الرغم من أنه كان يبدو في منتصف الأربعينات من عمره، إلا أنه لن يرغب معظم من بلغوا الثلاثين من العمر في مواجهته على الحلبة، فانتظره حكيم حتى يتكلم، لأن الصوت يوحي إليه بالكثير من الدلائل.

"سيد بشارة، وافقت على رؤيتك لأنك صديق السيد هاردى كاسل فقط"، ثم استدار إلى يساره وأومأ إلى أرنولد إيماءة خفيفة، فهاموند رجل خشن الطبع من إسكس، ويواكب دواماً ما يجري في الشارع. واردف قانلا: "أنا مدين له بخدمة، فقد أنقذني من تهمة الحقن بي ظلماً، فهل أنت مذنب يا سيد بشارة؟"، سأله وهو يحدق إلى عيني حكيم البنيتين

الغامقتي اللون، كما لو كان ثعباناً يستعد إلى الانقضاض على فريسته.

استطاع حكيم سماع صوت سيب، وهو يدعوه إلى أن يظل هادئاً، فأجابه وهو يحذق إلى عينيه أيضاً: "لا، لست مذنباً، سيد هاموند".

"هل تعاطيت المخدرات من قبل، سيد بشاره؟".

قال حكيم بهدوء: "أبداً".

"إذاً لن تمانع في رفع كميک، أليس كذلك؟"، نفذ حكيم ما طلبه منه من دون أن يعترض.

تفحص هاموند ذراعي حكيم، وقال: "والآن ارفع بنطالك"، طوى ساقی بنطاله، وتابع قائلاً: "افتح فمك، أريد أن أتفحص أسنانك"، ففتح حكيم فمه، فأردف قائلاً: "على نحو أوسع"، دقيق النظر داخل فمه، وختم قائلاً: "حسناً، هناك شيء واحد مؤكد، سيد هاردى كاسل، وهو أنه لم يسبق لصديقك أن تعاطى المخدرات في حياته، لذلك اجتاز الاختبار الأول"، فتساءل حكيم عن الاختبار الثاني، قال هاموند: "الآن دعنا نكتشف ما إذا كان تاجزاً أم لا".

دفع سيباستيان الباب لإغلاقه، ووضع البيتزا على الطاولة، ثم رفع الهاتف، فتفاجأ بصوت لم يسمعه منذ سنوات يلقي عليه التحية.

قال لها سيب: "كنت على وشك الاتصال بك، لكنني فكرت في أنه من غير الحكمة الاتصال بالمكتب، في ظل الظروف الراهنة".

كزرت سامانثا بصوتٍ رقيقٍ لم ينسه سيب أبداً: "عن أي ظروف تتحدث؟".

"اخش أنها قصة طويلة".

ثم حاول سيب شرح ما حدث لبشاره بدءاً من

مكالمته الهاتفية التي لم يتمكن من إتمامها في مطار دولس، وعندما توقف أخيراً عن الكلام، لم يكن لديه أي فكرة عن رد فعل سامانثا.

قالت له سام: "يا له من رجل مسكين! أستطيع أن أتخيل ما يمر به".

قال سيب: "إنه كابوش مخيف، وأتمنى أن تجدي أن ما قمت به كان صائباً في ذلك الوقت".

"لو كنت مكانك لكونت اتخذت الموقف نفسه تماماً، على الرغم من أنني يجب أن أعتذر بأنني كنت أتطلع إلى رؤيتك".

"في إمكاني العودة إلى واشنطن يوم السبت، لحضور لوحاتي واصطحابك لتناول العشاء".

قالت له سام: "أقترح اصطحابنا معاً، فقد صنعت جيسيكا نموذجاً لك من البلاستيكين، وهي منذ الليلة الماضية تغرس فيه الدبابيس على مدار الساعة".

"ما تفعله ليس أكثر مما أستحق، هل أستطيع أن أتحدث إليها، أم أنها سترفض مكالمتي؟".

"لا تقلق، لدي شعور بأنه ما إن ينفذ ما لديه من دبابيس، فستتحدث إليك".

قال هاموند: "صف الشخص الذي كان يجلس إلى جانبك على متن الطائرة".

"كانت امرأة في الأربعين من العمر، أو ربما في الخامسة والأربعين، وهي أنيقة ومتزوجة...".

"كيف عرفت أنها كانت متزوجة؟".

"كانت تضع خاتم زواج أو خطوبة في إصبعها".

"ماذا يثبت ذلك؟"

"أنها غير متوفرة، فأنت على سبيل المثال مطلّق

حديثاً".

"ما الذي جعلك تفترض ذلك؟".

"هناك خط أبيض رفيع على الإصبع الثالث من يدك اليسرى، والذي تحاول أن تلتفه كما لو أنه لا يزال في إصبعك".

"ماذا كانت ترتدي؟".

"بدلة رسمية، ولا تضع مجواهرات أخرى باستثناء قرططين باهظي الثمن مرصعين بالألماس وساعة كارتيليه تانك".

"هل تحدثت إليها؟".

"لا، لقد أوضحت لغة جسدها بأنها لا تريد أن يزعجها أحد".

"هل تحدثت إلى أي راكب من الركاب الآخرين على متن الرحلة؟".

"لا، فقد كانت الرحلة مرهقة، ولا طائل منها، وكل ما أردته في ذلك الوقت هو النوم".

"سأحتاج إلى رقم الرحلة وتاريخ انطلاقها والوقت الذي حجزت فيه تذكرة سفرك، لأنه من الممكن أنها ت safar على هذا الخط بانتظام دون أرنولد الملاحظة".

قال حكيم باقتناع شديد: "لا يمكن أن تكون هي التي دبرت هذه المكيدة".

"هل تتذكر أي شيء آخر عنها؟".
"كانت تقرأ كتاب منحدر سفينة المياه وكانت تضع نظارة".

"ما جنسيتها؟".

"إنها اسكندنافية، وأعتقد أنها من السويد".
"ما الذي جعلك تظن ذلك؟".

"لا يوجد عرق آخر على وجه الأرض يمتلك شعراً طبيعانياً أشقر اللون كشعرها".

"الآن أريدك أن تفكّر ملياً قبل الإجابة عن سؤالي، سيد بشاره".

أو ما إليه حكيم برأسه موافقاً.

"هل يمكنك التفكير في أي أحد قد يستفيد من كونك مسجونة؟".

"لا أعرف من يمكنه فعل ذلك بالتحديد، لأن الكثيرون من الناس يحسدونني على نجاحي، ولكنني لا أعتبرهم أعدائي".

"هل هناك أي شخص يسعده أن يفشل الاندماج المقترن؟".

"عدة أشخاص، لكن بعد الذي مررت به خلال الأيام القليلة الماضية، لست على استعداد إلى اتهام أي شخص، قد يكون يتبيّن لاحقاً أنه بريء".
دون أرنولد ملاحظة أخرى.

"الآن يمكن أن يكون السيد كليفتون أو السيد كوفمان، على سبيل المثال؟ فلا تنس أنها صديقان منذ أيام المدرسة، وقد يرى أحدهما نفسه الرئيس المقرب، وقد أراد ذلك في وقت أسرع مما كان متوقعاً، إذا ابتعدت عن طريقهما من دون التعرض لأي خطورة".

"لا شك في أن أحدهما سيتوّلى في النهاية منصب رئيس مجلس الإدارة، ولكن يمكنني أن أؤكد لك، سيد هاموند، أنّهما جديران بالثقة بنسبة منة في المئة، وقد أثبتتا ولاءهما أكثر من مرة خلال الأيام القليلة الماضية، لا، سيد هاموند، عليك أن تبحث في مكان أبعد من ذلك".

"ماذا عن أعضاء مجلس الإدارة الآخرين؟".

"اما انهم كبار في السن، او انهم مشغولون جداً، او انهم يدركون جيداً انهم ليسوا على مستوى الوظيفة".

سمح أرنولد هاردى كاسل لنفسه بأن يبتسم.

"حسناً، هناك شخص ما في الخارج يريدك أن تظل مسجونة لفترة طويلة جداً، وإلا فلماذا قد يكون مستعداً لمواجهة الكثير من المتاعب من أجل إلقاء القبض عليك بجريمة لم ترتكبها؟".

"ولكن إذا كان هذا الشخص على متن الطائرة، وبالتأكيد كنت سأتعزّف إليه".

قال هاموند: "ما كان ليستقل الطائرة، وربما استخدم شخصاً بعيداً عن الشبهات، ويمكّنه الصعود على متن الطائرة وهو يحمل ثلاثة أونصة من الهيرويين من دون أن يشتبه به أحد".

قال حكيم: "لكن لماذا قد يفعل ذلك؟".

"الجواب على هذا السؤال يا سيد بشارة يكون عادة الجشع أو الخوف، وغالباً ما يكون المال هو الحافز، فإذا بسبب الدين قد استحق دفعه، أو بسبب الحاجة إلى دفع المال لأحد هم لإخفاء بعض المعلومات التي لا ينبغي الكشف عنها، ولكن لا تقلق، سيد بشارة، فسأعرف من ذير هذه المؤامرة، إلا أن ذلك لن يكون ثمنه بخساً".

أو ما إليه حكيم برأسه، فالإشارة إلى المال جعلته يشعر بأمان أكثر: "كم ستتكلّفني براءتي؟".

"سأحتاج إلى فريق صغير مكوّن من رجلين أو ثلاثة، ويجب أن يمتلكوا الخبرة في مجالاتهم، وأن يتوقعوا أن يدفع لهم المبلغ نقداً".

"إلى كم تحتاج من المال؟".

"خمسة الألف".

قال حكيم، الذي أومأ برأسه إلى أرنولد: "ماذا عن أتعابك يا سيد هاموند؟".

"لقد فكرت في ذلك بعض الشيء، وأنا أفضل أن تكون أتعابي بحسب النتائج".

"ما المبلغ الذي تفكر في الحصول عليه؟"، سأله حكيم متذكراً إحدى القواعد الذهبية لوالده، وهي أن يتنتظر دائمًا الطرف الآخر لتقديم العرض الافتتاحي عند إبرام أي صفقة.

"خمسة آلاف جنيه إذا وجدت المسؤول عن زرع الهيرويين، وعشرة آلاف إذا تم القبض عليه ومحاكمته، وعشرين ألفاً إذا اكتشفت الشخص أو الأشخاص الذين دبروا هذه المكيدة، وألف آخر مقابل كل عام من العقوبة".

كان من الممكن أن يساومه حكيم لمدة ساعة لو أراد ذلك، وقد يتمكن من أن يخفّض من مطالب هاموند بنسبة 30 أو 40 أو 50 في المئة، ولكنه التزم بما قاله له والده ذات مرة، وهو أنه أحياناً يكون العرض الافتتاحي هو العرض الذي يجب القبول به، خاصةً إذا كانت المخاطر كبيرة، وفي هذه الحالة، لا يمكن أن تكون المخاطر أكبر من التي قد يواجهها إن لم تظهر الحقيقة.

نهض بيٹء من كرسيه، ومد يده، وقال: "اتفقنا، سيد هاموند".

قال روس باكنان: "تفت الدعوة إلى هذا الاجتماع الطارئ لمجلس الإدارة في ظل هذه الظروف الصعبة، لأبلغكم بأن السيد بشاره قد طلب مني أن أشغل منصبه إلى أن تنتهي هذه الأزمة ويعود إلى منصبه".

أدريان سلون: "الا ينبغي طرح هذا الاقتراح على التصويت؟ وهل يستطيع رجل مسجون خطير بتهمة حيازة المخدرات أن يستمر باملاء قراراته المتعلقة بإدارة شركة عامة؟".

قال جايلز: "أوافق السيد سلون في الرأي، يجب طرح مثل هذا القرار المهم على التصويت، لذلك اقترح أن يتولى السيد روس باكنان، الرئيس السابق المتميّز لهذا البنك، مسؤوليات رئاسة المجلس مرة أخرى، إلى أن يعود السيد بشارة إلى منصبه الصحيح".

قال سلون محتاجاً: "لكنني كنت أيضاً رئيساً سابقاً للبنك".

قال جايلز: "لقد قلت المتميّز"، من دون أن يكلف نفسه عناء النظر إلى سلون.
تبع ذلك صمت تام.

سأل سكرتير الشركة: "هل سيدعم أي عضو اقتراح اللورد بارينغتون في أن يتولى السيد روس باكنان منصب رئيس مجلس الإدارة حتى عودة السيد بشارة؟".

جي米 غولدسميث: "سأكون سعيداً بالتصويت لصالحه".

سأل سكرتير الشركة: "من يؤيد هذا القرار؟".
رفع كل من حول الطاولة يده باستثناء سلون.
"من يعترض على القرار؟".

رفع سلون يده، وقال: "سأتوقع استقالتكم جميعاً لحظة إدانة بشارة بتهمة تهريب المخدرات".

قال فيكتور كوفمان: "إذا لم تتم إدانته؟".

"من الطبيعي أن يؤخذ موقفي بعين الاعتبار".

قال له فيكتور: "هذا شيء آخر أود أن أدونه

بالتفصيل".

دون سكرتير الشركة كلماته بدقة.

قال روس: "يجب علينا الان المضي قدماً، فأود أن أبدأ بالترحيب باللورد بارينغتون والسيد جيمس غولدميث بصفتهم عضوين في مجلس الإدارة، كما أود أن أطلب من المدير التنفيذي للشركة، سيباستيان كليفتون، تقديم تقرير حول تأثير الأحداث الأخيرة على الشؤون المالية للشركة، وحول آخر موقف متعلق بالاندماج".

قال سيباستيان: "لقد انخفضت أسهمنا بنسبة اثنى عشر في المئة، سيدي الرئيس، ولكنني سعيد بإبلاغكم باستقرار أسعار الأسهم في السوق، ولا سيما بعد تدخل السيد غولدميث، الذي من الواضح أنه لا يؤمن ببراءة السيد بشارة فحسب، بل يؤمن أيضاً بالمستقبل المشرق للمصرف، وأود أن أعبر عن مدى ارتياحي لأنه حصل على مكانه في مجلس الإدارة، ولأنه كان قادرًا على الانضمام إلينا اليوم".

قال غولدميث: "لكنني مثل السيد باكنان، أعتزم على الانسحاب فور عودة السيد بشارة إلى منصبه". سلون: "وإذا لم يعد، ماذا ستفعل حينها سيد غولدميث؟".

"سابق في مجلس الإدارة وأبدل كل جهدي حتى لا يصبح شخص حقيـّر مثلـك رئيسـاً للمجلس".

احتج السيد سلون على إهانته قائلـاً: "سيدي الرئيس هذا اجتماع مجلس إدارة بنك راند في المدينة، وليس نادـيـاً للقمار، حيث من الواضح أن السيد غولدمـيث سيشعر هناك براحةـ أكبر".

غولدمـيث: "إن سبـب عدم رغبـتي في أن يتـولـي

السيد سلون رئاسة هذا البنك، ليس فقط لأنه سيئ السمعة، ولكن الأهم من ذلك بكثير، لأنه في المرة الأخيرة التي شغل فيها هذا المنصب، كاد أن ينجح بتدمير فارذنفرز، وأظن في أن هذا هو هدفه الحالي".

قال له سلون: "هذا الافتراء يشوه سمعتي، ولم تترك لي أي خيار سوى إحالة الأمر إلى القضاء".

غولدميث: "أنتظر ذلك بفارغ الصبر، لأنك عندما كنت رئيساً لفارذنفرز، وقدم السيد بشارة عرضه للبنك، ذكرت في اجتماع مجلس الإدارة، الذي كان يتم تسجيله في جريات الجلسة، أن هناك مؤسسة مالية رائدة أخرى على استعداد إلى أن تدفع مقابل أسهم فارذنفرز أكثر بكثير مما كان السيد بشارة يعرضه، ولطالما كان الأمر غامضاً بالنسبة إلي، فمن كانت تلك المؤسسة المالية الرائدة؟ ربما ترغب في تنويرنا الآن، سيد سلون".

"لست مضطراً إلى تقبيل المزيد من الإهانات من أمثالك يا غولدميث"، نهض سلون من مكانه، ولأن كلماته ستشكل في المحضر، أضاف قائلاً: "سيكون عليكم جميعاً الاستقالة بعد إدانة بشارة، وسأحضر الاجتماع التالي لهذا المجلس بصفتي رئيساً له".

وقال قبل أن يغادر: "يومكم سعيد، أيها السادة". لم ينتظر غولدميث أن يغلق الباب قبل أن يقول له: "لا تخف أبداً من مهاجمة المتنمر لأنه دائمًا يتضح أنه جبان، ويهرب في اللحظة التي يتعرض فيها لأي ضغط".

تبع ذلك جولة قصيرة من التصفيق، وعندما توقف التصفيق، انحنى جايلز باريتفتون إلى الطاولة، وقال: "اتساع يا جيمي، إذا كان من احتمال أن تأخذ بعض الاعتبار الانضمام إلى حزب العمال؟ لأن

هناك بعض الأعضاء في المجلس أوَّلَ أن أكتشف حقيقتهم".

انتظر روس باكتنان حتى يهدأ الضحك قبل أن يقول: "كان سلون محقاً في أمر واحد، وهو أنه إذا أدينا حكيم، فسيتعين علينا جميغاً الاستقالة".

حكيم بشاره

1975

33

كانت المحكمة رقم 4 في أولد بايلي تغض بالناس قبل الساعة العاشرة من صباح يوم الخميس بوقت طويل، فكان المستشارون في أماكنهم، ومقاعد الصحفيين مكتملة، كما كان المعرض أعلاه يشبه شرفة مسرح ويستأند في ليلة الافتتاح.

لقد حضر سيباستيان كل أيام المحاكمة، حتى صباح اليوم الذي تم اختيار هيئة المحلفين فيه، وكان يكره رؤية حكيم قادماً من الأسفل، ثم يوضع بعد ذلك في قفص الاتهام، وإلى جانبه يقف شرطي كما لو كان مجرماً خطيراً. لقد بدا النظام الأميركي أكثر تحضراً، حيث يجلس المدعى عليه إلى طاولة مع فريقه القانوني.

كان محامي حكيم هو السيد جيلبرت غراري بينما كان السيد المحامي جورج كارمان يمثل السلطة الملكية.

بدوا مثل مصارعين مخضرين وسط حلبة مدرج روماني، يقومان بالشق والطعن، ولكن حتى الان لم ينجحا في إلحاق أي ضرر أشد خطورةً من جرح سطحي أصيب به صاحبه بشكل عرضي، ولم يستطع سيباستيان التوقف عن التفكير في النتيجة التي سيؤول إليها استمرارهما بتبادل هذه الانفعالات المتکلفة والإهانات الجارحة والاحتجاجات الغاضبة التي تصدر منها بالتساوي. في خطابيهما الافتتاحيين، عرض كل من السيد غراري والسيد كارمان وجهتهما، وكان

سيباستيان متأكدًا من أن هيئة المحلفين لم تغير رأيها لصالح أي طرف من الطرفين بعد تقديم الشهود الثلاثة الأوائل ربان الرحلة 207 وضابط المحاسبة والصيغة عائشة أوجابو مضيفة الطيران النيجيرية التي قدمت دليلاً مكتوبًا، قد ألقى الضوء ولو قليلاً على القضية، إلا أن أحداً منهم لم يتذكر المرأةجالسة في المقعد بـ3، وبالتالي لم يشاهدوا أي شخص زرع شيئاً في حقيبة السيد بشاره، إذا فالأمر يتوقف على الشاهد التالي، السيد كوليير، موظف الجمارك في هيثرو، الذي أوقف السيد بشاره.

صرخ شرطي يقف إلى جانب مدخل المحكمة: "ناد السيد كوليير!".

شاهد سيباستيان باهتمام دخول السيد كوليير القاعة، وتوجهه إلى منصة الشهود، وقد تجاوز طوله الستة أقدام بقليل، وشعره كثيف داكن، ولحيته منحته مظهر قبطان البحر، وقد أوحى ملامح وجهه بأنه رجل منفتح وصادق، وقد كتب باري هاموند في تقريره أن كوليير يمضي صباح يوم الأحد حكماً في الركيبي المصغرة، وقد اكتشف باري شيئاً من شأنه أن يمنح السيد غرافي فرصة البدء بياراقعة الدماء في المعركة، ومع ذلك كان عليه أن ينتظر، لأن شاهد السلطة الملكية، لذلك سوف يستدعى السيد كارمان لاستجوابه أولاً.

عندما أدى السيد كوليير القسم، لم يكن بحاجة إلى قراءة البطاقة التي رفعها كاتب المحكمة، فكان صوته حازماً ومليئاً بالثقة، ولا يوحي بالتتوتر، وكان المحلفون ينظرون إليه باحترام.

نهض السيد كارمان ببطءٍ من مكانه، وفتح ملفاً أحمر أمامه وببدأ الاستجواب، وقال: "من فضلك هل

يمكنك ذكر اسمك من أجل المحضر؟".
"ديفيد كوليير".

"وما مهنتك؟".

"ضابط جمارك أول، وأعمل حاليا في مطار
هيثرو".

"منذ متى وأنت ضابط جمارك يا سيد كوليير؟".
"منذ سبعة وعشرين عاماً".

"إذا من المنصف القول إنك رجل وصل إلى قمة
المهنة التي اختارها؟".

"أجل أفضل أن أفكر في ذلك".

"دعني أذهب إلى أبعد من ذلك، سيد كوليير،
وأقترح...".

"ليس عليك الاستمرار بذلك"، تدخل القاضي
أوركهارت، وهو ينظر من المنصة إلى كبير
المستشارين.

واردف قائلًا: "لقد قدمت أوراق اعتماد السيد
كوليير، لذا أقترح عليك المضي قدماً".

كارمان: "أنا ممتن للغاية، يا سيدي، لتأكيدك على
مؤهلات السيد كوليير التي لا شك فيها بصفته
شاهدًا خبيزاً".

قطب القاضي حاجبيه لكنه لم يعلق على الأمر،
وتتابع قائلًا: "سيد كوليير هل يمكنك أن تؤكد أنك
كنت ضابط الجمارك المسؤول في صباح اليوم
الذي تم فيه إلقاء القبض على المتهم السيد بشارة
واحتجازه".

"نعم كنت الضابط المسؤول في ذاك اليوم،
سيدي".

"عندما دخل السيد بشارة الممر الأخضر، مشيراً
إلى أنه ليس لديه ما يصرح به، هل أوقفته، وطلبت

أن تفتش حقائبه؟".

"نعم فعلت يا سيدى".

"كم حقيقة كان يحمل؟".

"مجرد حقيقة صغيرة، ولا شيء آخر".

"هل كان ذلك مجرد تفتيش عادى؟".

"لا، سيدى، فقد تلقينا بلاغاً مفاده أن راكباً في الرحلة رقم 207 القادمة من لاغوس سيحاول تهريب الهيرويين إلى البلاد".

"كيف تم تقديم هذا البلاغ؟".

"عبر الهاتف يا سيدى، قبل هبوط الطائرة بنحو ثلاثين دقيقة".

"هل أعطاك المخبر اسمه؟".

"لا يا سيدى، لكن ذلك ليس أمراً غريباً لأن المخبرين في مثل تلك الحالات غالباً ما يكونون تجار مخدرات، ويرغبون في التخلص من منافيس لهم، أو معاقبته لتخلفه عن دفعه ثمن شحنة سابقة".

"هل تم تسجيل المحادثة مع المخبر؟".

"كل هذه المحادثات مسجلة، سيد كارمان، في حال الحاجة إليها بمثابة دليل خلال أي محاكمة في وقت لاحق".

قال كارمان وهو ينظر إلى القاضي: "هل لي أن أسأل، يا سيدى، إذا كانت لحظة مناسبة لهيئة المحلفين لسماع الشريط".

أوما القاضي إليه برأسه، وسار كاتب المحكمة إلى طاولة في وسط الغرفة حيث تم تجهيز مسجل من نوع غرانديغ، ونظر نحو القاضي الذي أوما إليه برأسه مرة أخرى، فضغط على زر التشغيل.

قال صوت نساني: "هنا مكتب الجمارك في

هيترو".

"صلني بضابط الجمارك المسؤول".

"هل يمكنني ان اعرف هوية المتصل؟".

"كلا، لا يمكنك".

"سوف أتأكد إذا كان قادرًا على محادثتك".

استمر طنين الشريط لبعض الوقت قبل أن ينبعث صوت آخر على الخط.

"الضابط المسؤول كوليير، كيف يمكنني مساعدتك؟".

"إذا كنت مهتما، يمكنني إبلاغك بمحاولة أحد الركاب تهريب المخدراتاليوم".

لاحظ سيباستيان أن السيد غرافي يدون الكثير من الملاحظات على لوحته الصفراء.

قال كوليير: "أكيد، أنا مهتم، لكن أولا، هل ستخبرني باسمك؟".

"اسم الراكب هو حكيم بشارة، وهو مشهور في التجارة، ويسافر على متن الرحلة رقم 207 القادمة من لاغوس، وهو يحمل ثلاثة عشرة أونصة من الهيرويين في حقبيته الصغيرة.
انتهى الاتصال.

"ماذا فعلت بعد ذلك يا سيد كوليير؟".

"اتصلت بزميل يعمل في مراقبة الجوازات، وطلبت منه إعلامي لحظة خروج السيد بشارة".
"وهل فعل ذلك؟".

"نعم، عندما دخل السيد بشارة الممر الأخضر بعد بضع دقائق، أوقفته وفتشت حقبيته الصغيرة، وهي الحقيبة الوحيدة التي كانت في حوزته".

"وهل وجدت شيئا غير عادي؟".

"كيس من السوليفان مخبأ في جيب الحقيبة الجانبي، ويحتوي على ثلاث عشرة أونصة من الهيرويين".

"كيف كان رد فعل السيد بشارة عندما وجدت هذا الكيس؟".

"بدا متفاجئاً، وادعى أنه لم يسبق له أن رأه".

"هل هذا غير عادي يا سيد كوليير؟".

"لم أعرف قط تاجر مخدرات يعترف بتهريبها، إنهم دائمًا يبدون مندهشين ويتصاررون كما لو أنهم غير مذنبين، إنه دفاعهم الوحيد عندما تصل القضية إلى المحكمة".

"ماذا فعلت بعد ذلك؟".

"اعتقلت السيد بشارة وحذرتة من الاحتجاج بحضور زميلي، ثم أصطحبته إلى غرفة المقابلات، حيث سلمته إلى ضابط من وحدة المخدرات".

"الآن، وقبل أن ينهض صديقي المتقى السيد غراري ليخبرنا جميعًا بأن الطبيب قد فحص السيد بشارة وتبيّن أنه لم يتعاط المخدرات في حياته، هل يمكنني أن أسألك، استنادًا إلى خبرتك المتمثلة بسبعين وعشرين سنة في الجمارك، سيد كوليير، هل سيكون من غير المعتاد ألا يكون تاجر المخدرات مدمناً عليها؟".

"يكاد يكون أمراً غريباً أن يدمّن تاجر المخدرات عليها، فهم رجال أعمال يديرون إمبراطوريات كبيرة وضخمة، وغالبًا ما يستخدمون أعمالاً تبدو في الظاهر مشروعة لتكون واجهة لأنشطتهم الإجرامية".

"مثل العمل المصرفي؟".

نهض السيد غراري معترضاً.

قال القاضي: "أوافقك، سيد غرافي، فلم يكن قول ذلك ضروريًا، يا سيد كارمان".

وأضاف القاضي السيد أوركهارت، بعد أن توجه إلى هيئة المحلفين: "سيتم حذف هذا التعليق الأخير من المحضر، ويجب عليكم استبعاده من أذهانكم".

لم يشك سيbastian في أنه سيتم حذف هذا الكلام من المحضر، ولكنه كان متأكدًا بالقدر نفسه من أنه لن يغيب عن أذهان هيئة المحلفين.

قال السيد كارمان الذي بدا متأسفاً بشدة: "أعتذر، يا سيدي".

"سيد كوليير، كم عدد تجار المخدرات الذين أقيمت القبض عليهم خلال السبع وعشرين سنة الماضية؟".
"عددتهم منه وتسعه وخمسون".

"وكم عدد الذين ثبتت إدانتهم في النهاية؟".
"منة وخمسة وخمسون".

"ومن بين الأربعة الذين ثبتت براءتهم، كم كان عدد الذين لاحقاً...".

"سيد كارمان، إلى أين يقودنا هذا؟".

"أنا أحاول فقط أن أثبت، يا سيدي، أن السيد كوليير لا يرتكب الأخطاء، كان الأمر ببساطة...".

"توقف عند هذا الحد، سيد كارمان، لن تجib عن هذا السؤال، سيد كوليير".

ادرك سيbastian أن هيئة المحلفين قد فهمت ما كان السيد كارمان يحاول إثباته.

"لا مزيد من الأسئلة، سيد".

عندما انعقدت المحكمة مرة أخرى عند الساعة

الثانية من بعد ظهر ذلك اليوم، دعا القاضي السيد غرافي لبدء استجوابه.

لم يظهر ما تفاجأ به السيد غرافي من الملاحظات الافتتاحية لمحامي الدفاع.

"سيد كوليير، لست مضطراً إلى تذكير رجل يمتلك خبرتك المهنية بأنك ما زلت تحت القسم".

أجاب ضابط الجمارك بغضب: "لا، لست مضطراً، يا سيد غرافي".

رفع القاضي حاجبه.

"أود العودة إلى التسجيل يا سيد كوليير".

أومأ الشاهد إليه برأسه بسخرية: "هل وجدت أن محادثتك مع المخبر المجهول غريبة إلى حد ما؟". قال كوليير بطريقة دفاعية: "لست متأكداً من أنني قد فهمت السؤال".

"ألم تتفاجأ بأنه بدا وكأنه رجل مثقف؟".

"ما الذي يجعلك تفترض أنه مثقف، يا سيد غرافي؟".

"من خلال ردّه عن سؤال عاملة الهاتف، هل يمكنني معرفة من المتصل. فكان الجواب: كلام، لا يمكنك، ابتسم القاضي، وتتابع كلامه قائلاً: "ألم تجد أنه من المثير للاهتمام أن المخبر لم يشتم أبداً أو يستخدم لهجة قاسية في أثناء المحادثة؟".

"لا يشتم الكثير من الناس ضابط الجمارك، سيد غرافي".

"وهل شعرت بأنه كان يقرأ من نص مكتوب؟".

"هذا ليس أمراً غريباً، يعرف المحترفون أنهم إذا ظلوا على الخط لأكثر من ثلث دقائق، فسيكون لدينا الفرصة لتبיע المكالمة، وبهذه الحالة سيختصرن كلماتهم".

"كلمات مثل كلامك، لا يمكنني أن أجد تعبير المتصل
مشهوراً في التجارة غريباً، في ظل هذه الظروف؟".
"لست متأكداً من أنني أفهمك يا سيد غراري".

"إذاً اسمح لي بأن أساعدك، يا سيد كوليير، لقد
كنت ضابط جمارك على مدار سبعة وعشرين عاماً
الماضية، حيث ظل صديقي المثقف يذكّرنا بذلك،
لذلك يجب أن أسألك، وأنت تحت القسم، بفضل
معرفتك الواسعة بعالم المخدرات، هل سبق لك أن
سمعت باسم حكيم بشارة من قبل؟".

تردد كوليير للحظة قبل أن يقول: "لا، لم أسمع به".
"لم يكن من بين المئة وتسعة وخمسين تاجر
مخدرات الذين أقيمت القبض عليهم في الماضي؟".
"لا، سيدى".

"لم تجد الأمر غريباً بعض الشيء، سيد كوليير،
أن ثلات عشرة أو نصفة من الهيرويين كانت في أحد
الجيوب الجانبية لحقيبته الصغيرة ولم تبذل أي
محاولة لإخفائها؟".

قال كوليير، وقد بدا مرتبكاً: "من الواضح أن السيد
بشاره رجل واثق من نفسه".

"لكنه ليس غبياً، إلا أن أكثر ما لا يمكن أن يفسره
عقلياً، هو حقيقة أن الرجل الذي أعطاك المعلومات،
والذي بدا مثقفاً، قال: وأنا أقتبس..."، توقف غراري
للقاء نظرة على مفكرته الصفراء، وتتابع كلامه:
"لديه ثلات عشرة أو نصفة من الهيرويين في حقيبته
الصغريرة، وكان لديه ثلات عشرة أو نصفة بالفعل، لا
أربع عشرة، ولا اثنتا عشرة، وفي حقيبته الصغيرة
تحديداً كما أبلغ".

"من الواضح أن جهة اتصال المخبر في نيجيريا
أخبرته بكلمة الهيرويين التي باعها للسيد بشارة".

"أو أنها الكمية نفسها التي تم زرعها في حقيبة السيد بشاره".

أمسك كوليير بجانبي منصة الشهود بقبضتي يديه، ولكنه ظل صامتا.

"لنعد إلى رد فعل السيد بشاره عندما رأى كيس الهيرويين للمرة الأولى وأذكرك مرة أخرى، سيد كوليير، بكلماتك بالضبط: بدا متفاجئاً، وادعى أنه لم يسبق له رويتها".

"هذا صحيح".

"الم يرفع صوته أو يفقد أعصابه أو يحتاج على اقتياده إلى التحقيق؟".

"لا لم يفعل أبداً من ذلك".

"ظل السيد بشاره هادئاً وطويل الباع طوال هذه المحنـة الصعبة للغاية".

قال كوليير: "هذا ما كنت سأتوقعه من تاجر مخدرات محترف".

رد السيد غراري: "وهذا ما كنت سأتوقعه من رجل بريء تماماً".

لم يعلق كوليير.

"اسمح لي أن أختتم كلامي بنقطة كان صديقي المثقف حريضاً جداً على أن يتبرأها أمام هيئة المحلفين، وأنا مهتم بها أيضاً، لقد أخبرت المحكمة بأنك أقيمت القبض على منه وتسعة وخمسين شخصاً بتهم تتعلق بحيازة المخدرات خلال سبعة وعشرين عاماً من عملك في الجمارك".

"هذا صحيح".

"وخلال تلك الفترة، هل سبق لك أن اخطأـت، فاعتقلـت شخصاً بريئاً؟".

غضـب كوليـير على شفـتـيه.

"نعم أم لا، سيد كوليير؟".

"نعم، ولكن في مناسبة واحدة فقط".

قال غراي بينما كان يفتح ملفاً منفصلأ: "إذا صحي معلوماتي إذا كنت مخطئاً، لقد قبض على الرجل المعنى لحيازته الكوكايين".

"نعم".

"وهل أدين؟".

قال كوليير: "نعم".

"ماذا كانت عقوبته؟".

قال كوليير بصوت أقرب إلى الهمس: "ثمانية سنوات".

"هل أكمل تاجر الموت الشرير عقوبته كاملة؟".

قال كوليير: "لا، فقد أطلق سراحه بعد أربع سنوات".

"أمن أجل حسن سلوكه؟".

قال كوليير: "كلا، وبعد بضع سنوات، جرت محاكمة تاجر مخدرات مدان اعترف بأنه وضع الكوكايين له في أثناء رحلته من تركيا"، صمت كوليير قليلاً قبل أن يضيف: "وما زال شبح هذه القضية يطاردني".

"أمل، سيد كوليير، لا يعود شبح هذه القضية يطاردك أيضاً، لا مزيد من الأسئلة، سيدي".

التفت سيباستيان ليلى أن عضواً أو عضوين من هيئة المحلفين يتهمسان، بينما كان الآخرون يدونون الملاحظات.

قال القاضي: "سيد كارمان، هل ترغب في استجواب هذا الشاهد مرة أخرى؟".

"لدي سؤال واحد فقط يا سيدي، سيد كوليير، كم

كان عمرك عندما ارتكبت هذا الخطأ المؤسف؟".

"كنت في الثانية والثلاثين من عمري، وكان ذلك منذ ما يقارب العشرين عاماً".

"إذا لقد ارتكبت خطأ واحداً فقط من بين منه وتسع وأربعين حالة؟ وهذه النسبة تعد أقل بكثير من واحد في المئة".

"نعم سيدى".

قال كارمان في أثناء جلوسه: "لا مزيد من الأسئلة، سيدى".

القاضي: "يمكنك مغادرة منصة الشهود، سيد كوليير".

شاهد سيbastian ضابط الجمارك الأول وهو يخرج من المحكمة، فالتفت إلى حكيم الذي ابتسما بتسامة خفيفة، ثم نظر سيب إلى هيئة المحلفين، الذين كانوا يتحذّرون إلى بعضهم، باستثناء رجل واحد لم يرفع عينيه عن السيد كوليير.

سأل القاضي: "هل أنت مستعد لاستدعاء شاهدك التالي، سيد كارمان؟".

قال محامي الادعاء العام وهو ينهض ببطء من مكانه: "أتَمِ الاستعداد يا سيدى"، قام السيد كارمان بسحب طية ثوبه الأسود الطويل، وتعديل شعره المستعار قبل أن يستدير لمواجهة هيئة المحلفين، في اللحظة التي كان فيها واثقاً من أنه يسترعى انتباه كل من في قاعة المحكمة، وقال: "أستدعي السيدة كريستينا بيرغستروم".

ضجّت قاعة المحكمة بالترثّة عندما دخلت امرأة أنيقة في منتصف العمر، فاستدار السيد غراي ليرى أن الدهشة قد علت وجه موكله، على الرغم من أنه تعرّف إليها بوضوح على الفور، ثم التفت مجدداً

لإلقاء نظرة عن كثب على المرأة التي كان يبحث عنها الجميع خلال الأشهر الخمسة الماضية، فامسك بمفكرة صفراء جديدة، ونزع غطاء قلمه وانتظر سماع شهادتها.

أمسكت السيدة بيرغستروم الكتاب المقدس بيدها اليمنى، وقرأت من البطاقة بشقة، فما كانت لتعرف أن الإنكليزية هي لغتها الثانية.

لم يحاول السيد كارمان إزالة الابتسامة العريضة عن وجهه حتى سأل الشاهد سؤاله الأول.

"سيدة بيرغستروم، هل يمكن أن تذكرني اسمك للسجل؟".

"كريستينا كارلا بيرغستروم".

"وما جنسيتك؟".

"دنماركية".

"ماذا مهنتك؟".

"أعمل مهندسة حدائق".

"سيدة بيرغستروم، حتى لا نضيع وقتكم ووقت الجميع، سأطرح عليك السؤال مباشرة، هل تتعرّفين إلى السجين الذي يقف في قفص الاتهام؟".

نظرت مباشرة إلى حكيم وقالت: "نعم، كنا جالسين بجانب بعضنا على متن الطائرة المتجهة من لاغوس إلى لندن منذ أربعة أو خمسة أشهر".

"وهل أنت متأكدة من أن الرجل الذي جلست بجواره هو الرجل نفسه الموجود في قفص الاتهام؟".

"إنه رجل وسيم يا سيد كارمان، واتذكّر أنني فوجئت بأنه لم يكن يضع خاتم زواج في إصبعه".

لقي هذا الكلام استحسان بعض الحاضرين، وقد قابله بعضهم الآخر بابتسامة عريضة.

"في أثناء الرحلة، هل بدأت أي محادثة مع المدعي عليه؟".

"فكرت في الأمر، لكنه بدا منهاً، في الواقع قد نام بعد لحظات من إقلاع الطائرة، وهو ما كنت أحسته عليه".

"لماذا حسسته على ذلك؟".

"لم أمتلك أبداً موهبة النوم على متن الطائرة، لذا كان عليَّ أن أمضي الوقت في مشاهدة فيلم أو قراءة كتاب".

"كيف أمضيت وقتك في ذاك اليوم؟".

"لقد قرأت نصف رواية منحدر سفينـة المياه في أثناء الرحلة إلى لاغوس، وكانت أنيـوي إـنـهـاء قـراءـتها في طـريق العـودـة إلى لـندـن".
"وـهـل أـنهـيـتها؟".

"نعم، لقد قـلـبـت الصـفـحة الـأـخـيـرـة قـبـلـ أنـ يـخـبـرـنـا الكـابـتـن بـلـحـظـاتـ أـنـا عـلـى وـشـكـ الـهـبـوتـ في مـطـارـ هـيـثـروـ".

"إـذـا كـنـت مـسـتـيقـظـة طـوال الرـحـلـة؟".

"نعم".

"هل رأـيـتـ فـي أيـ وقتـ رـاكـبـا آخرـ، أوـ أحدـ أـفـرادـ الطـاقـمـ، يـفـتـحـ خـزـانـةـ الـأـمـتـعـةـ الـعـلـوـيـةـ وـيـضـعـ شـيـئـاـ فـيـ حـقـيـقـةـ السـيـدـ بـشـارـةـ؟".

"لم يـفـتـحـهاـ أحدـ خـالـلـ الرـحـلـةـ كـلـهاـ".

"كيف يـمـكـنـكـ التـأـكـدـ مـنـ ذـلـكـ، سـيـدـةـ بـيرـغـسـتروـمـ؟".

"لـأنـيـ كـنـتـ قـدـ أـنـهـيـتـ صـفـقـةـ كـبـيرـةـ فـيـ لـاغـوسـ، لـهـنـدـسـةـ الـمـنـاـظـرـ فـيـ حـدـيـقـةـ وزـيـرـ النـفـطـ"، لـقـدـ أـرـادـ حـكـيـمـ أـنـ يـضـحـكـ، عـنـدـمـاـ اـكـتـشـفـ السـبـبـ الـذـيـ جـعـلـهـ يـنـتـظـرـ لـمـدـةـ خـمـسـ سـاعـاتـ، وـتـابـعـتـ كـلـامـهـ قـائـلـةـ: \"ولـاحـتـفـالـ بـتـوـقـيـعـ الصـفـقـةـ اـشـتـريـتـ حـقـيـقـةـ يـدـ\".

في راغمو من دون دفع رسوم جمركية، وقد وضعتها في الخزانة العلوية نفسها، وأعتقد أنني كنت سالاحظ لو أن أحدا قد فتحها".

ابتسم السيد كارمان للنساء في هيئة المحلفين، وإنداهن كانت تؤمن برأسها.

"هل اضطررت في أثناء الرحلة إلى القيام من جانب السيد بشارة خلال؟".

"نعم، بعد أن أعلن الكابتن أننا على بعد نصف ساعة من مطار هيترزو، ذهبت إلى الحمام لاغسل وجهي وأستعيد نشاطي".

"وكان السيد بشارة لا يزال في مقعده في ذلك الوقت؟".

"نعم، وكانت المضيفة قد قدمت إليه وجبة الفطور".

"لذا في أثناء ذهابك، كان في إمكانه التتحقق مما إذا كان أي شخص قد فتح الخزانة وعبث في حقيقته".

"سأفترض ذلك، ولكنه وحده قادر على الإجابة عن هذا السؤال".

"شكرا لك، سيدة بيرغستروم، من فضلك لا تغادري منصة الشهود، لأنني متأكد من أن صديقي المتفق سيرغب في طرح الأسئلة عليك".

عندما نهض السيد غراري، كان من الواضح أنه لم يكن يريد استجواب أي شخص، واكتفى بالقول: "يا سيدي، أتساءل عما إذا كان في إمكاني طلب استراحة قصيرة، لأنني أحتاج إلى بعض الوقت للتشاور مع موكلني".

قال السيد القاضي أوركهارت: "بالطبع يا سيد غراري، انحنى إلى الأمام، ووضع مرفقيه على

الكرسي والتفت إلى هيئة المحلفين، وقال: "اعتقد أن الوقت مناسب لإنتهاء جلسة هذا اليوم، هل من الممكن أن تعودوا جميعاً إلى أماكنكم عند الساعة العاشرة من صباح الغد، بينما يستطيع السيد غراري استجواب هذا الشاهد، إذا كان يرغب في ذلك".

قال غراري ما إن انعزلوا في إحدى قاعات الاستشارات في المحكمة: "دعني أسألك أولاً، حكيم، هل هذه هي المرأة التي جلست بجوارها في الرحلة القادمة من لاغوس؟".

"إنها هي بالتأكيد، فهي ليست امرأة يمكن نسيانها بسهولة".

"إذا كيف تمكّن كارمان من الوصول إليها قبلنا؟".

قال أرنولد هاردقاسل: "لم يتمكّن من ذلك، فقد كان كارمان سعيداً جداً عندما أبلغني بأنها قرأت عن القضية في الصحف، وقد اتصلت على الفور بمحامي شركتها".

قال غراري غير مصدق ما يجري: "قرأت عن القضية؟ في صحيفة كوبنهاغن غازيت، بلا شك".
"كلا، الفاينشال تايمز".

تمتم غراري: "كان سيكون الحال أفضل بكثير لو أنها لم تحضر لتقديمشهادتها".
حكيم: "لماذا؟".

"لولا دليلها الذي قدمته، لربما كنت سأكون قادرًا على إثارة الشك في أذهان هيئة المحلفين حول الدور الذي أدته في هذه القضية برمتها، ولكن الان ...".

أرنولد: "إذا لن تستجب لها؟".

"بالتأكيد لا، فهذا من شأنه تذكير هيئة المحلفين

بأنها شاهدة مقنعة، ولم يعد أمامنا إلا أن نعول على كيفية ظهور حكيم أمامهم".

قال سيباستيان: "سيظهر رجلاً محترماً وصادقاً كما هو في الواقع، ولن تتمكن هيئة المحلفين من إلا تلاحظ ذلك".

قال السيد غراري: "أتمنى لو كان الأمر بهذه البساطة، فلا يمكن لأحد معرفة كيف سيكون أداء الشاهد فور وقوفه على المنصة، لا سيما الشاهد الذي يخضع لضغط كبير".

كرر روس: "أهو أداء؟".

قال السيد غراري: "أخشى ذلك، فستكون قاعة المحكمة يوم غد مثل المسرح تماماً".

في تمام الساعة العاشرة صباحاً، دخل السيد القاضي أوركهارت المحكمة، فنهض الجميع وانحنوا له، وبعد أن بادلهم القاضي الانحناء، انتظروا إلى أن يجلس على كرسيه الجلدي الأحمر المرتفع في وسط المنصة.

قال مبتسمًا لهيئة المحتفين: "صباح الخير"، ثم حول انتباهه إلى محامي الدفاع، وقال له: "سيد غراي، هل ترغب في استجواب السيدة بيرغستروم؟".

"لا يا سيدي".

حدق كارمان إلى هيئة المحتفين، وارتسمت على وجهه ملامح مزيفة تظهر دهشته.

"كما يحلو لكن سيد غراي، هل سيستدعي الادعاء أي شهود آخرين؟".

"لا، يا سيدي".

"حسناً سيد غراي، في هذه الحالة يمكنك استدعاء شاهدك الأول".

"استدعي حكيم بشاره".

تبعدت عيون الجميع المتهم في أثناء خروجه من قفص الاتهام متوجهًا إلى منصة الشهود، وهو يرتدي بدلة زرقاء داكنة، وقميصاً أبيض وربطة عنق تعود إلى جامعة بيل، تماماً كما أوصاه السيد غراي، ومن المؤكد أنه لم يبذل رجلاً يخفي أسراراً، في الواقع قد أعجب سيباستيان بمظهره الأنثيق، الذي بدا وكأنه قد وصل لتوه من عطلة في لايفورد كاي، بدلاً من قضائه الأشهر الخمسة الماضية في السجن، ولكن كان قد أوضح حكيم لسيب في إحدى زياراته العديدة إلى سجن واندسوورث، أنه كان يقضي

ساعة في صالة الألعاب الرياضية كل صباح، ثم يتجول في ساحة التمرين لمدة ساعة أخرى بعد الظهر، كما أنه لم يكن يتناول أطعمة غير صحية، ولم يكن في السجن قبؤ للنبيذ وقد انعكس ذلك على مظهره أيضاً.

قال السيد غراري بعد أن أدى حكيم القسم: "هل يمكنك قول اسمك من أجل المحضر؟".

"حكيم ساجد بشاره".

"وما مهمتك؟".

"أعمل مصرفياً".

"هل يمكنك التفصيل أكثر؟".

"كنت رئيساً لمجلس إدارة مصرف فارذنفرز في لندن".

"سيد بشاره، هل يمكنك أن تعيد سرد الأحداث التي أوصلتكم إلى الامتحان أمامنا على منصة الشهود؟".

"سافرت بالطائرة إلى لاغوس لحضور اجتماع مع وزير النفط النيجيري لمناقشة تمويل ميناء جديد مقترن للتعامل مع ناقلات النفط الكبيرة".

"وماذا كان دورك في هذه العملية؟".

"اختارت الحكومة النيجيرية فارذنفرز ليكون البنك الرئيسي الممول للمشروع".

"ماذا يعني ذلك بالنسبة إلى شخص عادي مثلني؟".

"عندما تحتاج الحكومات ذات السيادة إلى اقتراض مبالغ كبيرة من رأس المال تصل إلى حدود عشرين مليون دولار، في هذه الحالة يحصل مصرف واحد على المركز الرئيسي ويقدم الحصة الأكبر، وقد تصل إلى خمسة وعشرين في المئة، وبعد ذلك تتم دعوة المصادر الأخرى لتعويض النقص".

"وما الذي سيتقاضاه مصرفك مقابل إدارة عملية كهذه؟".

"الرسوم القياسية هي واحد في المئة".

"إذا استطاع فارذنفرز جني مائتي ألف دولار من هذه الصفقة".

"نعم، لو تقت الصدقة، سيد غراري".

"لكنها لم تتم؟".

"لا، بعد فترة وجيزة من اعتقالي، سحبت الحكومة النيجيرية عرضها واختارت بنك باركليز بدلاً من فارذنفرز".

"إذا فقد خسر مصرفكم مئتي ألف دولار؟".

"لقد خسربنا أكثر من ذلك بكثير، سيد غراري".

همس إليه سيب: "لا تغضب"، رغم أنه علم أن حكيم لا يستطيع سماعه.

"هل يمكنك تقدير حجم الخسارة التي تعرض لها مصرفكم، والذي لم تعد رئيساً له؟".

"تراجعت أسهم فارذنفرز بنسبة تسعه في المئة تقريباً، مما أدى إلى انخفاض قيمة الشركة إلى أكثر من مليوني جنيه، وقد أغلق العديد من العملاء الكبار حساباتهم، إلى جانب الكثير من العملاء الصغار الذين اتبعوا خطأهم، ولكن الأهم من ذلك هو تشوّه سمعتنا بين عملائنا والناس كلهم، يا سيد غراري، والتي قد لا نستعيدها ما لم تتم تبرئتي من هذه التهمة".

"هذا صحيح، وبعد اجتماعك مع وزير النفط في لاغوس، عدت إلى لندن، على أي خطوط طيران؟".

"الخطوط الجوية النيجيرية، فقد نظمت الحكومة النيجيرية رحلتي بأكملها".

"كم عدد الحقائب التي حملتها على متن

الطائرة؟".

"مجرد حقيبة صغيرة وضعتها في الخزانة فوق مقعدي".

"هل جلس أحد بجوارك؟".

"نعم، السيدة بيرغستروم، على الرغم من أنني لم أكن أعرف اسمها في ذلك الوقت".

"هل تحدثتما؟".

"لا، فعندما جلست على مقعدي كانت تقرأ، و كنت منهاً، فأردت أن أنام فقط".

"وعندما استيقظت، هل تحدثت إليها؟".

"لا، كانت لا تزال تقرأ، واستطعت أن أرى أنه لم يبق لديها سوى بعض صفحات من كتابها، لذلك لم أقاطعها".

"هذا مفهوم كلينا، هل أخذت أي شيء من حقيبتك في أثناء الرحلة؟".

"لا، لم أخذ منها شيئاً".

"هل علمت بوجود أي شخص قد عبت بها في أي وقت؟".

"لا، لأنني نمت لعدة ساعات".

"هل تفحصت محتويات حقيبتك قبل أن تغادر الطائرة؟".

"لا، لقد تناولتها من دون أن أتفحصها، لأنني أردت أن أكون من بين الأوائل الذين يغادرون الطائرة، بما أنني لا أحمل أي حقائب أخرى، لذا لم يكن هناك ما يوقفني".

"ما إن تخطي مراقب الجوازات، هل توجهت مباشرة إلى الممر الأخضر؟".

"لقد فعلت ذلك، لأنه ليس لدى ما أصرح عنه".

"لكن ضابط الجمارك أوقفك وطلب منك فتح حقيبتك".

"هذا صحيح".

"هل فوجئت بِإيقافك؟".

"لا، لقد افترضت أنه كان مجرد تفتيش روتيني".

"لقد أخبر ضابط الجمارك المحكمة أنك طوال تفتيش حقيبتك، ظللت هادئاً وتتصرف بلباقة".

"لم يكن لدي ما أخفيه يا سيد غراري".

"تماماً، ولكن عندما فتح السيد كوليير حقيبتك، وعثر على كيس من السوليفان يحتوي على ثلاثة عشرة أونصة من الهيرويين، بقيمة سوقية تبلغ 22,000 جنيه إسترليني".

"لم يكن لدي أي فكرة عن وجودها في حقيبتي، وبالطبع لم تكن لي دراية بقيمتها السوقية".

"وكانت تلك المرة الأولى التي تراها فيها".

"كانت المرة الأولى والوحيدة في حياتي التي أرى فيها الهيرويين، سيد غراري".

"إذا لا يمكنك أن تشرح كيف وصل الكيس إلى هناك؟".

"لا، لا يمكنني، حتى إنني تساءلت للحظة عما إذا كنت قد أخذت الحقيقة الخطأ، إلى أن رأيت حروف اسمى على أحد جانبيها".

"هل تدرك يا سيد بشاره الفرق الجوهرى بين القبض عليك لحيازتك على الهيرويين والقبض عليك لحيازتك على الماريجوانا؟".

"لم أكن أعلم في ذلك الوقت، ولكن بعد ذلك أدركت أن الهيرويين مخدر من الدرجة الأولى بينما الماريجوانا يبعد من الدرجة الثانية، ورغم أن استيرادها لا يزال غير قانوني، إلا أنه يعتبر جريمة

أقل خطورة".

"وهذا شيء قد ي قوله تاجر المخدرات..."
"أنت تلقط الشاهد، سيد غرافي".

"أعتذر يا سيدي، ولكنني حريص على أن تدرك هيئة المحلفين أن اتهام السيد بشاره بتهريب مخدرات من الدرجة الأولى، يمكن أن يحكم عليه بالسجن خمسة عشر عاماً، في حين سيتم فرض عقوبة أقل بكثير لو ظبط و معه الماريجوانا".

قاطعه القاضي: "سمعتك عطرة، سيد غرافي، فهل تعترف بأن موكلك قد هرب المخدرات إلى هذا البلد؟".

"بالتأكيد لا يا سيدي، في الواقع أقول العكس تماماً، فنحن نتعامل في هذه الحالة مع مصرف ذكي للغاية ومتقد، يبرم بانتظام الصفقات الضخمة التي يجب أن تُحسب حتى آخر فاصلة عشرية، ولو كان السيد بشاره تاجر مخدرات أيضاً، كما تحاول أن تشير المحكمة، لكان أدرك جيداً أن عوائق القبض عليه وفي حوزته ثلاثة عشرة أونصة من الهيرويين كانت ستضعه خلف القضبان لبقية حياته العملية، وقيامه بمجازفة بهذه لا يمكن أين يكون منطقياً".
استدار سيباستيان لينظر إلى هيئة المحلفين، فكان اثنان منهم يهذآن برأسيهما، بينما كان الآخرون يدونون الملاحظات.

"هل سبق لك أن تناولت المخدرات بهدف المتعة في الماضي؟ عندما كنت طالباً متلاً".

"أبداً، ولكنني أتعافى من حمى القش، لذا فإننا أتناول أقراص مضادة للهيستامين خلال الصيف".

"هل سبق أن بعثت أي مواد مخدرة لأي شخص، في أي وقت من حياتك؟".

"لا، سيدى، لا يمكننى أجد أى عمل أكثر شرًا من
كسب الأرباح على حساب معاناة الآخرين".
"لا مزيد من الأسئلة، سيدى".

"شكرا لك سيد غرایي، سيد كارمان، يمكنك أن تبدأ
باستجوابك".

همس إليه سيب: "ما رأيك يا أرنولد؟"، بينما كان
محامي الادعاء يجمع أوراقه ليستعد إلى الحدث
الرئيسي،

قال أرنولد: "إذا طلب من هيئة المحلفين إصدار
حكمهم الآن، فلا شك لدى في أنه ستتم تبرئة
حکیم،

لكننا لا نعرف ما الذي يمتلكه الادعاء، فلا يتمتع
جورج كارمان بسمعة طيبة في الالتزام بقواعد
كونزبيري، وبالمناسبة، هل لاحظت أن أدريان
سلون يجلس في القاعة ويتابع المحاكمة منذ
بدايتها؟".

نهض السيد كارمان من مكانه على مهل، وعَذَلْ
شعره المستعار الذي يغطي رأسه بشكلٍ تام، وشدَّ
طية ثوبه الأسود الطويل قبل أن يفتح الملف
السميك الموجود أمامه، ثم رفع رأسه ونظر إلى
المتهم، وقال:

"سيد بشاره، هل تعتبر نفسك شخصاً مغامراً
يخوض المخاطر؟".

أجابه حكيم: "لا أعتقد ذلك، فأنا بطبيعتي متحفظ
إلى حد ما، وأدرس بتمعن مزايا كل صفقة قبل
ابرامها على أساس مزاياها".

"إذاً اسْمَحْ لي أن أكون أكثر دقة في طرح السؤال،
هل أنت مقامر؟".

"لا، أقوم دائمًا بحساب الاحتمالات قبل أي
مخاطرة، خاصة عندما يتعلق الأمر بأموال
الآخرين".

"هل أنت عضو في نادي كلينمونت في مايفير؟".
انتصب السيد غراري واقفًا على الفور، وقال: "ما
علاقة ذلك بالقضية، يا سيدي؟".

"أظن أننا على وشك اكتشاف الأمر، سيد غراري".
"نعم، أنا عضو في نادي كلينمونت".

"إذاً أنت مقامر، على الأقل تقامر بأموالك
ال الخاصة؟".

"لا، سيد كارمان، أنا فقط أخاطر عندما أكون على
ثقة من أن الاحتمالات تميل إلى مصلحتي".

"إذاً فأنت لا تمارس لعبة الروليت أو بلاك جاك أو
البوكر أبداً؟".

"كلا، لا أمارسها، لأنها ألعاب تعتمد على الحظ،

سيد كارمان، وأنا بشكل عام أفضل أن أكون المصرفي الذي ينتهي به الأمر حتى إلى الفوز". "إذا لماذا أنت عضو في نادي كليرمونت إذا لم تكن مقاماً؟".

"لأنني أحياناً أستمتع بلعبة طاولة الزهر التي يتبارى فيها شخصان فقط".

"لكن ألا يعني ذلك أن الاحتمالات قد تكون متناسبة؟ لقد أخبرت المحكمة للتو بأنك تخاطر فقط عندما تعتقد أن الاحتمالات تصب في صالحك".

"سيد كارمان، قبل ثلاث سنوات شاركت في بطولة العالم للعبة طاولة الزهر في لاس فيغاس، وكانت من بين ستة عشر لاعباً في النهايات، وأعرف اللاعبين الخمسة عشر الآخرين شخصياً، ولدي استراتيجية محكمة لتفادي الخسارة، مما يضمن أن تصب الاحتمالات دائماً في مصلحتي".

سرت موجة من الضحك في قاعة المحكمة. كان سيباستيان سعيداً برأوية شخص أو أكثر من المحلفين يبتسمون.

غير كارمان الموضوع بسرعة، وقال: "قبل رحلتك إلى نيجيريا، هل سبق أن أوقفك أي ضابط جمارك؟". "لا، أبداً".

"لذلك حسبت أن الاحتمالات ستكون في صالحك قبل أن..."، قال غراري وهو ينهض من مقعده: "يا سيدى!".

قال القاضي: "نعم، أوفق، يا سيد غراري، لا تلغا إلى تقديم التكهنا، سيد كارمان، والتزم بوقائع القضية فقط".

"نعم، سيدتي، إذا دعونا نلتزم بالحقائق، هل يمكننا ذلك يا سيد بشاره، قد تتذكرة أني سألك منذ لحظة، إذا كان قد أوقفك ضابط جمارك من قبل، وأجبت بأنه لم يوقفك، هل ترغب في إعادة النظر في تلك الإجابة؟"، تردد بشاره لبعض الوقت قبل أن يضيف كارمان: "دعني أعد صياغة السؤال، سيد بشاره، حتى تفهم بوضوح ما أسألك عنه، لأنني متأكد من أنك لن ترغب في إضافة شهادة الزور إلى قائمة التهم الموجهة إليك مسبقاً".

كاد القاضي أن يتدخل عندما أضاف كارمان قائلًا: "سيد بشاره، هل هذه هي المرة الأولى التي يتم فيها القبض عليك بتهمة التهريب؟".

صمت الجميع في المحكمة متظرين رد حكيم، فاستعاد سيباستيان ذكرى محاكمة التشهير ضد والدته، وأدرك أن المحامين نادراً ما يطرحون أسئلة إيجانية إلا إذا كانوا يعرفون الإجابة مسبقاً.

"كانت هناك مرة سابقة، يا سيد كارمان، لكنني أعترف بأنني نسيت كل ما يتعلق بها، ربما لأنه قد تم سحب التهمة لاحقاً".

كرر كارمان كلام حكيم قائلًا: "لقد نسيت كل ما يتعلق بها؟ حسناً، ولكنك تتذكرة الآن، وهل أنت على استعداد إلى مشاركة المحكمة في تفاصيل سبب اعتقالك في المرة السابقة؟".

"بالتأكيد، لقد أبرمت صفقة مع أمير قطر لتمويل بناء مطار في بلده، وبعد مراسيم التوقيع أهداني ساعة، وكانت أضعها في معصمي عندما عدت إلى إنكلترا، وقد طلب مني ضابط الجمارك إظهار إيصالها، إلا أنه لم يكن في حوزتي الإيصال".

"إذا فانت لم تصرح بها".

صاح حكيم به قائلًا: "لقد كانت هدية من رئيس

دولة، سيد كارمان وهل كنت سأضعها في معصمي
لو كنت أحاول إخفاءها؟".

"وما قيمة تلك الساعة، سيد بشاره؟".
"ليس لدى فكرة".

كارمان: "إذا دعني أنورك"، ثم طوى صفحة من ملفه، وتابع قائلاً: "قيمت كاريبيه الساعة بأربعة عشر ألف جنيه إسترليني، أو ربما نسيت ذلك أيضاً بسهولة؟"، لم يتفوه بشاره بأي كلمة.

"ماذا فعلت بتلك الساعة، يا سيد بشاره؟".
"سمح لي المسؤول في الجمارك بالاحتفاظ بها، شرط أن أكون على استعداد إلى دفع رسوم استيراد بقيمة خمسة آلاف جنيه".
"وهل دفعت المبلغ؟".

قال بشاره: "لا"، ثم رفع يده اليسرى، وقال:
"فضلت الساعة التي أهدتني إياها والدتي يوم تخرجى من جامعة يال عليها".
"إضافة إلى ثلاثة عشرة أونصة من الهيرويين،
ما زا وجد ضابط الجمارك في حقيبتك أيضاً في آخر
مرة احتجزت فيها، سيد بشاره؟".

"أدوات النظافة المعتادة، بعض القمصان، وجوارب
... ولكنني حينها كنت أمضى عطلة نهاية الأسبوع
فقط".

سأل كارمان وهو يكتب ملاحظة: "هل كان فيها أي
شيء آخر؟".

"كنت أضع فيها مبلغاً من المال".
"كم كان المبلغ؟".
"لا أذكر قيمته بدقة".

"إذا أسمح لي مرة أخرى بانعاش ذاكرتك يا سيد
بشاره، ووفقاً للسيد كوليير، وجد عشرة آلاف جنيه

استرليني نقدا في جيب حقيبتك الصغيرة".

ارتسمت علامات التعجب على وجوه بعض الحاضرين في قاعة المحكمة، وأول ما تبادر إلى ذهن سيباستيان هو أن المبلغ يفوق الدخل السنوي لمعظم أعضاء هيئة المحلفين بأشواط.

"لماذا يحتاج مصرفي محترم، ذو سمعة لا تشوبها شائبة، إلى حمل عشرة آلاف جنيه إسترليني في حقيبته الصغيرة، بينما وأقتبس من كلامك" - قام مرة أخرى بفحص ملاحظاته - " حينها كنت أمضى عطلة نهاية الأسبوع فقط".

"لا يمتلك كل شخص حساباً مصرفيًا أو بطاقة انتeman، في إفريقيا، يا سيد كارمان، لذا فإن العرف المحلي غالباً ما يقتضي بتسوية المعاملات نقداً".

"وأظن أنك إذا كنت ترغب في شراء المخدرات، ستحتاج إلى العرف نفسه أيضاً، يا سيد بشارة؟".
نهض غرافي بسرعة من مكانه مرة أخرى.

قال كارمان: "نعم، نعم، أسحب هذا السؤال"، بعد أن أدرك تماماً أنه أوضح وجهة نظره، وأردف قائلاً: "من المفترض، يا سيد بشارة، أن لك دراية بأقصى مبلغ نقدي مسموح لك بإدخاله إلى هذا البلد؟".
"عشرة آلاف جنيه".

"هذا صحيح، كم كان في محفظتك عندما احتجزك السيد كوليير؟".

"ربما بضع مئات من الجنيهات".

"لذا لابد أنك كنت تدرك تماماً أنك تخرق القانون، أم أن ذلك كان مجرد مخاطرة محسوبة أخرى؟"
لم يرد بشارة، فالتفت كارمان إلى هيئة المحلفين، وقال: "إنني أسأل فقط، سيد بشارة، لأن صديقي المثقف السيد غرافي شدد على حقيقة أنك كنت -

نظر في ملاحظاته - أقتبس مرة أخرى، مصري ذكي للغاية ورفع الثقافة، يبرم بانتظام الصفقات الضخمة التي يجب أن تحسب حتى آخر فاصلة عشرية، وإذا كان الأمر كذلك، فلماذا كنت تحمل ما لا يقل عن 10200 جنيه، في حين أنك كنت تعرف أنك تخالف القانون؟".

"مع احترامي، سيد كارمان، لو كنت أسعى إلى شراء ثلاثة عشرة أونصة من الهيرويين عندما كنت في لاغوس، وفقاً لحساباتك كنت سأحتاج إلى عشرين ألف جنيه نقداً على الأقل".

كارمان: "ولكن بصفتك مصرفياً محظوظاً، يمكنك أن تبرم الصفقة بعشرة آلاف جنيه".

"قد تكون على حق يا سيد كارمان، ولكنني لو قمت بذلك، فلن أتمكن من إحضار العشرة آلاف مرة أخرى، أليس كذلك؟".

"ليس لدينا سوى كلمتك بأنك كنت تحمل عشرة آلاف فقط".

"ليس لدينا سوى كلمتك؟ ولكنني لم أقل أنا ذلك".
إذا دعني أوضح أن الرجل الذي لا يتأثر بمحاولة تهريب ثلاثة عشرة أونصة من الهيرويين إلى هذا البلد، لن يتزدَّ ثانية في حمل الأموال الالزمة من أجل - كيف أصيغها؟ - إبرام الصفقة".

أحنى السيد غراري رأسه، فهو قد طلب من حكيم أكثر من مرة لا يتحدى كارمان، مهما استفزه أو أغاظه، وألا ينسى أبداً أنه كان يلعب على أرضه.

ظهرت ابتسامة عريضة على وجه كارمان ثم نظر إلى القاضي، وقال: "لا مزيد من الأسئلة يا سيدي".

"سيد غراري، هل ترغب في إعادة استجواب الشاهد؟".

"لدي بعض الأسئلة الإضافية، سيدى، سيد بشاره، صديقي المتعلم بذل قصارى جهده ليظهر أنك مقامر بطبيعتك، حتى عندما تلعب طاولة الزهر، فهل يمكنك أن أسألك، علام تراهن عندما تلعب هذه اللعبة؟".

"أراهن على كل لعبة بمئة جنيه، وإذا خسر خصمي فعليه التبرع بها إلى جمعية خيرية اختارها بنفسي".

"ما الجمعية؟".

"جمعية شلل الأطفال".

"وإذا خسرت؟".

"أدفع ألف جنيه لمؤسسة خيرية يختارها منافسي".

"كم مرة يسري هذا الرهان؟".

"يسري على مباراة واحدة من بين عشر تقرينا، ولكنها في النهاية مجرد هواية، يا سيد غراري، وليس مهنة".

"سيد بشاره، كم كنت ستجني لو كنت قادرًا على المتاجرة بثلاث عشرة أونصة من الهيرويين؟".

"لم يكن لدي أدنى فكرة حتى رأيت صفحة الاتهام، التي قدرت قيمتها السوقية بحوالى 22 ألف جنيه".

"ما مقدار الربح الذي أعلنه مصرفك العام الماضي؟".

"ما يزيد عن عشرين مليون جنيه تقرينا، يا سيد غراري".

"وكم تقدر خسارتك إذا ثفت إدانتك بتهمة تهريب المخدرات وخسرت هذه القضية؟".

"سأخسر كل شيء".

"لا مزيد من الأسئلة، يا سيدى"، جلس السيد غراري

منهكاً، ولم يجد بالنسبة إلى سيباستيان رجلاً يجد أن الاحتمالات تصب في مصلحة موكله.

قال القاضي: "أعضاء هيئة المحففين، يمكنكم أن تمضوا عطلة نهاية الأسبوع مع عائلاتكم أو أصدقائكم، ولكنني أدعوكم إلى لا تناقشوا هذه القضية معهم، لأنهم ليسوا من عليهم أن يقرر مصير المتهم، وإنما عليكم أنتم القيام بذلك، ويوم الإثنين سأقوم بدعوة المحاميين الرئيسيين لالقاء خطابهما الختاميين قبل أن الخص القضية، وسوف تجتمعون بعد ذلك لتفحص جميع الأدلة قبل أن تتوصلوا إلى حكمكم النهائي، لذا يرجى أن تعودوا إلى أماكنكم قبل الساعة العاشرة من صباح يوم الاثنين، وأتمنى لكم عطلة نهاية أسبوع سعيدة".

اجتمع الأربعاء في إحدى غرف جيلبرت غراي. سأله غراي وهو يعلق شعره المستعار وثوبه: "ما الذي تنوّي فعله في عطلة نهاية الأسبوع، سيد كليفتون؟".

"كنت أُنوي الذهاب إلى المسرح، لرؤية إيفيتا، ولكنني أعتقد أنني لا أستطيع تحملها، لذا سأبقى في المنزل وانتظر ابنتي لتنتصل بي، بعد تسجيل المكالمة على حسابي".

ضحك غراي.

سأله سيب: "وأنت يا سيدي؟".

"سأكتب خطابي الختامي واتأكد من تغطية كل النقاط التي أثارها كارمان، وماذا عنك، أرنولد؟".

"سأتسلّم إلى جانب الهاتف، جيلي، في حال احتجت إلي، ولكن هل يمكن أن أجرب واسألك، عن

توقعاتك حيال المحاكمة؟".

"لم تعد تهم توقعاتي، كما تعلم جيدا يا أرنولد، لأن القرار الان بين أيدي هيئة المحلفين، ويجب أن أفت انتباهك إلى أن المحلفين قد اقتنعوا بشدة بشهادة السيدة بيرغستروم".

سأله روس: "كيف يمكنك التأكد من ذلك؟".

"قبل أن تدخل إلى منصة الشهود، كان معظم أعضاء هيئة المحلفين ينظرون باتجاه حكيم من وقت إلى آخر، وذلك يعذ علامة إيجابية عادة، ولكن منذ أن قدمت السيدة إفادتها، بالكاد نظروا إليه".

تنهد غرافي تنهيدة عميقه، وقال: "أعتقد أننا يجب أن نعد أنفسنا للأسوا".

سيب: "هل ستخبر حكيم بذلك؟".

"لا، دعه يقضي عطلة نهاية الأسبوع على الأقل مؤمنا بأن الرجال الأبراء لا يدانون أبدا".

ستكون عطلة نهاية أسبوع طويلة بالنسبة إلى سيباستيان وروس وأرنولد وفيكتور وكلايف والسيد غراري والسيد كارمان، وكذلك بالنسبة إلى ديزموند ميلور وأدريان سلون، أما بالنسبة إلى حكيم بشاره فستكون عطلة شاقة وطويلة جداً.

استيقظ سيباستيان في وقت مبكر من صباح يوم السبت، بعد فترة وجيزة من النوم المتقطع، ورغم أن الظلام لا يزال حالكاً في الخارج، إلا أنه نهض وارتدى بدلة رياضية وتوجه إلى أقرب بائع صحف، إلا أن عناوين الصحف الرئيسية الموضوعة على الرف خارج المحل لم تحفزه على قراءتها.

دليل قاطع تقدمه المرأة الغامضة

(التايمز)

تم العثور على 10.000 جنيه استرليني في حقيبة الهيرويين

(ديلي ميل)

القبض على بشاره وهو يهرب ساعة بقيمة 14,000 إلى المملكة المتحدة

(الصن)

حتى إن صحيفه ذا صن أرفقت بالمقال صورة تظهر الساعة، تصدرت صفحتها الأولى.

اشترى سيب نسخة من كل صحيفه قبل أن يعود إلى شقته، وسكب فنجان من القهوة، وجلس على الكرسي الوثير الذي يفضله في غرفة الجلوس، فقرأ الخبر نفسه مراراً وتكراراً، فكان أسلوب رواية القصة مختلفاً نوعاً ما إلا أن الفكرة كانت نفسها، ومن خلال إعادة الكلمات اللعينة التي قالها السيد كارمان عبر استخدام علامات الاقتباس، تمكّن جميع

الصحفيين من تجنب انتهاك قوانين التشهير.
ولم يكن عليك أن تقرأ ما بين السطور لتكشف ما
اعتبروه الحكم المرجو.

كانت صحيفة ذا غارديان وحدها التي قدمت
تقريراً غير متحيز، مما سمح لقارئها باتخاذ قراراتهم
بأنفسهم.

لم يتوقع سبب أن يقرأ كل عضو من أعضاء هيئة
المحلفين صحيفة ذا غارديان فقط، كما شك أيضاً
في أن يمثل العديد منهم لتعليمات القاضي بعدم
قراءة أي صحيفة قبل انتهاء المحاكمة، فقد ذكرهم
السيد أوركهارت بقوله: "لا تنسوا أنه لا يحق لأي
أحد أن يتخذ القرار النهائي عنكم في هذه القضية،
 وإنما هذا القرار يعود إليكم وحدكم أنتم فقط"،
ولكن هل استجاب الاثنين عشر جميعهم لدعوته؟
بعد أن قرأ سبب كل كلمة في كل مقال وحتى
المقالات التي أشارت إلى حكيم بشكل عابر، أسقط
آخر صحيفة على الأرض، ونظر إلى الساعة المعلقة
فوق رف الموقد، وكانت لا تزال السابعة والنصف،
فأغمض عينيه من جديد.

لم يقرأ روس باكنان سوى صحيفة ذا تايمز في
ذلك الصباح، وعلى الرغم من قناعته بأن مراسل
المحكمة قد غطى مجريات المحاكمة إلى حد ما،
فلن يلام رجل مراهنة على حكم بالإدانة.
ورغم أنه لم يكن متدينًا، إلا أنه كان يؤمن بالعدالة.
وعندما تحدث روس في آخر اجتماع إلى أعضاء
مجلس الإدارة قبل أسبوع من بدء المحاكمة،
أخبر زملاءه المدراء بأنهم في المرة القادمة التي
سيجتمعون خلالها، سيكون رئيس المجلس إما
حكيم بشارة أو أدريان سلون، وقد أسدى إليهم

النصح أن يأخذوا مناصبهم بصفتهم مدراء بعین الاعتبار إذا لم يحصل حكيم على حكم البراءة بإجماع الأعضاء.

وأضاف قائلًا بلهجة تنذر بالسوء: "إذا انتهت المحاكمة من دون إجماع أعضاء هيئة المحففين، أو حتى إن صدر الحكم لصالح حكيم بأغلبية عشرة أصوات مقابل اثنين، فلن يعتبر ذلك سوى نصر مصحوب بالخسائر، لأنه سيظل الشك دوماً في أنه أفلت من العقاب يحاصره، مثل الحكم الاسكتلندي اللعين 'لم يتم إثبات الإدانة'", وقد كان يستعد إلى الأسوأ، مثل أي مسؤول تقع على عاتقه مسؤولية كبيرة.

بينما كان ديزموند ميلور وأدريان سلون يستعدان مسبقاً إلى الاحتفال بالنصر، اجتمعا في ناديهما لتناول طعام الغداء قبل الساعة الواحدة بقليل، وكانت قاعة الطعام تخلو تقريباً من روادها، وقد لاءم ذلك الغرض من اجتماعهما.

قرأ ميلور البيان الصحفي الذي أعده سلون، وخطط لنشره فور إصدار السيد القاضي أوركهارت الحكم.

وقد تضمن البيان مطالبة سلون بعقد اجتماع عام استثنائي لمالكي أسهم فارذنفرز لمناقشة الآثار المترتبة على قرار هيئة المحففين، وكان واثقاً من أن سيباستيان كليفتون لن يقدر على معارضته دعوته، كما أنه سوف يتطوع بخدماته بصفته رئيساً مؤقتاً للمصرف حتى يتم العثور على مرشح مناسب، وهذا المرشح كان جالساً إلى الجانب الآخر من الطاولة.

تناقش الاثنان في أدق تفاصيل خطتهما التي

تُقضى الاستيلاء على فارذنفرز، وفي الوقت نفسه
تعيد إحياء الاندماج في كوفمان، كما يمكنها دفن
جميع أعدانهما في قبر واحد.

أمضى أرنولد هاردكاسل بعد ظهر يوم السبت، وهو
يعد ببيانين صحفيين بمساعدة مسؤول العلاقات
ال العامة في المصرف، كلايف بينغهام، وكان عنوان
أحدهما، سينتناف حكيم بشاره الدعوى، وهو واثق
من أن الحكم سينقلب لصالحه، بينما سينظهر الآخر
صورة حكيم وهو يجلس إلى مكتبه في المصرف،
وعبارة استئناف العمل كالعادة.

ولم يتوقعوا أي بيان منهما من المرجح أن يرسله
إلى الصحافة.

ألقى السيد المحامي جورج كارمان خطابه
بينما كان يستحم بالماء الساخن، وقد استمعت
زوجته إليه باهتمام من غرفة النوم: "أعضاء هيئة
المحلفين، بعد أن اطلعتم على الأدلة المقدمة من
الشهدود، أصبح في إمكانكم بالتأكيد إصدار الحكم
النهائي في هذه القضية، وهذا الحكم يمكنكم
إصداره من دون إعادة التفكير فيه، لذا أريدكم أن
تتحرّروا من التفكير المصرفي الذي يتزيّن بالملابس
الأنيقة، كما لاحظتم على منصة الشهود، وحصر
تفكيركم بالمساكين الذين يعانون كل يوم من الالمهم
التي لا حد لها نتيجة إدمانهم على المخدرات غير
المشروعة، وليس لدى أدنى شك في أن السيد
بشاره كان يقول الحقيقة في أنه لم يسبق له أن
تعاطى مخدراً في حياته، ولكن ذلك لا يعني أنه لم
يكن مستعداً إلى تدمير حيوانات آنابيب أخرين أقل
خطاً منه، من أجل تحقيق ربح كبير على حساب

معاناتهم، كما لا تنسوا، أنه قد فشل في إبرام صفقة أخرى في أثناء وجوده في نيجيريا، لذلك على المرء أن يسأل نفسه، لماذا قد يحمل مبلغًا كبيرًا من المال وهو متوجه إلى لاغوس في المقام الأول؟ والأمر عائد إليكم لاتخاذ قراركم.

أعضاء هيئة المحلفين، عندما يحين وقت إصدار حكمكم، سيكون عليكم أن تقرروا إذا كان أحد الأشباح التي تسكن في مخيال السيد بشاره قد وضع ثلاثة عشرة أونصة من الهيرويين في حقيقته، أو كما أظهرت الأدلة في أثناء المحاكمة أنه كان على علم بوجود المخدرات في حقيقته منذ البداية، وإذا كان هذا ما توصلتم إليه، فهناك حكم واحد يستحقه المتهم، وهو أنه مذنب".

فصفقت له زوجته بعد إنهاء مرافعته من غرفة النوم، وقالت له:

"ليس سيئا يا جورج، ولو كنت عضوا في هيئة المحلفين، لكنت اقتنعت بكلامك بالتأكيد".

قال كارمان بهدوء وهو يطعن الضوء: "رغم أنني لست متأكدا من كوني مقتنعا".

لم يتحدث جيلي غراي إلى زوجته في أثناء تناول الفطور، فهو لم يكن رجلا متقلب المزاج، ولكن سوزان قد اعتادت على صمته لفترات طويلة جدا، كلما اقتربت المحاكمة من النهاية، لذلك لم تعلق عندما غادر الغرفة وعاد إلى ملاحظاته لتحضير مرافعته الختامية أمام هيئة المحلفين، وعندما رأى جرس الهاتف في القاعة، سارعت سوزان إلى الرد على المكالمة الهاتفية حتى لا تزعجه.

"أعضاء هيئة المحلفين، هل يعقل أن يتورط رجل يحتل مكانة رفيعة كالسيد بشاره في جريمة دنيئة

تشوه سمعته؟ هل يمكن لشخص لديه الكثير كي يخسره..." سمع نقر على الباب، فاستدار جيلي، الذي كان يدرك تماماً أن زوجته لم تكن لتفكر في مقاطعته ما لم يكن ...

"هناك رجل يدعى السيد باري هاموند على الخط، ويقول إنه أمر عاجل."

بالنسبة إلى حكيم بشاره، لم تكن عطلة نهاية الأسبوع طويلة، بل كانت شاقة بعد قضاء 67 ساعة من دون أن يغمض له جفن، وهو ينتظر بفارغ الصبر العودة إلى المحكمة لمعرفة مصيره، أملاً في أن ينهض رئيس هيئة المحلفين، ويقول كلمتين، لا كلمة واحدة.

وبينما كان يتتجول في ساحة السجن بعد ظهر يوم الأحد برفقة اثنين من المصرفيين اللذين سيجدان صعوبة في فتح حساب مصرفي مرة أخرى، تمنى له العديد من زملائه في السجن التوفيق.

قال له أحد زملائه: "من المؤسف أنه لم يظهر أحد تجار المخدرات بصفته شاهداً في القضية".

قال له حكيم: "كيف يمكن أن يساعدني ذلك؟".

"الشائعات السائدة هي أن زعماء عصابات المخدرات قد أعلناها أمام الجميع أنك لم تكن يوماً تاجر مخدرات أو مدمناً عليها، لأنهم يعرفون عملاءهم ومن يزودهم بها أكثر من أي إنسان آخر، ولكن في النهاية لا يمكنهم ترويج أفكارهم، كما ليس لديهم واجهة متجر لإعلانها".

قال له حكيم: "ولكن من سيصدق كلامهم؟".

وصل سيباستيان إلى أولد بايلي بعد التاسعة والنصف من صباح يوم الإثنين، وعندما دخل المحكمة، تفاجأ بروية أرنولد هاردقاسل يجلس بمفرده على مقعد محامي الدفاع، بينما كان كارمان في مكانه، ويتحقق من خطابه الختامي، وقد بدا وكأنه لا يستطيع انتظار إطلاق طلقة البداية حتى يتمكن من الانطلاق والتوجه نحو شريط النهاية، ولكن للأسف لا توزع ميداليات فضية على المحامين في المحاكم العليا.

سأل سيب أرنولد: "هل هناك أي خبر عن قائدنا المبجل؟".

قال أرنولد، وهو يتفقد ساعته: "لا، لكن يجب أن يحضر في أي لحظة، وعندما اتصلت به سابقاً، أخبرني صغيره بأنه لا يريد أن يزعجه أحد تحت أي ظرف من الظروف.

على الرغم من أنني يجب أن أقول، إنه غائب".

ظل سيب ينظر نحو المدخل الذي كان يتدقق منه المسؤولون في المحكمة والمحامون والصحفيون والأطراف المهمة بالمحاكمة، ولكن لم يكن من بينهم السيد غراري، صارت الساعة 9:45 صباحاً ولم يكن هناك أي أثر له، وعند الساعة 9:50 بدأ السيد كارمان ينظر إليهم نظرات ساخرة، وعند الساعة 9:55 شعر أرنولد بالقلق الشديد، لأنه من المؤكد أن يسأله القاضي عن مكان وجود محامي الدفاع، وهو لا يعلم بمكانه.

10:00 دخل السيد القاضي أوركهارت، وانحنى للحاضرين ثم جلس على مقعده، وتأكد من وقوف المدعى عليه في قفص الاتهام، ثم انتظر جلوس

الاثني عشر محلفًا في منصة هيئة المحلفين، وأخيرًا نظر نحو مقعد محامي الادعاء فكان السيد كارمان جالسا على حافة مقعده وقد نفذ صبره على بدء مرافعته الختامية، وكان القاضي يوشك أن يسدي إليه معروفاً، ولكنه لم ير أي أثر لمحامي الدفاع.

"أود أن استدعيك، سيد كارمان، لإلقاء خطاب الختامي، ولكن يبدو أن السيد غرافي ليس بيننا".

لم يكد السيد القاضي أوركهارت يتفوّه بهذه الكلمات، حتى انفتح الباب في الجانب الآخر من قاعة المحكمة، ودخل جيلبرت غرافي راكضاً، وثوبه يتدلّى خلفه، وهو يعذّل شعره المستعار.

ما إن استقرَّ في مكانه، حتى قال القاضي: "صباح الخير يا سيد غرافي، هل لديك أي اعتراض على استدعائي السيد كارمان لإلقاء مرافعته الختامية؟"، لم يقم غرافي بأي محاولة لاخفاء سخريته، وهو يقول:

"أنا أعتذر يا سيد، ولكنني أرجو أن تكون متсаهمًا معي، وتسمح لي باستدعاء شاهد لديه أدلة جديدة يود تقديمها إلى المحكمة".

جلس السيد كارمان وأغلق ملفه بعنف، وانتظر بلهفة معرفة هوية هذا الشاهد.

"هل لي أن أسألك، سيد غرافي، من يكون هذا الشاهد الجديد؟".

"لن استدعى شاهداً جديداً، سيد، وإنما سأستدعى السيد كوليير من جديد إلى المنصة".

من الواضح أن هذا الطلب فاجأ الجميع، ومن ضمنهم السيد كارمان، فمَرَ بعض الوقت قبل أن يسود الصمت للسماع للقاضي بطرح سؤاله التالي،

انحنى إلى الأمام، ونظر إلى السيد كارمان، وقال:
"هل لديك أي اعتراض، سيد كارمان، على استدعاء
السيد كوليير في هذا المرحلة المتأخرة؟".

أراد كارمان أن يقول نعم، اعتراض يا سيدي، ولكنه لم يكن متأكداً من تأثير اعتراضه الذي لم يكن له أساس كونه الشاهد الرئيسي في هذه القضية، وقد أراد أن يدلّي بشهادته للمرة الثانية، قال له: "ليس لدى أي اعتراض، سيدي، على الرغم من أنني أشعر بالفضول لمعرفة الأدلة الجديدة التي يمكن أن تكون قد ظهرت خلال عطلة نهاية الأسبوع".

قال القاضي: "دعونا نكتشف ذلك، هل لنا باستدعائه؟"، أومأ إلى كاتب المحكمة.
"السيد ديفيد كوليير!".

دخل ضابط الجمارك الأول قاعة المحكمة، وعاد إلى منصة الشهود، ولم تظهر تعابير وجهه ما يمكن من توقع ما سيدلّي به، فذكره القاضي بأنه لا يزال تحت القسم.

قال غراري: "صباح الخير يا سيد كوليير، هل يمكنني أن أؤكد أنك تدلّي بشهادتك بناء على طلبك الخاص، وليس بصفتك شاهد الادعاء؟".

لقد لاحظ سيباستيان تخلّي السيد غراري عن أسلوبه العدوانية تجاه هذا الشاهد، واستبداله بنبرة هادنة وودودة.

"هذا صحيح يا سيدي".

"ولماذا ترغب في الشهادة مرة أخرى؟".

"كنت أخشى أن يحدث ظلم جليّل بحق المتهم، إذا لم أصرّح بما أعرفه".

مرة أخرى، ضجّت قاعة المحكمة بالترثّرة.

لم يتبع السيد غراري استجواب الشاهد حتى ساد

الصمت.

"ربما ترغب في التوضيح أكثر، سيد كوليير".

"مساء يوم الجمعة، تلقيت مكالمة من زميل مسؤول في فرانكفورت، وقد أطلعني على مجريات قضية حدثة في تلك المدينة، وقد رأى أن علي أن أعلم بها، وفي سياق تلك المحادثة اكتشفت السبب الذي دفع السيدة عائشة أوجابو، مضيفة الرحلة رقم 207، إلى تقديم أدلة مكتوبة إلى هذه المحكمة".

سأل السيد غراري: "وما السبب الذي دفعها إلى ذلك؟".

"إنها في السجن، وتقضي عقوبة مدتها ست سنوات لارتكاب جريمة حيازة مخدرات من الدرجة الأولى".

هذه المرة لم يبذل القاضي أي جهد لإخمام الفوضى التي حدثت في القاعة نتيجة ما كشفه كوليير.

سأله السيد غراري، ما إن ساد الهدوء في قاعة المحكمة:

"ولماذا يكون لذلك أي تأثير على هذه القضية؟".

"بعد أسبوع قليل من اعتقال بشاره، تم القبض على السيدة أوجابو بتهمة حيازتها على أونصتين من الماريجوانا".

سأله القاضي متفاجئاً: "هل تعتبر الماريجوانا مخدرا من الدرجة الأولى في ألمانيا؟".

"لا يا سيدي، فقد حكم القاضي على السيدة أوجابو بالسجن لستة أشهر مع وقف التنفيذ، بسبب ارتكابها هذه الجنحة، ثم أمر بترحيلها إلى نيجيريا".

سأله القاضي: "إذا لماذا لم ترحل إلى بلددها؟".

"لأنه في أثناء المحاكمة انكشفت حقيقة أن السيدة أوجابو كانت على علاقة حميمة مع قائد الطائرة التي كانت تعمل مضيفة على متنها، ولو أعيدت إلى نيجيريا، سيدني، لكان سيلقى القبض عليها بتهمة الزنى التي تكون عقوبتها في ذلك البلد الرجم حتى الموت، إذا وجدت مذنبة، لذلك عندما سألها القاضي في نهاية المحاكمة عما إذا كانت تؤدّ الاعتراف بأي مخالفات أخرى قبل إصدار العقوبة، اعترفت بأنها تلقت مبلغاً كبيراً من المال مقابل وضع ثلاث عشرة أونصة من الهيرويين في حقيبة مسافر في الدرجة الأولى على متن رحلة للخطوط الجوية النيجيرية من لاغوس إلى لندن، ولكنها لم تستطع تذكر اسم الراكب، وإنما تذكرت أن الحقيبة التي وضعت فيها الهيرويين قد ظررت بالحرفين ح.ب باللون الذهبي، وبسبب ارتكابها هذه الجريمة، حكم القاضي عليها بالسجن ست سنوات".

استسلم القاضي هذه المرة للفوضى التي لم تهدأ إلا بعد فترة أطول قليلاً، فجلس على كرسيه صامتاً، متظاظراً أن تستعيد قاعة المحكمة النظام، بينما غادر عدد من الصحفيين القاعة بحثاً عن أقرب هاتف.

لاحظ سيسيستيان أنها المرة الأولى التي ينظر فيها المحلفون إلى السجين في قفص الاتهام، وكان بعضهم يبتسمون له، لكن ما لم يلاحظه هو انسحاب أدريان سلون بهدوء خارج القاعة، وقد ظل السيد غراري واقفاً، لكنه لم يبدأ بالتحدث حتى ساد الهدوء من جديد.

"شكراً لك سيد كوليير على نزاهتك وشعورك بالمسؤولية والتزامك بالواجب العام، وإذا جاز لي أن أقول، فأنت تشرف مهنتك"، أغلق السيد غراري ملفه، ونظر إلى القاضي، وقال: "ليس لدى أسئلة

أخرى، يا سيدى".

سأل القاضي: "هل لديك أي أسنلة لهذا الشاهد يا سيد كارمان؟".

استشار كارمان فريقه قبل أن ينظر إلى القاضي، ويقول: "لا، يا سيدى".

ثم أردف قائلًا: "على الرغم من أنني أجد أنه من المثير للسخرية إلى حد ما أن أكون من أشرت إلى سيادتك أن أوراق اعتماد هذا الشاهد كانت لا تشوبها شائبة".

قال القاضي وهو يعدل باروكة شعره: "مع كامل احترامي، سيد كارمان".

كارمان: "بعد أخذ تلك الشهادة بعين الاعتبار، يا سيدى، يسحب الادعاء جميع التهم الموجهة إلى المدعى عليه".

جلس السيد كارمان وسط تصفيق حاد من القاعة العامة.

واصل الصحفيون كتابة مقالاتهم بسرعة قصوى، وحاول مسؤولو المحكمة المتممرون عدم الكشف عن أي عاطفة، بينما بدا السجين في قفص الاتهام مذهولاً من كل ما يحدث من حوله، كما بدا أن السيد أوركهارت هو الشخص الوحيد في القاعة الذي ظل هادئاً تماماً، فوجه انتباهه إلى الرجل الذي لا يزال واقفاً في قفص الاتهام، وقال له: "سيد بشارة، لقد سحب الادعاء جميع التهم الموجهة إليك، لذلك أنت حرٌ ويمكنك مغادرة المحكمة، من دون أن تتشوّه سمعتك".

قفز سيباستيان في الهواء، واحتضن روس، ثم انحنى المحاميان الرئيسيان لبعضهما باحترام زائف قبل أن يتصلقا.

قال جيلي غراري: "بما أن بقية اليوم عطلة، يا جورج، هل يهمنك الانضمام إلى لتناول طعام الغداء، والقيام بجولة للعب الغولف؟".

"أهلاً بعودتك، حضرة الرئيس".

لقد استعاد حكيم منصبه بعد قضاء خمسة أشهر في السجن، وقال وهو يجلس خلف مكتب رئيس مجلس الإدارة للمرة الأولى بعد أن ثبتت براءته: "شكراً لك، روس على كل ما فعلته، لكن في الحقيقة مهما حاولت لن أتمكن من أن أعبر عن امتناني لك، لا بسبب ما قمت به من أجلني فقط، ولكن بسبب ما قمت به من أجل المصرف بشكل خاص".

قال له روس: "لم أفعل ذلك وحدي، فلديك فريق نسيط بالفعل في فارذنفرز، وبفضل قيادة سيباستيان تمكناً من اختصار الكثير من الوقت وإنجاز العمل على أكمل وجه".

"أبلغني أرنولد بأنني كنت مسؤولاً أيضاً عن إفساد حياته الخاصة".

"أعتقد أن الأمور قد تغيرت قليلاً في هذا المجال".

"هل يمكن أن تسامحه سامانثا إذا كتبت إليها رسالة، وشرحـت لها أسباب اضطرار سـبـبـ إلى مغـادـرـةـ واشنـطنـ، خـلالـ وقتـ قـصـيرـ منـ دونـ وـداعـهاـ؟ـ".

"لقد عرفـتـ كلـ ماـ جـرـىـ بـالـفـعـلـ، وـلـمـ يـلـحـقـ ذـلـكـ أيـ ضـرـرـ بـعـلـاقـتـهـماـ".

"هل هناك شخص معين يجب أنأشكره بشكل خاص؟".

"لقد كان الفريق كله داعماً لأبعد الحدود، إلا أن انضمام جايـلـزـ بـارـينـفـتونـ إلىـ مجلـسـ الإـدـارـةـ، كانـ بمـثـابةـ رسـالـةـ وـاضـحةـ إـلـىـ الأـصـدـقاءـ وـالـأـعـدـاءـ عـلـىـ حدـ سـوـاءـ".

"أدـينـ بالـكـثـيرـ لـعـانـلـةـ بـارـينـفـتونـ، وسيـكونـ منـ

المستحيل سداد ذلك الدين".

"لا يفعلون ذلك من أجل الحصول على الامتنان، يا رئيس".

"صحيح، وهو مصدر قوتهم".

"ضعف خصومك في الوقت نفسه".

"بالإشارة إلى ما يبعث في النفس السعادة، هل تعلم بكم افتتحت أسمهنا هذا الصباح؟".

"عادت أسعارها تقريباً كما كانت في اليوم الذي سبق..." تردد روس في إكمال عبارته.

قاطعه حكيم قائلًا: "...دخولي إلى السجن، لقد اتصل جيمي غولدميث بي باكرا هذا الصباح ليخبرني بأنه سيبيع أسمهنا تدريجياً في السوق خلال الأشهر الستة المقبلة".

"لابد أن يحقق ربخاً كبيزاً".

"لن يحسده أحد على ذلك، مع الأخذ بعين الاعتبار المخاطرة التي خاضها في الوقت الذي افترض معظم الناس أننا نوشك على الانهيار".

"يعتبر أدريان سلون خير مثال على ذلك، وهو مستعد إلى ارتكاب جريمة قتل أيضاً، من أجل أسباب خاطئة".

"حسناً، على الأقل لن يكون قادرًا على المطالبة بمقعد ضمن مجلس الإدارة بعد أن باع أسمهنا، ولكن لا تنس أنني كنت لأدفع مالاً وفيزا لحضور اجتماع مجلس الإدارة عندما أخبر جيمي سلون برأيه فيه بصرامة".

"اعتقد أنك ستتجده مسجلاً بالتفصيل في محضر الاجتماع".

"هذا مؤكد، ولكنني كنت أتمئن لو تم تسجيل المحادثة، لأنتمكن من إعادة تشغيلها..." صمت

للحظة، وتتابع قائلًا: "...مرةً تلو الأخرى".

"لم يكن سلون هو الشخص الوحيد الذي تخلَّى عما قد يسميه بعضهم سفينَة غارقة، ولن تكون كذلك مندهشاً لسماع أن عميلاً أو أكثر من العملاء القدامى يحاولون الان الصعود مرة أخرى على متن هذه السفينَة"، قال حكيم متأثراً: "لم يكن لدى شك مطلقاً، يا صديقي العزيز، وأتمنى أن تكون قد عاملت هؤلاء العملاء القدامى معاملة يستحقونها وغير قائمة على الأسس التي اعتادوا عليها، الواحد تلو الآخر".

"لم أصل إلى هذا الحد، حضرة الرئيس، ومع ذلك أوضحت لهم أنه قد لا يُعرض عليهم الأرباح نفسها التي كانوا يحصلون عليها في الماضي".

انفجر حكيم ضاحكاً، وقال: "كما تعلم، روس، هناك أوقات يمكنني فيها أن أستفيد من حكمتك وحسن تدبيرك"، تغيرت نبرة صوت الرئيس، وهو يتتابع كلامه قائلًا: "هل لي أن أتجرأ وأسأل إذا كنا اقتربنا من معرفة من الذي دفع لمضيفة الطيران لوضع الهيرويين في حقيبتي؟".

"يقول باري هاموند إنه توصل إلى قائمة مؤلفة من ثلاثة أسماء".

"أفترض أن أحدهم يكون ديزموند ميلور".

"وقد حضره أدريان سلون وجيم نولز، كما ساعداه في التخطيط للمؤامرة، لكن باري حذرني من أنه لن يكون من السهل إثبات ذلك".

"كان إثبات براءتي مستحيلاً لولا مساعدة السيد كوليير، الذي كان في استطاعته بكل سهولة أن يلتزم الصمت من دون البوح بما يعرفه، وحفظ ماء الوجه، لذا أنا مدين له، وربما يجب أن نقدم إليه وإلى وزوجته رحلة بارينغتون البحرية إلى جزر

الباها ماس".

لا أعتقد أنه سيوافق، حضرة الرئيس، فديفيد كوليير يتصرف وفق قواعد لا يقبل أن يتخطاها، فعندما دعاه باري لتناول الغداء ليشكّره على كل ما فعله، أصرّ على تقاسم الفاتورة، لذا اقترح أن توجه إليه خطاب شكر، وبما أنه يعشق ديكيينز، فربما يكون الإصدار الكامل من لا متيل له مناسباً".
"يا لها من فكرة رائعة!".

"ليست فكري، مرة أخرى، ويمكنك شكر باري هاموند على تلك البصيرة النافذة، فقد أصبح هذان الاثنان ملتصقين ببعضهما مثل توأم لا يفارقان بعضهما، فهما يذهبان لمشاهدة واسبز معاً عصر كل سببٍ".

سأله حكيم، وقد ارتسمت على وجهه علامات الحيرة: "واسبز؟".

"نادي ركبي في لندن، كلّاهما يشجعانه منذ سنوات".

"ماذا تقترح أن أفعل لكيأشكر باري كما يستحق؟".

"لقد دفعت له المكافأة التي اتفقتما عليها فور إثبات براءتك، وما زال يبحث عن خطط لجعل المضيفة تضع تلك المخدرات في حقيقتك، ولكنه يرفض إطلاعي على أي تفاصيل حتى يقبض على ذلك الوعد".

"هذا موقف تقليدي من باري".

"أخبرني أيضاً أنك طلبت منه القيام بالمزيد من التحقيقات حول كريستينا بيرغستروم، الأمر الذي حيرني، حضرة الرئيس، لأنني كنت مقتنعاً بأنها كانت تقول الحقيقة، ولا يمكنني روية أي هدف

من...".

"الآن بما أنك لم تعد رئيس مجلس الإدارة، روس، ما مخططاتك الحالية؟".

على الرغم من أن التغيير المفاجئ للموضوع كان واضحا، إلا أن روس سايره: "سنذهب أنا وجين إلى بورما، البلد الذي لطالما أردنا زيارته، وعندما نعود إلى اسكتلندا، نعتزم قضاء بقية أيامنا في قصر يتمتع بإطلالات خلابة على فيرث أوف فورث، وقد صادف أنه مجاور لملعب مويرفيلد للغولف، حيث سأقضي الكثير من الساعات السعيدة في العمل على تطوير مهاراتي".

"لا أفهمك يا روس".

"وهذا شيء جيد، حضرة الرئيس، لأنه سينتهي المطاف بك إلى أرض الأعشاب فقط، وبنفس القدر من الأهمية، يقع القصر على الشاطئ الجنوبي لنهر فيرث، حيث يوشك سمك السلمون المرقط أن يكتشف أنني عدت للانتقام".

"هل أفهم أنه لا يمكنني إقناعك بالبقاء ضمن مجلس الإدارة؟".

"لا أمل في ذلك، لقد أرسلت بالفعل خطاب استقالتي، وإذا لم أكن على متن قطار فلاينغ سكوتسمان هذا المساء، فلا أعرف أي واحد منا ستقتله جين أولاً".

قال روس: "يمكنني التعامل معك، ولكن ليس مع جين، هل يعني ذلك أنك قد أتممت الصفقة وحصلت على ذلك القصر المثالى الذي أخبرتني عنه؟".

"تقريبا، ما زلت مضطرا إلى بيع شقتي في إدنبرة قبل أن أتمكن من توقيع العقد".

"من فضلك أبلغ جين حبي وأخبرها بأنني ممتن لها كثيراً، لأنها سمحت لك بتأخير تقادعك لمدة خمسة أشهر، واستمتع بقضاء وقت رائع في بورما، وشكراً لك مرة أخرى"، كان روس على وشك مصافحة الرئيس عندما ألقى حكيم ذراعيه حوله وعانقه عناقاً حازماً، وهو أمر لم يجرِه الأسكتلندي من قبل.

وما إن غادر روس المكتب حتى سار حكيم نحو النافذة وراقبه وهو يغادر المبنى، ثم يركب سيارة أجرة، وبعد ذلك عاد إلى مكتبه وطلب من سكرتيرته أن تتصل بالسيد فوغان سافيلز.

"سيد بشارة، من الجيد أن نسمع صوتك، هل يمكنني أن أثير اهتمامك بشقة من طابقين في مايفير، موقعها رئيسي، وإطلالاتها مميزة، تشرف على المنتزه...".

"لا، سيد فوغان، لا تثير اهتمامي، ولكن يمكنك أن تشتري شقة صغيرة في إدنبرة، وهي موجودة في سجلاتك منذ عدة أشهر".

"لقد حصلنا بالفعل على عرض لشراء عقار السيد باكنان في شارع أرجيل، ولكن لا يزال ينقص بضعة ألف من السعر المطلوب".

"حسناً، إذا أخرجها من السوق، وقم ببيعها إلى صاحب العرض، وأنا سأغضي النظر".

"نتحدى عن بضعة ألف من الجنيهات يا سيد بشارة".

حكيم: "إنها رخيصة وتساوي ضعف السعر".

جاييلز بارينغتون

1976-1977

39



مكتب الحاكم

12 حزيران 1976 عزيزي لورد بارينغتون

قد لا تذكرني، ولكننا التقينا منذ قرابة اثنتي عشر عاما، في رحلة باكتنفهام الاولى إلى نيويورك، في ذلك الوقت كنا نحن أعضوا في مجلس النواب للمقاولة الحادية عشرة في لويزيانا، المعروفة باسم باتون روج، وبعد ذلك أديمت حاكماً الولاية، وقد أعيد مؤخراً انتخابي الولاية الثانية، وأنا أهلاً على عودتك إلى مجلس اللوردات بصفتك قاتلاً لـ أكتوب الـ لـ لـ ، لأنني ملأتك في لندن لـ لـ أيام في نهاية شهر تموز، وقد أتساءلت إذا كان في

إمكانك توفير بعض الوقت لمقابلتي لمناقشة مسألة خاصة تتعلق بصديق مقرب، وهو داعم أساسي ونائب لحزبي.

كان لدى صديقي تجربة مريرة مع الليدي فيرجينيا فينيويك عندما زار لندن قبل خمس سنوات، واكتشفت بعد ذلك أنها طليقتك، ما دفعني إلى طلب مشورتك بشأن يسيء إلى الليدي فيرجينيا، فربما ما زلت على علاقة جيدة بها، وإذا كان هذا هو الحال، فسوف أتفهم بالطبع عدم رغبتك في مساعدتي، وسأسعى لحل المشكلة بطريقة أخرى.

أتطلع إلى ردك.

مع فائق التقدير، المحترم هايدن رانكين.

لقد تذكر جاييلز الحاكم جيداً، الذي ساعدت نصانحه وفطنته وحكمته في تجنب كارثة كبرى عندما حاول الجيش الجمهوري الأيرلندي إغراق باكنغهام في أثناء القيام برحلتها الأولى، وبالتالي لم ينس كلمات هايدن رانكين المرتبطة بهذا الموضوع عندما افترقا: "أنت مدین لي بخدمة".

كتب له جاييلز على الفور ليقول له إن من دواعي سروره مقابلته عندما يزور لندن، ولا سيما - وهو ما لم يذكره في رسالته - أنه لن يتحمل الانتظار لمعرفة كيف يمكن أن تلتقي طليقته بأحد أقرب أصدقاء حاكم لوبيزيانا، والتمكن من أن يحل ذلك لغز فريدي الصغير أيضاً.

لقد كان سعيذاً بانتخاب هايدن مجدداً لولاية ثانية، ولكنه لم يشعر بالثقة بشأن فرص حزبه في النجاح في الانتخابات المقبلة، على الرغم من أنه لم يكن على أتم الاستعداد للاعتراف بذلك، خاصة لآليماً.

بعد الاستقالة المفاجئة لهارولد ويلسون في نيسان

1976، طلب رئيس الوزراء الجديد، جيم كالاغان، من جاييلز تولي مسؤولية حملة انتخاب أعضاء مجلس النواب مرة أخرى، وعلى مدار الشهرين الماضيين كان يزور دوائر انتخابية بعيدة مثل أبودين وبليماوث، وعندما سأله كالاغان جاييلز عن تقييمه الواقعي لما ستؤول إليه نتيجة الانتخابات المقبلة، حذر "جيم المحظوظ" من أنهم قد لا يكونون محظوظين بالقدر نفسه هذه المرة.

"هل يمكنني التحدث إلى سيباستيان كليفتون من فضلك؟".

"أنا سيباستيان كليفتون".

"سيد كليفتون، أنا أتصل من الولايات المتحدة".

هل تواافق على تسجيل مكالمة الانسة جيسيكا كليفتون على حسابك؟".

"نعم، أوافق".

"مرحبا، أبي".

"مرحبا جيسي، كيف حالك؟".

"بأحسن حال، شكرًا".

"وكيف حال أمك؟".

"ما زلت أحاول إقناعها، ولكنني أتصل بك لتأكد من أنك ستتنضم إلينا في روما الشهر المقبل".

"لقد حجزت بالفعل في ألبيرغوا ديل سينا تو، في بياتزا ديلا روتوندا، إنه مقابل البانثيون، وأين ستقيمان؟".

"سنقيم مع جدي في السفارة الأمريكية، ولا أعلم ما إذا كنت قد قابلته من قبل، ولكنه رانع للغاية".

"نعم، لقد قابلته، في الواقع قد زرته عندما كان رئيس البعثة في السفارة في ميدان جروسفينور،

وقد طلبت والدتك منه للزواج".

"كم هذا رائع أبي! ولكنك لن تتكلف عناء طلبها منه مرة أخرى، لأنني حصلت على موافقته، ولا يمكنني التفكير في مدينة أكثر رومانسية من روما لطلب فيها والدتي للزواج".

"رجاء لا تخبريني بأنك تسجلين اتصالاتك بالسفير في روما على حسابه!".

"نعم، ولكنني أثصل به مرة واحدة فقط في الأسبوع، كما أنني لا أطيق الانتظار لمقابلة جدي هاري وخالي الأكبر جايلز، حينها يمكنني إضافتهم إلى قائمتي وإعلامهما بأنك تخطط لطلب والدتي للزواج".

"افترض أنك اخترت بالفعل التاريخ والزمان والمكان؟".

"نعم، بالطبع، يجب أن يكون الموعد يوم الخميس، وهو اليوم الذي نمتلك فيه تذاكر لحضور معرض بورغيني، لأن أمي تتطلع إلى رؤية برنيني، وبأولينا بورغيني من كانوفا".

"هل تعلميين أن صالة العرض تحمل اسم شقيقة نابليون؟".

"لم أكن أعرف أنك ذهبت إلى روما، أبي".

"قد تكون مفاجأة لك يا جيسى، ولكن كان هناك أشخاص يجوبون الأرض قبل عام 1965".

"نعم، كنت أعرف ذلك، لقد قرأت عنهم في كتب التاريخ الخاصة بي".

"الا ترغبين في إدارة مصرف؟".

"لا شكزا، أبي، ليس لدي ممتع من الوقت لذلك، وماذا عن التحضير لمعرضي القادم ومحاولة ترتيب أموركما".

"لا أستطيع أن أتخيل كيف تمكنا من النجاة قبل مجيك".

"أثق بأن حالكما لم يكن جيدا بكل المقاييس، وبالمناسبة هل تعرف رجلا يدعى موريس سوان، من شيفنال في شروبشاير؟".

"نعم، ولكن يستحيل أن يكون ما زال على قيد الحياة".

"ولكنه لا يزال نشيطا أيضا على ما يبدو، لأنه دعا أمي إلى افتتاح مسرح مدرسته، ما الذي دفعه إلى دعوتها؟".

قال لها سيب: "إنها قصة طويلة".

تأخر ديزموند ميلور بضع دقائق، وما إن سكبت فيرجينيا الشراب له حتى تكلم مباشرة في الموضوع.

"لقد وفيت بوعدي، وحان الوقت لتفي بوعدك"، لم تعلق فيرجينيا، فتابع قائلاً: "جنيت الكثير من المال على مَّنْ السنوات يا فيرجينيا، وقد تلقيت مؤخراً عرضاً جاداً لميلور ترافل، وقد يجعل ذلك حصولي على حصة مسيطرة في بنك فارذنفرز أمّا قابلاً للتحقيق".

أعادت فيرجينيا ملء كأسه بالمشروب، وهي تقول: "حسناً، كيف يمكنني مساعدتك؟".

"باختصار، أريد أن أحصل على لقب الفروسيّة الذي وعدتني به عندما احتجت إلى مساعدتي لإقناع أولئك المحققين الأميركيين بأنك كنت تعملين بشكل قانوني".

كانت فيرجينيا تدرك تماماً أن فكرة حصول ديزموند ميلور على لقب الفروسيّة منافية للعقل،

ولكنها فكرت بالفعل في طريقة لتحويل ذلك
لصالحها.

"بصراحة، ديزموند، أنا مندهشة من أنه لم يتم
ترشيحك للتكريم من قبل".

قال ميلور: "هل يجب أن يتم ترشيحي للتكريم
قبل أن أكرم؟".

"نعم، فإن لجنة التشريفات، مجموعة مختارة من
أشخاص عظام يحتلوا مناصب رفيعة، ويتلقون
توصيات، وإذا وجدوا أن الموصى بهم مناسبين
يبدون موافقتهم".

"هل تعرفين أحد أعضاء تلك اللجنة؟".

"لا يمكن أن يعرف أحد هوية أعضاء لجنة
التشريفات، إنها سرية، وإلا سيستمرا إزعاجهم من
خلال التوصيات بأشخاص غير مناسبين كلية".

قال ميلور: "إذا ألا أمل لدى لأحوز على إعجاب
اللجنة؟".

قالت فيرجينيا: "أفضل من معظم المرشحين، لأنه
يصادف أن رئيس اللجنة صديق قديم للعائلة".
"ما اسمه؟".

"إذا أخبرتك باسمه، عليك أن تقسم إنك لن تبوح
به أبداً، لأنه إذا اعتقدت للحظة أنك كنت على علم،
فمن شأن ذلك أن يفسد فرصك في الحصول على
لقب الفروسية".

"أعدك بذلك، فيرجينيا".

"إنه الدوق هيرتفورد - بيريغرين بالنسبة إلى
أصدقائه - كان رئيساً لجنة على مدار السنوات
العشرين الماضية".

"كيف يمكنني بحق الجحيم أن ألتقي بدوق؟".

"كما قلت لك، إنه صديق شخصي، لذا سأدعوه إلى

حفل كوكتيل، وستسنج لك الفرصة للتعرف إليه، ولكن لا يزال لدينا الكثير من العمل للقيام به قبل أن يحدث ذلك".

"مثل ماذا؟".

"أولاً، ستحتاج إلى تنظيم حملة كبرى إذا أردت فعلاً أن تؤخذ على محمل الجد".
"ما نوع الحملة؟".

"يجب أن تنتشر مقالات حول دور شركتك ومدى نجاحها على مَنْ السنوات، مع التركيز بشكل خاص على سجل صادراتك بانتظام في أقسام الأعمال في الصحافة، فلجنة التشريفات غالباً ما تستجيب بشكل إيجابي لكلمة 'الصادرات'".

"لن يكون تنظيم ذلك أمراً صعباً للغاية، فلدي ميلور ترافل فروع في جميع أنحاء العالم".

"كما تعجبهم أيضاً عبارة مؤسسة خيرية، لذا عليك أن تظهر وأنت تدعم عدة قضايا محلية ووطنية جديرة بالاهتمام، من خلال التقاط صور دورية قد تجذب انتباهم، وهكذا عندما يظهر اسمك أمام اللجنة، سيقول أحدهم: إنه يقوم بالكثير من الأعمال الخيرية، كما تعلمون".

"يبدو أنك تعرفيين الكثير عن هذه المسألة، يا فيرجينيا".

"أمل ذلك، فقد كانت عائلتي جزءاً مهماً من هذا الأمر لأكثر من أربعين سنة عام".

"هل ستساعديني؟ من الواضح أنني لن أكون قادرًا على الارتقاء وحدي".

"سأكون سعيدةً جدًا بتقديم المساعدة في الظروف العادية، ديزموند، ولكنك تعلم أكثر من أي شخص آخر، بأنني لم أعد سيدة متفرغة".

"ولكنك وعدتني".

"وسألتزم بوعدي، ولكن للقيام بذلك بشكل صحيح، ديزموند، سأضطر إلى قضاء معظم وقتني، وأنا أسعى إلى دعوتك إلى جميع حفلات المجتمع الراقي، كما سأطلب منك إلقاء الخطب في المؤتمرات التجارية المناسبة، وفي أثناء الترتيب للقاء - من دون أن يعرف أي شخص بالاتفاق بيمنا، بالطبع - سيحضر أعضاء معينون يمكن أن يوصوا لجنة التشريفات بك، ومن ضمنهم الدوق".

"هل نقول خمسمائة جنيه شهرياً، لتحقيق ذلك؟".
"بالإضافة إلى بعض النفقات الإضافية، إذ سأضطر إلى تناول العشاء واحتساء النبيذ مع أشخاص ذوي نفوذ كبير".

"اتفقنا، فيرجينيا، سأرتب طلب استقطاع مبلغ خمسمائة جنيه شهرياً من حسابي ليتم تحويله إلى حسابك بشكل دائم، وكما كنت أؤمن دائماً بالحوافز، ستحصلين على مكافأة قدرها عشرة آلاف في اليوم الذي ينقر فيه سيف صاحبة الجلالة على كتفي".
قبلت فيرجينيا بالمكافأة، ولكنها لن تذهب أبداً إلى المصرف.

تنفست فيرجينيا الصعداء بعد أن غادر ميلور أخيراً، فعلى الرغم من أنها كانت صديقة قديمة لدوق هيرتفورد بالفعل، ولكنها كانت تدرك جيداً أنه ليس عضواً في لجنة التشريفات، ومع ذلك لا ضرر من دعوة بيريفررين إلى حفل كوكتيل حتى تتمكن من تقديمها إلى ميلور إذا كان ذلك يلبي طموحاته وأماله، مع ضمان حصولها في الوقت نفسه على شيك شهري، بالإضافة إلى النفقات.

بدأت فيرجينيا بالتفكير في مرشحين آخرين مناسبين للجنة التشريفات يمكن تقديمهم إلى

ميلور، وقد أدهلها كم أن شخصاً فطنًا وماكزاً بطبيعته، يمكن أن يكون ساذجاً وسهل الانخداع عند إخراجه من بيئته الطبيعية، مع الأخذ بعين الاعتبار أن فيرجينيا كانت مدركةً أنها لا تستطيع تحمل تكلفة المبالغة في لعبتها.

بعد أن انتهت المفاوضات ووُقعت العقود، شعر سيباستيان بالبهجة إلا أنه كان مرهقاً جداً من صعوبة التعامل مع الفرنسيين لأسباب كثيرة ليس أقلها أنهم يتظاهرون بأنهم لا يجيدون التحدث باللغة الإنكليزية عندما لا يرغبون في الرد على سؤال محرج.

عندما عاد إلى فندقه، كل ما أراده تناول عشاء خفيف، والاستحمام بمياه ساخنة، والنوم في وقت مبكر، إذ كان لديه حجزاً على متن أول رحلة طيران من شارل ديغول في الصباح الباكر إلى إنكلترا، وبينما كان يتمتعن في قائمة خدمة الغرف رهن الهاتف.

"مكتب الاستقبال، سيدي، أترغب في الاستفادة من خدمة التدليك لدينا؟".

"لا، شكراً"، وبينما كان يهم بانهاء المكالمة، قال له الموظف:

"نقدم هذه الخدمة المجانية لجميع ضيوفنا المميزين ومن دون أي رسوم إضافية، سيدي".

"حسناً، لقد أقنعني، أرسله إلى غرفتي".

"في الواقع، إنها امرأة، سيدي، وهي صينية ومدللة بارعة، ولكنني أخشى أن تكون لغتها الإنكليزية متغيرة".

خلع سيب ملابسه، وارتدى رداء الاستحمام الخاص بالفندق وانتظر قدومها، وبعد بعض دقائق، قرع الباب، ففتحه، ليواجهأ بأمرأة ترتدي بدلة رياضية بيضاء، وتحمل طاولة تدليك مطوية في يد وحقيبة صغيرة في اليد الأخرى.

قالت قبل أن تتحنى احتراماً لها: "ماي لينغ".

قال سيب: "ادخلني من فضلك"، ولكنها لم تجبه. شاهدها وهي تضع طاولة التدليل في منتصف الغرفة قبل أن تختفي في الحمام وتعود بعد لحظات قليلة، وهي تحمل منشفتين كبيرتين، ثم فتحت حقيبتها وأخرجت عدة زجاجات من الزيوت والكريمات.

انحنى مرة أخرى، وأشارت إلى سيب أن يستلقي على بطنه على الطاولة، فخلع ثوبه، وشعر بقليل من الخجل لارتدائه سرواله القصير فقط، ثم استلقي على الطاولة.

بعد دققيقتين من التدليل، أصابت موقع إصابة قديمة ناجمة من لعبة الإسکواش في ربلة ساقه اليسرى، وبعد لحظات شعرت بتمزق عضلي في كتفه، فدلكته ببراعة، وسرعان ما استرخى، وشعر أنه بين يدي مدلقة محترفة.

كانت ماري لينغ تدליך رقبته عندما رن الهاتف، فتوقع سيب أن يكون الرئيس، ويريد معرفة ما ألت إليه أمور الصفقة الفرنسية، فكان على وشك النهوض على مضض عن الطاولة والرد على المكالمة، ولكن قبل أن يتمكن من التحرك، التقطت ماري لينغ سماعة الهاتف ووضعتها إلى جانب أذنه، فسمع صوتها يقول: "أنا آسف على إزعاجك يا سيدي، ولكن يحصل بك شخص يدعى السيد بشارة، وهو على الخط".

"صلني به من فضلك".

كانت كلمات الرئيس الأولى: "هل أبرمت الصفقة؟".

قال سيب بينما كانت ماري لينغ تضغط بقوة على كتفيه وهي تزيل التشنجات: "لقد اتفقنا على نسبة 3.8 في المئة سنويًا، ولكن بشرط لا ينخفض

الفرنك الفرنسي عن سعره الحالي مقابل الجنيه الإسترليني البالغ 9.42.".

"أحسنت، سيب، لأنني إذا كنت أتذكر بشكل صحيح، فكنت ستستقر على 3.4 في المئة، وتسمح بتخفيض قيمة الفرنك الفرنسي بمقدار 10 في المئة".

"هذا صحيح، ولكن مع بعض الحنكة في التفاوض وتقديم زجاجات من النبيذ الجيد نوعا ما، غيروا رأيهم، وقد حصلت على العقد بالفرنسية والإنكليزية".

"متى نتوقع عودتك؟".

"سأكون على متن أول رحلة إلى مطار هيترن صباح الغد، لذا يجب أن أكون في المكتب قبل منتصف النهار".

"هل يمكنك القدوم لرؤيتي فور عودتك؟ هناك ما أحتاج إلى مناقشته معك بشكل عاجل للغاية".

"نعم، بالطبع حضرة الرئيس".

"سأخبرك بموضوع أكثر خصوصية، لقد تلقيت رسالة من سامانثا تعبر فيها عن مدى سعادتها بنتائج المحاكمة".

سأله سيب: "كيف علمت بالمحاكمة؟".

"من الواضح أنك أخبرت جيسيكا".

"نعم، فهي تتصل بي مرتين أو ثلاث مرات في الأسبوع، ودائما تسجل المكالمات على حسابي".
بالطبع، وقد تحدثت إلي أيضا عدة مرات".

"أكانت جيسكي تتصلك وتسجل المكالمات على حسابك أيضا؟".

"نعم، عندما لا تستطيع الوصول إليك".

"سأقتلها".

قال حكيم: "لا، لا تفعل ذلك، إنها تبعث في نفسي الفرح على خلاف معظم المتصلين بي، ولكن كان الله بعون الرجل الذي سيتزوج منها".
"لن يكون أي أحد على الإطلاق مناسباً لها بما فيه الكفاية".

"هل أنت مناسب بما يكفي لساماننا؟".

"بالطبع لا، ولكنني لن أتخلى عن الأمل، لأن جيسي أخبرتني بأنهما ذاهبتان إلى روما في عطلة الصيف، وهما تأملان في رؤية جميع الكاراتاجيوس التسعة عشر".

"أفترض أنك حجزت تذكرة سفرك إلى روما خلال عطلتك في الوقت نفسه؟".

"أنت أسوأ من جيسي، ولن أتفاجأ إذا كنتما متضامنين معاً".

قال حكيم قبل أن ينقطع الاتصال: "ساراك غداً قرابة الساعة الثانية عشرة".

أعادت ماي لينغ الهاتف إلى الطاولة الصغيرة في زاوية الغرفة قبل البدء بتدليك رقبة سيب.

ولكن لم يسعه إلا يتتساءل عن السبب الذي جعل الرئيس يريد مقابلته فورعودته، وامتناعه عن مناقشته عبر الهاتف.

وأشار طنين خافت انبعث من ساعة ماي لينغ إلى انتهاء الساعة، ولكن سيب كان مسترخيًا لدرجة أنه كاد أن يغفو.

نهض عن الطاولة، ودخل غرفة النوم وتناول ورقة نقدية بقيمة عشرة فرنكات من محفظته، وبحلول الوقت الذي عاد فيه، كانت مي لينغ قد طوت طاولة التدليك، وأعادت زجاجات الزيوت إلى الحقيقة، ووضعت المناشف في سلة الفسيل.

وعندما قدم إليها إكراميتها، انحنت قبل أن تغادر الغرفة بسرعة، بينما جلس سيب للحظات بجانب الهاتف قبل أن يرفع السماعة.

"كيف يمكنني مساعدتك يا سيد كليفتون؟".
"أود إجراء مكالمة إلى الولايات المتحدة".

"هل لديك أي فكرة عن سبب رغبة الرئيس في رؤيتي بشكل عاجل؟".

قالت راشيل: "لا، سيد كليفتون، ولكن يمكنني أن أخبرك بأن باري هاموند برفقته".

"حسناً، أرسلني النسخة الإنكليزية من العقد إلى قسم المحاسبة، وذكر الموظفين بأنه من المتوقع وصول الدفعة الأولى يوم استحقاق الدفعه الرباعية، بالفرنك".

"ماذا عن النسخة الفرنسية؟".

"ضعيها في ملف مع الملفات الأخرى في خزانة التجميع المغبرة، وسألحق بك حالما أنهي لقائي بالرئيس".

غادر سيسيستيان مكتبه، وسار في الممر بخطوات سريعة، ثم طرق باب رئيس مجلس الإدارة، ودخل ليجد حكيم مستغرقاً في حديثه مع باري هاموند، وقد جلس إلى جانبه شخص اعتقد أنه تعرف إليه.

"أهلاً بعودتك، سيب، أنت تعرف باري هاموند بالطبع، وأعتقد أنك قابلت مؤخراً زميلته، ماي لينغ".
حدق سيسيستيان إلى المرأة الجالسة بجوار باري، ولكن الأمر استغرق منه بعض الوقت ليكتشف هويتها، فنهضت من الكرسي، وصاحت به، إلا أنها لم تعد شديدة اللباقة كالسابق، كما لم تعد خجولة.

"كم يسرّني أن أراك مرة أخرى، سيد كليفتون".

جلس سيب على أقرب كرسي بعد أن شعر بأن ساقيه لم تقدرا على أن تحملاه.

قال حكيم: "أهئنك على إبرام الصفقة، يا سيب، فالشروط التي حصلت عليها من الفرنسيين كانت موفقة، أحسنت، ولكن ذكرني بالتفاصيل، لا، لم لا

تذكريني أنت، يا مای لینغ؟".

"تسديد 3.8 في المئة سنويًا بشرط أن يبقى معدل الصرف عند 9.42 فرنكًا مقابل الجنيه".
أمسك سيب برأسه بين يديه، وهو لا يعرف إن كان عليه أن يضحك أم يبكي.

"وهل يمكنني أن أضيف، سيد كليفتون، كم أعتقد أن اتصال ابنته جيسيكا بك من الولايات المتحدة مرتين وأحياناً ثلاث مرات في الأسبوع لطيف، وأنت تسمح لها دائمًا بتسجيل الاتصال على حسابك".

انفجر حكيم وباري ضاحكين، أما سيب فقد شعر بالإحراج الشديد.

قال حكيم: "اطمن، سيب، فلم يلحق بك أي ضرر، باري، لماذا لا تشرح له لماذا قمنا بهذه التمثيلية؟".

"على الرغم من أننا على يقين من أن المسؤول عن زرع المخدرات في حقيقة السيد بشارة هو إما أدريان سلون أو ديزموند ميلور، وربما خططا معاً، إلا أننا لم نتمكن من إثبات ذلك، فسلون كما تعلم، لديه شقة في كينسينغتون، بينما يقع مسكن ميلور الرئيسي في غلوستر، ورغم أن لديه أيضًا مسكنًا مؤقتًا فوق مكتبه في بريستول، فقد اكتشفنا مؤخرًا أنه عندما يأتي إلى لندن، فإنه يحجز دائمًا في الغرفة نفسها من فندق البعثة في سانت جيمس".

قالت مای لینغ: "إن الحمال الرئيسي هناك، والذي سيبقى اسمه مجهولاً، هو شرطي سابق، مثلـي أنا وباري، وقد اقترح مؤخرًا على ميلور أن يستفيد من خدمة التدليك المجانية للفندق، والتي هي متاحة فقط للعملاء الدائمين".

تابع هاموند قائلًا: "من الواضح أنه يستمتع بمهارات ماي لينغ على وجه الخصوص، لأنه بات يحجزها مسبقاً، وقد تمكنا من أن نعرف أنه سيقيم في فندق البعثة ليلة الثلاثاء القادم، وقد حدد موعداً للحصول على التدليل عند الساعة الرابعة والنصف من بعد ظهر ذلك اليوم، وقد حجزت الغرفة نفسها يوم الاثنين، مما سيمنعني وقتاً أكثر من اللازم لتنصيب جهاز التسجيل، حتى نتمكن من الاستماع إلى ما يخططان له معاً".

"لكن ما الذي يجعلك تعتقد أن سلون سيتصل به في ذلك الوقت؟".

"سيكون مضطراً إلى فعل ذلك، فميلور لا يغلق الهاتف أبداً، والرقم الذي يتصل به كثيراً هو رقم سلون".

"لكن من المؤكد أن سلون سيكون حذراً بشأن ما يقوله عبر الهاتف؟".

"عادة يكون كذلك، ولكن ميلور يحيطه أحياها على الكلام، ولا يستطيع سلون مقاومة محاولة إحراز النقاط العرضية،

وربما سيعتقد أن ميلور يتصل من مكتبه، وأن الخط آمن".

قال سيب: "لكنهما قد لا يناقشان ما قد يفيدنا".

"قد تكون على حق، سيد كليفتون، لأن هذا الموعد هو موعد ماي لينغ الرابع مع ميلور، وعلى الرغم من أن بعض الكلمات المفتاحية تظهر بانتظام كلما تحدث إلى سلون عبر الهاتف - فارذنفرز، بشارة، كليفتون، باريونغتون وأحياناً هاردكاسل وكوفمان - لم يفصحا بعد عن أي شيء ذي أهمية حتى الان، ولكن بعد أن استمعت إلى الأشرطة الثلاثة السابقة، فسأعرف صوت ميلور أو سلون في اللحظة التي

سامعهما فيها، وهذا مهم لأن ديفيد كولبير
اعطاني نسخة من شريط تسجيل مكالمة الوشاية
المجهولة، وقد استمعت إليه مرة أخرى الليلة
الماضية، ويمكنني إخباركم بأنه كان أدريان سلون".
قال حكيم: "أحسنت، باري، لكن كيف ثبت أن
ميلور كان متورطاً أيضاً؟".

قال باري: "هنا يأتي دور ماي لينغ، فمع مرور
الوقت، أنا متأكد من أنها ستستخدم سحرها معه،
تماماً كما استخدمته معك، سيد كليفتون، وإذا لم
 يكن لديك المزيد من الأسئلة، علينا بالعودة إلى
 العمل".

"لدي سؤال فقط"، استدار سيب إلى ماي لينغ،
وقال: "بينما كنت جالساً هنا، أصبحت بتشنج طفيف
في رقبتي، وتساءلت...".

أعدت ماي لينغ طاولة التدليك بينما دخل ديزموند
ميلور إلى الحمام وخلع ملابسه، وعندما خرج، كان
يرتدى بنطالاً فقط، فربت على مؤخرتها بينما كان
يصعد إلى الطاولة، وقد شعر بالرضا لأنه رأى أن
الهاتف قد وضع بالفعل بجوار مسند رأسه.

التقطه ميلور وبدأ بالاتصال قبل أن تبدأ بالعمل
بدءاً من قدميه، كان دائمًا يستمتع بتسلیک قدميه
ورأسه أكثر من أي جزء آخر من جسده، حسناً، نوعاً
ما كانا أكثر ما يستمتع بتسلیکهما، ولكن ماي لينغ
أوضحت له منذ البداية أنه لم يكن ذلك متاخراً، حتى
لو دفع نقوداً.

كانت مكالمته الأولى مع مدير مصرفه، وكانت
الملاحظة الوحيدة المثيرة للاهتمام أنه وافق على
أن تدفع الشركة نفقات السيدة فيرجينيا فينويك
بقيمة 92.75 جنيهًا إسترلينيًا، وهو رقم يبدو أنه

يُزداد كل شهر، وكان عليه التحدث إليها بشأن هذا الأمر، ثم أرسل تبرغاً بقيمة 1.000 جنيه إسترليني إلى صندوق كاتدرائية بريستول، وهو مبني لم يدخله قط.

كانت مكالمته الثانية مع سكرتيرته في ميلور ترافل في بريستول، وقد صرخ على الفتاة المسكينة لحوالي عشرين دقيقة، وفي ذلك الوقت كانت ماي لينغ قد وصلت إلى تدليك كتفيه.

بدأت تخشى أن تكون جلسة ضائعة أخرى حتى قام فجأة بإغلاق سماعة الهاتف، وبدأ بالاتصال مرة أخرى.

"من المتصل؟".
"ديز ميلور".

قال سلون بعد أن تغير صوته بسرعة من متنمر إلى متسلق: "أوه، مرحبًا ديزي، ما الذي يمكنني أن أفعله من أجلك؟".

"هل تخلصت من جميع أسهم فارذنفz الخاصة بي؟ لقد لاحظت أن أسعارها قد ارتفعت ارتفاعاً جديداً صباح اليوم".

"لقد وصلت إلى آخر خمسين ألفاً، ولكنك استرجعت ما دفعته في استثمارك الأصلي، حتى إنك حققت ربحاً ضئيلاً، لذا يمكنك الإبقاء عليها ومعرفة ما إذا كنت ستحصل على مبلغ أعلى، أو يمكنك بيعها".

"عليك أن تبيعها عندما تكون متقدماً، أديريان، اعتقدت أنني علمتك ذلك".

قال سلون الذي بدا واضحاً تأثيره: "لم نكن بحاجة إلى فعل ذلك، لو أن تلك النيجيرية الغبية أبقيت فمها مغلقاً، لكنا ندير البنك الآن، ومع ذلك سأوقع

بذلك اللعين في المرة القادمة".

قال ميلور: "لن تكون هناك مرة قادمة، إلا إذا كانت مضمونة النتائج منه في المئة".

أجاب سلون: "إنها أكثر من مضمونة، وسينتهي به الأمر متهمًا بتهمة تداول الأسهم من الداخل، وسيفقد رخصته المصرافية".

"لن يقحم بشارة نفسه بأي عمل غير مسؤول".

"ولكن ربما يقوم بذلك أحد تجاره، إنه شخص كان يعمل تحت إشرافي عندما كنت رئيساً لفارذنفرز".
"ماذا لديك بشأنه؟".

"مشكلته الوحيدة لعب قمار، ولو كان من الممكن أن يحصل على أجر مقابل دعمه الحصان الخاسر في كل سباق، لكان مليونيًّا، ولسوء حظه يضغط عليه المراهنون لتسديد حسابه".

"ما يعني ذلك؟ سوف يقيله بشارة في اللحظة التي سيكتشف فيها ما يقوم به، ولن يصدق أحد للحظة أنه كان متورطاً".

"سيكون من الصعب على بشارة إنكار تورطه إذا كان لدينا المحادثة بأكملها مسجلة على شريط".
صاح به ميلور: "كيف يكون ذلك ممكناً؟".

"بشارة على اتصال دائم بغرفة التداول أيهما كان في العالم، ومن المدهش ما يمكن أن يفعله مهندس كهرباء ماهر بمساعدة أحد المعدات، فقط استمع إلى هذه الأشرطة الأربع".

سادت لحظات صمت، قبل أن يسمع ميلور، نقرة على زر آلة التسجيل تبعها العبارات التالية:

لا تشتري من أمالغيماتيد واير، لأننا حالياً نتفاوض معهم، وسيعتبر ذلك تداولًا داخليًا.

قال سلون: "والآن التسجيل الثاني"، ساد صمت

لفترة وجيزة.

اشتر لسكرتيرتك شيئاً خاصاً، غافن، لقد خدمت المصرف جيذاً على مر السنوات، اشحنه لها، لكن لا تدع أي شخص يعرف بأنني سمحت بذلك.

"والتسجيل الثالث":

لقد حظيت بسنة ممتازة، استمر بالعمل الجيد، غافن، وأنا متأكد من أنه سينعكس مجهدك على مكافأتك السنوية.

تبع ذلك صمت طويل، عندما بدأ ميلور يتساءل ما إذا انقطع الاتصال.

قال سلون: "الآن، بعد عملية قض ولصق احترافية، يبدو الأمر هكذا":

اشتر من أمالغيمابتد واير، لكن لا تدع أي شخص يعرف بأنني سمحت بذلك، وسيعتبر ذلك تداولًا داخلياً، استمر بالعمل الجيد، غافن، وأنا متأكد من أنه سينعكس مجهدك على مكافأتك السنوية.

قال ميلور: "هذا رائع، ولكن ماذا سيحدث إذا تم اكتشاف الأشرطة الأصلية؟".

"سأقوم بتدميرها شخصياً على عكس ما قام به ريتشارد نيكسون".

"لكن قد تكون جهة اتصالك هي الحلقة الأضعف في السلسلة مجدداً".

"ليس هذه المرة، فالأشخاص الذين يتعامل معهم غافن لا يتعاملون بلطف مع المقامرين الذين يفشلون في سداد ديون القمار، فقد هددوه بالفعل بكسر ساقيه".

"ولكن ما الذي يمنعه من تغيير رأيه ما إن نسدّد ديونه؟".

"لن أسلمه الأموال قبل أن يقوم بتسليم الشريط

إلى بنك إنكلترا، مع الرسالة:

مع الأسف الشديد يجب أن أبلغكم...".

"كم سيكلفني الأمر؟".

"ما يزيد قليلاً عن ألف جنيه".

"وليس هناك أي احتمال أن يكتشف أحد تورطي في المسألة؟".

قال سلون: "وهل اكتشف أحد تورطك في المرة الأخيرة؟".

"لا، ولكن هذه المرة مستقبلي على المحك".

"ماذا تقصد؟".

قال ديزموند بعد تردد: "ما سأقوله لك سري للغاية، أدريان، هناك احتمال أن أكون في قائمة الشرف للعام الجديد، وأحصل على لقب فارس".

قال سلون: "تهانينا، لدى شعور بأن بنك إنكلترا سيرافق على تولي السير ديزموند ميلور منصب رئيس بنك فارذنفرز".

"متى سيقوم رجلك بتسلیم الشريط إلى بنك إنكلترا؟".

"الأسبوع المقبل".

رن جرس المنبه في ساعة يد ماي لينغ.

قال ميلور وهو يغلق سماعة الهاتف: "توقيت مثالي"، ثم نهض من الطاولة واختفى في الحمام.

استغلت ماي لينغ دخول ديزموند إلى الحمام، وزرعت قطعة من سماعة الهاتف، وأزالت جهاز التسجيل، ثم طوت طاولة التدليك، وأعادت الزجاجات إلى الحقيقة، وألقت المناشف المتتسخة في سلة الغسيل.

في الوقت الذي خرج فيه ميلور من الحمام وبيده ورقة نقدية بقيمة عشرة جنيهات، كانت ما ي لينغ تدخل إلى سيارة مركونة خارج الفندق، وقد سلمت الشريط إلى باري هاموند وقالت له: "الحمد لله، لن أضطر إلى رؤية هذا الرجل مرة أخرى".

قالت فيرجينيا: "سير ديزموند"، بينما كان كبير الخدم يقود ديزموند إلى غرفة الجلوس.
قال ميلور: "ليس بعد".

قالت فيرجينيا وهي تنظر من فوق كتفي ميلور: "لكن أشعر بأن الأمر لن يطول بعد الآن، أوه، مايلز، كرم منك أن تزورنا، مع الأخذ بعين الاعتبار كثرة أشغالك التي تملأ كل وقتك، هل تقابلتنا من قبل؟ ديزموند ميلور هو أحد رجال الأعمال البارزين في البلاد، ديزموند، السير مايلز واتلينغ، رئيس واتلينغ برادرز".

قال ميلور وهو يصافحه: "التقينا في أسكوت، سير مايلز، ولكن لا سبب يدعوك لكي تتذكرني"، احترم دائمًا أولئك الذين لديهم لقب رفيعة بالفعل، فتلك كانت إحدى قواعد فيرجينيا الذهبية.

قال السير مايلز: "كيف يمكنني أن أنسى؟ لقد كنت في مقصورة فيرجينيا، وقد أعطيتني الفائز الوحيد الذي دعمته طوال فترة الظهيرة، كيف حالك أيها الصديق القديم؟".

قال ديزموند: "بأفضل حال، شكرًا لك"، بينما عادت فيرجينيا وإلى جانبها سيد طويل ومسن ورمادي الشعر،

قالت فيرجينيا مشددة على الكلمتين الأخيرتين: "كرم منك أن تأتي، صاحب السعادة".

"هل يمكن أن يفوت أي من حفلاتك، إن كانت حالي العقلية السليمة، يا عزيزتي؟".

"إنه لطف منك أن تقول ذلك، بيريجين، هل لي أن أقدم إليك السيد ديزموند ميلور، فاعل الخير المعروف؟".

حذا ميلور حذو فيرجينيا وقال: "مساء الخير، صاحب السعادة، شرف لي أن أقابلك".

قالت فيرجينيا: "أنا آسفة جدا لأن الدوقة ليست معك".

قال الدوق: "أخشى أن المرأة المسكينة مصابة بوعكة صحية، ولكنني متتأكد من أنها ستتصبح أفضل حالاً بأسرع وقت"، دخل بو في بريدجواتر، وانضم إليهم مباشرةً، وقال وهو يمسك كأساً من الشراب: "مساء الخير، ديزموند، أفهم أنه يتم الترتيب للتهاني؟".

أجاب ميلور واضعاً إصبعه على شفتيه: "أنت مبكراً قليلاً يا بو في، على الرغم من أنني أعتقد أنه يمكنني القول، وأناأشعر بالأمان إننا نسلك الطريق الصحيح".

أصغى إلى الدوق والسير مايلز باهتمام شديد.

"هل علي الحصول على المزيد من أسمهم ميلور ترافل قبل أن تصبح أخبار الاستحواذ علنية؟".

غمزه ديزموند بتأنير: "ولكن لا تنج بالسر، بو في".

"يمكنك الاعتماد علي، أيها الصديق القديم، فلن أخبر أحداً على الإطلاق".

بعد أن أجري محادثة طويلة مع الدوق، أخذت فيرجينيا ديزموند من ذراعه، وجالت برفقته في أرجاء الغرفة لمقابلة ضيوفها الآخرين، قالت

فيرجينيا: "سيدة إليانور، لا أعتقد أنك قابلت ديزموند ميلور الذي...".

قالت السيدة إليانور: "لا، لم أقابلها، لكن ذلك يتبع لي الفرصة لشكر السيد ميلور على تبرعه السخي لمؤسسة رعاية الأطفال المرضى".

قال ديزموند: "يسعدني جداً دعم العمل الخيري الرائع الذي تقومين به".

وهو جواب فيرجينيا الاعتيادي عند التعامل مع رئيس أي مؤسسة خيرية.

كان ديزموند منهاً بعد أن تحدث إلى جميع من في الغرفة، فلم تكن المحادثات السطحية والالتزام بالآداب الاجتماعية طريقته الفثلى لقضاء أمسيّة يوم الجمعة، وكاد صبره ينفد، فقد أراد أن يغادر المكان لتناول العشاء برفقة أدريان سلون، ليكتشف ما إذا كان قد تم تسليم الشريط والرسالة إلى بنك إنكلترا، لكنه تأخر وهو ينتظر مغادرة آخر ضيوف فيرجينيا، لذا كان في إمكانه التحدث معها بخصوصية.

كانت الكلمات الأولى لفيرجينيا عندما عادت إلى غرفة الاستقبال: "أحسنت، ديزموند، ما من شك في أنك أثرت إعجاب الكثير من أصحاب النفوذ هذا مساءً".

قال ميلور بعد أن استعاد شخصيته: "نعم، ولكن هل كان أي منهم في لجنة التشريفات؟".

"لا، لكنني واثقةٌ من أنه يمكنني إقناع كل من السير مايلز والسيدة إليانور بالتوقيع على أوراق الترشيح الخاصة بك، والتي لا يمكن أن تسبب لك أي ضرر، وتذكر أنها صديقان للدوق".

"حسناً كم سأنتظركم قبل أن أتلقي خبراً سازاً من

القصر؟".

قال فيرجينيا: "لا يمكن للمرء أن يستعجل هذه الأمور، فيجب أن تدرك أنه لا يمكن استعجال اللجنة".

"في أثناء ذلك، أنت تكفليني ثروة، فيرجينيا، لابد أنك قد تناولت النبيذ والعشاء مع نصف الطبقة الأرستقراطية".

قالت فيرجينيا بينما كان الخادم ميلور يساعدها على ارتداء معطفه: "ولكن لأغراض مفيدة، لأنهم سيستجيبون ببطء مع طريقتي في التفكير، وعليك فقط أن تكون أكثر صبراً، ديزموند"، قبل تدعه ينحني ويقبل خديها.
"وداغا، سير ديزموند".

وما إن أغلق كبير الخدم الباب حتى سخرت منه.

اشتر من أمalfimaityd واير، لكن لا تدع أي شخص يعرف بأنني سمحت بذلك، وسيعتبر ذلك تداولًا داخلية، استمر بالعمل الجيد، غافن، وأنا متأكد من أنه سينعكس مجهدك على مكافأتك السنوية.

ضغط حكيم على زر الإيقاف، وقال: "ما الذي يمكن أن نطلبه أكثر من ذلك؟ ما إن تسمع لجنة الأخلاقيات الأشرطة الأربع، لن يتمكن ميلور وسلون من الظهور في المدينة مرة أخرى".

قال أرنولد: "ولكن إذا كنت ستقدم هذه الأشرطة إلى بنك إنكلترا بمثابة دليل، فإنهم ملزمون بسؤالك عن كيفية حصولك عليها، وعندما تخبرهم بالحقيقة، سيجدون أنك لست أفضل من هذين المحتالين الحقيرين اللذين تريد زوجهما خلف القضبان".

قال حكيم: "لماذا؟ ثبت الأشرطة أن سلون زرع المخدرات، وأن ميلور غطى نفقاته، ولأنهما غير راضيين عن تبرئتي من التهمة، يحاولان الإيقاع بي مرة ثانية باستخدام شريط مزيف لترك الانطباع بأنني متورط في التداول الداخلي".

"هذا صحيح، ولكن قد تشعر اللجنة بأنك انتهكت القانون أيضاً من خلال التسجيل بشكل سري، وهم بالتأكيد لن يتغاضوا عن ذلك".

"هل تقترح ألا أستخدم الأشرطة لتبرئة اسمي؟".
نعم، لأنه في هذه الحالة، الغاية لا تبرر الوسيلة، وأي شخص سيسمع تلك الأشرطة، سيعرف بالتأكيد بأنه تم تسجيل الشريط من دون علم المتحدثين، مما يجعل الدليل غير مقبول في المحكمة، ويمكن أن ينتهي بك الأمر إلى إحالتك إلى النيابة العامة".

"ولكن إذا سمحت لهما بتقديم شريطهما المزيف للعين إلى اللجنة، ولم أتمكن من إثبات أنهما متورطان في تزييف الأدلة، في أحسن الأحوال سأضطر إلى قضاء عام آخر، وأنا أدفع عن نفسي، وفي أسوأ الأحوال سينتهي بي الأمر إلى فقدان رخصتي المصرفية".

قال أرنولد: "هذه مخاطرة سأكون على استعداد إلى تحملها إذا كانت البديل أن انحدر إلى مستوى هذين الوغدين، وهذه نصيحتي التي أسديها إليك، وأنت تقرر ما إذا كنت ستلتزم بها، وبالطبع لك مطلق الحرية في تجاهلها، ولكن إذا قررت سلوك هذا الاتجاه، فأخشى ألا أكون قادرًا على تمثيلك في هذه القضية، والآن إذا سمحت لي علي أن أعود إلى المحكمة في تمام العاشرة".

ظل حكيم صامتاً حتى أغلق أرنولد الباب خلفه.
"لماذا أدفع لهذا الرجل؟".

قال سيباستيان: "ليقدم حكمه المدروس بعناية، والذي قد لا يتواافق دائمًا مع ما ترغب في سماعه". لكن من المؤكد أنك توافقني في الرأي، سيب، على أنه من حقّي أن أدافع عن نفسي؟".

"لم تكن هذه هي النقطة التي حاول أرنولد إيضاحها، فهو يشعر ببساطة أن الطريقة التي حصلت بها على الأشرطة تجعلك عرضة للاتهام بأنك لا تختلف عن سلون وميلور".
"وأنت توافقه في الرأي؟".

"نعم، أؤيد كلامه، لأنني أسأل نفسي فقط ما الذي كان سيفعله سيدريك، لو كان جالساً على الكرسي مكانك".

"حسناً، هذا يعني أن عليَّ أن أعاني عاماً آخر من الإذلال؟".

"لقد عانيت لمدة خمسة عشر عاماً لأنني لم ألتزم بنصيحة سيدريك، لذا لا يمكنني إلا أن أوصيك بالالتزام بنصيحة ابنه".

دفع حكيم كرسيه إلى الخلف، وبدأ يجول بقلق حول الغرفة، أخيراً توقف أمام سيب وقال: "إذا كنتما ضدّي...".

"لا أحد منا ضدك، بل نحن إلى جانبك، ونريد فقط القيام بما يصبُّ في مصلحتك، ويمكنك بالطبع الاتصال بروس والحصول على رأي ثالث".

"لست بحاجة إلى الاتصال بروس لمعرفة رأيه، ولكن ما المتوقع أن أفعله عندما يسلم أحد أفراد طاقمي هذا الشريط إلى بنك إنكلترا، ويخبر اللجنة بأنه يرى أن من واجبه أن يبلغ عنِّي؟".

قال له سيب: "فكّر مثل سيدريك، وخذ بنصيحة أرنولد، ففي النهاية ستهرّب الوغدين".

تقىدم رجل مسن يبطء إلى الأمام وهو يستند إلى عكازيه، ثم توقف في وسط المسرح ونظر إلى الجمهور المتحشد، وهو يقول: "السيد مايور، سيداتي سادتي، إنه اليوم الذي كنت أطلع إليه لأكثر من أربعين عاماً، بل إنها اثنان وأربعون عاماً على وجه الدقة، ولم أكن أتوقع أنني سأعيش لرؤية هذا الافتتاح، الحمد لله!"

صرخ وهو ينظر إلى السماء، فضجت القاعة بالضحك والتصفيق.

"ولكن قبل أن أطلب من سامانتا سوليفان افتتاح المسرح الذي يحمل اسمها، أود أن أقولكم أنا سعيد لأن سيباستيان كليفتون تمكّن من الانضمام إلينا اليوم، لأنه لولا دعمه وتشجيعه اللامحدودين، لما تم بناء هذا المسرح أبداً".

علا التصفيق للمرة الثانية، بينما كان موريس سوان ينظر إلى المتبرع الذي كان يجلس في الصف الأول.

همست سامانتا إليه، وهي تمسك بيده: "لماذا لم تخبرني بأنك وفيت بوعدك؟".

كان سيباستيان قد تسأله عن شعوره تجاه سامانتا بعد السنوات الطويلة من الفراق، هل ستتبخر الذكريات الماضية، ويختلاش حبه إلى الأبد؟ أم... ولكن لم يكن عليه أن يقلق تجاه ذلك، لأنه في الواقع أغرم بها أكثر هذه المرة، فهي لم تفقد سحرها وحنانها وفطنتها وجمالها.

كان خوفه الوحيد أنها قد لا تبادله الشعور نفسه. لم تساعد تلميحات جيسيكا غير الواضحة في اكتشاف الوقت الذي اختارته لتزوج والديها.

"أدعو سامانثا الان للانضمام إلي على خشبة المسرح لقص الشريط".

صعدت سامانثا الدرج الذي يقودها إلى المسرح، وصافحت المدير السابق، ثم استدارت لتواجه الحاضرين، على أمل ألا يكونوا قادرين على رؤية مدى تؤثرها.

وبدأت كلامها قائلة: "تشرفني تسمية هذا المسرح باسمي، خاصةً أنني لم أكن يوماً ممثلة بارعة، وأنا أرتبك من التحدث أمام الجمهور، ولكن عليّ أن أقولكم أنا فخورة بالرجل الذي جعل كل شيء ممكناً، سيباستيان كليفتون".

عندما هدأ التصفيق أخيراً، أعطى السيد سوان مقتضاً كبيراً لسامانثا، وما إن قضت الشريط الممدد على طول خشبة المسرح، حتى وقف الجمهور هائفاً.

على مدار الساعة التالية، كان سيباستيان وسامانثا وجيسيكا محاطين بالمدرسين والآباء والتلاميذ الذين أرادوا شكرهم على كل ما فعلوه، ولا سيما السيد كليفتون، فنظرت سام إلى سيب، وأدركت سبب وقوعها في حبه للمرة الثانية، بعد أن تلاشت مطامعه وأنانيته، وحلّت مكانها مشاعر رقيقة تراعي حق الطرف الآخر بتحقيق أحلامه وأماله، ظل سيب يخبرها كم كان محظوظاً لحصوله على فرصة ثانية، في حين أنها شعرت... قال السيد سوان: "يمكنكم رؤية كم عنى ذلك بالنسبة إلى المجتمع بأكمله، وإذا كان هناك أي شيء يمكنني من خلاله أن أظهر تقديري لكم، فقط...", قاطعته جيسيكا قائلة: "من المضحك أن تذكر ذلك".

"أخبرني والدي بأنك كنت مخرجاً".

"نعم، ولكن كان ذلك منذ وقت طويل".

"إذا سأضطر إلى جعلك تتراجع عن تقاعدك لإخراج أغنية البجعة الخاصة بك".

"لقد كان تلاعبك بالكلمات رهيبا، ايتها الشابة، ما الذي يدور في بالك؟".

"أريدك أن تعيد أبي وأمي إلى المسرح مرة أخرى". استدار الرجل العجوز وسار ببطء نحو الدرج واعتلى خشبة المسرح.

همست سامانثا: "ما الذي تنوي فعله؟".

قال سيب: "ليس لدى أدنى فكرة، ولكن ربما يكون من الأسهل أن نرضيها"، أخذ يد سام وصعدا إلى المسرح.

قال السيد سوان: "الآن، أريدك أن تقف في وسط المسرح يا سيب، وسامانثا قفي في الاتجاه المقابل له، سيباستيان، اركع الآن على ركبة واحدة، وانظر بعشق إلى المرأة التي تحبها وقل سطرك الافتتاحي".

ركع سيب على الفور على ركبة واحدة، وقال: "سامانثا إتيل سوليفان، أنا أعيشك وسأعشقك دائما، وأريد أكثر من أي شيء على وجه الأرض أن تكوني زوجتي".

قال سوان: "والآن عليك أن تجيبي، سامانثا".

قالت بحزم: "بشرط واحد".

قالت جيسيكا: "لا، هذا ليس واردا في النص، يجب أن تقولي انهض، أيها الأحمق، الجميع يحدق علينا"، قال سوان: "يحصل ذلك بعد أن يخرج سيب العلبة الجلدية الصغيرة، سامانثا، يجب أن تبدي متفاجئة عندما يفتحها".

أخرج سيباستيان علبة حمراء صغيرة من جيب سترته، وفتحها ليظهر حجر ياقوت فاخر محاط

بالألماس، ولم تره سام منذ عشر سنوات، وقد ارتسم على وجهها تعبير المفاجأة الحقيقة.

"والآن سطرك الأخير، يا أمي، إذا كنت تتذكريه".

"بالطبع سأتزوجك، لقد أحببتك منذ اليوم الذي التقىتك بك فيه".

وقف سيب ووضع الخاتم في الإصبع الثالث من يدها اليسرى، وكان على وشك تقبيل خطيبته عندما تراجعت سامانثا خطوة إلى الوراء، وقالت: "لقد كنتم تتدربون من دون علمي، أليس كذلك؟".

اعترف سوان قائلاً: "هذا صحيح، ولكنك ستكونين دائمًا سيدتنا الرئيسية".

أخذ سيب سامانثا بين ذراعيه وقبلها برقة على شفتيها، فقبول ذلك بالتصفيق العفواني من الجمهور الذي كان يشاهد بتركيز.

قال السيد سوان: "الستارة!".

كتب السير بيرس ثورنتون، المتحدث باسم المحكمة في بنك إنكلترا، إلى رئيس بنك فارذنفر لدعوته للمثول أمام لجنة الأخلاقيات، وقد أوضح بالتفصيل ما يرغب البنك في مناقشته معه، وأرفق نسخة من شريط التسجيل بالإضافة إلى الدليل الذي قدمه أحد تجار السلع في المصرف، والذي تم عرضه في جلسة مغلقة، وقد عرضت اللجنة على السيد بشارة أربعة أسابيع لتحضير قضيته، كما أوصلت بحضور ممثل قانوني.

رد أرنولد هاردى كاسل في رسالة بريدية مفادها أنه سيفضل المثول أمام اللجنة في أقرب وقت ممكن، وقد تم الاتفاق على الموعد.

في رحلة العودة بالسيارة إلى لندن، أخبر سيباستيان سامانثا عن محتويات الشريط المزيف للعين والمشكلة التي يواجهها حكيم.

قالت سام: "كان ليوافقك سيدريك في الرأي، كما أواافقك أيضاً، ومن الواضح أن سلون وميلور كلّيهما محظيان، ولا ينبغي للسيد بشاره أن يتداوى مستواه إلى مستوىهما ليثبت براءته".

قال سيب وهو ينبعض نحو الطريق السريع: "لأمل أن تكوني على صواب، فسيظهر حكيم أمام لجنة الأخلاقيات يوم الأربعاء المقبل، وليس لديه ما يعتمد عليه لإثبات براءته سوى سمعته الطيبة".

قالت سام: "يجب أن يكون ذلك أكثر من كافٍ، ومع ذلك سيكون من الواضح أنه يقول الحقيقة".

"أتمنى لو كان الأمر بهذه السهولة، فقد كاد ميلور وسلون أن يوقعوا به في المرة السابقة، وإذا لم يتمكن حكيم من إثبات أنه قد تم تزييف الشريط، فقد تسوء الأمور بالنسبة إليه.

والأسوأ من ذلك، أن الأشرطة الأربع التي ثبتت براءة حكيم قد اختفت بطريقة ما من غرفة التخزين".

"إذا فقد حصلوا على شخص يعمل لصالحهما في الداخل".

"إنه تاجر سلع يدعى غافن بكلاند، وهو الذي قدم الأدلة إلى اللجنة، لقد أخبرهم بأن..."
"امي؟".

التفتت سام لترى ابنتها مستلقية على المقعد الخلفي، وقالت: "اعتقدت أنك نائمة".

"كيف يمكنني أن أناق قسطاً من الراحة، وأنتما تثيران"، ثم جلست وتابعت كلامها قائلة: إذا كنت

قد فهمت الموقف تماماً، فمن الواضح، يا أمي، أنك
لم تكوني متنبهةً".

قال سيب: "من أفواه الأطفال...".

"إذا ما الذي تعتقدين أنه قد فاتني، جيسى؟".

"في البداية، لماذا لا تخبرين أبي عن البروفيسور
دانيال هورويتز؟".

سألها سيب: "من يكون؟".

"زميل لي في مؤسسة سميتسونيان، وهو...
بالطبع، كم كنت غبية!".

قالت جيسيكا: "أتساءل أحياناً إذا كنتما والدي
حقاً".

جلس الأربعه في مواجهة اللجنة في غرفة مظلمة مكسوة بخشب البلوط، وهي الغرفة التي لم يرغب أحد ممن عملوا في المدينة في أن يدخلها، إذ إن معظم أولئك الذين يجلسون في الجانب المقابل للجنة إلى طاولة خشب البلوط الطويلة، قد تحدّدت نهاية مسيرتهم المهنية.

وإلى الجانب الآخر من الطاولة جلس رئيس اللجنة، السير بيرس ثورنتون، عمدة المدينة السابق، وإلى يمينه نايجل فورمان من نات ويست، وإلى يساره السير بيرترام لينغ من برايس ووترهاوس، إلا أن أهم شخصية في اللجنة كانت هنري الثامن الذي تم تعليق لوحته على الجدار المغطى باللون الأحمر المحملي خلف الرئيس لتكريمه من منح هذه الهيئة المهيبة تفويضها الملكي وتقديره.

ابتسم السير بيرس ابتسامة لطيفة قبل أن يفتتح الجلسة: "صباح الخير أيها السادة، أود أن أبدأ بشكركم جميعاً على حضور هذا التحقيق"، ما لم يضفه هو ما كانت ستؤول إليه عواقب عدم حضوره، وتتابع كلامه قائلًا: "كما تعلمون، فإن السيد غافين بكلاند، الذي عمل بصفته تاجر سلع في فارذنفرز على مدار الأحد عشر عاماً الماضية، قد وجه اتهاماً خطيراً إلى السيد حكيم بشارة، رئيس مجلس إدارة المصرف، فهو يدعى أن السيد بشارة أمره بشراء عدد كبير من الأسهم في أماكن فيما يتداوى ما إن علم أنها مشتركة في عرض استحواذ على شركة أخرى، وما زاد الأمور تعقيداً أن بنك فارذنفرز يمثل تلك الشركة.

أبلغ السيد بكلاند اللجنة أنه رفض الامتثال للأمر، لأنه يدرك تماماً أنه مخالف للقانون وبالتالي، على

حد قوله: مع شعوري بالأس قررت إبلاغ هذه اللجنة بالأمر، وقد زودنا بشرط تضمن محادثته مع السيد بشاره.

الغرض من هذا التحقيق يا سيد بشاره هو منحك الفرصة للدفاع عن نفسك ضد هذه الاتهامات".

أستد رئيس اللجنة ظهره إلى الكرسي، وابتسم الابتسامة اللطيفة نفسها ليظهر أنه أنهى بيانه الافتتاحي.

نهض أرنولد هاردقاسل من مكانه في الجانب الآخر من الطاولة.

"اسمي أرنولد هاردقاسل، وأنا المستشار القانوني للبنك، وهو المنصب الذي شغلته على مدار العشرين عاماً الماضية، وأؤكّد أنّ أبداً بالقول إنّ هذه هي المرة الأولى التي يتطلّب فيها من أي شخص من فارذنفرز الامتثال أمام هذه اللجنة منذ تأسيس البنك في عام 1866."

ارتسمت الابتسامة اللطيفة على وجهه من جديد. "سير بيرس، يرافقني اليوم رئيس فارذنفرز، السيد حكيم بشاره، والرئيس التنفيذي السيد سيباستيان كليفتون، وأنت لك دراية بهما، والعضو الآخر الذي انضم إلى فريقنا، وليس لك دراية به، هو الأستاذ الجامعي دانيال هوروويتز من مؤسسة سميثسونيان في واشنطن، وسيشرح سبب وجود العضو الخامس في فريقنا، ماتيلدا، وهي آلة من مؤسسة سميثسونيان أيضاً.

ساختصر الكلام عن الدور الذي أداه السيد بشاره منذ أن أصبح رئيساً لفارذنفرز قبل أربع سنوات، ولن اتطرق إلى الجوائز التي حصل عليها من المؤسسات الحكومية والمنظمات العالمية المنتشرة في جميع أنحاء العالم والتي لا تعد ولا تحصى، ولكن ببساطة،

سأكتفي بقول الحقيقة التي لا جدال فيها، وهي أن فارذنفرز افتتح فروغا في سبع دول، ووظف 6412 موظفاً، وقد تضاعف سعر أسهمه ثلاثة أضعاف بينما كان المصرف تحت إشرافه، وهو يدرك تماماً أن الاتهام الموجه إليه خطير، لأن المبدأ الأساسي الذي تقوم عليه الصناعة المصرفية هو السمعة المشرفة.

لن ندافع عن السيد بشاره لدحض هذه التهم لا أنا ولا حتى هو نفسه، بل سترك هذه المهمة للآلة التي لابد أن تكون فريدة من نوعها، والتي ستعرض على هذه اللجنة التي يعود تاريخها إلى خمسة وعشرين عاماً، على الرغم من أن مخترع هذه الآلة، الأستاذ هورويتز، قد لا يكون معروفاً بالنسبة إليك، ولكن كونه المسؤول الأساسي عن كشف الحقيقة، ينبغي أن أخبرك قليلاً عن خلفيته.

لقد هرب الشاب دانيال هورويتز من ألمانيا برفقة والديه في عام 1937، واستقرَا في حي كوينسيين في نيويورك، حيث أصبح والده مسترها.

غادر دانيال نيويورك في سن السابعة عشرة للالتحاق بجامعة يال، وقد درس الفيزياء.

تخرج وحصل على شهادة البكالوريوس قبل أن يبلغ العمر الذي يخوله التصويت، ثم انتقل إلى معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، حيث أكمل الدكتوراه وقدم أطروحته في مجال تأثير الصوت في عالم يزداد ضجيجاً، ثم انضم الدكتور هورويتز إلى سميتسونيان بصفته محاضراً، وبعد تسع سنوات عين أول أستاذ في الصوت، وفي العام 1974 حصل على وسام الكونгрس العلمي المرموق، وهو الشخص الرابع عشر الذي تم تكريمه في تاريخ الأمة". صمت أرنولد للحظة، ثم تابع كلامه قائلاً: "وسأطلب من الأستاذ هورويتز تولي

الدفاع عن حكيم بشاره، بعد إدن اللجنة، سير بيرس".

نهض الأستاذ هوروويتز عن كرسيه، على الرغم من أن ذلك لم يشكل فرقاً إذ بدا أنه لا يزال يصل إلى مستوى أعضاء اللجنة الذين كانوا جالسين، ومع ذلك لم يكن افتقاره إلى الطول ما قد يتغير استغراب أي مراقب عادي، وإنما رأسه الأصلع الكبير الذي يرتكز على كتفين صغيرتين، ما يجعل التفاضي عن حقيقة أن بنطاله لم تلمسه مكواةً منذ يوم شرائه، أو قميصه المهترئ عند الياقة، وربطة عنقه المعلقة بشكل غير محكم حول عنقه، كما لو أنه وضعها متأخراً يبدو صعباً، ولكن ما إن بدأ كلامه حتى أدرك أعضاء اللجنة أنهم كانوا أمام عملاق.

"لابد أنني أبدو شخصية غريبة ومتناقضه، سيدي الرئيس، وأنا أقف أمام هذه اللجنة المهيبة والعريقة الأصل، لأنكم بموضع قضيت حياتي كلها في دراسته، وهو الصوت، فأنا منبهر بصوت قرع أجراس بيغ بن، أو حافلة لندن وهي تغير التروس، وبالأمس فقط قضيت وقتاً طويلاً وأنا أسجل صوت أجراس كنيسة باو، وقد تتساءلون كيف يمكن أن يكون ما أقوله يمثّل بأي صلة إلى الدفاع عن رجل متهم بالتداول الداخلي؟ للإجابة عن هذا السؤال، سأحتاج إلى مساعدة ماتيلدا التي لم تزر لندن من قبل مثلي تماماً".

مشى الأستاذ قرب طاولة جانبية كان قد وضع عليها مكعباً أبيض، حجمه يبلغ حوالي قدمين مربعين، مع ما يشبه سماعة الهاتف متصلة بجانب واحد، وفي الجانب المواجه للجنة كان هناك قرص دانري كبير الحجم وحول حافته أرقام سوداء تتدرج من 0 إلى 120، واستقر سهم أحمر

عريض على الصفر، ومن خلال نظرات الاستغراب الظاهرة على وجوه اللجنة، نجحت ماتيلدا في لفت انتباهم.

"الآن، بعد إذنكم، سادتي، سأطلب من السيد بشارة قول الكلمات نفسها التي اتهم بأنه قد قالها للسيد بكلاند، لكن من فضلكم لا تنتظروا إلى السيد بشارة، بل انظروا بتركيز إلى ماتيلدا".

لم يرفع أعضاء اللجنة أعينهم عن الآلة، ثم نهض حكيم من مكانه، والتقى السماحة وقال: اشتري من أمalfimaiتد واير، لكن لا تدع أي شخص يعرف أنني سمحت بذلك، سيعتبر ذلك تداولًا داخليا.

استمر بالعمل الجيد، غافن، وأنا متأكد من أنه سينعكس مجهدك على مكافأتك السنوية.

أعاد حكيم السماحة وعاد إلى مقعده.

قال الأستاذ بكل لباقه: "أود الان أن أسألكم أيها السادة، ما الذي لاحظتموه في أثناء مراقبة ماتيلدا".

قال السير بيرس: " بينما كان السيد بشارة يتحدث، قفز السهم إلى 76، ثم تذبذب بين 74 و 78 وما إن أغلق الهاتف، عاد إلى الصفر".

قال الأستاذ: "شكراً سيدي الرئيس، فصوت الرجل العادي في عمر السيد بشارة سيكون له مستوى صوتي يتراوح بين 74 و 78، أما متوسط صوت المرأة اللطيفة من 67 إلى 71، بينما الرجل الأصغر سنًا قد يصل إلى 85 أو حتى 90، ولكن مهما كان مستوى صوت الفرد، فهو يبقى ثابثاً.

وإذا جاز التعبير، أود الان أن أزود ماتيلدا بالشريط الذي تستند إليه الادعاءات ضد السيد بشارة، ومرة أخرى أود أن تراقبوا السهم بعناية".

وما إن وضع الأستاذ الشريط في الآلة، حتى
انحنى أعضاء اللجنة إلى الأمام باهتمام.

ضغط على زر التشغيل، واستمع كل من في الغرفة
إلى الكلمات نفسها مرة أخرى، ولكن ماتيلدا قد
سجلت نتيجة مختلفة تماماً هذه المرة.

سأل السير بيرس: "كيف يمكن أن يحصل ذلك؟"
قال البروفيسور: "يمكن حصول ذلك، إذا كان
الشريط الذي رُؤدت به هذه اللجنة ليست تسجيلاً
لمحادثة واحدة، بل أربع محادثات، كما سأوضح
الآن"، أعاد الشريط وضغط مرة أخرى على زر
التشغيل:

"اشتر من أما الفيمايتد واير".

أوقف تشغيل الشريط وقال لهم: "76 وهو
المستوى الطبيعي لقياس صوت السيد بشارة"، ثم
ضغط على زر التشغيل:
"لكن لا تدع أي شخص يعرف أنني سمحت بذلك.

.84

سيعتبر ذلك تداولًا داخليًا.

.76

أي عاد إلى طبيعته:
استمر في العمل الجيد، غافن.

.81

سأل السيد فورمان: "كيف تفسر هذا التفاوت؟".
"كما أشرت، سيدي، الشريط الذي تم تقديمه
إلى هذه اللجنة هو عبارة عن دمج أربع محادثات
مختلفة، ومن خلال استخدام تعبير أميركي
مبتدل، فقد مُرِّقت النسخ الأصلية إلى أشلاء، وقد
استنتجت أنه تم إجراء محادثتين عبر الهاتف في
مكتب السيد بشارة حيث تراوحت مستوياتها بين

74 وواحدة كانت من الخارج، حيث يكون لدى الناس قابلية للتحدث بصوت مرتفع، وفي هذه الحالة ارتفع المستوى إلى 84، وواحدة كانت من منزل السيد بشاره، وقد وصل المستوى إلى 81، حيث صوت طيور القراوف الزرق والعصافير الدورية، كما أعتقد يمكن سماعه بصوت خافت في الخلفية".

قال السيد فورمان: "لكنه قد قال /شتير من أماليغيماتيد واير".

قال الأستاذ: "صحيح ولكنك إذا استمعت باهتمام إلى هذا الجزء من الشريط، فستتوصل إلى النتيجة نفسها كما توصلت إليها، وهي أن هناك كلمة مقصوصة، وسأراهن على سمعتي وخبرتي على أن تلك الكلمة هي لا، في الأشرطة المزيفة، وهي الكلمة الأكثر شيوعاً للحذف، لذلك كانت كلمات السيد بشاره الفعلية لا تشتهر من أماليغيماتيد واير، وسيكون في مقدورك بالطبع اختبار نظريتي بشكل كامل عند إجراء مقابلة مع السيد بكلاند مرة أخرى".

قال الرئيس: "إذا وضعنا ذلك بعين الاعتبار، هل يمكننا الاتصال بك للاستعانة بخدماتك عندما نقابل السيد بكلاند؟".

قال الأستاذ: "سأكون سعيداً بتقديم المساعدة، ولكنني وزوجتي في إنكلترا لمدة أسبوع فقط من أجل إجراء المزيد من الأبحاث".

سأل السير بيرس متحمساً: "ما الأبحاث التي ستجريانها؟".

"أخطط لتسجيل المردود الصوتي لحافلات لندن، وخاصة ذات الطابقين، وقضاء بعض الوقت في مطار هيثرو لتسجيل إقلاع وهبوط طائرة 707، سنحضر أيضاً حفلاً موسيقياً لفرقة روليونغ ستونز

في ويمبلي، وعندها قد يصل مؤشر ماتيلدا الصغير إلى الحد الأقصى للمستوى 120 للمرة الأولى".

سمح الرئيس لنفسه بإطلاق ضحكة خفيفة قبل أن يقول: "نقدر منحنا وقتك يا أستاذ، ونتطلع إلى رؤيتك أنت وماتيلدا مرة أخرى في المستقبل القريب".

قال هورويتز وهو يضع غطاء بلاستيكيا على ماتيلدا قبل أن يزمه: "ولابد أن أعتذر لأنك حصلت علي في الوقت المناسب".

سأل السير بيرس: "ولم ذلك؟".
لقد وضعوني الشرطة البريطانية أمام لغز مثير للاهتمام لا تستطيع ماتيلدا التعامل معه بمفردها، لذلك فقد شارفت على الانتهاء من صنع رفيق صغير وبغيض بالنسبة إليها، يدعى هارفي، ولكنه ليس مستعدا بعد لإطلاقه في العالم".

سأل الرئيس نيابة عن كل من في الغرفة: "وماذا يمكن أن يفعل هارفي؟".

"إنه معادل، لذلك لن يمر وقت طويل قبل أن أتمكن من إعادة إنتاج أي شريط مُرقٍ إلى أشلاء عند مستوى ثابت من 74 إلى 76، ولو كان الذي تلاعب بشريط السيد بكلاند مطلقا على هارفي، لما تمكن بشاره من إثبات براءته".

قال السير بيرس: "الآن أتذكر لماذا أعرف اسمك، لقد أخبرنا السيد هارديكاسل أنك منحت وسام الكونغرس للعلوم، لكنه لم يخبرنا لأي سبب، أخبرنا، سيد هارديكاسل".

نهض أرنولد مرة أخرى، وفتح ملف هورويتز وقرأ الاقتباس: "عند استقالة الرئيس نيكسون، دعا الكونغرس الأستاذ هورويتز لدراسة أشرطة

نيكسون ومعرفة ما إذا كان في استطاعته إثبات وجود أي عمليات حذف أو تلاعب بمحتواها".

قال هوروويتز: "وهذا بالضبط ما فعلته، وكمؤيد للحزب الجمهوري، كان يوما حزينا بالنسبة إلى عندما اضطرَّ الرئيس إلى الاستقالة، وقد توصلت إلى استنتاج مفاده أنه لابد من أن تكون ماتيلدا مؤيدة للحزب الديمقراطي".

انفجروا جميعا ضاحكين.

"مع الأخذ بعين الاعتبار أنني لو كنت قد أتممت صنع هارفي في وقت مبكر، لربما كان الرئيس قد قضى فترتي ولايته بالكامل".

رفع أدريان سلون سماعة الهاتف عن مكتبه، وشعر بالفضول لمعرفة من كان يتصل به على خطه الخاص.

قال صوت لم يتعارف إليه: "هل أنت أدريان سلون؟".

"هذا يتوقف على من يسأل"، ساد صمت طويل، قبل أن يرد قائلاً:

"كبير المفتشين مايك ستوكس، أتحدى بأسم فرقة مكافحة المخدرات في الشرطة البريطانية".

شعر سلون بالقشعريرة تسري في جسده بأكمله.

"كيف يمكنني مساعدتك يا سيد ستوكس؟".

"أود تحديد موعد لرؤيتك يا سيد".

سأل سلون بتبلد: "لماذا؟".

"لا يمكنني مناقشة الأمر عبر الهاتف يا سيد، إما أن أتي إليك، أو يمكنك زيارتي في مقر الشرطة، اختر ما يناسبك".

تردد سلون قبل أن يقول: "سأتي إليك".

انتظر متحدث الحفل حتى ينتهي التصفيق قبل أن ينقر بمطربته عدة مرات ويعلن قائلًا: "إنه صاحب السعادة، سيداتي سادتي، رحباً بالعرис، السيد سيباستيان كليفتون".

استقبل سيباستيان بالتصفيق الحار.

قال سيب: "دانقاً تكون خطابات شبين العريس مروعه، ومن الواضح أن فيكتور هو رجل لا يؤمن بمخالفة التقاليد"، ثم التفت إلى صديقه القديم، وقال: "لو كان لدى فرصة ثانية للاختيار بينك وبين كلايف...". ضجَّ المكان بالضحك وبالتصفيق.

"أريد أن أبدأ بشكر والد زوجتي على السماح لي ولسامانثا بالزواج في هذه السفارة الرائعة التي تحمل ذكريات الماضي الرومانسي، ولم أكن أدرك حتى أخبرتني جيسيكا بأن في هذا المبني الفخم كنيسة، وما كان ليخطر في بالي مكان أكثر روعةً لإقامة الزواج فيه من المرأة التي أحبها.

أود أيضًا أنأشكر والدي اللذين أفسر بهما وبمعاييرهما التي لا يمكنني أن أرقى إليها، لذلك سأكون شاكراً على زواجي من امرأة يمكنها الارتفاع إلىها، وبالطبع أريد أنأشكر جميع الذين حضروا من مختلف أنحاء العالم لمشاركتنااليوم السعيد في روما، وهذا الاحتفال كان يجب أن يقام قبل عشر سنوات، ولكن يمكنني أن أعدكم بأنني اعتزم قضاء بقية حياتي وأنا أعيش سامانثا وجيسيكا من تلك السنوات الضانعة.

أتوجه بالشكر الأخير إلى ابنتي جيسيكا الفاتنة والموهبة والمزعجة في الوقت نفسه، والتي استطاعت بذكائها وفطنتها أن تلم شملنا، لذلك

سأكون ممتنا لها إلى الأبد، وأخيراً أتمنى أن تستمتعوا جميغاً، وأن تقضوا وقتاً لا ينسى في أثناء إقامتكم في روما"، وما إن أنهى سيب خطابه حتى ضج المكان بالتصفيق المتواصل.

جلس سيباستيان إلى جانب جيسيكا التي سلمته قائمة الحلوي، فبدأ يتفحص بتمعن الأطباق المختلفة، فقالت له محاولةً لا تبدو مستاءةً: "اقلب الوجه الآخر".

قلب سيب القائمة ليجد رسماً فحمنا له وهو يلقي خطابه.

قال وهو يضع ذراعه حول كتفيها: "إنك تتقدمين بسرعة، وتدھشيني أكثر في كل مرة، وأتساءل عما إذا كان يمكنك أن تسدي إليّ معرفة؟".

"إنني مستعدة إلى فعل ما تشاء، أبي"، استمعت جيسيكا إلى طلب والدها، وابتسمت ابتسامة عريضة، ثم نهضت من مكانها وغادرت بهدوء.

قالت إيما بعد أن وضع كأس من الأفوكاتو أمامها: "أن تكون سفيراً عمل رائع وممتع".

قال باتريك سوليفان: "إنه عمل رائع خاصة عندما أكون سفير بلدي في روما، ولكنني غالباً ما تساءلت عما يجب أن يكون عليه الحال عند ترؤس مستشفى ضخم، يواجه العديد من المشكلات المختلفة والمعقدة كل يوم، ولا أعني فقط المرضى والأطباء، الممرضات و...".

قاطعته إيما قائلةً: "وموقف السيارات، فكم كنت سأستفيد من مهاراتك الدبلوماسية عندما واجهت تلك المشكلة بالذات!".

اعترف السفير قائلًا: "لم أواجه قط مشكلة في

ركن سيارتي".

"وأنا أيضاً، إلى أن قررت فرض رسوم على إيقاف السيارات في موقف المستشفى، عندها شئت إحدى الصحف المحلية حملة لاجباري على تغيير رأيي، حتى إنها قد وصفتني بالعجز العديمة الرحمة".
"وهل غيرت رأيك؟".

"بالتأكيد لا، لقد سمحت بإنفاق أكثر من مليون جنيه إسترليني من المال العام من أجل بناء هذا الموقف، ولم أكن أتوقع أن يستخدمه عامة الناس في ركن سياراتهم بشكل مجاني، عندما يودون الذهاب للتسوق، لذلك قررت أن أفرض رسوماً مماثلة لرسوم أقرب موقف سيارات في المدينة، ومنح موظفي المستشفى والمرضى امتيازات خاصة، وهكذا لن يستخدمه إلا من كان مخصصاً لهم في الأصل، والنتيجة كانت القيام بمسيرات احتجاجية، وحرق تماثيل، وكان هذا ما حصلت عليه، على الرغم من اضطرار مريضة مصابة بمرض عضال إلى القيادة لأكثر من ساعة لأن زوجها لم يكن قادرًا على إيجاد مساحة لركن سيارته. ولم يكن ذلك الأسوأ، فعندما التقى صدفةً بمحرر الصحيفة وشرح له الأسباب التي تدفعني إلى اتخاذ هذا الإجراء، كل ما قاله لي إنك بالطبع على حق، إيما، ولكن الحملات الجيدة تزيد من بيع الصحف".

ضحك السيد سوليفان، وقال: "عموماً، أعتقد أنني سألتزم بكوني السفير الأميركي في روما".

انبعث صوت جيسيكا من خلفها، وهي تقول: "جدتي، هذه ذكري صفيرة بمناسبة هذا اليوم"، وأعطتها رسقاً لها وهي تثبت وجهة نظرها للسفير. "جيسيكا، إنه أمر رائع، سأريها بالتأكيد لمحرر جريدة المحلية، وأشرح له السبب الذي جعلني

أحرّك إصبعي".

سأّل هاري كارين: "هل يمضي جايلز وقتاً ممتعاً في مجلس اللوردات؟".

قالت له كارين: "لا، إنه يفضل أن يعود إلى مجلس العموم".

"لكنه عضو في مجلس الوزراء".

"وهو غير متأكد من أنه سيبقى عضواً في المجلس، بعد أن انتخب حزب المحافظين مارغريت تاتشر زعيمة له، إذ يشعر جايلز بأنه سيكون لديهم فرصة كبيرة للفوز في الانتخابات القادمة، وأعترف بأنني قد أصوت لها"، همست كارين، قبل أن تضيف قائلة: "ما آخر مستجدات حملتك لإطلاق سراح أناتولي باباكوف من السجن؟".

"أخشى أنه ليس هناك الكثير من التقدم، ولن يخبرنا الروس إن كان لا يزال على قيد الحياة".

"وكيف تمكنت السيدة باباكوف من الصمود؟".

"لقد انتقلت إلى نيويورك، وهي تستأجر شقة صغيرة في أسفل الجانب الغربي، وأنا أزورها كلما زرت الولايات المتحدة، فيليينا تظل متفائلة دائمًا وأبدًا، وهي تؤمن بأنهم على وشك إطلاق سراح أناتولي، ولا أمتلك القسوة الكافية لأخبرها بأن ذلك لن يحدث في المستقبل المرتقب، وربما لن يحدث أبدًا".

قالت له كارين: "دعني أفكّر في حل للمشكلة، وبعد أن أمضيت سنوات عديدة في دعم سياسة الستار الحديدي، قد أتمكن من التوصل إلى حل من شأنه أن يتغير غضب الروس بما يكفي لإعادة النظر في موقفهم".

قال هاري وهو يرافق بعناية رد فعل كارين: "ربما في إمكانك أن تخبري والدك أيضاً حول ما أحرزته من تقدم، في النهاية هو مثلك يكره الشيوعيين بكل معنى الكلمة"، لكن كارين لم تظهر أي رد فعل.

قالت له: "فكرة جيدة، سأناقشها معه عندما أعود إلى كورنوال"، بدت وكأنها تعني ذلك، على الرغم من أن هاري شكّ في أن تشير موضوع أناتولي باباكوف مع مراقبها.

قالت جيسيكا وهي تعطيها نسخة من قائمة الطعام: "كارين، هذه هدية صغيرة بمناسبة لقائنا الأول".

قالت لها كارين وهي تعانقها بحرارة: "سأحتفظ بها".

سألت غريس: "هل تتلقى أخباراً من غوينيث أو فيرجينيا؟".

قال جايزل: "تصلني أخبار غوينيث من حين إلى آخر، فهي تدرس اللغة الإنكليزية في مدرسة مونماوث، وهذا الخبر ينبغي أن يسعدك، وقد خطبها مؤخراً أحد معلمي المدارس الداخلية".

قالت غريس: "أنت محق، فقد كانت معلمة جيدة، وهذا الخبر يسعدني بالفعل، وماذا عن فيرجينيا؟". "أعرف أخبارها من خلال ما أقرأه في أعمدة الإشاعات، كما علمت بأن والدها قد توفي منذ شهرين، ذلك العجوز المضحك، ولكنني اعترضت بأنني أحببته".

"هل شاركت في جنازته؟".

"لا، لم أر أن ذلك كان مناسباً، ولكنني كتبت إلى أرتشي فينيويك، الذي ورث لقب والده، وقد أبلغته

بأنني أمل أن يؤدي دوزا فعالاً في مجلس الشيوخ،
فتلقيت منه رداً لبقاً للغاية".

قالت غريس: "لكن بالتأكيد لا تؤيد النظام
الوراثي؟".

"لا أؤيده إطلاقاً، ولكن طالما أنا ما زلنا نخسر
الأصوات لصالح حزب المحافظين في انتخابات
مجلس العموم، فإن إصلاح مجلس اللوردات سيتم
تأجيجه إلى ما بعد الانتخابات المقبلة".

"وإذا فازت السيدة تاتشر بتلك الانتخابات، لن
يتم تأجيل إصلاح مجلس اللوردات، بل سيتم
دفنه"، احتست غريس شرابها قبل أن تتتابع كلامها
قائلة: "وبالإشارة إلى موضوع حساس للغاية، أشعر
بالأسف لأنك أنت وكارين لم ترزقا بالأطفال".

"الله أعلم أننا جربنا كل الوسائل، حتى الجنس"،
فلم يتر كلامه ضحك غريس، وتتابع قائلة: "لقد زرنا
كلانا عيادة الخصوبة، وتبين أن كارين تعاني من
مشكلة في الدم، وبعد أن أجهضت مرتين، رأى
الطبيب أن الخطر سيكون كبيراً إن حاولت مرة
ثالثة".

قالت له غريس: "إنه أمر محزن، ولكن ألم تفكّر في
التبني؟".

"نعم، لكننا علقنا الأمر حتى انتهاء الانتخابات، أو
بالأحرى إلى أن يفتح ضرب كرة الكريكت لمنتخب
إنكلترا".

"لا تعلق الأمر لفترة طويلة، وقد تجد صعوبة في
تصديق ذلك يا جايلز، ولكن هناك أشياء أكثر أهمية
من السياسة وأرجو ألا يسير أحد على خطاك في
مجلس اللوردات".

قاطعتهما جيسيكا، وهي تعطيها رسماً آخر: "اعتذر

عن مقاطعتك، حالة غريس، ولكن هل يمكنني منحك هذه الهدية الصغيرة؟".

تمهنت غريس في الرسم لبعض الوقت قبل أن تبدي رأيها: "على الرغم من أنني لست خبيئة، ولكنك بالتأكيد تمتلكين الموهبة يا عزيزتي، وتأكدي ألا تبدليها".

"سأحاول تجنب ذلك، حالة غريس".

"كم عمرك؟".

"أحد عشر عاماً".

"آه، في عمر بيكتسو نفسه عندما أقام معرضه الأول، أتعرفين في أي مدينة، أيتها الشابة؟".

"برشلونة".

انحنى لها غريس انحناء خفيفة، وقالت: "سأضع إطازا للرسمة الخاصة بي، وأعلقها في مكتبي في كامبريدج، وسأخبر زملائي وتلاميذي على حد سواء بأنك حفيدة أختي".

قال جايلز: " تستحق الإشادة حقا، وأين رسمي؟".

"ليس لدى الوقت اليوم يا عمي جايلز، ربما في وقت آخر".

"سأعتمد عليك في ذلك، ما رأيك في أن أستضيفك في بارينغتون هول بينما يقضي والداك شهر العسل؟ في المقابل، يمكنك رسم لوحة تجمعني مع كارين، وفي أثناء وجودك في ضيافتنا، يمكنك زيارة جديك، اللذين لا يبعدان سوى بضعة أميال أسفل الطريق في مانور هاوس".

"لقد سبق أن قاما بدعوتي للبقاء في منزلهما، ولم يحاولا رشوتني".

قالت غريس: "لا تنسِ أبداً يا عزيزتي أن خالك الأكبر رجل سياسة".

سأل حكيم: "هل هناك أي مستجدات في بنك إنكلترا؟".

قال أرنولد هاردقاسل: "لا شيء رسمي ولكن بشكل سري جداً، اتصل بي السير بيرس بعد ظهر يوم الجمعة ليعلمني بأن غافن بكلاند لم يلت الدعوة للمرة الثانية، وقررت اللجنة عدم متابعة قضيته أكثر من ذلك".

"كان في استطاعتي إخبارهم بأن احتمال أن يحضر كان ضئيلاً، لأن خطاب استقالته كان على مكتبي قبل أن ينتهي اجتماعنا مع لجنة الأخلاقيات".

قال له أرنولد: "لن يعرض عليه مجدداً أي وظيفة أخرى في المدينة، ولا يسعني إلا أن أسأله عما سيفعله بعد ذلك".

قال حكيم: "لقد سافر إلى قبرص، وقد تبعه باري هاموند إلى نيقوسيا، حيث حصل على وظيفة في مكتب السلع في أحد المصارف التركية المحلية، لقد كان ماهزاً في عمله، لذلك لنأمل فقط ألا يكون هناك الكثير من حلبات السباق في قبرص".

"هل من أخبار عن سلون أو ميلور؟".

"لا أثر لهما، وفقاً لباري، ولكنه متتأكد تماماً من أنهما سيظهران مجدداً مثل جميع الحقراء، وعندها لا شك في أنها سنكتشف خططهما".

قال أرنولد: "لن أكون واثقاً من ذلك، فقد كنت في بايلي الأسبوع الماضي، وأخبرني رقيب في الشرطة بأن...".

"هدية صغيرة لك، سيد بشارة، نيابة عن والدي"، التفت حكيم بعصبية، معتقداً أن شخصاً ما كان

يستمع إلى المحادثة،

وقال عندما رأى الرسم: "يا لها من مفاجأة رائعة! لطالما أعجبت برسم والدتك المعلق في مكتب والدك، وسأضعه بالتأكيد في مكتبي".

قال أرنولد وقد أثار إعجابه الرسم: "أتمنى أن ترسمي واحدة لي".

"سأكون سعيدة بذلك يا سيد هاردى كاسل، لكن يجب أن أحذرك، فأنا أتقاضى بالساعة".

كان سماع طرق المطرقة على الطاولة العلوية متوقعا، فصمت الضيوف بينما وقف فيكتور كوفمان مرة أخرى،

وقال: "ليس خطابا آخر، أعدكم بذلك، ولكنني اعتقدت أنكم تريدون معرفة أن العروس والعريس سيغادران خلال دقائق قليلة، لذلك إذا كنتم ترغبون في وداعهما أمام المدخل، حيث يمكننا جمیعا رؤیتهما قبل أن يغادرا".

بدأ الضيوف بالنهوض من أماكنهم والتوجه خارج قاعة الاحتفال.

سألت إيماء هاري: "أين سيقضيان شهر العسل؟".
"ليس لدى أدنى فكرة، ولكنني أعرف شخصا يعرف المكان، جيسيكا!"

قالت وهي ترکض نحوهما: "نعم، جدي".
"أين سيقضي والدك شهر العسل؟".
"في أمستردام".

قالت إيماء: "يا لها من مدينة جميلة! لم اختارا هذا المكان؟".

"إنه المكان الذي عرض فيه أبي الزواج على أمي المرة الأولى، منذ 11 عاما".

قالت إيماء: "كم هذا رومانسي! هل سيقيمان في
أمستل؟".

"لا، لقد حجز والدي غرفة في بنسيون دو كانال،
حيث أقاما آخر مرة".

قال هاري: "هذا درس آخر قد تعلمه سيب".

سألت إيماء: "وهل قررا أخيراً أين ستعيشون؟".

قالت جيسيكا: "أنا اتخذت القرار، في إنكلترا".
"وهل أخبرتهما بقرارك؟".

"لا، ولكن من الطبيعي أن يجد والدي صعوبة في
أن يدبر فارذنفرز من واشنطن، كما تم ترشيح أمي
للعمل في متحف تايت للفنون".

قالت إيماء: "أنا سعيدة جدا لأنك تمكنت من تنظيم
شؤون حياتك وفق ما يرضيك".

قالت جيسيكا: "يجب أن أذهب، فأنا المسؤولة عن
توزيع القصاصات".

بعد بعض دقائق، نزل سيباستيان وسامانتا جنبتا
إلى جنب عبر الدرج الواسع، ولم يعد عرجه ظاهراً
تقرينا،

وسارا ببطء وسط الأصدقاء وأفراد العائلة
وحشد من المهنيين قد أحاطوا بهما، وهم يرمون
القصاصات برفق باتجاههما، وقد انبعض ضوء ساطع
من الفناء.

نظرت سامانتا إلى عشرات النساء الشابات
المفعمات بالأمل، ثم استدارت وألقت باقة الأزهار
الوردية اللون من فوق رأسها عالياً، وسقطت بين
يدي جيسيكا وسط ضحك وتصفيق حاد.

قال سيباستيان بينما كان السائق يفتح الباب
الخلفي للسيارة المنتظرة: "كان الله بعون الرجل
الذي سيرتبط بها".

ضمَّ السفير ابنته إلى صدره، وبدا وكأنه يتربَّد في تركها، وعندما أبعدها عنه أخيراً، همس إلى سيب: "أرجوك، اعنِّ بها".

قال سيب: "حتى آخر يوم في حياتي، يا سيدي"، ثم انضمَّ إلى زوجته في المقهى الخلفي.

انطلقت السيارة بهدوء من الفناء عبر البوابات الخارجية إلى الطريق الرئيسي، وقد طاردهما بعض الضيوف الصغار.

نظر السيد والسيدة كليفتون إلى الوراء، وواصلَا التلويح لهم، وبعد أن تواروا عن الأنظار، أُسندت سام رأسها إلى كتف سيب.

"هل تتذَّكر آخر مرة سافرنا فيها إلى أمستردام، يا عزيزي؟".

"هل يمكن أن أنسى؟".

"عندما نسيت أن أخبرك بأنني حامل".

عندما تصافح الرجال، استرخي سلون قليلاً.

قال كبير المفتشين ستوكس: "من الجيد أن تأتي خلال هذا الوقت القصير، سيد سلون، لأنه عندما يزور شرطي شخصاً له مكانتك في مكتبه، يمكن أن يؤدي ذلك إلى انطلاق ثرثرة لا داعي لها بين الموظفين".

قال سلون وهو يجلس على الكرسي، بينما كان الشرطي لا يزال واقفاً: "يمكنني أن أؤكد لك يا كبير المفتشين أنه ليس لدى ما أخفيه عن الآخرين، بمن فيهم الموظفين"، ثم حدق إلى جهاز تسجيل ضخم موضوع على الطاولة بينهما، وبدأت تدور في عقله أفكار كثيرة، وهو يحاول توقع ما يمكن أن يحتويه الشريط.

قال ستوكس، وهو يجلس أمام سلون: "لم أشر إلى أنه لديك شيئاً تخفيه، ولكن ربما يمكنك مساعدتي من خلال الإجابة عن بعض الأسئلة على كشف ملابسات قضية أعمل عليها حالياً".

شد سلون قبضتي يديه أسفل الطاولة، ولكنه لم يعلق على كلامه.

"أرجو أن تكون لطيفاً بما يكفي لتستمع إلى هذا الشرطي، سيدي"، انحنى ستوكس إلى الأمام وضغط على زر التشغيل الموجود في جهاز التسجيل.

"هنا مكتب الجمارك في هيثرو".

"صلني بضابط الجمارك المسؤول".

"هل يمكنني أن أعرف هوية المتصل؟".

"كلا، لا يمكنك".

"سوف أتأكد إذا كان قادرًا على محادثتك".

ساد صمت لبعض الوقت قبل أن يستمع إلى تسجيل آخر.

"الضابط المسؤول كوليير، كيف يمكنني مساعدتك؟".

"إذا كنت مهتماً، يمكنني إبلاغك بمحاولة أحد الركاب تهريب المخدرات اليوم".

"أكيد، أنا مهتم، لكن أولاً، هل ستخبرني باسمك؟".

"اسم الركاب هو حكيم بشارة، وهو مشهور في التجارة ويسافر على متن الرحلة رقم 207 القادمة من لاغوس، وهو يحمل ثلاث عشرة أونصة من الهيرويين في حقيبته الصغيرة".

ظل سلون صامتاً بعد سماع الشرطي، بينما التقط رئيس المفتشين الشرطي واستبدله بأخر، ومرة أخرى ضغط على زر التشغيل، من دون أن يتفوّه بكلمة.

"هل أنت أدريان سلون؟".

"هذا يتوقف على من يسأل".

"كبير المفتشين مايك ستوكس، أتحدث باسم فرقة مكافحة المخدرات في الشرطة البريطانية".

"كيف يمكنني مساعدتك يا سيد ستوكس؟".

"أوَّذ تحديد موعد لرؤيتك يا سيدي".

"لماذا؟".

"لا يمكنني مناقشة الأمر عبر الهاتف يا سيدي، إما أن أتي إليك، أو يمكنك زيارتي في مقر الشرطة، فاختر ما يناسبك".

"سأتي إليك".

هز سلون بكتفيه.

قال ستوكس: "لقد تم تحليل كل الشرطيين من

قبل أخصاني صوت أميركي، وقد أكد أنهما لا يعودان إلى الشخص نفسه فحسب بل قد أجريتا من الهاتف نفسه أيضاً.
ـ "هذا كلام سخيف".

سأله المحقق من دون أن يبعد نظره عنه: "هل أنت متأكد؟".

"نعم، أنا متأكد، لأن المكالمة الهاتفية التي جرت مع ضابط الجمارك استمرت أقل من ثلات دقائق، وبالتالي لا يمكن تعقبها".

"كيف يمكنك أن تتأكد من ذلك، سيد سلون، إذا لم تكن أنت من أجرى المكالمة؟".

"لأنني حضرت كل جلسات محاكمة حكيم بشارة، واستمعت إلى كل الأدلة بشكل مباشر".

"لقد فعلت ذلك بالفعل، سيدي، وأعترف بأنني ما زلت محظوظاً بشأن سبب قيامك بذلك".

"لأنني يا سيد ستوكس، وأنا متأكد من أنك على علم بذلك، كنت الرئيس السابق لبنك فارذنفرز، وكان أحد عملاني الرئيسيين في ذلك الوقت، يمتلك نسبة كبيرة من الأسهم، لذلك لم أقم بأكثر من واجبي الانت�اني، وستحتاج إلى أدلة أكثر إقناعاً من هذه التسجيلات لإثبات تورطك".

"قبل أن نواصل مناقشة الدور الذي أدىته نيابة عن صاحب الأسهم، وكيف أنكم متورطان معاً، ربما يمكنني تشغيل الشريط الأول مرة أخرى".

ـ "سأطلب منك أن تستمع بتركيز أكبر هذه المرة".

شعر سلون بتعرق راحتي يديه، فمسحهما ببنطاله بينما عاد جهاز التسجيل إلى العمل.

ـ "هنا مكتب الجمارك في هيثرو".

ـ "صلني بضابط الجمارك المسؤول".

"هل يمكنني أن أعرف هوية المتصل؟".
"كلا، لا يمكنك".

"سوف أتأكد إذا كان قادرًا على محادثتك".
ضغط ستوكس على زر الإيقاف وقال: "استمع بتركيز يا سيد سلون"، ضغط كبير المفتشين على زر التشغيل مرة أخرى، وهذه المرة استطاع سلون سماع الصوت الخافت لدقائق الساعة في الخلفية، ثم ضغط على زر الإيقاف، وقال وهو ما زال يراقب سلون: "كانت الساعة العاشرة".
"ماذا الغريب في ذلك؟".

قال ستوكس وهو يقوم بتبديل الشريط: "الآن أود أن تستمع إلى الشريط الثاني مرة أخرى، لأنني اتصلت بك في مكتبك قبل العاشرة بدقيقة".

"هل أنت أدريان سلون؟".

"هذا يتوقف على من يسأل".

ساد صمت طويلاً، فلم يفوت سلون الدقائق العشر هذه المرة، فشعر بقطرات العرق تتصبب من جبهته، وعلى الرغم من أن منديله في جيبيه العلوي، إلا أنه لم يحاول مسحها.

ضغط المحقق على زر الإيقاف وقال: "ويمكنني أن أؤكد لك يا سيد سلون أن تلك الدقائق انبعثت من الساعة نفسها، والتي أكد خبيرنا الأميركي أنها سانت ماري لو بو، تشيبيسايد، على بعد أقل من مائة ياردة من مكتبك".

"هذا لا يثبت شيئاً، لابد أن يكون هناك الآلاف من المكاتب في المنطقة المجاورة، وأنت تعرف ذلك".
"أنت محق تماماً، ولهذا طلبت من المحكمة السماح لي بالتحقق من سجلات هاتفك في ذلك اليوم بالذات".

قال سلون: "يعمل أكثر من مئة شخص في المبنى، ربما كان أي واحد منهم".

"أيمكن أن يحصل ذلك في صباح يوم السبت يا سيد سلون؟ لا أعتقد ذلك، كما أنك لم تتصل عبر هاتف المصرفي، وإنما من هاتفك الخاص، وقد أجبت على المكالمة بنفسك، ألا يتناسب الشعور بأن هذه الصدف تتزايد بشكل واضح؟".

حدق سلون إلى وجهه بتحد.

قال ستوكس: "ربما حان الوقت لنأخذ بعين الاعتبار صدفة أخرى"، فتح ملفاً أمامه وتمفن في قائمة طويلة من أرقام الهواتف.

"قبل أن تصل بمكتب الجمارك في هيترو..."

"لم أتصل أبداً بمكتب الجمارك في هيترو".

"أجريت مكالمة إلى بريستول 698337، واصل ستوكس متجاهلاً فورة غضب سلون: "وهو مكتب السيد ديزموند ميلور، الذي وصفته بالعميل الذي يملك أسهماً في بنك فارذنفرز، وقد دفعك حرصك على أسهمه إلى متابعة محاكمة بشارة، أهي صدفة أخرى؟".

"هذا لا يثبت شيئاً، فأنا عضو في مجلس إدارة ميلور ترافل، الذي يرأسه ديزموند ميلور، لذلك لدينا دانقاً الكثير من الأعمال العالقة والتي علينا مناقشتها".

"أنا متأكد من أنه لديكما أعمال كثيرة للمناقشة، سيد سلون، ولكن ربما يمكنك توضيح سبب إجراء مكالمة ثانية للسيد ميلور في اللحظة التي أنهيت فيها المكالمة مع السيد كوليير".

"من المحتمل أنني لم أتمكن من الوصول إلى ميلور في المرة الأولى، وكنت أحاول مجدداً

التحدث إليه".

"إذا لم تتمكن مكالمته في المرة الأولى، فلماذا استغرقت تلك المقابلة ثمانية وعشرين دقيقة وثلاث ثوان؟".

"ربما تكون سكرتيرة السيد ميلور التي أجبت عبر الهاتف، نعم، الان تذكرت، فقد تحدثت مطولاً إلى الانسة كاسل ذلك الصباح".

نظر ستوكس إلى صفحة في دفتر ملاحظاته، وقال: "لقد أبلغتنا سكرتيرة السيد ميلور، الانسة أنجيلا كاسل، أنها كانت تزور والدتها في غلاستونبري في صباح يوم السبت بالتحديد، وقد حضرتا كلتاهم معرضاً للتحف المحلية".

لعق سلون شفتيه الجافتتين بشكل غير عادي.

" واستمرت مقابلتك الثانية إلى السيد ميلور ست دقائق وثمانين عشرة ثانية".

"هذا لا يثبت أنني تحدثت إليه".

"توقعـت أن تقول ذلك، ولهـذا طلبت من السيد ميلور الحضور لمقابلتي في وقت سابق اليوم، واعترـفـ بأنـهـ تـحدـثـ إـلـيـكـ مرـتـيـنـ فـيـ ذـلـكـ الصـبـاحـ،ـ وـلـكـنـهـ يـقـولـ إـنـهـ لـاـ يـتـذـكـرـ تـفـاصـيلـ الـمحـادـثـيـنـ".ـ

قال سلون: "إذا لم يكن هذا اللقاء أكثر من رحلة بحث، وكل ما توصلت إليه هو التكهن والاعتماد على الصدف، إلا أن شيئاً مؤكداً، وهو أن ميلور لا يمكن أن يتبع الظعم أبداً".

"قد تكون على حق، سيد سلون، ومع ذلك لاأشعر أن أياماً منكما سيرغب في إحالة هذه القضية إلى المحكمة،

وقد يجعل ذلك زملاءك في المدينة يشعرون بأن هناك الكثير من الصدف بالنسبة إليهم للنظر في

التعامل معك مرة أخرى".

"هل تهددني، ستوكس؟".

"بالتأكيد لا يا سيدي، في الواقع، اعترف بأن لدى مشكلة".

ابتسم سلون للمرة الأولى، بينما تابع ستوكس كلامه قائلاً: "فأنا لا أستطيع أن أخذ قرار اعتقال أي واحد منكم، وإطلاق سراح أي واحد منكم من دونتهم".

"أنت تخدعني".

"ممكن، ولكنني فكرت في أنني سأمنحك الفرصة الأولى لقبول عرضي وتقديم الأدلة للمحكمة، وإذا سلمتني...".

قال سلون بتحذق: "أبداً".

"إذا ليس لدي خيار سوى الذهاب إلى الغرفة المجاورة وتقديم العرض نفسه إلى السيد ميلور".

بدأ العرق يتصلب من على وجنتي سلون الدهنيتين، ثم وقف كبير المفتشين للحظة قبل أن يقول: "هل أمنحك بعض دقائق للتفكير في الأمر، سيد سلون؟".

قالت إيماء بعد عودتها من اجتماع مجموعة المناطق: "بدأت أثق بأن السيدة تاتشر ستفوز في الانتخابات المقبلة".

"بما في ذلك منطقة بريستول دوكلاندز؟".
"بالتأكيد، لقد اختربنا مرشحًا مثيرًا للإعجاب، وهو ينسجم مع جمهور الناخبين".

"لن يكون جايلز سعيدًا بذلك".
"سيكون أقل سعادة إذا تمكّن من رؤية أعداد أصواتنا في الغرب، وإذا كانت الأمور متطابقة في كل الأنهاء، فستقيم مارغريت في 10 داونينغ ستريت في المستقبل القريب، وسأعرف المزيد بعد اجتماع رئيسة المجلس الوطني الذي سيعقد في المكتب المركزي لمناقشة الأوضاع".

قال هاري: "هذا يبدو مسلينا".

"لا تسخر، وإلا سألقي بك في البرج".

"سُعد حاكفًا جيدًا إلى حد ما للبرج".

"وستكون أنت وجاييلز أول من يواجه هذا الموقف".

تابعت إيماء قائلة: "ماذا عن سيب؟ هو يصوت دائمًا للحزب المحافظ".

قال هاري: "هذا يذكرني بأنه اتصل الليلة الماضية لتحديد موعد لرؤيتك، والله أعلم ما سيكون الحال عليه بعد الانتخابات، هذا إذا افترضنا أن تاتشر ستفوز".

"في الحقيقة سيكون الأمر أسهل بكثير بعد الانتخابات، لأنني لست مؤهلة للترشح لولاية ثانية بصفتي رئيسة لمنطقة،

لذا سأكون قادرة على تخصيص المزيد من الوقت للمستشفى، وأأمل أن يكون سبب مستعداً في الوقت المناسب لتولي منصب رئاسة مجلس إدارة بارينغتون، فالشركة بحاجة إلى دم جديد، إذا أردنا التنافس مع أحدث السفن الفاخرة". قبلت إيمان زوجها، وقالت له:

"يجب أن أغادر فوراً، وإلا ستأخر عن ترؤس اجتماع اللجنة الفرعية للمستشفى، والذي سيعقد خلال ساعة".

"هل ستقابلين جايلز في أثناء وجودك في لندن؟"
لأنه إذا كنت..."

"بالتأكيد لا، لن أقابل الخصوم إلا بعد انتهاء الانتخابات، عندما يعود إلى حزب المعارضة".

قال بينغلي ما إن ابتعدا عن المارة، وتأكد من أنه لا يمكن أن يسمعهما أحد: "قد يكون في معسكرينا خائن".

حاولت كارين إلا ظهر شعورها بالتوتر، على الرغم من أنها كانت تشعر باستمرار بخوف شديد من أن يكتشف بينغلي أنها الخائنة، وغالباً ما كانت تشارك هذه المخاوف مع السيدة واتسون، التي لم تعد مجرد مستشارة لها، بل أصبحت صديقة مقربةً وموثوقةً.

"هل يسمح لي بمعرفة من الذي تشك فيه أيها الرفيق المدير؟".

"نعم، فزعماونا في موسكو يريدون منك المشاركة في الخطة المعدة لكتشه، فسيقوم أحد عملائنا في أوكرانيا بإخبار يوليوس كرامر بمعلومات حساسة بشكل خاص، وتعليمات بإطلاقك عليها، وإذا عجز

عن تنفيذ تلك المهمة، فستتأكد من أنه يعمل لصالح الطرف الآخر".

"إذا تبيّن أنه الخائن، ما سيكون مصيره؟".

"سيطلب من كرامر العودة إلى موسكو، وسيكون ذلك آخر ما نسمعه عنه على الإطلاق".

"وإذا لم يبلغ؟".

"ستتعقب الخائن، ونفرض العقوبة التي يستحقها جميع الخونة الذين يغيرون مواقفهم".

استمرا في المشي لبعض الوقت قبل أن يعاود بينغلي الكلام مرة أخرى: "لدى الماريشال كوشيفوي مهمة أخرى يريدك القيام بها، أيتها الرفيقة، لقد تسبّبت استقالة هارولد ويلسون غير المتوقعة من رئاسة الوزراء في حدوث رهانات كبيرة، ويريدنا الحزب أن نستغلها".

وقد أردف قائلًا: "أخبرني بارينغتون بأن طبيب ويلسون اكتشف أن لديه علامات مبكرة لمرض الزهايمر، ونصحه بالاستقالة قبل أن تصبح واضحة، ولكنه لم يعلن أن مرضه كان سبب الاستقالة، لأن مستشاريه نصّوه بإخفاء مرضه، لذا توصلنا إلى تفسيرنا الخاص".
"ما هو؟".

"كان يعمل لصالح الروس، وعندما اكتشفت الاستخبارات البريطانية حقيقته، هددته بأنه إذا لم يستقل فسيتم فضله".

"لكن ذلك التفسير يعتبر هزلية، ولابد أن الماريشال كوشيفوي يعلم ذلك".

"أنا متأكد من أنه يدرك ذلك، ولكن هناك عدد كافٍ من الأشخاص الذين ينتمون إلى طرف مجلس سيكرونون مستعدّين لتصديق ذلك بسهولة".

"ماذا تتوقع مني أن أفعل؟".

"أخباري باريونغتون بأنك سمعت هذه الشائعة، وأساليه عما إذا كان يمكن أن تؤدي إلى الحقيقة بصلة، فسوف يرفضها بالطبع، ولكنك ستكونين قد زرعت الفكرة في رأسه".

"لكن من المؤكد أنه لن يصدقها عامة الناس؟".

"لقد قال ستالين قوله لا يمكن أن ينسى، أيتها الرفيقة، كثر الكذبة كثيراً وستصبح حقيقة".

"مرحباً جيني، أنا باك تريند".

لم تكن فيرجينيا تحب أن يدعوها أحد جيني لأنها اسم شائع كثيراً.

ولكن عندما يرسل لها الشخص الذي يسميهما بهذا الاسم شيئاً بقيمة 7500 دولار شهرياً، فستتعلم أن تبتسم له وتتحمّله من أجله.

تابع باك كلامه قائلاً: "أتصل بك لأحدرك من أن حاكم ولاية لوبيزيانا الموقر، هايدن رانكين، يخطط لزيارة لندن في تموز، وبحسب مصادرني، لديه موعد لمقابلة طليقك، اللورد باريونغتون".

قالت له فيرجينيا: "ما الشيء المشترك الذي قد يجمع بينهما؟".

"هذا ما كنت أمل أن تخبريني به".

"الم تتوصل مصادرك إلى اكتشاف السبب؟"

"علمت بأن سايروس تي غرانت الثالث هو صديق مقرب من الحاكم، فضلاً عن كونه أحد المساهمين الرئيسيين في حملته، لذلك قد يكون من الحكمة أن تكوني أنت وفريدي الصغير خارج المدينة عندما يعبر الحاكم المحيط الأطلسي".

"لا تقلق، فسيكون فريدي في عطلة في اسكتلندا".

وسأكون في جزر الباهاماس أستمتع بجازة ممتعة
استحققتها بجدارة".

"حسناً، ولكن إذا اكتشفت سبب رغبة الحكم
في رؤية طليقك، فاتصل بي فوراً، لأنني بحاجة
إلى معرفة ما إذا كان يحاول إيجاد طريقة لإيقاف
مدفوعاتك الشهرية، فلن نرغب في حدوث ذلك،
أليس كذلك، جيني؟".

لم تناقشنا أي موضوع جاد إلا بعد أن طلبتا كوبين
من الشاي وكعكتين محمصتين قليلاً.

"سيتعزّز جاييلز لضغط كبير مع اقتراب موعد
الانتخابات".

قالت كارين: "إنه يزور دائرة انتخابية مختلفة كل
أسبوع".

"أمازال يعتقد أنه من الممكن أن يفوز حزب العمال
مرة أخرى؟".

"إنه يؤكّد أنه سيفوز بعد تناول الفطور كل صباح،
و كنت لأصدقه لو أنه لم يكن يتحدّث في أثناء
نومه".

ضحك العجوز، وقالت: "إذا من الأفضل أن نعد
أنفسنا بنوم ابنة البقال".

"لقد أحضرت لكما كوبين من الشاي وكعكتين
محمصتين، سيدتي".

"شكراً لك، ستانلي".

"إذا ما الذي سيفعله بينغلي؟"، تغير صوتها فوراً
مفادة النادل.

"تعتقد موسكو أن يوليوس كرامر قد يكون عميلاً
مزدوجاً".

قالت العجوز وهي تضع قطعة سكر ثالثة في

كوبها: "حقاً؟ وماذا ينون أن يفعلوا حيال ذلك؟".

"سيطلب من كرامر أن ينقل إلى بعض المعلومات الشديدة الحساسية، وإذا لم ينفذ المهمة سيعيدونه إلى موسكو".

"إذا نفذها فذلك يعني أنهم لن يشكّوا في كرامر، وإنما سيشكّكون في إخلاصك، وإذا لم ينفذها فذلك يعني أنك بالنسبة إليهم مخلصة لهم، وفي هذه الحالة ستكون حياة كرامر في خطر، وسنحتاج إلى إبعاده عن خط المواجهة على الفور، كما يجب ألا تعرّضي نفسك للخطر، كارين، مهما كانت هذه المعلومات حساسة، لذا ما إن تخبريني بها، يجب أن تخبرني ببنفلي بها بأسرع ما يمكن"، قضممت العجوز لقمة من الكعكة، وتابعت كلامها قائلة: "هل قال بينفلي أي شيء آخر يجب أن أعرفه؟".

"أعطيت تعليمات لجميع العمالء بنشر شائعة مفادها أن السبب الحقيقي وراء استقالة هارولد ويلسون من منصب رئاسة الوزراء، هو أن الاستخبارات البريطانية اكتشفت أنه كان يعمل لصالح الروس".

"حان الوقت لشراء معطف غانيكس جديد بكل تلك الأموال الإضافية التي لا بد أنه كان يكسبها"، قضممت لقمة أخرى قبل أن تقول: "سيكون الأمر مضحكاً، إلا أن بعض الحمقى قد يصدقون ذلك بالفعل".

"طلب مني أيضاً أن أخبر جايلز بأنني سمعت بهذه الأخبار، وأنا أراقب رد فعله".

"سأطلب من السير جون أن يطلع جايلز على السبب الحقيقي لاستقالة هارولد، مع العلم أنه كان يستحسن لو أن رئيس الوزراء اعترف بأنه أصيب بمرض الزهايمر في ذلك الوقت".

"هل لديك أي معلومات تريدينني أن أنقلها؟".

"نعم، أعتقد أن الوقت قد حان لاستدعاء والدك المرهق إلى ألمانيا الشرقية، فلماذا لا تخبريه...".

"لورد".

"أيها الحاكم".

"أهي مبادلة؟".

قال جايلز: "حسنا، من المضحك أن تذكر ذلك".

"إنني لم أرغب يوما في أن أكون حاكما، بل كنت أتوقع دائمًا أن أكون عضوا في مجلس الشيوخ".

"وإذا شغلت منصبا في مجلس الشيوخ، فستكون زعيم الأغلبية باريونغتون".

"زعيم الأغلبية باريونغتون، لقد أتعجبني وقوع ذلك".

"ما المبلغ الذي سأدفعه لاصبح اللورد رانكين لولية لويسيانا؟".

"ليس عليك أن تدفع بنسا واحدا، بل سيكون تعبيئا سياسيا، بناء على توصيتي إلى رئيس الوزراء".

"الا تدفع أموالا ولا تحتاج حتى إلى أن يتم انتخابك؟".

"لا بالتأكيد".

"اما زالت بريطانيا أو ميتاقي حقوق؟".

قال جايلز: "يا لها من فكرة مروعة! لا، نحن نعمل وفق السوابق القانونية".

"حتى رئيس دولتكم لا ينتخب؟".

"بالطبع لا، إنها المملكة الوراثية، اختارها الله تعالى".

"وتملكون الجرأة لتدعون أنكم دولة ديمقراطية".

"نعم، نحن نفعل ذلك، ولكن فكر فقط في مقدار الأموال التي نذخرها، بينما أنتم تهدرونها من خلال انتخاب الجميع من صاند الكلاب حتى الرئيس، لاثبات مدى ديمقراطيتكم فقط".

"أنت تحاول التملص من المأزق، جايلز".

"حسنا، أخبرني كم كان عليك أن تجمع من الأموال قبل أن تفك في الترشح لمنصب الحاكم؟".

"خمسة أو ستة ملايين، فتزداد تكلفة كل انتخابات بشكل متواصل".

"علام تنفق تلك الأموال؟".

"على الإعلانات السلبية في أغلب الأحيان، لإخبار الناخبين بالأسباب التي تدفعهم إلى لا يصوتوا لصالح المنافسين".

"هذا ما لن نقوم به أبدا، وهو سبب آخر في كون نظامنا أكثر تحضراً من نظامكم".

قال هايدن: "قد يكون لديك وجهة نظر لورد بارينغتون، ولكن دعنا نعذ إلى العالم الحقيقي، لأنني بحاجة إلى نصيحتك".

"تفضل، هايدن، لقد تأثرت برسالتك، ولا أطير الانتظار لمعرفة كيف يمكن أن يلتقي أحد ناخبيك بطليقتي".

"سايروس تي غرانت الثالث هو أحد أقدم أصدقائي، وأحد أكبر الداعمين لحملاتي الانتخابية طوال السنوات الماضية، لذلك أنا مدين له بالكثير، كما أنه رجل طيب ولطيف، وعلى الرغم من أنني لا أعرف ما الذي يمثله حرف التاء في اسمه، فربما يشير إلى أنه شخص موثوق به".

"إذا كان رجل ثقة، كيف تمكّن من جمع ثروته؟".

"لم يصنعها بنفسه، إنه مدین لجده بجزء كبير منها بالإضافة إلى دور الحظ، فقد أسس جده شركة التعليب التي تحمل اسمه، وتمكّن والد سايروس من نقل الشركة إلى بورصة نيويورك، وهو يعيش الان من الأرباح التي وفرت له حياة مرفهة".

"ولديك الجرأة على انتقاد النظام الوراثي، ولكن ذلك لا يفسر كيف اجتمع هذا الرجل اللطيف والموثوق به مع فيرجينيا".

"قبل خمس سنوات، كان سايروس في زيارة إلى لندن، وقد دعاه لتناول الغداء شخص يحمل الاسم البغيض بوفي بريджواتر".

"أخشى أن اللورد بريджواتر لا يمثل حجة مقنعة للنظام الوراثي، بل إنه يجعل بيتر ووستر يبدو ذكياً وحاسفاً".

"في أثناء الغداء، جلس سايروس بجوار الليدي فيرجينيا فينيويك، وكان من الواضح أنه تأثر بكلام هراء قالت له حول كونها فرد من العائلة المالكة وقريبة غير مبشرة للملكة الأم، بعد ذلك ذهبت للتسوق معه في شارع بوند لشراء خاتم خطوبة لحبيبته التي عرفها منذ أيام المدرسة الثانوية، إيلي ماي كامبل، وقد تزوجا لاحقاً، وبعد أن اشتري سايروس الخاتم، دعا الليدي فيرجينيا إلى احتساء الشاي في جناحه في فندق ريتز، وما تذكره بعد ذلك هو الاستيقاظ إلى جانبها في السرير، والشيء الوحيد الذي كانت ترتديه هو خاتم الخطوبة".

قال جايلز: "هذا مفاجن حقاً، ولا يتواافق مع معايير فيرجينيا، وماذا حدث بعد ذلك؟".

"كان ذلك أول خطأ يرتكبه سايروس، فبدلاً من أن يسترّ الخاتم ويطلب منها أن تنصرف، استقلَّ أقرب رحلة إلى الولايات المتحدة، وخلال فترة قصيرة من الوقت، اعتقاد أن كل ما فقده هو الخاتم، إلى ظهرت الليدي فيرجينيا في حفل زفافه، وهي حامل في شهرها السابع".

"ولم يكن يتوقع أن يحصل على هدية الزفاف تلك".

"إنها هدية مغلفة، ففي اليوم التالي، اتصل بـ تريند، أحد أذكي المحامين في غرب المسيسيبي وأبرعهم، بمحامي سايروس، ومرة أخرى أصيب صديقي بالذعر، وقد انتهى به المطاف إلى توجيه تعليمات إلى محاميته لتسوية الأمر قبل أن يعود هو وإيلي ماي من شهر العسل، فانتزع تريند أكثر مما تستحقه موكلته، وانتهى الأمر بسايروس إلى دفع مليون دولار مقدماً، وعشرة ألف أخرى شهرياً إلى أن يبلغ الطفل سن الرشد وينهي تعليمه".

"هذا مردود كبير بالنسبة إلى علاقة عابرة".

"هذا إذا كانت علاقة عابرة، ولكن ما لم تحسب فيرجينيا حسابه كان إيلي ماي كامبل - حالياً إيلي ماي غرانت - التي تبين أنها تنحدر من أصل اسكتلندي مثلها تماماً، وعندما اعترف سايروسأخيراً بما حدث في لندن، لم تصدق إيلي ماي أي كلمة من قصة فيرجينيا، ما جعلها تستخدم محققاً من وكالة بينكerton، وقد أرسلته إلى إنجلترا، بعد أن أعطته تعليمات بعدم العودة إلى أن يكتشف الحقيقة".

قال جايلز: "وهل توصل إلى كشف الحقيقة؟".

"لقد أبلغها بأنه ليس مقتنياً بأن فيرجينيا قد أنجبت طفلاً، وحتى لو كانت قد أنجبته، لا سبب يدعوا إلى تصديق أن سايروس هو والد فريدريك أرتشيبالد إيان بروس فينويك".

"قد يثبت فحص الدم صحة ذلك".

"وقد لا يثبته، ولكن على أي حال، يصعب على سايروس أن يطلب من مدير الروضة التي التحق بها الطفل في اسكتلندا، الحصول على عينة من دمه".

"ولكن إذا رفع دعوى إنكار نسب الطفل في

محاكمة علنية، فسيتعين على القاضي أن يطلب إجراء فحص دم".

"نعم، ولكن إذا اتضح أنهما يتشاركان زمرة الدم نفسها، فلن يكون ذلك قاطعاً تماماً".

قال جايلز باقتضاب: "أعرف ذلك جيداً"، ثم تابع كلامه قائلاً: "إذا كيف يمكنني المساعدة؟".

"بما أن الليدي فيرجينيا هي طليقتك، تسأعلنا أنا وسايروس عما إذا كان في إمكانك معرفة ما خططت له خلال الوقت الذي كان يقيم فيه في لندن".

"كل ما أتذكره هو أنها كانت تواجه بعض الصعوبات المالية واختفت فجأة عن المشهد لفترة من الزمن، ولكن عندما ظهرت من جديد، انتقلت إلى منزل أكبر بكثير، ووظفت مرة أخرى خادماً ومديرة منزل بالإضافة إلى مربية للطفل، وبالنسبة إلى ابنها، فريدي، نادراً ما تتم رؤيته في لندن، فحتى العطل المدرسية يقضيها في مزرعة فينويك في اسكتلندا".

قال له الحاكم: "حسناً، على الأقل يؤكد ذلك ما قاله لنا المحقق، ووفقاً لتقريره، فإن المربية، السيدة كروفورد، امرأة ترتدي الجوارب ويبلغ طولها خمسة أقدام وتزن حوالي تسعين رطلاً، كما أنها تبدو وكأنها قد عصفت بها الرياح، وقد أبلغنا المحقق بأنه يفضل التعامل مع المافيا على أن يواجهها مرة أخرى".

قال جايلز: "إذا لم يتمكن من الحصول على معلومات مفيدة منها، وماذا عن الأشخاص الآخرين الذين وظفتهم فيرجينيا على مر السنوات من الخدم والسانقين، مدبرات المنزل؟ لابد أن أحدهم يعرف شيئاً ما، وهو مستعد لإخباركم به".

"لقد تعقب رجلنا بالفعل عدد من موظفيها السابقين، لكن لم يكن أي منهم على استعداد إلى قول كلمة واحدة ضدها، إما لأنهم يتلقون أجزاءً مقابل التزامهم الصمت، وإما لأنها ترعبهم".

اعترف جاييلز قائلًا: "أتفهم موقفهم، فحتى أنا كانت تخيفني أيضًا، لذلك لا يمكنني لومهم، لكن لا تستسلم، فقد طردت الكثير من الخدم في حياتها، وهي بالتأكيد لا تؤمن بتوزيع هدايا الوداع".

"سايروس يخاف منها أيضًا، على خلاف إيلي ماي، وقد حاولت إقناعه بتحدي فيرجينيا عبر وقف المدفوعات".

"فيرجينيا لا يسهل خداعها، إنها امرأة ماكرة واستغلالية وعنيدة مثل تميمة الديموقراطيين (1)، وهذه التركيبة خطيرة وتقودها إلى الاعتقاد بأنها على حق دائمًا".

"ما الذي استحوذ على عقلك بحق السماء، وجعلك تتزوج من هذه المرأة؟".

"آه، لقد نسيت أن خبرك بأنها امرأة جميلة بشكل ساحر، وعندما تريدين شيئاً، يمكنك أن تكون فاتنةً بشكل لا يقاوم".

"كيف تعتقد أنها ستتصرف إذا توقفت المدفوعات فجأة؟".

"ستقاتل مثل القطة المتشردة، ولكن إذا لم يكن سايروس هو والد فريدي، فلا يمكنها المخاطرة باللجوء إلى المحكمة، وستدرك جيدًا أنه قد ينتهي بها المطاف إلى السجن بسبب حصولها على المال عبر تزوير الحقائق وتقديم ذرائع مزيفة".

قال هايدن: "لن يكون الإيرل سعيداً بذلك، وماذا عن فريدي المسكين؟".

قال جايلز: "لا أعرف، ولكن يمكنني أن أؤكد لك بأنه لم تتم رؤية فريدي أو السيدة المروعة كروفورد، في لندن مؤخراً".

"إذا أوقف سايروس مدفوعات فيرجينيا، هل تعتقد أن فريدي سيتعانى من العوز؟".

"لا أعتقد ذلك، ولكنني سألقي خطاباً في إسكتلندا الأسبوع المقبل، وإذا تمكنت من جمع أي معلومات مفيدة، سأعلمك بها في الحال".

"شكراً لك، جايلز، ولكن إذا كنت ستزور إسكتلندا، فلماذا لا تقود سيارتك إلى مزرعة فينيويك ببساطة، وتدق على الباب الأمامي وتطلب من الإيرل التصويت؟".

"لا يملك الإيرل حق التصويت".

صاحت به فيرجينيا: "لماذا لم أتلقي مدفوعات هذا الشهر؟".

قال تريند: "ولم أحصل على مدفوعاتي أيضاً، وعندما اتصلت بمحامي سايروس، أخبرني بأنك لن تحصلي على سنت آخر، ثم أنهى الاتصال".

صرخت فيرجينيا قائلة: "إذا لنا نقض الوغد! وإذا لم يدفع ما يتوجب عليه، فأخبر المحامي بأنني وفريدي سنقيم في باتون روج، وسنرى إذا كان سيعجبهم ذلك".

"قبل أن تحجزي تذكرة سفرك، جيني، يجب أن أبلغك بأنني اتصلت بالمحامي وهذدته باتخاذ كل أنواع الإجراءات القانونية، فكان ردّه موجزاً، ولكنه يتناول موضوعاً حساساً، فقد قال بوضوح، من الأفضل أن تكون موكلتك قادرة على إثبات أن سايروس تي غرانت هو والد فريدي، وأنها والدته

ايضاً".

"يسهل إثبات ذلك، فلدي شهادة الميلاد، وما زلت على اتصال بالطبيب الذي ولدني".

"أشعرت إلى ذلك، ولكنني لم استطع أن أفهم رد فعله، فقد أكد لي أنك ستفهمين موقفه جيداً".
"ما الذي تتحدث عنه؟".

"أخبرني بأن إيلي ماي غرانت قد وظفت مؤخراً خادماً ومديرة منزل في منزلهما في لوبيزيانا، وهما السيد والسيدة مورتون".

وصل الرفيق بينغلي إلى مكتب الماريشال كوشيفوفي الضخم المكسو بخشب البلوط، ولم يقف رئيس الشرطة السوفياتية السرية ليلاقي التحية عليه، بل أومأ إليه إيماءة ازدراء، مشيراً إليه أن يجلس.

كان بينغلي متوتزاً بشكل واضح، فلا يتم استدعاؤه إلى مقر الشرطة السوفياتية السرية إلا عندما يكون المستدعى على وشك إقالته أو ترقيته، ولم يكن متأكداً مما سيكون عليه وضعه.

قال كوشيفوفي الذي بدا وكأنه ثوز هائج على وشك أن ينقض عليه: "إن سبب دعوتي لك، أيها الرفيق القائد، هو أننا اكتشفنا الخائن بين عملائك".

سأل بينغلي: "أهو يوليوس كرامر؟".

"لا، كان كرامر مجرد تمويه، إنه موثوق به كلينا وملتزم بقضيتنا، على الرغم من أن البريطانيين لا يزالون يعتقدون بأنه يعمل لصالحهم".

قال بينغلي الذي اعتقد أنه يعرف جميع عملائه الواحد والثلاثين: "من الخائن إذا؟".
"كارين براندت".

"لكنها كانت تنقل معلومات مفيدة جداً مؤخراً".

"وقد اكتشفنا مصدر تلك المعلومات، وكانت الوسائية من أكثر شخص يُستبعد أن يُفشي سرها"، لم يقاطعه بينغلي، وأردف قائلًا: "طلبت من العميل كرامر إبلاغ براندت بأننا نريدك أن تعود إلى موسكو".

"وقد أوصلت تلك الرسالة".

"ولكن ليس قبل أن تنقلها إلى شخص آخر".

"كيف يمكنك أن تكون متأكداً؟".

"أخبرني عن الطريق الذي سلكته إلى موسكو".

"قدت سيارتي من منزلي في كورنوال إلى مطار هيثرو، واستقللت الطائرة إلى مانشستر، ثم ركبت الحافلة إلى نيوكاسل...", قاطعه كوشيفوي قائلًا: "هناك سافرت إلى أمستردام، حيث استقللت مركبنا عبر أنهار الراين والماين ودانوببيتو فيينا"، غير بينغلي وضعية جلوسه، وقد اعتبراه القلق، ثم تابع كوشيفوي قائلًا: "ثم سافرت من فيينا إلى وارسو بالقطار، وقبل أن تستقل الطائرة أخيراً إلى موسكو، تم تعقبك سزا طوال الطريق عبر سلسلة من العملاء البريطانيين، وكان آخرهم برفقتك في رحلتك إلى موسكو، ولم يكلف نفسه عناء النزول من الطائرة، بل عاد إلى لندن مباشرة، لأنه كان يعلم بالضبط إلى أين أنت ذاهب".

"كيف أمكنهم القيام بذلك؟".

"لأن براندت أخبرت مديرتها الإنكليزية بأنني طلبت منك القدوم إلى موسكو قبل أن تعلمك بذلك، أيها الرفيق، وقد تتبعوا الطريق الذي سلكته منذ لحظة انطلاقك من إنكلترا إلى أن وصلت إلى موسكو، فاقتفو أثرك بكل ما للكلمة من معنى".

"إذا فقد فشلت عمليتي بالكامل، ولا فائدة من عودتي إلى إنكلترا".

"إلا إذا استغللنا خطتهم لصالحنا".

"كيف تخطط للقيام بذلك؟".

"ستعود إلى إنكلترا من خلال طريق غير مباشر أيضاً، كي يعتقدوا أننا لا نزال نجهل أن براندت تخوننا، وبعد ذلك تمارس عملك كالمعتاد، ولكن كل رسالة نرسلها لاحقاً عبر كرامر إلى براندت، سيكون البريطانيون على ثقة بأنهم اطلعوا عليها".

قال له بينغلي: "سيكون من المثير للاهتمام أن نرى كم سيستغرق الاستمرار بتنفيذ تلك الخطة قبل أن تبدأ الاستخبارات البريطانية بالتساؤل حول الجهة التي تقف إلى جانبها".

"في تلك اللحظة، سيعين وقت التخلص منها، وبعد ذلك يمكنك العودة إلى موسكو".

"كيف اكتشفت أنها تخوننا؟".

"إنه عامل الحظ، أيها الرفيق القائد، وكنا نتجاهله تقريرنا، إنه عضو في مجلس اللوردات يدعى الفيكونت سلايتويت، أحد الورثة الذي لا فائدة منه بالنسبة إلينا، إلا أنه كان معاصرًا لبورجيس، ماكلين وفيليب في كامبريدج. بعد انضممه إلى الحزب الشيوعي في الجامعة، لم نكن نفكّر في تجنيده، على الرغم من أنه سعى جاهدًا إلى أن نصدق أنه الرجل السادس، ومع مرور السنوات، استمر ينقل المعلومات بانتظام إلى سفارتنا، فكانت في أحسن الأحوال معلومات قديمة لا قيمة لها، وفي أسوأ الأحوال كانت تهدف إلى تضليلنا، وبعد ذلك أوصل إلينا أخيرًا معلومة قيمة من دون أن يدرك أهميتها، فقد أرسل رسالة قصيرة مفادها أن زوجة اللورد بارينغتون - لم يكن يعلم أنها إحدى عمللاتنا - تزور

بانتظام غرفة الشاي في مجلس اللوردات برفقة العجوز واتسون".

"سينثيا فوربس واتسون؟".
"نعم".

"لكنني اعتقدت أن الاستخبارات البريطانية قد أحالتها إلى التقاعد منذ سنوات؟".

"اعتقدنا ذلك أيضاً، ولكن يبدو أنه يتم إنعاشها من خلال تكليفها بتوجيه براندت، فأي غطاء أفضل من شرب الشاي في مجلس اللوردات، بينما يكبح اللورد بارينغتون في الواجهة".

"لابد أن واتسون في الثمانين...".

"إنها في الرابعة والثمانين من عمرها".

"لا يمكنها الاستمرار في العيش لفترة طويلة".

"أوافقك في الرأي، ولكن ستظل العملية العكسية جارية طالما أنها تخدم مصالحنا".

"وعندما تموت؟".

"لن يكون لديك سوى مهمة أخيرة عليك أن تقوم بها، أيها الرفيق القائد، قبل أن تعود إلى موسكو".

هاري وإيما كليفتون

1978

47

سمع نقرًا على باب مكتبه، وهي المرة الثانية خلال السنوات السبع الماضية.

وضع هاري قلمه، وتساءل عمن سيفكر في مقاطعته في أثناء الكتابة، نظرًا إلى أن إيما في المستشفى، وجيسيكا قد عادت إلى لندن، ولم يكن في إمكانه إلا أن يدبر كرسيه لمعرفة المتطرف.

فتح الباب ببطء، فظهر ماركهام أمامه، ولكنه لم يدخل الغرفة، وقال له: "أنا آسف على إزعاجك، سيدتي، لكنها مكالمة من الوزارة في لندن، ويبدو أنها عاجلة".

انتصب هاري واقفًا على الفور، ولم يكن يدرى سبب نهو حضوره من مكانه، عندما رفع سماعة الهاتف.
"من فضلك انتظر يا سيدتي، سوف أصلك به".
ظل هاري واقفًا.

"سيد كليفتون، أنا آلان ريدمين".

"مساء الخير سير آلان".

"اتصلت هاتفيا لأن لدي بعض الأخبار الرائعة، وأردت أن تكون أول من يعلم بها".

"أخبرني بأنه تم إطلاق سراح أناتولي باباكوف؟".
ليس بعد، ولكن الأمر لن يطول، فقد تلقّيت لتوي مكالمة من سفيرنا في ستوكهولم، وقد أبلغني بأن رئيس الوزراء السويدي سوف يعلن خلال ساعة من الزمن، أنه تم منح أناتولي باباكوف جائزة نوبل للآداب".

بعد لحظات من إعلان الخبر، بدأ الهاتف بالرنين من دون توقف، فأدرك هاري للمرة الأولى ما تعنيه عبارة "كيفية التملص من المأزق" حقاً.

استمرّ هاري خلال ساعة يجيب عن أسئلة طرحتها عليه الصحفيون من جميع أنحاء العالم.

"هل تعتقد أن الروس سيطلّقون سراح باباكوف أخيزا؟".

أجاب هاري: "كان ينبغي إطلاق سراحه منذ سنوات، ولكن هذه الجائزة ستقدم إلى السيد بريجنيف ذريعة لإطلاق سراحه على الأقل الآن".

"هل ستذهب إلى ستوكهولم لحضور الحفل؟".

"أمل أن أكون من بين الحاضرين، عندما تقدم الجائزة إلى أناطولي".

"هل ستتّسافر إلى روسيا، حتى تتمكن من مرافقة صديقك إلى ستوكهولم؟".

"يجب إطلاق سراحه من السجن أولاً، قبل أن يتمكّن أي شخص من مرافقته إلى أي مكان".

ظهر ماركهام مرة أخرى أمام الباب، ونظرية القلق نفّسها قد ارتسمت على وجهه، وقال له: "ملك السويد على الخط الآخر، سيدتي"، فأغلق هاري سماعة الهاتف الأول، ورفع سماعة الهاتف الآخر، فتفاجأ عندما أدرك أن الملك نفسه يتحدّث إليه عبر الهاتف لا سكريّره الخاص، وقد قال له:

"أمل أن تتمكن أنت والسيّدة كليفتون من حضور الحفل بصفتكما ضييفي الشخصيين".

قال هاري: "يسعدنا ذلك، جلالة الملك"، أملا في أن يكون قد خاطبه بأسلوب يليق بالملك.

بينما كان يجيب مرازاً وتكرزاً عن الأسئلة نفسها

التي يطربها كل الصحفيين، توقف هاري للحظات لإجراء مكالمة خاصة، فقال أرون غوينزبورغ: "لقد سمعت الأخبار للتو، واتصلت بك على الفور إلا أن هاتفك كان مشغولاً باستمار، ولكن لا داعي للقلق، لقد ذهبت بالفعل إلى شركة الطباعة وطلبت مليون نسخة أخرى من كتاب *العلم جو*".

قال هاري قلقاً: "لم أكن أتصل بك لأنك عن عدد النسخ التي تطبعها، أرون، بل لتعتنني بيلينا، لأنها تجهل كيفية التعامل مع الصحفيين".

"أنت على حق، هاري، كيف لم أفكّر في ذلك، آسف، سأذهب إليها في الحال".

وضع هاري سماعة الهاتف ليرى ماركهام مرة أخرى وهو يحوم في المدخل، وقال له: "بي بي سي تسأل عما إذا كنت ستدعلي ببيان".

"أخبرهم بأنني سأخرج خلال بضع دقائق".

"جلس إلى مكتبه، وتجاهل رنين الهاتف، ثم دفع المفتش وورويك جانبها، وبدأ بالتفكير في الرسالة التي يريد إيصالها، فهو لن يحصل على فرصة كهذه مرة أخرى".

عندما التقى قلمه، تدفقت الكلمات بسهولة، فهو انتظر اثنين عشر عاماً حتى يمنحك هذه الفرصة، وقرأ بيانه، ثم قام بتنقيحه، وبعد أن تأكد من أنه حفظه عن ظهر قلب، وقف أمام المرأة وأخذ نفسها عميقاً، ثم قرم ربطة عنقه، وخرج إلى القاعة، ومشى أمام ماركهام الذي كان يستمتع بكل لحظة إثارة تتكتشف أمامه، ثم فتح الباب الأمامي ووقف جانبها.

لقد توقع هاري مواجهة بعض المراسلين المحليين، ولكنه ما إن انفتح الباب، حتى اندفع نحوه حشد من الصحفيين والمصورين، وكانوا جميعاً يصرخون في اللحظة نفسها، فوقف على أعلى درجة وانتظر

بصبر حتى أدركوا جميعاً أنه لن ينطق بأي كلمة قبل أن ينال انتباهم.

بدأ يقول بنبرة هادئة: "ليس اليوم مناسبنا للاحتفال، بينما لا يزال صديقي وزميلي، أنا تولي باباكوف، يقع في سجن روسي، بسبب ارتكابه جريمة الكشف عن الحقيقة عبر كتابه الذي تم تكريمه من خلال نيله جائزة نوبل للأداب، وهو يستحق ذلك، ولكنني لن أهدأ حتى يتم إطلاق سراحه، والتنام شمله مع زوجته يلينا، ليتمكننا من أن يقضيا بقية أيامهما، وهما يتمتعان بحفلهما بالحرية التي نعتبرها مسلقاً بها".

استدار هاري عائداً إلى المنزل، بينما استمر الصحفيون بالصرخ مطالبين الإجابة عن أسئلتهم، إلى أن أغلق ماركهام الباب خلفه.

كانت المرة الأولى التي تزور فيها فيرجينيا سجناً، على الرغم من أن بعض أصدقائها الذين عرفتهم على مر السنوات يقيمون فيه، بالإضافة إلى أن العديد من أصدقائها الحاليين سيدخلون إليه قريباً. في الحقيقة، لم تكن تتطلع إلى تلك التجربة، ولكن عند الأخذ بعين الاعتبار دخول ديزموند ميلور السجن، تكون قد وجدت الحل لمشكلتها، ولم تعد مضطراً إلى التظاهر بأن لديه أدنى فرصة للحصول على لقب الفروسية، وسيبقى "السير ديزموند" الفارس الذي لطالما كان عليه.

إلا أن ذلك ولو سوء الحظ، يعني أيضاً أن مصدر دخل منتظم قد انقطع، وما كانت ستفكر في زيارة ميلور في السجن لو لم يستمر مدير البنك بتذكيرها بالسحب على المكتشوف، فكان أملها الوحيد أن يكون ميلور قادرًا على تحويل حسابها المصرفي

من اللون الأحمر إلى اللون الأسود، على الرغم من وجوده خلف القضبان.

لم تكن فيرجينيا متأكدة تماماً من التهم التي وجهت إلى ميلور، ولكنها لم تتضايقاً عندما علمت أن أديان سلون كان متورطاً في سجنه بطريقة ما.

قادت سيارتها متوجهة نحو أرونديل بعد تناول الفطور مباشرةً، إذ لم ترد أن يرصدها أحد وهي تصعد على متن القطار أو تركب سيارة أجرة باتجاه سجن فورد المفتوح، وقد تأخرت بعض دقائق في الوقت الذي كانت تركن فيها سيارتها في موقف السيارات، ولكنها لم تكن تنوّي أن تكون في الوقت المحدد أصلاً، لأن قضاء ساعة برفقة ديزموند وهي محاطة بمجموعة من الأشرار لم تكن خطتها لقضاء ظهر يوم الأحد.

بعد أن ركنت سيارتها، توجهت إلى بوابة السجن، وقد قابلها في مكتب الاستقبال أحد الضباط، وبعد أن فتشها، طلب منها إثبات هويتها، فسلمته جواز سفرها لتتأكد أنها الليدي فيرجينيا فينيويك، على الرغم من أن صورتها كانت قدّيمة، فوضع الضابط علامة أمام اسمها في قائمة الزائرين المخولين زيارة المسجونين، ثم سلمها مفتاحاً وطلب منها إيداع جميع أغراضها الثمينة في صندوق صغير، بعد أن تم تحذيرها بلباقة من أن أي محاولة لتقديم النقود إلى أحد السجناء في أثناء الزيارة ستعتبر جريمة جنائية، ويمكن أن يتم اعتقالها بسببها، وقد ينتهي بها الأمر إلى السجن لمدة ستة أشهر، ولكنها لم تخبر الضابط بأنها كانت تأمل في أن يحصل العكس.

وما إن تم تسليمها المفتاح، وضعت حقيبة يدها ومجوهراتها في الخزانة الرمادية الصغيرة، ثم رافقتها ضابطة عبر ممر طويل نوره ساطع، ثم

دخلتها إلى غرفة مؤثثة على نحو بسيط تحتوي على دزينة من الطاولات أو ما يقارب ذلك، وكل واحدة منها محاطة بكرسي أحمر وثلاثة كراسى زرقاء.

رصدت فيرجينيا ديزموند جالسا على كرسي أحمر في الزاوية البعيدة من الغرفة، فتوجهت نحوه للانضمام إليه، وقد حضرت جملتها الأولى مسبقاً.

قالت فيرجينيا وهي تجلس على المقدم المقابل له: "يؤسفني أن الأمور وصلت إلى هذا الحد، وقد سمعت للتو من سعادة الدوق هيرتفورد أن لقب الفروسية الخاص بك...".

"توقف عن قول الكلام الهراء، فيرجينيا، لم يتبق لدينا سوى ثلاثة وأربعين دقيقة، لذا دعينا نستغف عن التفاهات، وننتقل إلى سبب احتياجي إلى روبيتك، ما الذي تعرفيه عن سبب وجودي في هذا المكان؟".

قالت له فيرجينيا: "لا أعرف السبب إطلاقاً، ولكنها شعرت بالارتياح عندما أبلغها ديزموند بأن القضية لم يتم نشرها في الصحف الوطنية.

"لقد تم القبض علي بعد أن وجهت إلي تهمة تضليل مسار العدالة، بعد أن قدم سلون الأدلة التي تدينني، ولم يترك لي أي خيار سوى الاعتراف بالذنب لتخفييف عقوبتي، فانتهى بي الأمر إلى نيل عقوبة مدتها ثمانية عشر شهراً، وقد يتم تخفيضها إلى سبعة أشهر في جلسة الاستئناف، لذلك سأخرج خلال أسبوع قليلة، ولكنني لا أنوي البقاء مكتوف اليدين متظاراً أن يتم إطلاق سراحني للانتقام من ذلك الوعد سلون، ولهذا السبب كنت بحاجة إلى روبيتك".

قالت فيرجينيا، وهي تشتم رائحة مبلغ من المال

سيدفع قريباً: "سأفعل كل ما في وسعي لتقديم المساعدة".

"جيد، لأنك لن يستغرق القيام بهذا العمل الكثير من الوقت، وسوف تتم مكافأتك جيداً".

ابتسمت فيرجينيا ابتسامة ماكرا.

"ستجدين علبة صغيرة في ...".

في صباح اليوم التالي كان هاري وحده متواجهًا بالتفطية الإعلامية الشاملة، فقد تصدرت صورة باباكوف الوحيدة التي كانت لدى الصحف الصفحات الأولى، وهو يقف بجوار ستالين، وقد ذكرت الصفحات الداخلية القراء بالحملة التي كان هاري يشنها نيابة عن رابطة القلم خلال العقد الماضي، وطالبت المقالات الافتتاحية بأن يطلق بريجينيف سراح الحائز على جائزة نوبل.

لكن هاري كان يخشى أن يستمر الروس بالمقاطلة، لإيمانهم بأفول نجم باباكوف ونسيان هذه القصة في النهاية مع مرور الوقت، ليسقط نجم آخر يجذب انتباه الصحافة، لكن القصة لم يخفت بريقها، لأن رئيس الوزراء أشعل نارها الخامدة حتى التهبت مرة أخرى، عندما أبلغ الصحافة العالمية بأنه سيثير موضوع سجن باباكوف مع الزعيم السوفيافي عندما يلتقيان في قمتهما المزمع عقدها في موسكو.

في الوقت نفسه، طرح جايزل عدة أسئلة مكتوبة على وزير الخارجية، وبدأ نقاشه بمعارضة موقفه وقد استمر النقاش يوماً كاملاً في مجلس اللوردات، ولكنه حذر هاري من أنه عندما يتعلق الأمر بالقمة الدولية، فسيرث المسؤولون جدول الأعمال قبل وقت طويل، وسيكون قد تم الاتفاق على الأسئلة التي سيتم طرحها، والردود المناسبة لها، وحتى

صياغة البيان الصحفي النهائي قبل وقت طويل من وقوف القاندين لالتقاط الصور في اليوم الافتتاحي. مع ذلك، تلقى جايلز مكالمة من صديقه القديم والتر شيل، وزير خارجية ألمانيا الغربية السابق، لإعلامه بأن الروس قد فوجئوا بالاهتمام العالمي بباباكوف، وبدأوا بالتساؤل عما إذا كان الإفراج عنه لن يكون الطريق السهل، لأنه لا يزال بعض مواطنيهم مخدوعين ويجهلون سياسة القمع التي طبّقها ستالين، ولكنهم مع جائزة أو من دونها، لن يسمحوا أن ينشر كتاب العم جو أبداً في الاتحاد السوفيافي.

عندما عاد رئيس الوزراء من موسكو بعد أربعة أيام، لم يتحدث عن اتفاقية التجارة الجديدة بين البلدين أو التخفيضات المقترحة للصواريخ النووية الاستراتيجية، أو حتى التبادلات الثقافية المثيرة التي شملت المسرح الوطني والبولشوي، وبدلاً من ذلك، كانت أولى كلمات جيم كالاغان للصحافة المنتظرة في أثناء نزوله من الطائرة الإعلان عن موافقة الزعيم الروسي على إطلاق سراح أناتولي باباكوف خلال أسبوع قليلة، وفي الوقت المناسب لحضور حفل توزيع الجوائز في السويد.

في صباح اليوم التالي اتصل مسؤول من وزارة الخارجية بهاري في منزله لإبلاغه بأن الروس رفضوا منحه تأشيرة دخول إلى موسكو لمراقبة باباكوف إلى ستوكهولم، ولكن ذلك لم يزعجه، لأنه قد حجز مقعده على متن رحلة إلى مطار أرلاندا قبل وقت قصير من هبوط الطائرة الروسية، حتى يتمكن من استقبال أناتولي عند نزوله من الطائرة. سرّ إيمان انتصار هاري، وكادت أن تنسى أن تخبره أن مجلة الخدمات الصحية اختارت مستشفى

بريسنجلز الملكي أفضل مستشفى لهذا العام، وفي
شهادة تقديرها، سلطت الضوء على الدور الذي أذته
السيدة إيمان كليفتون، رئيسة العادات، ولا سيما
مدى استيعابها المشاكل التي تواجه هيئة الخدمات
الصحية الوطنية، والتزامها بمسؤولياتها تجاه كل
المرضى والموظفين، وختمت بالقول إنه لن يكون
من السهل استبدالها.

وقد ذكرت هذه الشهادة إيمان وقتها بصفتها
رئيسة المستشفى قد أوشك أن ينفد، إذ لا يسمح
لأي رئيسة أن تشغل منصباً في مؤسسة عامة لأكثر
من خمس سنوات، وبدأت تتساءل عما ستفعله بعد
ذلك، بعد أن وافق سيباستيان على تولي منصب
رئيس مجلس إدارة بارينغتون شيبينغ.

في صباح اليوم التالي، استقلت فيرجينيا قطازاً
إلى تيمبل ميدز، ولدى وصولها إلى بريستول،
أوقفت سيارة أجرة، وعندما توقف السائق خارج
مكتب ديزموند ميلور بعد بضع دقائق، بدا أن
قدومها كان متوقعاً.

أدخلت الانسة كاسل، سكرتيرة ميلور التي طالت
معاناتها، فيرجينيا إلى مكتب الرئيس، وما إن
أغلقت الباب خلفها وأصبحت وحدها، حتى نفذت
تعليمات ديزموند حرفياً، فكان على الحافظ خلف
مكتبه لوحة زيتية كبيرة، وما إن رفعتها حتى
كشفت عن خزنة صغيرة مدمجة في داخل الجدار،
فأدمنت الرمز المكون من ثماني أرقام كتبتها على
قصاصة ورق قبل لحظات من مغادرة السجن، ثم
أخرجت عبوة صغيرة كانت في المكان نفسه كما
وصفه لها ديزموند.

وضعت فيرجينيا العبوة في حقيبة يدها، وأغلقت

باب الخزنة، وأدارت القرص عدة مرات، ثم علقت اللوحة على الحائط مرة أخرى، وبعد ذلك عادت إلى مكتب أنجيلا، وبعد أن اعتذر عن احتساء القهوة في مكتبها، طلبت منها أن تطلب لها سيارة أجرة، وهكذا خرجت إلى الشارع بعد أقل من خمس عشرة دقيقة من دخولها للمبني.

أعادتها سيارة الأجرة إلى تيمبل ميدز، ثم استقلت أول قطار متوجه إلى لندن، حتى تتمكن من اللحاق بموعد في سوها في وقت لاحق من ذلك المساء.

اضطر هاري إلى التخلّي عن وليام وورويك ولو عنى ذلك عدم الالتزام بالموعد النهائي الذي حددته الناشر، لأنّه كان يقضي كل ساعات يقطنه في التحضير لرحلته إلى السويد، وقد رافق آرون غوينزبورغ يلينا في السفر من الولايات المتحدة إلى إنكلترا، للإقامة مع هاري وإيماء في القصر، قبل السفر إلى السويد.

كان هاري مسروراً لرواية يلينا، وقد اكتسبت بعض الوزن، وبيدو الآن أنها تمتلك أكثر من ثوب واحد، كما لاحظ لمعان عينيها في كل مرة يذكر فيها اسم أناطولي.

خلال الأسبوع الأخير، وقبل موعد السفر المحدد، أمضى هاري الكثير من الوقت وهو يخبر يلينا بما سيتضنه الحفل، لكنها بدت مهتمة بأمر واحد فقط، وهو التئام شملها مع زوجها.

أخيراً، عندما انطلقا من القصر متوجهين إلى مطار هيترو، تبعتهم قافلة من المركبات الصحفية طوال الرحلة، وعندما دخلت يلينا وهاري إلى المحطة، وقف الركاب المنتظرون إقلاع طائراتهم جانباً وصفقوا تصفيقاً حاداً.

بعد حفل توزيع جوائز نوبل، سيسافر أناناتولي ويلينا إلى إنكلترا، وسوف يقضيان بضعة أيام في القصر قبل أن يرافقهما أرون غوينزبورغ إلى الولايات المتحدة، وقد حذر أرون يلينا من أن الصحفيين الأميركيين كانوا متحمسين بشدة للترحيب بالحاائز الجديد على جائزة نوبل، وأن العمدة إد كوخ تحذّث عن إقامة موكب احتفالي كبير للترحيب بآناتولي.

لم تهتم فيرجينيا كثيراً بسوهو، وبحاناتها المزدحمة، و محلات المراهنات الصاخبة، وملاهي التعرّي الوضيعة، ولكنها لم تختر المكان بارادتها، فقد عرضت على المتصل بها أن يلتقيا في حدائق أونسلو، ولكنها عندما سمعت لهجة الرجل، أعادت التفكير في الأمر.

وصلت إلى أمام حانة كينغز آرمز في شارع بروير، قبل الساعة السابعة والنصف مساءً بقليل، وطلبت من سائق سيارة الأجرة أن يتظرها، إذ إنها لم تنو التسкуّع لفترة أطول مما تتطلبه مهمتها.

عندما فتحت الباب، ودخلت الصالة الصاخبة التي يتصاعد فيها الدخان، عرفته على الفور، فهو رجل قصيّز وعربيض المنكبين، ولم يكن يرتدي ربطة عنق، وكان يقف في نهاية الحانة، وهو يمسك بيده كيساً بشكل غير لائق يحمل علامة هارودز، وبينما كانت تتوجه نحوه، راقب تقدّمها عدة أشخاص، لأنها لم تكن من النوع الذي اعتاد أن يتربّد إلى الحانة، فتوقفت أمام الرجل القصير وابتسمت له، فبادلها الابتسامة، ليتبين أنه لم يزر طبيب الأسنان مؤخراً، فشعرت فيرجينيا حينها بأنها لم تولد على كوكب الأرض لتخالط مع عامة الشعب، ولا سيما

المجرمين، ولكن رسالة أخرى من مدير مصرفها في ذلك الصباح كانت كفيلة لإقناعها بضرورة تنفيذ تعليمات ميلور.

أخرجت العبوة الصغيرة والبنية اللون من حقيبة يدها، من دون أن تنبس ببنت شفة، واستبدلتها بحسب الاتفاق بكيس هارودز، ثم استدارت وغادرت الحانة من دون أن تنطق بكلمة، ولم تسترخ إلا عندما انطلقت سيارة الأجرة، والتحقت بحركة المرور المسائية.

لم تنظر فيرجينيا إلى ما في داخل الكيس حتى أغلقت الباب الأمامي لمنزلها في حدائق أونسلو وأقفلته ياحكام، فأخرجت العبوة الأكبر، وتركتها مطبقة، وبعد عشاء خفيف أوت إلى فراشها مبكراً، من دون أن يغمض لها جفن.

بعد أن حطت الطائرة في مطار أرلاندا، كان المبعوث من القصر الملكي ينتظرهم أسفل الدرجات للترحيب بهم، وهو يحمل رسالة شخصية من الملك كارل جوستاف ملك السويد، وقد أعرب فيها جلالته عن أمله في أن تقيم السيدة باباكوف وزوجها في قصره بصفتهم ضيفيه المكرمين.

اصطحب هاري وإيماء والصيادة باباكوف إلى الصالة الملكية في المطار، حيث سيجري التناول الشامل، وكانت أمامهم شاشة تلفاز كبيرة معلقة في زاوية الصالة، وهي تعرض التغطية الحية لأطقم التصوير والصحفيين والمصورين المتجمعين في مدرج المطار بانتظار وصول الحائز الجديد على جائزة نوبل.

على الرغم من فتح العديد من زجاجات الشمبانيا خلال ساعة الانتظار، اكتفى هاري باحتساء كأس

واحد، وقد أوضح لإيمانه أن يكون صاحبها تماماً عند نزول أناتولي من الطائرة، وقد بدا متوتزاً وهو يتفحص ساعته كل بضع دقائق، أما يلينا فلم تشرب قطرة واحدة، كما أنها لم تستطع الجلوس هادئة في مكانها، وهي تنتظر وصول زوجها بلهفة، بعد أن اقتربت أخيراً سنوات الانتظار الطويلة من نهايتها.

فجأة ضج المكان بالهتاف، فنظر هاري من النافذة، ورأى طائرة إيرفلوت 707 تعبر بين الغيوم، وتکاد تقترب من المدرج، فوقفوا جميعاً أمام النافذة لمشاهدة الطائرة وهي تهبط، وتتوقف على مهل أمامهم.

فرشت سجادة حمراء أمام درج الطائرة، وبعد لحظات فتح باب مقصورة الركاب، فظهرت مضيفة في أعلى الدرج، وقفت جانبها للسماع للركاب بالنزول، فبدأت الكاميرات تتارجح وهي تصوّر حركة الركاب المترجلين من الطائرة، وتزاحم المصوروون للحصول على رؤية واضحة لأناتولي باباكوف فور ظهوره، وأعد المراسلون أقلامهم.

لاحظ هاري إحدى الصحفيات قد ابتعدت عن الضوضاء، ولفتت حول الدرج، ثم أولت الطائرة ظهرها، وببدأت تتحدث مباشرةً إلى الكاميرا، من أي اكتئاث للركاب المترجلين من الطائرة، فاتجه هاري في الحال نحو التلفاز ورفع مستوى الصوت.

"لقد تلقينا للتو رسالة إخبارية عاجلة من وكالة الأنباء الروسية، تأس، تشير إلى أن الحائز على جائزة نوبل للأداب، أناتولي باباكوف، قد نُقل إلى المستشفى هذا الصباح بعد إصابته بجلطة دماغية، وقد توفي بعد بضع دقائق، أكزر...".

انهارت يلينا باباكوف، نفسيًا وجسديًا، عندما سمعت نبأ وفاة زوجها، فهرعت إليها إلى المرأة المحطمـة، وجلست بجانبها، وضفتها إلى صدرها. قالت لأحد خدم العائلة الملكية: "أحتاج إلى سيارة إسعاف، بسرعة".

جنا هاري على ركبتيه بجانب زوجته، وقال لها: "كان الله في عونها"، وبينما كانت إليها تفحص نبضها، قالت له: "قلبها ضعيف، لكنني أظن أن المشكلة الحقيقية هي أنه لم يعد لديها سبب للعيش".

فتح الباب ودخل اثنان من المسعفين إلى الغرفة، وهما يحملان نقلاً، فحملـا السيدة باباكوف برفق ووضعاها عليها، فهمـس الضابط الملكي إلى أحدهما كلامـا غير مفهوم.

وقال هاري وإيمـا: "لقد طلبت منها اصطحـاب السيدة باباكوف مباشرةً إلى القصر، إذ يحتوي على جناح طبي خاص، بالإضافة إلى وجود طبيب وممرضتين بشكل دائم".

قالـت إيمـا: "شكراً لك"، بينما كان أحد المسعـفين يضع قناع أوكسجين على وجه يلينا قبل أن يرفعـا النقالـة ويخرجـاها من الغرفة.

امسـكت إيمـا بيدهـا، بينما كان المسـعـفـان يتقدـمان ببطـء في المـمر إلى خارـج المـبني، حيث كانت تنتظـرـهم سيـارة إـسعـافـ، أبوابـها الخـلفـية مـفـتوـحة مـسبـقاً.

"يتـسـأـلـ جـلـالـةـ الـمـلـكـ عـماـ إـذـاـ كـنـتـ أـنتـ وـالـسـيـدـ كـلـيـفـتـونـ تـرـغـبـاـنـ فـيـ الإـقـامـةـ فـيـ القـصـرـ، لـتـكـوـنـاـ بـالـقـرـبـ مـنـ السـيـدـةـ بـابـاكـوفـ ماـ إـنـ تـسـتـعـيـدـ وـعـيـهـ".

قالت إيماء: "بالطبع، شكرًا لك"، وقد انضمت وهاري إلى يلينا في الجزء الخلفي من سيارة الإسعاف.

لم تترك إيماء يد يلينا خلال رحلة الثلاثين دقيقة، وقد رافقتهم دراجات الشرطة من دون أن يشعر أحد بوجودها، وقد فتحت بوابات القصر لتسمح لسيارة الإسعاف بالدخول، ثم توقفت في فناء كبير مرصوف، حيث قام الطبيب بتوجيه المسعفين إلى جناح المستشفى، وقد تم رفع يلينا عن النقالة إلى سرير كان يشغله عادةً المرضى الذين تجري في عروقهم دماء ملκية.

قالت إيماء التي لم تفلت يدها بعد: "أود أن أبقى معها".

أومأ الطبيب إليها برأسه، وقال: "إنها تعاني من صدمة شديدة، وقلبها ضعيف، وهذا أمر غير مفاجئ، وسأعطيها حقنة حتى تتمكن على الأقل من الاسترخاء والنوم قليلاً".

لاحظت إيماء أن الضابط الملكي قد انضم إليهم في الغرفة، ولكنه لم يقل شيئاً في أثناء فحص يلينا.

قال الضابط لهما: "يأمل جلالة الملك أن تنضما إليه في غرفة الاستقبال عندما تكونان جاهزين".

قال الطبيب ما إن استغرقت المريضة في نوم عميق: "ليس هناك الكثير مما يمكننا القيام به حالياً".

أومأت إليه إيماء: "ولكن بعد مقابلة الملك، أود أن أعود إليها مباشرةً".

أخرج الضابط هاري وإيماء من جناح المستشفى من دون أن يتفوّه بكلمة، وقادهما عبر عشرات الغرف المذهبة أبوابها، والمغطاة جدرانها بلوحات فنية رائعة، من دون أن يتمكنا كلاهما أن يتوقفا

أمامها لإبداء إعجابهما بها كما اعتادا، وعندما توقف الضابط أخيراً خارج مجموعة من الأبواب المزدوجة الضخمة الزرقاء، قرع الباب، وقد فتحها لهم خادمان يرتديان زياً موحداً.

وقف الملك فور دخول ضيفيه، فانحنى هاري وإيما احتراماً له.

تذكّرت إيما المناسبة التي زارت فيها الملكة الأم بريستول لتدشين السفينة باكنغهام، وقد قيل لها: انتظرا حتى يكلمكم، ولا تطرحا أي سؤال أبداً.

"سيد وسيدة كليفتون، يؤسفني أن نلتقي في مثل هذه الظروف المؤلمة، ولكن من حسن حظ السيّدة باباكوف أن يكون لديها صديقان مخلصان مثلهما يقفان إلى جانبها في أوقات الشدة".

قالت إيما: "كما أن وصول الفريق الطبي بسرعة كبيرة، وقيامه بعمله على أكمل وجه قد أنقذ حياتها".

قال الملك بينما كان يقودهما نحو كرسين وثيرين: "إنها مجاملة لطيفة منك، يا سيّدة كليفتون، ويا لها من ضربة قاسية تلقيتها، سيّد كليفتون! وبعد قضاء سنوات عديدة وأنت تبذل كل جهدك من أجل إطلاق سراح صديقك، يفارق الحياة عندما كان على وشك الحصول على حريرته وتسليم جائزته التي استحقها بجدارة".

فتح الباب وظهر خادم يحمل صينية كبيرة محملة بالشاي والكعك.

"لقد طلبت الشاي، وأأمل أن ينال إعجابكم".

تفاجأت إيما عندما التقط الملك إبريق الشاي وبدأ بصبّه، وسألها: "أتريددين حليبنا وسكزا، سيّدة كليفتون؟".

"فقط الحليب، سيدتي".

"وأنت يا سيد كليفتون؟".

"الشيء نفسه يا سيدتي".

قال الملك ما إن صب لنفسه فنجانًا: "الآن، يجب أن أعترف أن لدى دافعاً خفيًا لرغبتني في رؤيتكم على انفراد، وبصراحة أواجه مشكلة، ولا يمكن أن يحلها أحد سواكم، فحفل جائزة نوبل هو أحد المعالم البارزة في التقويم السويدي، وأنا أستمتع بامتياز ترؤس الجوانز، كما فعل والدي وجدي من قبل، سيدة كليفتون، نأمل في أن تتعافي السيدة باباكومف تماماً بحلول مساء الغد حتى تتمكن من قبول الجائزة نيابةً عن زوجها، وأظن أنك إن استثمرت كل مهاراتك يمكنك إقناعها بأنها قادرة على القيام بمثل هذه المهمة، فلا أريدها أن تقضي بقية أيامها وهي تجهل العاطفة الصادقة والاحترام الكبير اللذين يكتئهما شعب السويد لزوجها".

"إذا كان ذلك ممكناً، سيدتي، فكن مطمئناً أنني سأبذل كل ما في وسعي من أجل إقناعها".
ندمت إيماناً على ما قالته في اللحظة التي تكلمت فيها.

"أظن أن في وسعي القيام بأعمال هائلة، سيدة كليفتون"، ضحك الملك وهاري كلاهما، ثم وجه كلامه إلى هاري قائلًا: "سيد كليفتون، أحتاج إلى مساعدتك لخوض تحدي أكبر يتطلب مهاراتك الكتابية، وإذا كان علي طلب ذلك منك جائياً على ركبتي فسأفعل ذلك بسعادة"، توقف عن الكلام ليترشف رشفة من الشاي، ثم تابع قائلًا: "كان أبرز حدث في احتفال الغد هو خطاب السيد باباكومف بعد استلام الجائزة، ولا يمكنني التفكير في أي شخص يمكنه أن يحل محله في إلقاء الكلمة

أفضل منك، كما أنتي أثق بأنه كان سيكون أول من يوافقني الرأي لو كان لا يزال حيا، ومع ذلك أدرك أن مثل هذا الطلب سيكون مرهقا في ظل الظروف العادية، وسأتفهم بالطبع إذا كنت غير قادر على القيام بالمهمة في مثل هذا الوقت العصيب".

لم يجب هاري على الفور، ثم تذكر الأيام الثلاثة التي قضتها في زنزانة السجن مع أناتولي باباكوف، والعشرين عاما التي لم يقضها إلى جانبه.

"يشرفني أن أمثله، سيدى، على الرغم من أنه لا يمكن أن يحل أحد محله".

"إنه شعور رقيق، سيد كليفتون، وأنا ممتن لك، كما أنتي لا أمتلك المؤهلات للقاء الخطب، على الرغم من أن لدي ثلاثة كتاب يقومون بهمهمة إعداد خطبي، وأنا أدرك تماما صعوبة التحدي الذي عليك خوضه، وإن وضعت ذلك بعين الاعتبار، فلا يتوجب تأخيرك أكثر، فأنت ستحتاج إلى كل دقة من الآن وحتى مساء الغد للاستعداد للحفل".

نهض هاري من دون أن يلمس كوب الشاي الخاص به، وانحنى مجددا قبل أن يرافق إيمى إلى خارج الغرفة.

عندما فتحت الأبواب، وجد الضابط بانتظارهما، فقادهما هذه المرة إلى اتجاه مختلف.

قال عندما توّقفوا خارج باب فتحه خادم آخر ليكشف عن جناح كبير: "لقد خصص جلالة الملك هذا الجناح لكم، سيد وسيدة كليفتون"، وما إن دخل هاري وإيمى حتى وجدا كدسة من الأوراق على مكتب، بالإضافة إلى دزينة من أقلام هاري المفضلة، وسرير مزدوج وماندة معدة للعشاء".

قال هاري: "لم يكن لدى الملك شك في أنني سأوافق على طلبه".

قالت إيمان: "أتسائل عن عدد الأشخاص الذين قد يرفضون طلب الملك".

قال لها الضابط: "سيكون لديك سكريترتان تحت تصرفك، سيد كليفتون، وإذا كان هناك أي شيء آخر تحتاج إليه فسيكون هناك خادمٌ خارج الباب لا عمل له سوى تلبية طلباتكم، وإذا لم تحتاج إلى شيء آخر، فسأقوم بمرافقة السيدة كليفتون إلى جناح المستشفى".

خلال الاثنين وعشرين ساعة، تمكّن هاري من ملء ثلاثة سلال من الأوراق التي كتب عليها كلمات لم تnel رضاه، والتهم عدة أطباق من كرات اللحم وبعض لفائف الخبز الطازج، والنوم لبعض ساعات، وأخذ حمام بارد، إلى أن تمكّن أخيراً من أن ينهي المسودة الأولى لخطابه.

خلال ذلك الوقت، أخذ خادم الملك الشخصي بذلته وقميصه وحذاءه، وأعادها بعد ساعة من الزمن، وهي تبدو أكثر نضرة ونظافة مما كانت عليه يوم زفاف ابنه، وللحظة فقط، اختبر هاري الحياة التي يعيشها الملوك.

كانت السكريترتان تأتيان وتذهبان عند الانتهاء من كل مسودة جديدة، ومثل كتاباته، تم العمل على كل صفحة لمدة ساعة على الأقل، وبينما كان يتفحص المسودة الثانية عشرة عند الساعة الرابعة من بعد الظهر، لم يغير سوى كلمات عرضية، بعد أن طوى الصفحة الأخيرة، استلقى على السرير ونام نوما عميقاً.

عندما استيقظ هاري، سمع صوت تدفق المياه في

الحمام، فنهض من السرير ولبس رداء وانتعل خفيه، واتجه إلى الحمام، فوجد إيماناً تختبر الماء الساخنة.

كانت كلماته الأولى: "كيف حال يلينا؟".

"لست متأكدةً من أنها سوف تتعافي تماماً، ولكنني أعتقد أنني تمكنت أخيراً من إقناعها بحضور الحفل، وماذا عنك؟ هل انتهيت من خطابك؟".

"نعم، ولكنني لست متأكداً من أنه مؤثر".

"لن تكون متأكداً من ذلك أبداً، يا عزيزي، لقد قرأ آخر مسودة في أثناء نومك، وأعتقد أنه فلهم، ولدي شعور بأنه سيكون له صدى سيتردد خارج هذه الجدران".

عندما دخل هاري إلى الحمام، تسأله عما إذا كانت إيماناً على حق، أو إذا كان يجب عليه شطب الفقرة الأخيرة واستبدالها بنهاية تقليدية أكثر، لم يكن قد اتخاذ قراره إلى أن انتهى من الحلقة.

عاد إلى مكتبه، وفحص المسودة الأخيرة، ولكنه أجرى تغييرات بسيطة فاستبدل كلمة "رانع" بكلمة "بطولي"، ثم رسم خططاً تحت آخر كلمتين من كل فقرة للسماح له بالنظر إلى الجمهور، بحيث ما إن ينظر إلى مكانه بعد إنهاء خطابه، يجده على الفور، إذ كان يخشى مواجهة المشكلة نفسها التي عانى منها في جنازة والدته.

أخيراً أضاف كلمة "وصاية" إلى الجملة الأخيرة، ولكنه ظل يتساءل حول ما إذا كانت النهاية تشكل مخاطرة كبيرة، ثم فتح الباب وطلب من السكرتيرة المنتظرة أوامرها، أن تطبع الخطاب على الآلة الكاتبة مرة أخرى، ولكن هذه المرة عليها ترك فراغات أكبر، وطبعه على بطاقات من القياس الخامس، وبخط كبير بما فيه الكفاية حتى لا يضطر إلى الاعتماد على النظارة، وبعد ذلك غادرت قبل أن يتمكن من

أن يشكرها.

قالت إيماء وهي تدبر ظهرها لهاري عند عودته إلى الغرفة: "توقيت مثالى"، مشى نحوها، وزمم ثوباً قرمزيًا طويلاً أملس لم يسبق له أن رأه.

قال لها: "تبدين مذهلة".

"شكراً لك يا عزيزي، إذا كنت لا تنوين القاء خطابك في المبذل، فربما حان الوقت لارتداء ملابسك أيضاً. ارتدي هاري ملابسه على مهل، وهو يتذرب على بعض السطور المفتاحية لخطابه، ولكن عندما تعلق الأمر بربط ربطة عنقه البيضاء، اقتربت منه إيماء لإنقاذه، ووقفت خلفه بينما كانا ينظران إلى المرأة، وتمكنت من عقدها في المرة الأولى.

سألها: "كيف أبدو؟".

قالت وهي تعانقه: "مثل الطريق، ولكن بطريق وسيم للغاية".

"قال هاري بتوتر، وهو ينظر إلى ساعته: "أين خطابي؟".

كما لو أن السكرتيرة قد سمعته، فما إن فرع الباب وفتحه حتى سلمته السكرتيرة المسودة النهائية، وقالت له:

"الملك في انتظارك في الطابق السفلي، سيدي".

في ذلك الصباح، استقلت فيرجينيا قطار الساعة 8.45 من بادينغتون إلى تيمبل ميدز، ووصلت إلى بريستول بعد بضع ساعات، فلم تكن لديها أي فكرة عما كان يوجد في أي من العبوتين، وقد نفذ صبرها، ولم تعد تطيق انتظار إنجاز دورها في الصفقة والعودة إلى الحياة الطبيعية، ومرة أخرى فتحت الانسة كاسل مكتب رئيس مجلس الإدارة، وتركت

فيرجينيا وحدها، فأزالت اللوحة الزيتية التي لم تهتم بها كثيراً، وأدخلت رمز الخزنة، ثم وضعت العبوة الكبيرة مكان العبوة الأصغر التي كانت في السابق.

لقد فكرت في فتح كلتا العبوتين، وتجاهل تعليمات ميلور، ولكنها لم تفعل ذلك، لثلاثة أسباب، أولها، تجنب انتقام ميلور عندما يتم إطلاق سراحه خلال أسبوع قليلة، وثانيها، انتظار سخائه ما إن تطأ قدماه غرفة اجتماعات المجلس، وربما كان السبب الأكثر إقناعاً كره فيرجينيا سلون أكثر من احتقارها ميلور.

أغلقت الخزنة، وأعادت اللوحة إلى الحائط، وانضمت إلى الانسة كاسل في مكتبه، وقالت لها: "متنى تتوقعين قدوم السيد سلون؟".

قالت الانسة كاسل: "لا يمكن التأكد من ذلك أبداً، إنه يظهر في كثير من الأحيان من دون سابق إنذار، ويبيقى لبعض ساعات، ثم يغادر".

"هل طلب منك رمز خزنة السيد ميلور الخاصة في أي وقت مضى؟".

"طلبتها عدة مرات".

"ماذا قلت له؟".

"قلت الحقيقة، فلم أكن أعرف أن السيد ميلور لديه خزنة خاصة".

"إذا سألك مرة أخرى، أخبريه بأنني الشخص الوحيد الذي يعرف الرمز بعد ديزموند".

"بالتأكيد، سيدتي".

"وأعتقد أن لديك شيئاً لي يا آنسة كاسل".

"أوه، نعم"، ففتحت السكريتيرة الدرج العلوي من مكتبه، وأخرجت مجلفاً أبيض سميكًا، وسلمته إلى

الليدي فيرجينيا،

ولم تفتح المغلف إلا بعد أن دخلت إلى دورة مياه الدرجة الأولى في القطار المتوجه إلى بادينجتون. فكان يحتوي على ألف جنيه نقداً كما وعدها تماماً، وكانت تأمل في أن يدعوها ديزموند لزيارته مرة أخرى، في المستقبل القريب.

قاد أربعة دراجين من مجموعة المركبات الملكية قافلةً من السيارات إلى خارج بوابات القصر، وشقوا طريقهم إلى وسط المدينة، فكان الملك كارل غوستاف والملكة سيلفيا في السيارة الأولى، بينما كان الأمير فيليب والأميرتان في السيارة الثانية، أما يلينا وهاري وإيما فكانوا في السيارة الثالثة.

تجمع حشد كبير خارج مبنى البلدية، وارتقت الهتافات عندما ظهرت سيارة الملك، فقفز الضابط الملكي ومعاونه الشاب من السيارة الرابعة حتى قبل أن تتوقف السيارة الأولى، ووقفا منتصبين، وعندما ترجل الملك كارل غوستاف من السيارة استقبله أولف أديلسون، عمدة ستوكهولم، على درج مبنى البلدية ورافق صاحب الجلالة إلى الداخل.

عندما دخل الملك القاعة الكبرى، أحدث عدد من الأطفال البواقين في الممرات التي تقع فوقهم جلبة كبيرة، ونهض ثلاثة ضيف - الرجال يضعون ربطه عنق بيضاء ويرتدون ذيولاً بيضاء، والنساء يرتدين قمصاناً ألوانها زاهية - لاستقبال الموكب الملكي، وتم إرشاد يلينا وهاري إلى ثلاثة كراسٍ وسط الصف الذي يلي مقعد الملك.

ما إن جلس هاري، حتى بدأ يتمهّن تصمييم الغرفة، فكانت هناك منصة مرتفعة في المقدمة، مع منبر خشبي موضوع في وسطها، وعند النظر من المنصة إلى الأسفل، يرى المتحدث أحد عشر كرسيًا محملياً زرقاء اللون مرتفعة الظهر موضوعة على شكل نصف دائرة، حيث يجلس الحائزون على جوائز العام، ولكن في هذه المناسبة، سيترك أحد الكراسي فارغاً.

نظر هاري إلى الشرفة المزدحمة، فلم يكن هناك

علامة تشير إلى وجود أي مقعد فارغ، ولكن في النهاية لم تكن هذه المناسبة من المناسبات التي يمكنك تفويتها لأنك تلقيت عرضاً أفضل.

نفخت الأبواق للمرة الثانية للإعلان عن وصول الحائزين على جائزة نobel، وقد دخلوا القاعة وسط تصفيق حار وجلسوا في أماكنهم على المقاعد التي شكلت نصف دائرة.

ما إن جلس الجميع، حتى شق هانز كريستينسن، رئيس الأكademie السويدية، طريقه إلى المسرح، وأخذ مكانه خلف المنصة، فتطلع إلى مشهد مألف بال نسبة إليه قبل أن يبدأ خطابه مرحبًا بالفائزين بالجوائز والضيوف.

نظر هاري بتوتر إلى البطاقات وهي في حضنه، فأعاد قراءة فقرته الافتتاحية، وشعر بالمشاعر نفسها التي تنتابه دائمًا قبل إلقاء خطاب، كما تمنى الأممية نفسها، أتمنى لو كنت في أي مكان آخر غير هذا المكان.

تابع كريستينسن كلامه قائلاً: "للأسف، لا يمكن أن يكون أناطولي باباكوف، الحائز على جائزة نobel للآداب هذا العام معنا هذا المساء، بعد أن أصيب بجلطة دماغية حادة صباح الأمس، وتوفي بشكل مأساوي، وهو في طريقه إلى المستشفى، ولكن سيشرفنا السيد هاري كليفتون الزميل والصديق المقرب من السيد باباكوف بحضوره، وسيعتلي خشبة المسرح ويلقى كلمة نيابة عنه.

رحبوا، بالمؤلف الذائع الصيت، ورئيس رابطة القلم الإنكليزية، السيد هاري كليفتون".

نهض هاري من مكانه، وشق طريقه ببطء إلى المنصة، فوضع خطابه على المقرأ وانتظر حتى يتوقف التصفيق الحار.

" أصحاب الجلالة، أصحاب السمو الملكي، السادة الحائزون على جائزة نobel، سيداتي وسادتي، لقد كان أناتولي باباكوف رجلاً فريداً من نوعه، فكان على استعداد إلى لتضحيّة ب حياته لتأليف تحفة فنية اعترفت بها الأكاديمية السويدية ومنحتها أعلى وسام في الأدب. لقد تم نشر العم جو في سبع وثلاثين لغة وفي مئة وثلاث وعشرين دولة، ولكن لا يزال غير مسموح قراءته بلغة المؤلف الأصلية ولا في وطنه.

سمعت لأول مرة عن محنّة أناتولي باباكوف عندما كنت طالباً جامعياً في أكسفورد، فتعزّفت إلى قصائد الشاعرية التي تسمح لخيال المرء بالتحليل في آفاق جديدة، كما أثارت في نفسي روايته الثاقبة، العودة إلى موسكو، إحساساً بتلك المدينة العظيمة بطريقة لم أختبرها أبداً من قبل.

لقد مررت ببعض سنوات قبل أن أتعزّف مرة أخرى إلى أناتولي باباكوف، بصفتي رئيساً لرابطة القلم الإنكليزية، بعد أن أُقيِّم القبض عليه وحكم عليه بالسجن لمدة عشرين عاماً، وما جريمته؟ تأليف كتاب، وقد شئت رابطة القلم حملة عالمية لإطلاق سراح هذا العملاق الأدبي من سجن سياسي في سيبيريا، فكان بعيداً عن البصر، ولكنه لم يكن بعيداً عن الخاطر، والعمل على التئام شمله مع زوجته، يلينا، التي يسعدني إخباركم بأنها برفقتنا هذا المساء، وسوف تستلم لاحقاً جائزة زوجها نيابة عنه".

سمح التصفيق المتواصل لهاري بالاسترخاء والنظر إلى أرملاة أناتولي والابتسام لها.

"عندما زرث يلينا للمرة الأولى في شقة بيتسبرغ الصغيرة المكونة من ثلاث غرف حيث كانت تعيش

في الغربة، أخبرتني بأنها أخذت النسخة الوحيدة الباقية من العم جو في مكتبة لبيع الكتب الأثرية في ضواحي لينينغراد.

وقد أوكلت إلى مسؤولية استعادة الكتاب من مخبئه وإعادته إلى الغرب، حتى يتمكن نشره في النهاية.

وفي أقرب وقت ممكن، سافرت إلى لينينغراد وذهبت للبحث عن مكتبة مخفية في الشوارع الخلفية لتلك المدينة الجميلة، وقد وجدت كتاب العم جو مخفيا داخل غلاف لترجمة برتغالية لرواية قصة مدینتين بجوار نسخة من دانيال ديروندا، رفقاء بارزون.

بعد أن حصلت على مبتغاي، عدت إلى المطار، وأنا مستعد إلى العودة إلى الوطن متصرزاً.

لكنني قللت من تقدير عزم النظام السوفياتي على منع أي شخص من قراءة العم جو، فتم العثور على الكتاب في حقيبتي، وقبض علىي على الفور، وألقوا بي في السجن، وما جرimenti؟ محاولة تهريب عمل تحريضي وتشهيري خارج روسيا، ولإثبات خطورة جرمي، وُضعت في زنزانة أناطولي باباكوف نفسها، وطلب مني التوقيع على اعتراف ينص على أن كتابه كان عملاً خيالياً، وأنه لم يفعل أبداً في قصر الكرملين مترجمًا شخصياً لستالين، وأنه لم يكن أكثر من مدرس متواضع في ضواحي موسكو.

كان متواضعًا بالفعل، ولكنه لم يكن مدافعاً عن النظام، وقد وعدته السلطات بتقليل عقوبته إذا نجح في إقناعي بتردد هذا الكلام الهراء.

يقر العالم الان بأن أناطولي باباكوف لم يفعل جنباً إلى جنب مع ستالين لمدة ثلاثة عشر عاماً فحسب، بل إن كل كلمة كتبها في كتابه العم جو كانت بمثابة

رواية حقيقة ودقيقة تصور ذلك النظام الشمولي.
"بعد تدمير الكتاب، شرع ورثة ذلك النظام في محاولة تدمير الرجل الذي كتبه، ويظهر نيل أناتولي باباكوف جائزة نobel للأداب فشلهم الذريع والمخزي، كما يضمن بقاءه حياً أبداً".

تبع ذلك تصفيق مطول، فنظر هاري في أثناء ذلك إلى إيمى التي كانت تبتسם له.

"لقد أمضيت خمسة عشر عاماً محاولاً إطلاق سراح أناتولي، وعندما نجحت أخيراً اتضح أنه انتصار باهظ الثمن، ولكن حتى عندما كانا مسجونين في زنزانة السجن معاً، لم يضيع أناتولي أي لحظة في طلب تعاطفي، بل أمضى كل لحظة ثمينة كان يقطاً فيها يروي محتويات تحفته، بينما كنت كتلميذ شره، يلتهم كل كلمة ينطق بها.

وعندما افترقنا، عاد إلى السجن القذر في سيبيريا، بينما عدت إلى المنزل الريفي المريح في إنكلترا، بعد أن امتلكت مرة أخرى نسخة من الكتاب، ولكن هذه المرة لم يتم حبسها في حقيبة بل في ذهني، حيث لم تتمكن السلطات من مصادرتها، وما إن أقلعت عجلات الطائرة وغادرت الأراضي الروسية، حتى بدأت بتدوين كلمات المعلم، أولاً على ورق شركة الطيران، ثم على ظهر القوائم وأخيراً على لفائف من ورق المرحاض، وهذا كل ما كان متاحاً لي حينها".

ضجت القاعة بالضحك، وهو ما لم يتوقعه هاري.
"لكن اسمحوا لي أن أخبركم قليلاً عن هذا الرجل، عندما ترك أناتولي باباكوف المدرسة، حصل على أعلى منحة دراسية لمعهد موسكو للغات الأجنبية، فدرس اللغة الإنكليزية، وفي سنته الأخيرة، حصل على وسام لينين، الذي حسم مصيره بشكل ساخر،

لأنه أعطى أناتولي فرصة للعمل في الكرملين، وهو ليس عرض عمل يمكنك رفضه إلا إذا كنت ترغب في قضاء معظم حياتك عاطلاً عن العمل، أو حتى أسوأ من ذلك.

خلال عام، وجد نفسه بشكل غير متوقع يخدم بصفته مترجمًا رئيسيًا للزعيم الروسي، ولم يستغرق الأمر وقتاً طويلاً لإدراك أن الصورة العاطفية التي صورها ستالين للعالم كانت مجرد قناع يخفي حقيقة أن الديكتاتور السوفيياتي كان سفاخاً وقاتلاً، وهو مستعد إلى أن يضحى بأرواح عشرات الآلاف من أبناء شعبه، ولو طال بقاوه أميناً عاماً للحزب ورئيساً للجنة التنفيذية لكان قتل أعداداً أكبر بكثير بالنسبة إلى أناتولي، لم يكن له مهرب، إلا منزله الذي يعود إليه كل ليلة ليكون برفقة زوجته المحبوبة يلينا، وبشكل سري، بدأ بالعمل على مشروع، كان من شأنه أن يصبح عملاً بطولياً، بعد أن قدم فيه صاحبه معرفته الواسعة وعلمه الوفير، وتحقق الإرهاق البدني، ولا يمكن إلا القليل منا أن يفهم ما عانى منه.

بينما كان يعمل في الكرملين نهازاً، كان يدون في الليل تجاربه على الورق، وقد حفظ النص عن ظهر قلب، ثم دمر أي أثر لكلماته، هل يمكنكم أن تخيلوا الشجاعة التي احتاج إليها للتخلص من طموحه طوال حياته في أن يكون مؤلفاً لكتاب مجهول تم تخزينه في رأسه؟ ثم مات ستالين، وهو مصير لم يستطع الديكتاتوريون تجنبه، وأخيراً شعر أناتولي بأنه يمكنه نشر الكتاب الذي عمل عليه لسنوات عديدة، ليكشف للعالم الحقيقة، ولكن لم تكن الحقيقة هي ما أرادت السلطات السوفيياتية أن يكتشفها العالم، لذلك قبل وصول العم جو إلى

المكتبات، تم تدمير كل نسخة منها، وحتى المطبعة التي طبعت الكتاب ذمرت، وتلا ذلك محاكمة شكلية، وعندما حكم على الكاتب بالسجن لمدة عشرين عاماً مع الأشغال الشاقة، نقل إلى أعماق سيبيريا للتأكد من أنه لن يتسبب أبداً في إtrag النظام مجدداً، والحمد لله أن صموئيل بيكيت، وجون ستيفنبيك، وهيرمان هييس، ورابيندراناث تاغور، هؤلاء الذين نالوا جائزة نobel للأداب، لم يولدوا في الاتحاد السوفيياتي، وإنما ربما لم نكن لنستطيع أبداً قراءة تحفهم الفنية.

كم كان اختيار الأكاديمية السويدية لأناتولي باباكوف لحصوله على جائزة هذا العام موفقاً، لأن مؤسسها، ألفريد نobel، توقف هاري للحظة ونظر إلى تمثال نobel المرضع الذي استقرَ على قاعدة خلفه، ثم تابع كلامه: "كتب في وصيته أنه لا ينبغي منح هذه الجائزة للتميز الأدبي فحسب، وإنما للعمل الذي يجسد المثل الأعلى.

ويتساءل المرء إذا كان من الممكن أن يكون هناك من هو أكثر ملائمة لهذه الجائزة.

وهكذا نجتمع هذا المساء لتكريمه رجل رائع، لن تقلُّ وفاته من الإنجازات العظيمة التي قدمها في حياته، ولكنها ستساعد على ضمان استمراريتها، فقد نال أناتولي باباكوف هبة، نحن الأحياء لا يمكننا إلا أن نطمح إليها، وهي أنه تحول إلى مؤلف سوف ينجو ببطولته من دوامة الزمن، لي漲م إلى زملائه الخالدين دوستويفסקי وتولstoi وباسترناك وسولجينتسين ويكون معهم على قدم المساواة".

صمت هاري للحظات، ونظر إلى الجمهور، وراقب تلك اللحظة قبل أن يعرف أن التعويذة سثكس، وبعد ذلك، قال بصوت هامس: "إن الأمر يتطلب

شخصية بطولية لإعادة كتابة التاريخ حتى تتمكن الأجيال القادمة من معرفة الحقيقة والاستفادة من تضحيته، بكل بساطة قد حقق أناتولي باباکوف النبوءة القديمة، وهي أنه عندما يحين الوقت، سيظهر رجلٌ ويفوز في الصراع".

نهض جميع الحاضرين معاً، مفترضين أن الخطاب قد انتهى، على الرغم من أن هاري استمرَّ بوضع قبضتيه على جانبي المنصة، وقد مرَّ بعض الوقت قبل أن يدركوا أن لديه المزيد ليقوله، فجلسوا في مقاعدهم واحداً تلو الآخر، حتى استبدل هتاف الحشد بصمت متوقع، عندها فقط أخذ هاري قلم حبر من جيبِ داخلي، وفكَ الغطاء وأمسك بالقلم عاليًا في الهواء وقال: "أناتولي يورييفيتش باباکوف، لقد أثبتت لكل ديكاتتور حكم من دون تفويض من الشعب أن القلم أمضى من السييف".

كان الملك كارل غوستاف أول من نهض من مكانه، وأخرج قلمه ورفعه عاليًا في الهواء قبل أن يبدأ بتردید: "القلم أمضى من السييف"، وخلال لحظات، تبعه بقية الجمهور، حيث غادر هاري المنصة وعاد إلى مقعده، وكادت الهتافات التي ضجَّت بها القاعة التي رافقته وهو يعود إلى مكانه تصمَّ أذنيه، كان عليه في النهاية أن ينحني أمام الملك ويطلب إذنه بالجلوس.

تبع ذلك هتاف آخر صاحب، عندما تقدَّمت يلينا باباکوف إلى الأمام نيابةً عن زوجها لقبول وسام نوبيل وإشادة الملك بتضحياته وإنجازاته العظيمة.

لم ينم هاري الليلة السابقة بسبب الخوف من الفشل، ولم ينم في تلك الليلة أيضاً، ولكن بسبب فرحة النجاح.

في صباح اليوم التالي، انضم هاري وإيما ويلينا إلى الملك لتناول الفطور.

قال كارل غوستاف: "كانت الليلة الماضية انتصازا ساحقا، وتساءلنا أنا والملكة عما إذا كنتما ترغبان فيقضاء بضعة أيام أخرى في استضافتنا في ستوكهولم، فأنا متأكد من أن الإقامة في هذا القصر أكثر راحة من أي فندق في المدينة".

قالت إيما: "هذا لطف كبير منك، يا سيدي، ولكنني أخشى أن في انتظاري مستشفى يتعين عليّ أن أدبرها، ناهيك عن المسؤوليات العائلية الأخرى".

قال هاري: "لقد حان الوقت للعودة إلى ويليام وورويك، على أمل أن أتمكن من التقييد بالموعد النهائي لتسليم الكتاب".

سمعوا نقرًا خفيفاً على الباب، وظهر بعد لحظات الضابط الملكي، وانحنى للملك قبل أن يتكلم.

رفع كارل غوستاف يده، وقال: "أعتقد يا رووفوس، أنك ستتوفر الوقت إذا تحدثت باللغة الإنكليزية".

"كما يحلو لك، سيدي"، التفت إلى هاري وقال: "لقد تلقيت للتو اتصالاً من السير كيرتس كيبيل، السفير البريطاني في موسكو، يقول إن الروس قد أظهروا بعض الرحمة، وقدموا لك ولزوجتك والسيدة باباكوف تأشيرة دخول لأربع وعشرين ساعة حتى تتمكنوا من حضور جنازة الحائز على جائزة نوبل، باباكوف".

قالت إيما: "هذا رائع".

وأضاف الضابط: "لكن كما هو الحال دائمًا مع الروس، هناك محاذير".

قال هاري: "مثل ماذا؟".

"سوف يستقبلكم السفير ما إن تخرجوا من الطائرة، وسيقودكم مباشرة إلى كنيسة القديس أغسطين في ضواحي موسكو، حيث ستقام الجنازة، وفور انتهاء المراسم، عليكم بالعودة مباشرةً إلى المطار ومغادرة البلاد على الفور".

قالت يلينا التي لم تنطق بكلمة منذ أن بلغها خبر موت زوجها: "نوافق على شروطهم".

قال الضابط: "إذا عليكم المغادرة الآن، لأن الرحلة الوحيدة إلى موسكو ستغادر خلال ساعة ونصف".

قال كارل غوستاف: "جهز سيارة لإيصالهم إلى المطار، وأضاف ملتفثاً إلى يلينا: "لم يكن من الممكن تمثيل زوجك بشكل أفضل، سيدة باباكوف.

رجاءً عودي إلى ستوكهولم بصفتك ضيفتي متى شئت، سيد كليفتون، سيدة كليفتون، سأكون مدیناً لكما إلى الأبد، وأود أن أقي خطاباً، لكن بما أن لديكما طائرةً للحاق بها، فلن يكون الوقت كافياً أو مناسباً.

ولا تخاطروا بشأن الاتفاقية، وارحلوا فور انتهاء مراسم التشيع".

ابتسم هاري وأنحنى لسبب مختلف هذه المرة. عاد الثلاثة إلى غرفهم ليجدوا حقائبهم موضبة بالفعل، وبعد بضع دقائق تم اصطحابهم إلى سيارة كانت بانتظارهم.

قالت إيماء: "قد اعتاد على هذا الترف".

قال هاري: "لا تعتمادي".

عندما دخلت يلينا المطار مستندة إلى ذراع هاري، أخرج الركاب أقلام رصاص وحبر ورفعوها عالياً في أثناء مرورهم.

وفي أثناء الرحلة إلى موسكو، كان هاري منهكاً

جدا فنام نوما عميقا.

لم تتفاجأ فيرجينيا عندما تلقت مكالمة هاتفية من أدریان سلون الذي لم يضيع وقته بل دخل في صلب الموضوع:

"ربما تعلمين أن أعضاء مجلس الإدارة طلبوا مني تولي منصب رئاسة مجلس إدارة ميلور ترافل كون ديزموند... بعيدا، إذا كنت ستسامحيني على هذا التعبير".

لكنك لم تحصل على مباركته، كانت فيرجينيا على وشك أن تقول ذلك، ولكنها احتفظت بنصائحها لنفسها.

"أخبرتني الانسة كاسل بأنك وحدك تعرفين رمز خزنة ديزموند السري".

"هذا صحيح".

"أحتاج إلى الحصول على بعض الأوراق لاجتماع المجلس القادم، فعندما زرت ديزموند الأسبوع الماضي في فورد، أخبرني بأنها في الخزنة، وأن في إمكانك أن تعطيني الرمز".

سألت فيرجينيا ببراءة: "لماذا لم يعطك إياه بنفسه؟".

"لم يرد المخاطرة بذلك، قال إن هناك أجهزة تنضت في زنزانته، ويمكنها تسجيل كل ما نتحدث عنه".

ابتسمت فيرجينيا لارتكابه هذا الخطأ البسيط، وقالت: "يسعدني أن أعطيك الرمز، يا أدریان، ولكن ليس قبل أن تدفع مبلغ خمسة وعشرين ألف جنيه، والذي سبق أن وعدت بمنحي إياه لمساعدتي في تغطية النفقات القانونية الناجمة عن الدعوى

القضائية ضد إيمان كليفتون، وهي قطرة في المحيط، إذا كنت أتذكّر كلماتك بالضبط".

"أعطني الرمز، وسأحول كامل المبلغ إلى حسابك على الفور".

"هذا كرم منك يا أدريان، ولكنني لا اعتقاد أنني سأخاطر مرة أخرى، وسأخبرك بالرمز، ولكن بعد أن تقوم بتحويل خمسة وعشرين ألف جنيه إسترليني إلى حسابي في كوتز".

عندما أكد المصرف أن الأموال قد خولت بالفعل، وفت فيرجينيا بما تعهدت به لإتمام الصفقة، ففي النهاية، لم يكن ذلك أكثر مما أوعز إليها ديزموند ميلور فيه.

كان كل شيء مختلفاً عن المرة الأخيرة التي زار فيها هاري العاصمة الروسية، عندما لم يسمحوا له بالدخول، لأنهم لا يتحملون وجوده على أرضهم، ما جعلهم يرمونه خارجاً.

في هذه المناسبة، عندما نزل من الطائرة، التقى السفير البريطاني.

قال السير كورتيس كيبل: "مرحبا بك في الوطن، سيدة باباكوف"، بينما فتح السائق الباب الخلفي لسيارة رولز رويس للسماح ليليينا بالدخول، وقبل أن يتمكن هاري من الانضمام إليها، همس إليه السفير: "أهئنك على خطابك، سيد كليفتون، لكن كن حذراً، لقد منحوك تأشيرة دخول بشرط لا تقوم بأعمال بطولية هذه المرة".

كان هاري يدرك جيداً ما كان يشير إليه السير كورتيس.

سأل هاري: "إذا لماذا سمحوا لي بحضور

الجنازة؟".

"لأنهم يعتبرون ذلك أهون الشررين، فإذا لم يسمحوا لك بالدخول، فهم يخشون أن تقول إن بابا كوف لم يطلق سراحه أبداً، ولكن إذا سمحوا لك بذلك، فيمكنهم الادعاء أنه لم يكن في السجن أبداً، وأنه كان مدرساً في المدرسة وقد دفن في كنيسته المحلية".

"من يتوقعون أن يخدعوا بمثل هذه الأكاذيب؟".
"إنهم لا يهتمون بما يعتقده الغرب، فهم مهتمون فقط بتأثير ما يحصل في الخارج على روسيا، التي يسيطر فيها النظام على الصحافة".

سالت إيمان: "كم عدد الأشخاص المتوقع أن يحضروا الجنازة؟".

قالت يلينا: "عدد قليل فقط من الأصدقاء والأقرباء الذين سيكون لديهم الشجاعة للظهور، وسأكون مندهشة إذا كان هناك أكثر من نصف ذرية".

قال السفير: "أعتقد أن العدد سيكون أكبر من ذلك بقليل، سيدة بابا كوف، فجميع الصحف الصباحية تحمل صوراً لك في أثناء استلامك جائزة نوبل نيابة عن زوجك".

قال هاري: "أنا مندهش من أنهم سمحوا بنشر هذا الخبر".

"إنه جزء من حملة منظمة بعنایة تعرف باسم تاريخ فوري، لم يكن أناتولي بابا كوف في السجن أبداً، وعاش بسلام في ضواحي موسكو، وكانت الجائزة لشعره ورواية العودة إلى موسكو الرائعة، فلم تذكر صحيفة واحدة العم جو، أو تشير إلى الخطاب الذي ألقاها الليلة الماضية".

سأله هاري: "كيف تعرف كل تلك المعلومات؟".

"إنها منتشرة عبر البرقيات، حتى إن هناك صوزاً لك وأنت تمسك بقلمك عاليًا".

أمسكت إيماء بيد يلينا وقالت: "سوف يهزم أناتولي الأوغاد في النهاية".

كان هاري أول من رأهم، في بادئ الأمر، فقد تجمعت مجموعات صغيرة من الناس في زوايا الشوارع، هو يمسكون بأقلام الحبر والرصاص، وقد عبرت السيارة بجانبهم، في الوقت الذي توقفوا فيه خارج الكنيسة الصغيرة، قد ازداد الحشد، فبلغ عدة مئات، وربما ألف، وجميعهم يقدمون احتجاجهم الصامت إلى الدولة.

دخلت يلينا الكنيسة المكتظة بالحضور مستندة إلى ذراع هاري، فتم إرشادهم إلى أماكن محجوزة لهم في الصف الأمامي، وكان التابوت مرفوعاً على أكتاف أخيها وابن عمها واثنين من أبناء أخيها، الذين لم تر أيهما منهم منذ سنوات، في الواقع، لم يكن أحد أبناء أخيها، بوريس، قد ولد عندما هربت يلينا إلى أميركا.

لم يحضر هاري جنازة روسية أرثوذكسية من قبل، وقد ترجم كلمات القس لإيماء، على الرغم من أن لغته الروسية كانت ركيكة بعض الشيء، وعندما انتهى القداس، خرج المصليين من الكنيسة ليتجمعوا مرة أخرى حول قبر محفورٍ حديثاً.

وقف هاري وإيماء إلى جانب يلينا بينما كان يتم إنزال زوجها إلى حفرة في الأرض، وبصفتها أقرب أقربائه، كانت أول من ألقى حفنة من التراب على التابوت، ثم جئت بجانب القبر المفتوح، فأيقن هاري أن لا شيء يمكن أن يحرّكها من مكانها، لو لم ينحن السفير ويهمس إليها: "يجب أن نرحل، سيدة باباكوف".

ساعدها هاري في الوقوف على قدميها، وقالت بهدوء: "لن أذهب برفقتكم".

كانت إيماء على وشك الاعتراض، ولكن هاري قال ببساطة: "هل أنت متأكدة؟".

فردّت: أوه نعم، تركته مرة، ولن أتركه مرة أخرى".

سألتها إيماء: "أين ستعيشين؟".

"مع أخي وزوجته، فقد أصبح لديهما غرفة إضافية بعد أن ترك أولادهما المنزل".

سألها السفير: "هل أنت متأكدة تماماً؟".

قالت يلينا وهي تنظر إلى السفير: "أخبرني يا سيدي كورتيس، هل سُدِّفن في روسيا؟ أم أن هناك قرية رائعة في أرضك الخضراء والساخنة...؟".
ظل صامتاً ولم يجب عن سؤالها.

عانت إيماء يلينا، وقالت لها: "لن ننساك أبداً".

"أنا أيضاً لن أنساكما، فأنت تشبهيني بزواجهك من رجل استثنائي".

قال السفير بحزم أكبر بقليل: "يجب أن نغادر".

احتضن كل من هاري وإيماء يلينا مرّة أخيرة قبل أن يتركها على مضمض، فقال هاري بينما كان ينضم إلى إيماء في المقعد الخلفي من سيارة رولز رويس: "لم أرها يوماً أكثر سعادة".

ازداد عدد الناس خارج باحة الكنيسة، وكان كل واحد منهم يحمل قلمه ويرفعه عاليًا في الهواء، وبينما كان هاري على وشك الخروج من السيارة والانضمام إليهم، ضغطت إيماء على ذراعه، وقالت له:

"كن حذراً، عزيزي، لا تفعل أي شيء من شأنه أن يضر بفرص يلينا في عيش حياة مستقرة وأمنة".

رفع هاري يده على مضمض عن مقبض الباب، ولكنه لوح بتحد للحشد، ثم انطلقت السيارة.

كانت الشرطة بانتظارهما في المطار، ولكن هذه المرة ليس من أجل اعتقال هاري وإلقائه في السجن، وإنما لاصطحابه هو وإيما إلى طائرتهما بأسرع ما يمكن، وكان هاري على وشك الصعود إلى الطائرة عندما تقدم رجل ذو مظهر أنيق، وربت على مرافقه، فاستدار هاري، ومَرَّت لحظات قليلة قبل أن يتعرف إلى الكولونييل.

قال الكولونييل مارينكين: "لن أحتجزك هذه المرة، ولكنني أردت أن تحصل على هذا"، سلم هاري عبوة صغيرة وابتعد عنه مسرغاً، صعد هاري الطائرة، وجلس على مقعده بجوار إيما، لكنه لم يفتح العبوة حتى أقلعت الطائرة.
سألته: "ما هذا؟".

"إنها النسخة الوحيدة المتبقية من كتاب العم جو باللغة الروسية، تلك التي خبأتها يلينا في المكتبة".

الخاتمة

1978

قالت إيماء: "إنه يوم السبت، أليس كذلك؟".

قال هاري من دون أن يرفع نظره عن صحيفة الصباح: "نعم، لماذا تسألين؟".

"رأيت شاحنة مكتب البريد تسير للتو عبر البوابات، ولكن جيمي لا يقوم بالتسليم عادةً صباح يوم السبت".

"ما لم تكن برقية؟".

قالت إيماء: "أكره البرقيات، وأفترض دائمًا الأسوأ"، نهضت من مكانها، وسارعت إلى الخروج من الغرفة، ثم فتحت الباب الأمامي قبل أن يقرع جيمي الجرس.

قال وهو يلمس قبعته: "صباح الخير، سيدة كليفتون، لقد تلقّيت تعليمات من المكتب الرئيسي بتسلیم هذه الرسالة".

سلمها مغلقاً طويلاً ورفيقاً سكري اللون موجهاً إلى السيد هاري كليفتون، أول ما لاحظته إيماء هو أنه لم يحتو على طابع، بل مجرد شعار ملكي منقوش فوق عباره قصر باكنغهام.

"لابد أنها دعوة لحفل الملكة في الحديقة".

قال جيمي: "يبدو شهر كانون الأول وقتنا غريباً لدعوة شخص ما إلى حفلة في الحديقة"، ثم لمس قبعته مرة أخرى، وعاد إلى شاحتته وانطلق.

أغلقت إيماء الباب الأمامي، وعادت بسرعة إلى غرفة الطعام، وقالت وهي تسلم الملف إلى هاري: "إنه لك يا عزيزي"، أضافت بلا مبالغة بينما كانت تحوم خلفه: "من قصر باكنغهام".

وضع هاري صحيفته جانباً، وتمهن في الملف قبل أن يلتقط سكيناً ويفتحه ببطء، ثم أخرج رسالة وفتحها، وقرأ محتواها على مهل، ثم نظر إلى الأعلى، وقال:

"حسناً؟".

سلم الرسالة إلى إيماء، التي لم تقرأ أكثر من الكلمات الافتتاحية لقد أمرتني جلالـة الملكـة، قبل أن تقول: "مبـارك يا عـزيـزـي، أـتـمـئـنـي لـوـ كـانـتـ وـالـدـتـكـ لاـ تـزالـ عـلـىـ قـيـدـ الـحـيـاـةـ، لأنـهاـ كـانـتـ سـتـفـرـحـ بـمـرـافـقـتـكـ إـلـىـ الـقـصـرـ"، لم يعلق هاري، فقالت له إيماء: "حسناً، قـلـ شـيـئـاـ".

"كان يجب أن تكون هذه الرسالة موجهة إليك، فأنت تستحقين التكريم أكثر مما تستحقه".

قال جايـلـزـ: "إنـهاـ صـورـةـ رـائـعـةـ لـهـارـيـ تـظـهـرـ عـلـىـ الصـفـحةـ الـأـوـلـىـ منـ صـحـيـفـةـ ذـاـ تـاـيمـزـ وـهـوـ يـحـمـلـ قـلـفـاـ".

قالـتـ كـارـينـ: "نعمـ، هلـ قـرـأتـ الـخـطـابـ الـذـيـ أـلـقاـهـ فـيـ حـفـلـ جـائزـةـ نـوـبـلـ؟ـ منـ الصـعـبـ تـصـدـيقـ أـنـهـ كـتـبـ خـلـالـ أـرـبعـ وـعـشـرـيـنـ سـاعـةـ".

قال جـايـلـزـ: "بعـضـ الـخـطـابـاتـ الـخـالـدـةـ كـتـبـتـ فـيـ أـوـقـاتـ الـمـحـنـ وـالـأـزـمـاتـ، وـعـلـىـ سـبـيلـ المـثـالـ الدـمـ وـالـكـدـحـ وـالـدـمـوعـ وـالـعـرـقـ لـتـشـرـشـلـ، وـخـطـابـ روـزـفـلتـ يـوـمـ العـارـ أـمامـ الـكـوـنـغـرـسـ فـيـ الـيـوـمـ التـالـيـ لـبـيرـلـ هـارـبـورـ، وـكـلـاهـمـاـ تـمـ إـلـقاـوـهـمـاـ مـنـ دـوـنـ الـحـصـولـ عـلـىـ وـقـتـ كـافـ لـلـتـحـضـيرـ".

قالـتـ كـارـينـ: "يـسـتـحـقـونـ الإـشـادـةـ حـقـاـ، يـجـبـ عـلـيـكـ الـاتـصالـ بـهـارـيـ لـتـهـنـيـتـهـ، وـسـيـكـونـ سـعـيـداـ بـشـكـلـ خـاصـ لـسـمـاعـ ذـلـكـ مـنـكـ".

قال جايلز وهو يقلب صفحة من صحيفته: "أنت على حق، سأتصل به بعد تناول طعام الفطور، أوه، كم هذا الأمر محزن"، تغير صوته فجأة عندما رأى صورتها على صفحة نعي الموتى.

كزرت كارين وهي تضع قهوتها: "ما الخبر الحزين؟".

"لقد ماتت صديقتك سينثيا فوربس واتسون، فلم أكن أعلم أنها كانت نائبة مدير الاستخبارات البريطانية، هل أخبرتك بذلك من قبل؟".

جمدت كارين في مكانها، وهي تقول: "لا، لا أبداً".
لطالما علمت أنها كانت تحتل منصبًا ما في وزارة الخارجية، والآن أدركت ما المنصب الذي شغله، ومع ذلك فإن خمسة وثمانين عاماً، ليس شوطاً قصيراً، هل أنت بخير، عزيزتي؟"، قال جايلز، وهو ينظر إليها: "أنت شاحبة الوجه مثل الماء البيضاء".

قالت كارين: "سأفتقدك، لقد كانت لطيفة جداً معك، وأود حضور جنازتها".

"يجب أن نذهب كلانا، وسأكتشف التفاصيل عندما أذهب إلى مجلس اللوردات".

"نعم من فضلك، ربما يجب أن ألغي رحلتي إلى كورنوال".

"لا، لم تكن تترى ذلك، على أي حال، سيكون والدك بانتظارك".

كان العامان الماضيان بمثابة كابوس بالنسبة إلى فيرجينيا.

ما إن حذرها باك تريند من أن إيلي ماي قد تعقبت السيدة والسيدة مورتون، عرفت أن اللعبة أصبحت

خطيرة، وتقربت على مضض أن لا فائدة بعد الان من ملاحقة سايروس للحصول على المزيد من المال، والأسوأ من ذلك، أوضح تريند أنه لم يعد مستعداً لتمثيلها إلا إذا دفعت له مقدماً أتعاباً شهرية مسبقة.

وهي طريقته في القول إنها كانت قضية خاسرة. ولم يكن ذلك كافياً، إذ ظهر مدير البنك مرة أخرى، بحجة أنه يقدم تعازيه في وفاة والدها، وقد اقترح عليها بشكل فوري التصرف بحكمة في ضوء الظروف - وهي طريقته في تذكيرها بأن البديل الشهري لا يزال قد توقف - والتفكير في طرح حدائق أونسلو في السوق، وسحب فريدي من المدرسة التمهيدية المكلفة، والتخلص من الخادم ومدبرة المنزل والمربية.

ما لم يدركه مدير المصرف أن والدها قد وعد بأن يترك لها معمل غلين فينيويك للتقدير بأرباحه السنوية التي تزيد عن مئة ألف جنيه إسترليني.

وقد سافرت فيرجينيا إلى إسكتلندا في الليلة التي سبقت قراءة الوصية، وكانت تتطلع إلى تذكير السيد فيربراذر بأن عليه مخاطبتها من خلال طرف ثالث في المستقبل القريب.

ولكن لا تزال هناك مشكلة فريدي وما يجب عليها فعله به، ولكن لم يكن الوقت المناسب لإخبار شقيقها، الإيرل العاشر، بأنها ليست والدة الطفل، والأسوأ من ذلك، أن الأب كان من الطبقة السفلية. سألته فيرجينيا وهما عائدان إلى مزرعة فينيويك: "هل تتوقع أي مفاجأة؟".

قال أرتشي: "يبدو هذا غير محتمل، فقد كان والدنا يكره المفاجآت بقدر ما يكره الضرائب، وهذا هو سبب ترك العقارات لي منذ ما يقارب عشرين عاماً".

قال فريزر وهو يرمي عصا أخرى لكلبه من نوع لابرادور لاستعادتها: "انتهى بي الأمر مع جلينكارن، وحصل كامبل على منزل المدينة في إدنبرة، وكل ذلك بفضل والدنا".

قال أرتشي: "أعتقد أن والدنا كان دائمًا يخطط لمغادرة هذا العالم مثل دخوله إليه، عارياً ومفلساً". ذكرتهما فيرجينيا قائلة: "باستثناء معلم التقطرير، الذي وعد بأنه سيتركه لي".

"وبما أنك الوحيدة التي أنجبت ولذا، أتوقع أن في إمكانك التطلع إلى أكثر من مجرد معلم للتقطرير". سألت فيرجينيا ببراءة: "هل ما زال غلين فينيويك يحقق ربحاً؟".

قال أرتشي: "في العام الماضي، حقق ما يزيد عن تسعين ألف جنيه إسترليني بقليل، ولكنني أرى أنه يمكنه أن يحقق أفضل من ذلك بكثير، فقد كان والذي يرفض دائمًا اقتراحي بأن يستبدل جوك لامونت بشخص أصغر سنًا، ولكن جوك سيتقاعد في أيلول، وأعتقد أنني وجدت الشخص المثالى للحلول مكانه - ساندي ماكفيرسون يعمل في هذا المجال منذ خمسة عشر عاماً وهو يمتلك الكثير من الأفكار الذكية حول كيفية تحسين دورة المبيعات، وكانت أتمئن أن تجدي الوقت لمقابلة ساندي في أثناء وجودك في إنجلترا، فيرجينيا".

قالت له فيرجينيا، بينما أعاد أحد الكلاب العصا إليه، وهو يهز ذيله: "بالطبع، أود تسوية مستقبل غلين فينيويك قبل أن أعود إلى لندن".

"هذا جيد، إذا ساتصل به لاحقاً وأدعوه لتناول شراب".

قالت فيرجينيا: "إنني أتطلع إلى لقائه"، ولكنها

لم تشعر بأنها اللحظة المناسبة لإخبار أخويها بأن رئيس شركة جوني واكر للويسكي قد تواصل معها، وستتناول وجبة الإفطار مع المدير التنفيذي لشركة تيتشر صباح الغد، وكان رقم المليون قد تم حسمه بالفعل، وهي تفكّر في مقدار المبلغ الذي يمكنها أن تناوله منها.

سألت عندما عبروا الخندق عائدين إلى الفناء: "متى سنذهب إلى إدنبرة؟".

انضم أدريان سلون إلى طابور الانتظار في كشك التذاكر، ولم يلحظ الرجالان اللذان تسللا من خلفه. عندما وصل إلى النافذة، طلب تذكرة عودة في الدرجة الأولى إلى بريستول تيمبل ميدز، وسلم ثلاث أوراق نقدية من فئة خمسة جنيهات، وأعطاه الموظف تذكرة وجيئين وسبعين بنسا، فاستدار سلون ليجد رجلين يعترضان طريقه.

قال الأكبر سناً منهما: "سيد سلون، أنا اعتقلك لحيازتك على نقود مزورة، والمتاجرة بها، على الرغم من معرفتك أنها ليست عملية قانونية".

سرعان ما دفع الضابط الصغير ذراعي سلون خلف ظهره وقيد يديه، ثم أخرجاه من المحطة ووضعاه في مؤخرة سيارة شرطة كانت بانتظارهم.

كانت إيما دوما تلقي نظرة ثانية إلى أي سفينة ترفع العلم الكندي على سطحها، ثم تتفقد الاسم الذي تحمله على هيكلها قبل أن تهدا ضربات قلبها مجدداً.

ولكن عندما نظرت هذه المرأة إليها، تسارعت ضربات قلبها، ولم تعد قدماتها تحملانها، واوشكت

أن تنهار، وأمعنت النظر مرة ثانية، فكان اسم السفينة نوتا، وهو اسم سيعلق في ذهنها غالباً، كما شاهدت القاطرتين الصغيرتين تملآن مدخل المرفأ بدخانهما الأسود المنبعث من مدخنتيهما، بينما قادا سفينته الشحن الصدئة القديمة نحو وجهتها الأخيرة.

غيرت اتجاهها، وبينما كانت تشق طريقها نحو ساحة التحطيم، لم تستطع سوى التساؤل حول العواقب المحتملة الحدوث لمحاولتها العثور على الحقيقة بعد كل تلك السنوات.

من المؤكد أن عودتها إلى مكتبها ستكون منطقية أكثر من البحث في الماضي، الماضي البعيد، لكنها لم تتراجع، وعندما وصلت إلى الساحة توجهت مباشرةً إلى مكتب رئيس العمال، وكأنها تقوم بجولاتها الصباحية المعتادة، ثم اتجهت إلى المقصورة، وتنفست الصعداء عندما لم تجد فرانك، فلم يكن هناك أحد سوى سكرتيرة تطبع شيئاً ما، ووقفت فور رؤية مديرتها، وقالت: "أخشى أن السيد غيبسن ليس هنا، سيدة كليفتون، هل ترغبين في أن أبحث عنه؟".

قالت إيماء: "لا، لن يكون ذلك ضروريًا"، نظرت إليها مخطط المواعيد المعلق على الحائط، لتجد أن أسوأ مخاوفها قد تحقق، وقد تقرر أن ذا إس إس ميبل ليف مصيرها التحطيم، وسيبدأ العمل على ذلك يوم الثلاثاء، وقد أعطاها ذلك القليل من الوقت لتقرر ما إذا كانت ستتحذر هاري أو ستتجاهل الأمر مثل نيلسون، ولكن إن اكتشف هاري أن ذا ميبل ليف نقلت إلى مقبرتها، وسألها إن كانت تعلم بالأمر، فلن تتمكن من أن تكذب عليه.

"أنا متأكدة من أن السيد غيبسن سيعود خلال عدة

دقائق، سيدة كليفتون".

"لا تقلقي، ليس الأمر مهما، ولكن هل في إمكانك أن تطلبني منه أن يأتي لمقابلتي عندما يمز بجانب مكتبي في المرة القادمة؟".

"هل أخبره بأمر محدد؟".

"لا، سيعرف بنفسه".

نظرت كارين من النافذة إلى الريف بينما كان القطار منطلقاً بسرعة في رحلته إلى ترورو.

لكن أفكارها كانت في مكان آخر، وهي تحاول تقبل وفاة البارونة.

لم تكن على اتصال بسينثيا لعدة أشهر، ولم تقم الاستخبارات البريطانية بأي محاولة لاستبدالها بصفتها مدير لكارين، هل فقدوا الاهتمام بها؟ لم تعطها سينثيا معلومات مهمة لتخبر بينغلي بها منذ فترة من الزمن، وأصبحت اجتماعات غرفة الشاي نادرة الحدوث.

وقد لفج بينغلي إلى أنه لن يمز وقت طويل قبل أن يتوقع العودة إلى موسكو، ولا يمكن أن يكون ذلك كافياً بالنسبة إليها، فقد سنت من خداع جايلز، الرجل الوحيد الذي أحبته على الإطلاق، وتعبت من السفر إلى كورنوال بحجة زيارة والدها، بينما لم يكن بينغلي والدها وإنما زوج والدتها، وقد كرهته، ولم تلجم إلية إلا لمساعدتها على الهروب من نظام احتقرته، ل تستطيع أن تكون مع الرجل الذي وقعت في حبه، الرجل الذي أصبح حبيبها وزوجها وصديقتها المقرب.

كرهت كارين عجزها عن إخبار جايلز بالسبب الحقيقي لتناولها الشاي في منزل اللوردات مع

البارونة بشكل متكرر، والآن بعد أن ماتت سينثيا، لم تعد مجبرة على الاستمرار بالكذب، لكن عندما يكتشف جاييلز الحقيقة، هل سيصدق أنها هربت من استبداد برلين الشرقية فقط لأنها أرادت أن تكون معه؟ ألم تكذب في كثير من الأحيان؟ بينما كان القطار منطلقا إلى ترورو، صلت أن تكون تلك هي المرة الأخيرة.

قال محامي سلون: "إذا كما فهمت، فإن حجتك هي أنه لم يكن لديك علم بأن المال كان مزوراً.

وقد جدته في خزنة الشركة في مكتب رئيس ميلور ترافل في بريستول، وافتراضت بطبيعة الحال أنه كان عملاً قانونية".

"إنها ليست حجتي يا سيد ويذريل، بل إنها الحقيقة أيضاً".

نظر ويذريل إلى ورقة الاتهام، وقال: "هل صحيح أيضاً أنك اشتريت خلال وقت سابق من صباح اليوم الذي اعتقلت فيه ثلاثة قمصان من متجر هيلديتش آند كي في شارع جيرمين، سعرها ثمانية عشر جنيهاً، ودفعت أربع أوراق نقدية من فئة الخمسة جنيهات، وكلها كانت مزيفة؟ ثم استقللت سيارة أجرة إلى بادينغتون، ودفعت ورقة أخرى مزورة من فئة الخمسة جنيهات، كما اشتريت تذكرة عودة في الدرجة الأولى إلى بريستول، ودفعت ثلاث أوراق نقدية أخرى مزورة من فئة الخمسة جنيهات".

قال سلون: "لقد كانت كلها من الحزمة نفسها. تلك التي وجدتها في خزنة الشركة في مكتب ميلور".

تابع ويذريل بهدوء: "التهمة الثانية، تتعلق بالحيازة غير القانونية على سبعة آلاف وثلاثمائة وعشرين جنيهًا أخرى، عنر عليها في خزنة في شقتك في مايفير، وقد كانت مزورة أيضًا".

قال سلون: "هذا أمر سخيف، لم يكن لدي أي فكرة في أن الأموال كانت مزورة عندما عثرت عليها في خزنة ميلور".

"من المؤسف أنك نقلت الأموال من مكتب ميلور في بريستول إلى شقتك في لندن".

"لقد قمت بنقل الأموال إلى هناك فقط لحفظها، ولا يمكن أن يتوقع مني أن أسافر إلى بريستول في كل مرة أحتاج فيها إلى بعض المصاريف التترية لإنجاز أعمال ميلور".

قال ويذريل: "ثم هناك مشكلة الإفاداتين المكتوبتين اللتين حصلت عليهما الشرطة، واحدة تعود إلى الانسة أنجيلا كاسل، والأخرى إلى السيد ميلور نفسه".

"إنه مجرم مدان".

"إذا فلنبدأ يا فادته، يقول إنه لم يكن هناك أكثر من ألف جنيه نقداً في خزنته في بريستول".

"إنه كاذب".

"وفقاً للفادة الانسة كاسل، كان ميلور يسحب ألف جنيه نقداً من حساب الشركة كل ثلاثة أشهر، لاستخدامه الشخصي".

"من الواضح أنها تدعمه".

تابع ويذريل: "مصرف ميلور، نات ويست في كويينز رود، بريستول، زود الشرطة بنسخ من حساباته التجارية والشخصية كلها على مدى السنوات الخمس الماضية، ويؤكدون أنه لم يسحب

من الشركة أكثر من ألف جنيه نقدا كل ثلاثة أشهر".
قال سلون: "هذه مكيدة".

قال ويذريل: "هناك تهمة أخرى، وهي أنك كنت تتعاون لعدة سنوات مع شخص يدعى السيد رونالد بوويل، وهو مزور معروف، وقد وقع السيد بوويل على إفادة خطية يزعم فيها أنك تقابلته بانتظام في كينغز أرمز، وهي حانة في سوها، حيث تقوم باستبدال ألف جنيه إسترليني من الأوراق القانونية بعشرة آلاف جنيه إسترليني من الأوراق المزورة".

ابتسم سلون للمرة الأولى، وقال لنفسه، لو استقلت في الوقت الذي كنت فيه متقدما يا ديزموند، لكنت قد أحققت بي الضرر لعقد من الزمن، ولكن لا يمكنك مقاومة الإفراط في خفق البودينج، أليس كذلك؟

كان جايلز قد غلبه النعاس عندما سلمه المرسال قصاصة من الورق، ففتحها وبعد أن قرأها، صاح فجأة: اتصل بمكتب رئيس مجلس الوزراء بسرعة. لم يتذكّر جايلز آخر مرة طلب منه السير آلان الاتصال به في منزله، وتحديداً بشكل عاجل، فلم يتحرك على الفور، احتراماً لميثاق المجلس، وهو إلا تغادر القاعة في أثناء خطاب أحد الزملاء، ولكن في اللحظة التي انتهى فيها اللورد بارنيت من شرح خطته المقترحة بشأن اسكتلندا، وعاد إلى مقعده، تسلل جايلز من الغرفة وتوجه إلى أقرب هاتف.

"مقر رئيس الوزراء، 10 داونينغ ستريت".

"السير آلان ريدمين".

"من المتصل، من فضلك؟".

"جايلز بارينغتون".

الصوت الذي سمعه بعد ذلك لا يمكن أن يخطئ
في تمييزه.

"جايلز"، لم يسبق له أن ناداه جايلز من قبل،
واردف قائلاً: "هل يمكنك أن تحضر فوراً؟".

تحرك محامي سلون بسرعة، ولم تكن الشرطة في
موقع يسمح لها برفض طلبه.

تم اختيار خمسة رجال آخرين للوقوف بجانب
سلون، وكانوا جميعهم تقريراً في العمر نفسه،
ويرتدون بذلات مماثلة وقمصان بيضاء، وربطات
عنق مقلمة، بعد أن أبلغ السيد ويذريل ضابط
التحقيق بأن موكله إذا كان قد زار بالفعل حانة
كينغز أرمز في عدة مناسبات لاستبدال الأوراق
النقدية الحقيقية بأوراق مزيفة، فلا ينبغي أن
يصعب على السيد بوويل معرفة هوية شريكه في
الجريمة من بين بقية الرجال.

بعد ساعة من الزمن، تم إطلاق سراح سلون
وإسقاط جميع التهم ضده، بينما بوويل، الذي لم يكن
لديه رغبة في العودة إلى فورد ومواجهة ميلور، قرر
الاعتراف بالمكيدة المدبرة للتخفيف من حكمه، ثم
أرسل إلى سجن بلمارش بانتظار المحاكمة بتهمة
التزوير وتقديم أدلة زائفه وتضليل مسار العدالة.

بعد شهر، ظهر ديزموند ميلور أمام مجلس إطلاق
السراح المشروط، لطلب تخفيف عقوبته استناداً
إلى حسن سلوكه، ولكن طلبه رفض، وقيل له إنه
لن يقضي عقوبته كاملة فحسب، بل أن النائب العام
يعد بتوجيه المزيد من التهم إليه.

عندما استجوبت الشرطة سلون في المرة التالية،
كان سعيداً جداً بتقديم المزيد من الأدلة التي تورط
ميلور في جرائم إضافية.

سأله المحقق: "هل ترغب في إضافة أي شيء آخر إلى إفادتك؟".

قال سلون: "شيء واحد فقط، يجب أن تبحث عن الدور الذي أدته اليد اليمنى فيينويك في هذه العملية بأكملها، ولدي شعور بأن السيد بويل قد يكون قادرًا على مساعدتك".

قالت راشيل: "السيد ميلور على الخط الثالث".

رد سيباستيان: "أخبريه بأن يذهب إلى الجحيم".

"لقد قال إنه سمح له بثلاث دقائق فقط".

قال سيب على مضمض: "حسناً، ضعيه على الخط"، وكان لديه فضول لمعرفة ما يريد ذلك الرجل اللعين.

"صباح الخير، سيد كليفتون، إنه كرم منك أن تقبل بمكالمتي، على الرغم من كل ما حدث، ولكن ليس لدى الكثير من الوقت، لذلك سأدخل مباشرة في صلب الموضوع، هل يمكنك زيارتي في سجن فورد يوم الأحد؟ هناك شيء أود مناقشه معك، وقد يكون ذا منفعة متبادلة".

قال سيباستيان وهو بالكاد قادر على السيطرة على أعصابه: "ما الذي يمكن أن أناقشه معك؟"، وكان على وشك إغلاق الهاتف، عندما قال ميلور: "أدريان سلون".

تردد سيباستيان للحظة، ثم فتح دفتر ملاحظاته، وقال: "لست متفرغاً هذا الأحد، لأنه عيد ميلاد ابنتي، ولكنني متفرغ يوم الأحد قبل".

قال ميلور من دون أن يسهب في حديثه: "سيكون الأوان قد فات في ذلك الوقت".

تردد سيب مرة أخرى، ثم قال: "متى ساعات

الزيارة؟، لكن الخط كان قد انقطع.

سألت إيمان مكتبها: "كم سنة عملت في هذه الشركة، فرانك؟".

"ما يقارب الأربعين عاماً سيدتي، فقد عملت لدى والدك، ولدى جدك من قبله".

"إذا لا بد أنك سمعت بقصة ذا ميبيل ليف؟".

"قبل أن أعمل هنا يا سيدتي، ولكن الجميع في الساحة له دراية بهذه القصة، مع أن القليلين فقط يتكلمون عنها".

"أريد أن أطلب منك خدمة يا فرانك، هل يمكنك أن تجمع لي عدداً قليلاً من الرجال الموثوقين؟".

"إن شقيقتي وابن عمي لم يعملا من قبل لدى أحد عدا بارينغتون".

"سيكون عليهم أن يأتوا يوم الأحد عندما تكون الساحة مغلقة، وسأدفع لهم المبلغ نقداً، وستكون مكافأتهم بالقدر نفسه بعد سنة، ولكن شرط أن يحافظوا على سرية العمل الذي سيقومون به في ذلك اليوم".

قال فرانك، ممسكاً بطرف قبعته: "هذا عرض سخي جداً، يا سيدتي".

"متى سيكون فيإمكانهم البدء بالعمل؟".

"صباح الأحد القادم، فستكون الساحة مغلقة حتى يوم الثلاثاء، لأن الاثنين يوم عطلة رسمية".

"ولكنك لم تسألني عن طبيعة العمل".

"لا حاجة لذلك، يا سيدتي، ولكن إن وجدنا ما تبحثين عنه في ذاك المكان، ماذا سيحدث حينها؟".

"لا أريد أكثر من أن تقام لرفات ارثرة كليفتون مراسم دفن مسيحي".

"وماذا إن لم نجد شيئاً؟".

"عندما سيرافقنا هذا السر نحن الخمسة إلى القبر".

كان أرتشي بولد دوغلاس جيمس إيان فينيويك، الإيرل العاشر لعائلة فينيويك، من بين آخر الوالصين، وعندما دخل الغرفة، نهض الجميع معترفين بلقبه الذي ورثه من والده، بعد أن انتقل من جيل إلى آخر إلى أن وصل إليه، وانضم إلى شقيقيه الأصغرين، فريزر وكامبل، في الصف الأمامي، بينما ظل أحد الكراسي شاغراً.

في تلك اللحظة كانت فيرجينيا تفادر لتوها فندق كاليدونيان، بعد أن استمتعت بوجبة الفطور برفقة الرئيس التنفيذي لشركة تيتشر للويسكي، وقد تم الاتفاق على السعر، وكل ما تبقى هو أن يحرر المحامون عقداً.

قررت أن تجتاز المسافة القصيرة إلى شارع بوت، وهي تثق من أن لديها بعض دقائق للاستغناء عنها، وعندما وصلت خارج مكاتب فيرجسون، فيرجسون ولوري، وجدت الباب الأمامي مفتوحاً، فدخلت ليستقبلها محامي متدرّب قد ألقى نظرة خاطفة على ساعته.

" صباح الخير سيدتي، هل يمكنك الصعود إلى الطابق الأول من فضلك، إذ إن قراءة الوصية على وشك البدء".

قالت فيرجينيا: "أعتقد أنك ستتجد أنها لن تبدأ من دون حضوري"، ثم بدأت بصعود الدرج إلى الطابق الأول، فسمعت صوت الترثة التي هدأت فور وصولها، وقد التفت الحضور إلى الاتجاه الذي

قدمت منه فيرجينيا.

وعندما وصلت إلى الغرفة المزدحمة، لم يقف لها أحد.

شقت طريقها إلى الصف الأمامي، وجلست على المقعد الفارغ بين أرتشي وفريزر، وكانت بالكاد قد استقرت عندما فتح الباب ودخل إلى الغرفة ثلاثة رجال يرتدون سترات سوداء متطابقة وبناطيل رمادية مقلمة، وأخذوا أماكنهم خلف طاولة طويلة، فتساءلت فيرجينيا حول ما إذا كان لا يزال هناك أحد يرتدي ياقية أجنحة صلبة في عام 1978، نعم، إنهم شركاء فيرجسون، فيرجسون ولوري، الذين يتوجب عليهم قراءة الوصية أو الأممية الأخيرة لإيرل الاسكتلندي.

سكب رودريك فيرجسون، الشريك الأكبر، لنفسه كأسا من الماء، فاعتقدت فيرجينيا أنها تعزفته إليه، ثم أدركت أنه لابد أن يكون ابن الرجل الذي مثلها عندما تطلقت من جايزلز منذ أكثر من عشرين عاماً، ولا يزال له الرأس الأصلع نفسه، باستثناء حزام رفيع من الشعر الرمادي، والأنف الدقيق والنظارة الهلالية، فتساءلت فيرجينيا عما إذا كانت النظارة الهلالية نفسها.

عندما دقت الساعة خلفه مشيرةً إلى التاسعة، نظر الشريك الأكبر في اتجاه الإيرل، وبعد أن أومأ إليه، حول انتباهه إلى الحشد المتجمع، فسعل سعالاً متتكلفاً، وهي صفة أخرى ورثها من والده.

بدأ بصوت واضح وسلطوي، تحالطه لهجة إدنبرة: " صباح الخير، اسمي رودريك فيرجسون، وأنا الشريك الأكبر لفيرجسون، فيرجسون ولوري، ينضم إلينا اليوم شريكان آخران من شركاء الشركة، أرحب بانضمامهما، وكما كان والدي من قبل، يمثل الإيرل

الراحل بصفته مستشاره القانوني، فقد وقع على عاتقي قراءة وصيته وأمنيته الأخيرة"، ارتشف رشفة من الماء، تبعها السعال مرة أخرى.

"لقد تفت كتابة وصية الإيرل النهائية قبل عامين تقريباً، وقد شهد عليها المدعي المالي والفيكونت يونجر أوف ليكي التزاماً بواجبهما.

وقد فقدت فيرجينيا تركيزها وانشغلت في مكان آخر، ولكنها سرعان ما ركزت انتباها الكامل على السيد فيرجسون عندما قلب الصفحة الأولى من الوصية، وبدأ بتوزيع ما بقي من إرث والدها.

تأثر أرتشي، الإيرل العاشر، الذي كان يدير الممتلكات على مدار العشرين عاماً الماضية، عندما أدرك أن والده قد ترك له زوجاً من بنادق بيردي، وصنارة الصيد المفضلة لديه وعكاً تركه ويليام غلادستون بعد أن أمضى الليلة في مزرعة فينيويك، كما أورثه أيضاً لوغان، كلبه الlaprador المخلص، ولكنه توفي في اليوم التالي من دفن سيده.

الابن الثاني، فريزر، وهو كان يدير ملكية غلينكارن لسنوات عديدة، إلى جانب ما لها من حقوق متعددة في ملاحقة الغزلان وصيد الأسماك وممارسة صيد الطيور، وقد حصل على لوحة زيتية تعود إلى جدته، الأرملة الدوقة كاثرين، رسمها موينيفس، كما حصل على السيف الذي كان كولينغفورد يحمله في ترافالغار.

الابن الثالث، كامبل، الذي عاش في ساحة بوت 43 على مدار الخمسة عشر عاماً الماضية منذ أن تخرج في مجال الطب، وعمل بصفته طبيباً متدرجاً في مستوصف إدنبرة الملكي، وقد انتهى به الأمر إلى الحصول على سيارة أوستن 30 مهترنة ومجموعة من نوادي الغولف القديمة.

لم يكن كامبل يمتلك رخصة قيادة، كما لم يلعب جولة غولف في حياته، ومع ذلك لم يتفاجأ أي من الأخوة الثلاثة أو يستاء من الحصة التي ورثها من والده.

لقد جعلهم والدهم فخورين وراضيين، إذ لن يكون هناك الكثير من ضرائب الميراث التي يجب دفعها على صنارة صيد أو سيارة أوستن 30 من عام 1954.

عندما طوى السيد فيرجسون الصفحة، جلست فيرجينيا متتصبة، فبعد كل شيء، قد جاء دورها، ولكن الوريث التالي الذي تمت تسميتها كان أخت الإيرل، موراج، التي ورثت بعض المجوهرات التي تعود إلى العائلة بالإضافة إلى قصر خالٍ من العيوب يقع في المقاطعة، وكلها ستعود إلى الإيرل العاشر بعد وفاتها، ثم تبع ذلك تسمبة العديد من أبناء العمومة، وأبناء الأخوة، وكذلك بعض الأصدقاء القدامى، قبل أن ينتقل السيد فيرجسون إلى الوصاء، والخدم، ومراقبي الصيد، والبستانيين الذين خدموا الإيرل لعقد أو أكثر.

ثم التفت الشريك الأكبر إلى ما بدا بالنسبة إلى فيرجينيا أنه الصفحة الأخيرة من الوصية.

قال: "أخيراً، أترك المنطقة التي تبلغ مساحتها خمسة فدان والتي تقع غرب شلالات كارلي، وتشمل معمل تقطير غلين فينيويك" - لم يستطع مقاومة التوقف من أجل السعال - "لحفيد الوحيد، فريدرick أرتشي بالد إيان بروس فينيويك"، فانطلق صوت شهيق مسموع في الغرفة، ولكن فيرجسون تجاهله، وتتابع قائلًا: "وأطلب من ابني الأكبر، أرتشي بالد، أن يكون مسؤولاً عن إدارة معمل التقطير حتى يبلغ فريدرick سن الخامسة والعشرين".

بدا الإيرل العاشر مندهشا تماماً مثل أي شخص آخر في الغرفة، حيث إن والده لم يذكر أبداً خططه الخاصة بمعمل التقطير، ولكن إذا كان هذا ما يريديه والده، فسوف يتتأكد من تنفيذ رغباته وفقاً لشعار العائلة، من دون خوف أو تحيز.

كانت فيرجينيا على وشك الخروج من الغرفة، ولكن كان من الواضح أن السيد فيرجسون لم ينته من قراءة الوصية بعد، وكان يمكنه سماع بعض التذمر في أثناء إعادة ملء كوبه بالماء قبل العودة إلى متابعة مهمته.

وقال: " أخيزاً، وبالتأكيد، أخيزاً"، صمت عن قصد، قبل أن يتتابع قائلاً: "حان دور ابنتي الوحيدة، فيرجينيا، وقد تركت لها زجاجة ويiskey من نوع ميكر مارك، على أمل أن تعلمها درساً، رغم أن لدي شك في ذلك".

فتح زوج والدة كارين الباب الأمامي ورحب بها بابتسامة لطيفة غير اعتيادية.

قال وهي تدخل إلى منزله: "لدي بعض الأخبار السارة التي أود مشاركتها معك، ولكن عليك الانتظار إلى وقت لاحق".

فتساءلت، هل يمكن أن يكون هذا الكابوس قد انتهى أخيزاً؟ ثم رأت نسخة من ذا تايمز ملقاة على طاولة المطبخ، مفتوحة على صفحة الوفيات، فحدقت إلى الصورة المألوفة للبارونة فوربس واتسون وتساءلت عما إذا كانت مجرد صدفة، أم أنه تركها مفتوحة من أجل استفزازها بعد أن كشف أمرها.

لم يتحذثا في أثناء تناول القهوة عن أي موضوع ذي صلة، لكن كارين لاحظت أن الحقائب الثلاث

الموضوعة بجانب الباب، بدت وكأنها تبشر بمغادرة
وشيكة.

ومع ذلك أصبحت أكثر قلقاً مع مرور الوقت، إذ ظلَّ بينغلي هادئاً للغاية وودوداً أكثر مما اعتادت عليه، ماداً لو كان ينطبق عليه تعبير الجيش القديم، هو سعيد سعادة التسريح من الجيش؟ قال وهو يضع إصبعه على شفتيه: "حان الوقت لتحدث حول أمور أكثر جدية"، وخرج إلى الرواق، وتناول معطفه الثقيل من المشجب أمام الباب، ففكّرت كارين بالفرار، ولكنها إذا قامت بذلك، وكان كل ما سيقوله لها إنه سيعود إلى موسكو، فسيتم كشفها، ثم ساعدتها في ارتداء معطفها، وغادراً المنزل.

تفاجأت كارين عندما أمسك بذراعها بقوة، ودفعها باتجاه شارع مهجور، يخلو من المارة، وكانت عادة تشبك ذراعها في ذراعه حتى يفترض أي شخص عابر أنها أبوابنته يقومان بنزهة، ولكن ليس اليوم، فقد قررت أنها إذا التقت بأي شخص، حتى ولو كان الكولونييل العجوز، فستتوقف وتحدث إليه، لأنها كانت تعلم أن بينغلي لن يجرؤ على المخاطرة بكشف غطائهما بحضور أي شاهد، وكما كل الجواسيس كان يتصرف على أساس أن الجميع جواسيس أيضاً.

ما إن وصلوا إلى حافة الغابة، نظر بينغلي من حوله، كما كان يفعل دائمًا، ليرى ما إذا كان هناك أي شخص يتبعهما، ولو كان هناك أي أحد، لعادا إلى المنزل، ولكن ليس بعد ظهر هذا اليوم.

رغم أن الساعة كانت بالكاد قد بلغت الرابعة، إلا أن الضوء بدأ بالتلاشي وأصبح أكثر قتامة مع مرور الوقت، فأمسك بذراعها بقوة أكبر عندما خرجا من الشارع نحو الطريق المؤدي إلى الغابة، وتغيرت نبرة

صوته بما يناسب هواء الليل البارد.

"أعلم أنك ستكونين سعيدةً كارين" - لم ينادها كارين أبداً - "لمعرفة أنني رقيت، وسأعود قريباً إلى موسكو".

"تهانينا، أيها الرفيق، إنك تستحق ذلك".

لم يخفف من الضغط على ذراعها، وتتابع قائلًا: "لذلك سيكون هذا آخر لقاء لنا"، هل يمكن أن تأمل كارين في أن...، وقد أضاف قائلًا: "ولكن قد كلفني القائد كوشيفوي بمهمةٍ أخيرة"، لم يشرح بینغلي التفاصيل، كما لو أنه أرادها أن تأخذ وقتها في التفكير بالأمر، وبينما كانا يتوجّلان أكثر في الغابة، أصبح الظلام شديداً لدرجة أن كارين كانت بالكاد تستطيع أن ترى أمامها، ومع ذلك بدا أن بینغلي يعرف بالضبط المكان الذي كان ذاهباً إليه، كما لو أنه قد تدرّب على كل خطوةٍ يخطوها.

قال لها بهدوء: "لقد كشف رئيس المراقبة المضادة الخائن في صفوفنا، فكان يخون الوطن الأم منذ سنوات، ولقد تم اختياري لتنفيذ الحكم المناسب بحقه".

ارتخت قبضته القوية أخيراً وأطلق سراحها، وكانت غريزتها تحثّها على الفرار، ولكنه أحسن اختيار المكان الذي لا يمكنها الفرار منه.

كانت الأشجار الكثيفة خلفها، وإلى يمينها منجم القصدير المهجور، وإلى يسارها طريق ضيق بالكاد تستطيع اجتيازه في الظلام، وقد انتصب بینغلي أمامها، ولم يكن ليبدو أكثر هدوءاً أو يقظةً، ثم أخرج مسدسه ببطءٍ من جيب معطفه، وأمسك به ملؤخاً بقتلها، هل كان يأمل في أن تركض هاربةً منه، حتى يحتاج إلى إطلاق أكثر من رصاصة لقتلها؟ لكنها بقيت متسلقة في مكانها.

قال بينغلي: "أنت الخائنة، التي تسببت في إلحاق
الضرر بقضيتنا أكثر من أي عميل خائن آخر، لذا
يجب أن تموتي كما يموت الخونة"، فنظر إلى نقالة
المنجم، وقال: "سأعود إلى موسكو قبل أن يعتروا
على جثتك بوقت طويل، هذا إن عثروا عليها".

رفع المسدس ببطء حتى أصبح بمستوى عيني
كارين، وكان آخر ما فكرت فيه قبل أن يضغط على
الزناد هو جايلز،

وتردد صوت طلقة واحدة عبر الغابة، فطار سرب
من الزرزور عاليًا في الهواء، بينما سقط جسمها على
الأرض،

وانتهت القصة...

Notes

[I]

تهمة الحزب الديمقراطي هي الحمار.

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook